

نصوص مقدسة ونصوص دنيوية

من مصر القديمة

المجلد الثاني

الأساطير والقصص والشعر

نقلا عن الترجمة الفرنسية بقلم: كلير لالويت

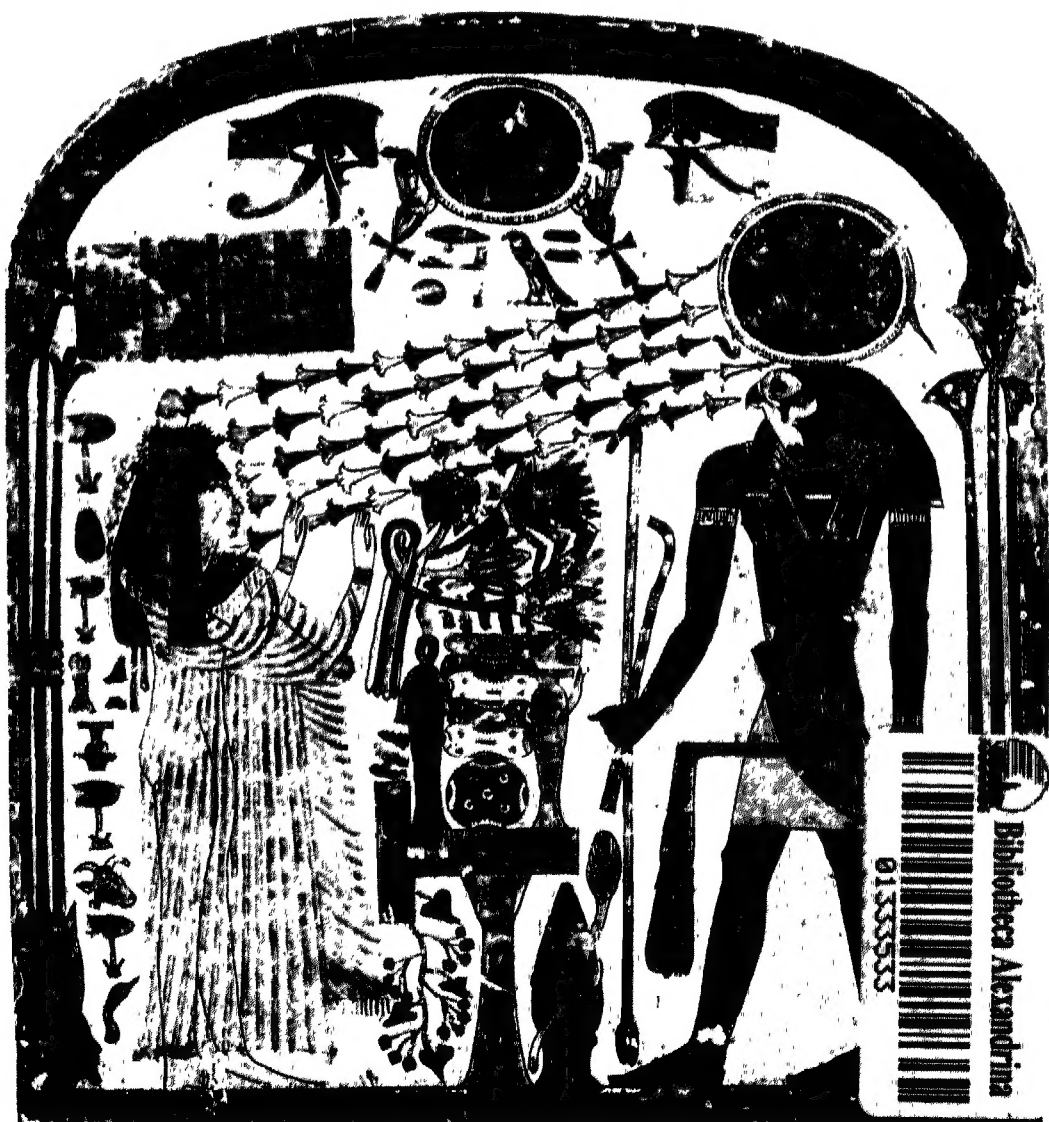
الترجمة العربية : ماهر جويجاتي



مطبوعات
اليونسكو



دار الفكر
للدراسات
والنشر والتوزيع



نصوص مقدسة ونصوص
دنيوية من مصر القديمة

الطبعة الأولى
القاهرة ١٩٩٦
جميع الحقوق محفوظة



القاهرة : ش هشام لبيب - رقم ٤٠
مدينة نصر - المنطقة الثامنة
أسسها
الدكتور طاهر عبد الحكيم ١٩٨٤
تليفون : ٢٧٣٥٠٧٤

صدر هذا الكتاب بالتعاون مع
المركز الفرنسي
للثقافة والتعاون



صدر هذا الكتاب
بالتعاون مع اليونسكو

نصوص مقدسة ونصوص دنيوية من مصر القديمة

المجلد الثانى

الأساطير والقصص والشعر

نقلا عن الترجمة الفرنسية

بقلم : كلير لأويت

الترجمة العربية : ماهر جويجاتى

COLLECTION UNESCO D'OEUVRES REPRESENTATIVES

سلسلة اليونسكو لنماذج الفكر العالمى

ترجمة كتاب

Textes sacrés et textes profanes de l'ancienne Égypte

**

Mythes, contes et poésie

TRADUCTIONS ET COMMENTAIRES

PAR CLAIRE LALOUETTE

Professeur à l' Université de Paris-Sorbonne

PRÉFACE DE PIERRE GRIMAL

Membre de l'Institut

© Unesco, 1987, pour la traduction française, l'introduction
Les commentaires, Les notes explicatives et la préface.

حقوق الطبع : اليونسكو ١٩٨٧
بالترجمة الفرنسية وتقديم الكتاب ومقدمته وشروحه وهوامشه

الهدايا

الى الاستاذ ريشار چاكمون ،
الرئيس السابق لقسم الترجمة بالبعثة الفرنسية بالقاهرة
أهدى هذه الترجمة،
تقديراً و عرفاناً لجهوده المخلصة فى تدعيم حركة الترجمة فى مصر،
وترسيخاً لتيار العقلانية والتنوير.

ماهر جويجانتى

تقديم

بقلم بيير جريمال Pierre Grimal

عالم الدراسات الكلاسيكية القديمة.

بعد أن قدمت لنا الأنسة «كلير لالويت»، الملوك والأعيان وسواد الشعب، وبعد اسفار الحياة والموت، تقدم لنا الان المجلد الثانى الذى يضم بين دفتيه نصوصا عامرة بالاسرار الإلهية، فتروى علينا ولادة الآلهة والعالم، وأصل الخير والشر، واكتساب العدالة، وأتراح وأفراح الكائنات الإلهية وأهواها وآلامها شديدة الشبه بتلك التى تمزق الكائنات البشرية. كما سنقرأ فى هذا المجلد الأناشيد التى جهر بها الناس تقرباً من قوى الكون العظمى المؤلهة، لاستمالتها وأيضاً لإدخال الطمأنينة إلى نفوسهم، إذ يؤكّدون جهاراً، وجودها ودوامها.

ويفتح الباب الثانى من الكتاب الطريق لأحلام أخرى ويكشف عما ينطوى عليه السحر من أعاجيب وفتون وخيبة أمل، والسحر هو خصوصية الخصوصيات التى تميز مصر. كما يكشف عن سراب الرحلات القصية، إذ كان المصريون فى عصور ما قبل التاريخ، من كبار الملاحين على صفحات مياه نهرهم العظيم أواموا ما اطلقوا عليه «الشديدة الاخضرار». وأخيراً، ينتهى هذا الكتاب عند ما هو مدفون فى أعماق أعماق قلب الإنسان من أناشيد وقصائد حب. وهكذا نصل إلى ختام دورة قادت القارئ من الأرض والنهر عائلنا الكبير إلى السماء، ومن السماء إلى وسط الناس، من جديد. وكلما أنتقلنا من صفحة إلى أخرى ارتسمت واتضحت صورة تزداد ثراءً وغنى للروح المصرية : هذه الروح التى تسمح لنا الآثار، أن نلمحها بكل وضوح، ولكن قراءة النصوص المصرية، المحفورة فى الحجر أو المسطورة فى الغالب على البردى، هى وحدها التى تسمح لنا بالنفاذ إليها.

والنصوص التى تجمعت هنا، لا تشكل سوى مجموعة مختارة، صنفّت من وسط ماتبقى لنا من الأدب المصرى. بعضها له طابع مقدس، وينتمى إلى التعاليم الدينية المتواترة من خلال الكهنة والكتبة. وبعضها الآخر نصوص، دنيوية. وهامش الإبداع فيها الذى يخص أول من صاغها أوسع وأشمل بكثير. ولا يشغل فيها ما هو مقدس سوى الخلفية، ولكنها ليست الأقل تعبيراً عن الروح المصرية.

تعود جميع هذه النصوص - المقدسة منها والدنيوية - إلى عصور شديدة التنوع، ولكن التاريخ الموضوعى لكل نص منها لا يعيننا بقدر ما يهمننا مدى استمرارية التقليد الذى تقف شاهداً عليه، فبعض النسخ حديثة نسبياً (من العصر البطلمى أو الرومانى) ولكن قد يعود مضمونها (وهو يعود بالفعل) إلى تاريخ أكثر قدماً بمراحل. أيا كان الأمر، وبعد أن أبدينا تحفظنا هذا، يبدو أن الفكر المصرى لم يكن بالتأكيد فكراً جامداً ولكنه التزم باستمرارية ووحدة حافظت عليها نصوص شعائر الأعياد والصيغ التى تصاحب، عبر الأجيال، أسماء الآلهة والملوك، والإحتفالات التى ترتبط باستمرار حياة المتوفى. وعبثاً تتعاقب الأسرات الملكية، وقد جاء بعضها من الشرق أو جاءت من الجنوب، من البلدان التى نطلق عليها الآن السودان أو أثيوبيا، فقد استطاعت قوة الفكر المصرى أن تفرض بصمتها التى لا تمحى على ما جلبته معها وهذا ما توضحه أولاً الترجمات التى نقدمها فى هذا المجلد. وهى لاتحاول أن تتحايل على ما يمكن أن تسببه الألقاب الملكية أو الإلهية من حيرة نظراً لتكرارها هى هى من صفحة إلى أخرى، وربما أزعج الأمر عاداتنا الحديثة، التى تعادى التكرار معاداة شديدة، ولكن من الضرورى، عند قراءة هذه النصوص ان نتخلى عن موقفنا المألوف من كل ما هو مكتوب، إذ يبدو فى الوقت الراهن وكأننا نأسف على الوقت الذى نخصصه لقراءتنا، فعلينا باستمرار أن نسرع أكثر فأكثر، ربما لان كمية الكتب التى علينا أن نقرأها تتزايد تزايداً ملحوظاً، ويوجد كما نعرف أساليب تعليمية تدريبنا على «القراءة السريعة»، ولا تتردد فى تشويه فكر المؤلف تشويهاً خطيراً، ولكنها تمكننا، مقابل ذلك، من توفير دقائق من وقتنا.

لا يوجد شئ مماثل فى الأدب المصرى، فهو قبل كل شئ، أدب لأوقات الفراغ، وتطيل الأناشيد المقاطع الشعرية بتكرارها تكراراً لا آخر له، وما ترويه من قصص يمتد طويلاً، فى ظلال الجدران، وفى أفنية المعابد، أو فى حجرات الكهنة وفى الحدائق وتحت شجر الجميز اوعلى مقربة من الاحواض أو الأجنحة الخاصة بالنساء. إنه أدب شفوى، فى زمن كانت فيه الكتابة وقفاً على الكتبة، إنه أدب يروى أو يُنشد فى إطار أناس يصغون دون أن يعيروا أنقضاء الساعات أى اهتمام.

هكذا بدأت كل الآداب وربما ستنتهى أيضاً على هذا النحو، وربما تنبئ أيامنا بذلك.

والأدب المصرى شأنه شأن جميع الآداب، الشفوية فى أساسها، لا يخشى التكرار ولا يشمل التكرار الكلمات فحسب، بل مقاطع وفقرات بأكملها، هدفها فى كل

مرة أن تقدم لحدث جديد. ولم ينح «هوميروس» منحىً مختلفاً. وهى جميعها بمثابة نقط ارتكاز مفيدة، ينتظرها المستمع، بل يترقبها. ويشعر بالرضا كلما استطاع أن يستبقها، فتلك هى إضافته هو شخصياً. وهى طريقته فى المشاركة فيما يبدعه القصاص، وفى إغلاق الدائرة من حوله. ربما يعود السبب أيضاً إلى قدر من الكسل من جانب الراوى، ولكن التراخى المرتبط بشدة حرارة شمس مصر، لا يفسر كل شئ، فبعض المناطق الأقل قيظاً لم تتمكن من الإفلات من هذا القانون.

إن ترتيب عرض النصوص التى يضمها هذا الكتاب ليس ترتيباً اعتبارياً، وسنلاحظ أن فى وسعنا أن نتتبع من خلاله ما يشبه التاريخ السرى للفكر المصرى، وطريقة تشكله تدريجياً، بدءاً من الإدراكات الحسية الأولى التى سوف تطول وتغالب الأيام.

إن تكرار المسارد المرتبطة بكل إله، تكرار لا ينقطع بمناسبة كل عيد، كان قد آل إلى خلق عالم له مرجعيته، وكل ما يخصه، ومجاله الخاص، هو المقابل الأسطورى لعالم الواقع. وكان ذكر بعض الأسماء الإلهية كافياً لينبثق فى المخيلة مشهد بأكمله من الرمال والصخور، من الفيافي الحمراء أو المتوهجة، من المستنقعات، بغابة من البوص العملاق أو البردى، على شطآن النهر حيث تتربص التماسيح وتنام. إن «سخت» هى لبوة الصحراء، و«حورس» هو الصقر الحوأم فى السماء. والآلهة حاضرة بالنسبة للبشر. وهذه اللغة، التى يمكن اعتبارها لغة رموز (أو شفرة، كما يحلو للكثيرين أن يسموها) تفسر استحالة التعرف فى هذه النصوص، على وصف لمشاهد أو حقائق واقعية. كل شئ مضمّر، ظاهر فى حقيقته الإلهية، بعد أن طرح كل ما هو عابر جانباً. هل نود أن نذكر الشمس المشرقة؟ يكفيننا أن نشير إلى الاسم «خبرى»، الأمر الذى يمنح الذاكرة ما يشبه الأبدية.

وهكذا تستطيع الروح البشرية أن تصل إلى فهم أفضل وأن تشهد انبثاق الدنيا. إن زهرة اللوتس الأولية، هى زهرة من العديد من زهور اللوتس، زهرة من الزهور التى تنبت على صفحة المستنقعات أو فى أحواض الحدائق، ويكفى أن نغمض أعيننا، عندما نغفو، سواء فى ضياء الظهيرة أو فى ظلال الليل الحانية فى مصر، لنشاهد النطفة وهى تسقط من السماء ونرى الطفل - الشمس يتشكل داخل كأس الزهرة. إنها شئ من الحقيقه، وكأنها قائمة على التجربة، إنها دون الرمز، إنها الواقع ذاته.

ومن ذلك أيضاً، أن السماء «هى» بقرة محمولة على ما يشبه أربعة عمد، هى قوائمها الثابتة القوية، إنها «الخصب»، وهى صورة حاملة، ضبابية، أشبه بتلك التى

تراود راعى غنم، فتلاحقه فى منامه، وتشغله عن قطيعه، تلك كانت على ما يظن الأحلام الأولية التى عاودت البشر بينما كانوا لا يظلم سوى السماء ويتصورون عالماً، لانتخب فيه ضروع إناث العجول أبداً، وتسبغ فيه الحقيقة والعدالة نظامها على الأشياء.

ثم نشأت القرى وجاء منها الحرفيون الذين يصنعون للجميع ما لا يعرف كل فرد أن يصنعه بنفسه، وتخيلوا أن فخارياً إلهياً قد شكل الآلهة والبشر والحيوان، حقاً ان عملية الخلق آية فى الإعجاب، إنها تحيل قطعة صلصال إلى شئ له معنى، يمكن التعرف عليه ويمكن اعطاؤه اسماً، وقبل ان يجعل أفلاطون من الإله إلهاً حرفياً (بكسر الحاء) أى إلهاً خالقاً - قبل ذلك بزمان طويل، كان المصريون قد ألهوا الفخارى، فخلطوا بينه وبين جن من الجان الرعويين، هو الكبش «خنوم». وهذه الصفة الإلهية التى اسبغت على مخلوقات القرية المتواضعة سوف تستمر لقرون وقرون، حيث أن ما سنقرأ هنا من نصوص، هى نصوص معاصرة للإمبراطور الرومانى «تراچان» (٩٨-١١٧ م.)!

ولم يغب أبداً عن بال المصريين دلالة ما هو مخلوق، دلالة الصورة الحية سواء وجدت على جدران المعابد أو فى ظلام المقابر.

هذا التخيل الممتد الذى لا آخر له، حول خلق الكون، الذى ينتهى إلى أنه لا يوجد شئ، لاشئ مما هو موجود وقائم، يكون ذاته فقط، ففى الكون حيث يتردد صوت الكلمة من صدى إلى رجع الصدى، وحيث العلامات التى تشكلت تستجيب فى آن واحد للعديد من الحقائق، ولعدد من المفاهيم، هذا التخيل انتهى إلى التبلور فى عدد من القصص اللاهوتية التى ظلت رغم كل شئ، على قدر من المرونة، لتفسح المكان للخيال، للإبداع المتخفى وراء الثبات الظاهر للكلمات. وكانت الكلمة والكتابة تعملان معاً للإيحاء بقصص أخرى للخلق وفتحت آفاقاً جديدة تقطل على أسرار الكون التى لا قرار لها.

ترى، أ يوجد شعب لم يؤمن أبداً ان الجنس اللفظى والتقاء الأصوات لا يعنيان إزاحة الحجب عن الطبيعة السرية للأشياء؟ إن النحاة الإغريق والفلاسفة الرومان أنفسهم (وبعد المصريين بقرون طويلة) قد وجدوا أحياناً فى هذا التلاعب متعة فريدة، فجميع الأساليب صالحة لمحاولة الوصول إلى ما وراء الظواهر، ذلك هو التخيل الأعظم الذى نستشفه من خلال صفحات هذا الكتاب: مكاشفة الإنسان لذاته، والمعنى المرجح الذى تتخذه الصور التى يحملها فى داخله، إلى جانب

الأشياء المألوفة التي تحيط به والكلمات الدالة عليها أيضاً.

وكان من الطبيعي بالنسبة للآلهة التي كشفت عن ذاتها بنفسها للبشر، أن تعيش معهم لأمد طويل في شركة كاملة. كان هذا الزمن هو زمن الملوك بلا منازع، وزمن زعماء قرى يغمرهم احترام الناس. لكن اتضح استحالة أن يلتزم البشر بالسلام إلى الأبد وأن يحافظوا على الوفاق. لذا فقد تمرد البشر على الآلهة. والقصة التي تسرد هذا التمرد لها قيمة نموذجية، بل كانت تاريخاً، إنه «تاريخ». يلخصها جميعاً، فهي مرحلة لا مناص منها لكل أسطورة بشرية، ولا سيما الأسطورة التي نلمحها منذ بدايات العالم المصري، منذ تلك القرون التي كان رعاة الصحراء والسفانا يعيشون مشقتين، وبعد ذلك، نشأت القرى وتشكلت وتعددت، بأنشطتها المتميزة، وأخيراً ولدت الممالك.

إن سلطة الملوك سلطة عظيمة، فقد كان في وسعهم معاقبة المتمردين، ولكن ما قيمتهم يا ترى، إن لم يكن لهم رعايا يطيعونهم؟ وهكذا بدأ البشر يتعرفون على سلطة ملكية تعاقب وتحمي في آن واحد، ولهذا السبب، فإن الإله العلى، الذى قرر فى البداية أن يبيد الجنس البشرى، قد راجع نفسه، وأنقذه فى نهاية المطاف. وهذه القصص التي تبدو فى بداية الأمر قصصاً غريبة، ترسم فلسفة شاملة للسياسة، للعلاقات القائمة منذ قديم الأزل بين السلطنة وسواد البشر. سيكتشف الفراعنة هنا بسهولة نماذج بل سوابق أيضاً لقيادة شعوبهم، ونفهم من مطالعة هذه النصوص لماذا يعتبر الملك إلهاً، انبثق من إله. لقد سبق فى الزمان من يعتبرونه والداً له، ومرة أخرى، وهو ما حدث مراراً وتكراراً عبر التاريخ، شكل البشر الآلهة على صورتهم، على صورة العالم الذى ألفوه. كانت طريقة يكفلون بها تأمين أفعالهم، ويوفرون لانفسهم الطمأنينة فى مواجهة صروف الدهر.

إن «رع» - الشمس (اسم مذكر فى اللغة المصرية القديمة.م) الذى يبحر دون كل عبر السماء، يؤمن ثبات واستمرار الأيام. ومع كل مساء يتجدد اليقين فى صبح وضأء، والشمس «أشعاع(ت)» الطمأنينة، لأن(ها) إله لا يدركه الموت، والملك أيضاً يشيع الطمأنينة وأن كان يروّع الناس أحياناً.

أجل، هناك آلهة تموت، ولولا ذلك لما كانت تماماً على صورة البشر، وعلى غرار البشر، هناك آلهة تتعارك، وتضمّر الشر لبعضها وتتقاتل أو تحاول ذلك على الأقل، فتمزق أجساد أعدائها إرباً، وتشتت أعضائها. لكن الإله المهزوم، طيباً كان أم شريراً، عليه أن يولد من جديد، لتتكرر المأساة من جديد، وليس فى وسع الشعبان

«أبوفيس» بعد هزيمته، سوى أن يبعث حياً، ليتأكد أيضاً ودائماً انتصار «رع»، أنتصار النهار على الليل. إن «أوزيريس» بعد أن تُقَطَّع أوصاله تقطيعاً، سيولد من جديد، على هذا النحو أذاك(وأساليب إحيائه عديدة، طبقاً للأسطورة). و«حورس» أيضاً، سوف يشوه، حتى يبدو أنه مات، ولكنه سيستطيع فى النهاية المطاف أن يتسلم مملكة أبيه. وخلال الإحتفالات التى تواكب السنة، يشارك فى هذه المعارك الكهنة أو بعض المؤمنين العاديين أحياناً. يساهمون فيها بصلواتهم وأناشيدهم أو صيحاتهم. وكما يحدث الآن فى بعض البلدان، كان يحدث فى الماضى فى حضارات حوض البحر المتوسط القديم أن تساعد النساء القمر (يفرض السياق علينا أن نعتبر القمر مؤنثاً -م). بصراخها حتى «ت»لد متى جاء «ها» المخاض وصار ضوء «ها» شاحباً أو خسف.

ولكن جانباً كبيراً من هذا الكتاب لا يعرض لنا القرى والممالك، بل يعرض للحياة الخاصة، حياة البيوت، حيث يعيش أناس عاديون، تحيط بهم زوجاتهم وعائلاتهم. عندئذ تظهر المرأة المثلى كبطلة الدراما وهى «إيزيس» وقد أصبحت لا تتجسد فيها الخصوبة، بشكل عام فقط، ولكن العواطف المصاحبة لها أيضاً: الحب والأمومة والحداد والشجن عند موت الأحياء، وهى تجسد أيضاً ألدهاء، كسمة ملازمة لها. إنها ت اخترع ألف حيلة وحيلة لتضمن سلطانها، الذى لم توفره الطبيعة لها، عندما حرمتها من القوة، ولكنها تعرف كيف تستعيده عند الضرورة عن طريق السحر.

كان كل مصرى وحتى الأكثر تواضعاً، يعرف تمام المعرفة أنه لا يوجد إنسان فى إمكانية أن يكتم السر، مهما بلغ من الأهمية، لو سعت امرأة إلى أنتزاعه منه. فالمرأة وحدها - وهذا هو سلاحها الذى لا يقاوم - تستطيع أن تصيب قلب الرجل بهذا الجرح الخفى، الذى سيقول عنه، ما قاله الإله العظيم الذى كان يأبى أن يبوح باسمه: «لقد لدغنى شيء مؤلم... لم تصنعه يداى، ولكننى لم أشعر أبداً بمثل هذا الألم...» إنها لسذاجة وزهو رجال، ودهاء ومخاتلة ومودة امرأة، ترفض اقضاءها عن أى شيء، فعقدت العزم على معرفة كل شيء عن الآخر. وستتوصل «إيزيس» إلى التعرف على الاسم السرى لأبيها، الذى كان يريد اخفاءه، حتى لا يتمكن منه أحد. ومنذ الآن، لن يوجد أبداً شيء، يخفى عليها هى، أو على بناتها، أو على بنات بناتها مما يكتمه الرجال، ومما يأملون أن يكون ركيذة قدراتهم.

لذلك، فإن أسرار «إيزيس» التى ستصاحب عبادتها، ستكون أسرار حياة امرأة - الأمر الذى يستثير أصداء رومانسية - بل وامرأة من مصر، ينبسط حبها واتراحها

وافراحها كزوجة وكأم فى سحر فتان. إن عالم الأساطير هذا، لا يعرف المستحيل. فيه تُمسَخ الكائنات، فتصبح أسداً أو سمكة أو تمساحاً وتعود الأيدي والرؤوس إلى مكانها بعد قطعها. والموتى يبعثون أحياء. فهذه الملحمة الطويلة الغنية بمواضيعها، التى تتمحور حول الإلهة «إيزيس» وذويها، وحول ابنها «حورس» فى المقام الأول، وحول «ست»، ، لاتضم شيئاً نهائياً أو قطعياً. فكل شئ يتجدد، كما تتجدد الأيام. وتعكس ماثرة «إيزيس» بعض مشاكل الحياة السياسية، ولكن من خلال تأثيرها على حياة الأسرة. إن الحرب الطويلة الامد التى تندلع بين «ست» و«حورس»، أى بين العم وابن أخيه، تتعلق بالنظام الملكى، وهذا صحيح، ولكنها ليست سوى حالة خاصة للمشكلة التى تثير فى بيت ما، موضوع الانتقال من جيل إلى جيل آخر، عندما تقف سلالتها وجهاً لوجه، فأى منهما يحق لها أن تشغل المكان الذى خلا بوفاة كبير العائلة ؟

وما سنتوصل إليه من حل، لهذه المشكلة يرتبط بنظام العالم، وليس بالشئ الكثير ان تتخيل الآلهة مثل هذا الحل، آلهة الأزمنة الأولى التى انصرفت عقليتها المنظمة، فى الزمن الأعظم للخلق، عن التنبؤ بنظام وراثى. وعليها ان تتدخل، ليس لان المشكلة التى نشأت عن ذلك، لاتخص سوى الملوك فحسب، الذين يعتبرون فى كل مرة، حجر الزاوية للبنيان الإجتماعى، ولكن لان الموضوع ينطوى على نقطة قانونية، هى أحد جوانب النظام الكونى، هذه الحقيقة -العدالة، التى تم تأليها منذ وقت باكر جداً، والتى تسترجعها نصوصنا مراراً وتكراراً. ولكن فى زمن لم يعرف سوى آلهة خلق الكون، لم تكن هذه المشاكل، قد وجدت بعد. فإذا كبر الأبناء تفرقوا عبر أرض بلا حدود، دون أن يكثرثوا بتشكيل أملاك محددة داخل حدود، واضحة. وبمرور الأيام، وكلما ازدادت المجتمعات تعقيداً، برزت متطلبات جديدة. عندئذ كانوا يطرحون الأسئلة على الآلهة، التى كانت جاهزة بردودها. وهو ما يفسر على ما يرجح نجاح «إيزيس» الذى جاء متأخراً نسبياً، وإن دام طويلاً وجعل منها زوجة مفجوعة ومغيثة، إلهة كونية، صاحبة قدرات لانهائية، على الأرض وعلى البحار وفى السماء، على حد سواء. وهكذا، لا تُخلع أقدم الآلهة تدريجياً عن عروشها، ولكنها تتراجع بعيداً عن الفكر اليومى، بينما تقترب من البشر «إيزيس» الطيبة والحاذقة، ويتعاضد قدرها بجوارهم. ومن خلالها، ستجد بعض أقدم الأفكار الكوسمولوجية طريقها إلى عالم البحر المتوسط فى زمن ميلاد المسيحية وانتشارها. ويظل كتاب «مسخ الحمار الذهبى» للكاتب اللاتينى «أپوليس»، الشاهد الرئيسى على ذلك.

يحدثنا الكتاب عن السحر الوافد من مصر، واستحضار الأرواح (وهو أسلوب من أساليب العرافة، ينظر إليه أهل وادى النيل نظرة فيها قدر كبير من الرهبة)، إلى جانب فض مغاليق أسرار العالم الآخر أيضاً والتصوف، والتجليات، وكل ما هو ليس غريباً على القصص المصرية، وإن لم يكتسب أهمية تشبه تلك التى سيكتسبها فى ظل الإمبراطورية الرومانية. ويبقى رغم كل ذلك، أن عبادة «إيزيس» ستظل أحد الروافد التى ستربط دون انقطاع مصر القديمة بعالم العصور القديمة فى الغرب.

لا توجد فروق جوهرية بين الأساطير التى تدور حول شخصيات إلهية والقصص التى تقدم لنا شهادة على انبهار البشر، عندما ابتعدوا عن ضفاف نهرهم، ليكتشفوا البلدان القصية، فى بلاد العرب وجزر البحر الأحمر أو عند تخوم سوريا، الى جانب بلدان آسيا التى حملتهم اليها سفنهم. وقد حملوا معهم أساليبهم العقلية، ورموزهم ولم يترددوا أبداً فى التعرف على نشاط آلهتهم ووجودهم فى كل مكان. وإذا قفلوا راجعين، روى على مسامع مليكهم قصصاً عجيبة، تختلط فيها ذكريات حقيقية، بخيال خادع، ومباهاة وما يشبه الكذب، وهو أمر يبدو طبيعياً لكل من ساح كثيراً ووجد عند عودته أذاناً صاغية. وعندما يقف مثل هذا النوع من الرحالة بين يديّ فرعون، فإنه يعقد العزم على قول الحقيقة، ولكنه سرعان ما ينقاد وراء إغراء الكلمة، فيتحول التقرير إلى قصة. وشأنه شأن أية قصة، لا يفتقر المسرد إلى الوقائع المأسوية، ولكن النهاية هى دائماً نهاية سعيدة، أيا كانت الأسباب التى تقف وراءها بعيدة عن المعقول.

وأشهر هذه القصص هى قصة «الفريق»، ويتساءل المتخصصون منذ اكتشاف مخطوطتها، عن أوجه الشبه بينها وبين «الأوديسا» (وهى ملحمة تنسب إلى «هوميروس» من القرن التاسع ق.م - م.). التى ظلت حتى هذا التاريخ، «القصة» الأكثر شهرة والأكثر استحساناً، من بين القصائد الهوميرية. وبالطبع فإن وجود تأثير مباشر أمر مستبعد وما كان فى وسع روايات عن رحلات تجوب بحاراً كانت لا تزال مجهولة، سوى أن تقدم مغامرات مماثلة. وكانت مشاعر الرعب التى قد تستبد بالبحارة الذين يحاولون استكشافها مماثلة. ولم تكن مغلاتهم أو مباهاتهم أقل منها. ولعل مصر قد عرفت العديد من الروايات التى من هذا النوع، روايات شاعت وانتشرت فى أوساط بحارة جزيرة «فاروس» التى كان قد انقضى زمن طويل والإغريق يترددون عليها، لما جرى تأليف وتجميع مختلف قصص «الأوديسا». ومن المؤكد أن هذه الأوساط قد عرفت أدب شفهيّاً، كان يزداد حيوية بقدر ما كان فى

وسع كل قاص من القصاص أن ينسخ وقائع جديدة يضيفها إلى حبكة روايته. ولكن إذا كانت وقائع جزء بأكمله من الأوديسا» تدور على أرض مصر، ولو بطريقة غير مباشرة على الأقل، فلا شك أن الأمر لم يكن صدفة. إن المقابلة التي تسعى إلى الكشف عنها، لا تشبه هذه المقابلات التي تكتشفها في عصور أخرى، بين نموذج ومحاكاته، أو بين نص وآخر قد يكون تابعاً له. وتشير الحالات المماثلة فقط إلى أن العالم المصرى لم يكن عالماً منفلقاً، إذا استبعدنا العلاقات الفكرية القائمة بين الشعوب التي كانت تشق عباب «الشديدة الإخضرار» منذ الألف الأولى ق.م

هذا الإنفتاح على العالم، الذى يعود إلى قديم الزمن، ولكنه أضحى أكثر وضوحاً، مع ظهور الإمبراطورية المصرية، سوف نلتقى به، من خلال آخر القصص التي يضمها هذا المجلد، ولكن علينا قبل ذلك، أن نقفل عائدتين إلى قرى المزارعين، وفوق أراضي الوادى، بل إلى داخل منزل واحد منهم، على وجه التحديد، وهو المدعو «باتا» الذى برز بفضل مغامراته. مرة أخرى نواجه المرأة وحيلها، إنها قصة تسترجع إلى الأذهان بالضرورة عالم الكتاب المقدس، وبشكل أعم المأسى التي يثيرها حب وغضب امرأة راودت رجلاً عن نفسه فقوبلت بالرفض. إنها مغامرة شائعة ومألوفة جداً ولكن أهميتها لنا، هي قبل كل شيء، أنها تلمح إلى الوضع الحقيقى للزوجات فى الشعب المصرى. وإن وجدت نساء مخلصات لزوجهن، كتلك التي تسهر قلقة فى قصة «الأمير وأقذاره الثلاثة المكتوبة»، للحؤول دون تحقيق الفاجعة التي تهدد زوجها الشاب، فهناك أخريات لا يُشبع الزواج رغباتهن وتكون دائماً على أتم الإستعداد لإغواء أول رجل تتوق إليه. وعلى هذا النحو تصرف زوجة «باتا». وانطلاقاً من هذا المعطى، نلاحظ أن القصاص قد أخذ يحلم، فإن «باتا» الذى كان مجرد فلاح، وزميل أخيه وعاملاً عنده، يكتسب فجأة قدرات عجيبة، تؤهله لتجنب المكائد والموت، وتشبه هذه القدرات إلى حد كبير تلك التي يمتلكها «أوزيريس» و«حورس» و«ست»، و الآلهة الأخرى: ملكة الانفصال عن هذا العضو أو ذلك من أعضائها، أن تبتتر أحد أعضائها، لتستعيد بعد ذلك سلامتها، أن تهجر بدنها، وأن تتجول بعيداً عنه، وأن تستعيده إذا حان وقت ذلك، وبعد سنوات طويلة أحياناً، وهل فى وسعنا فى هذا الصدد ألا نذكر «الشامان»؟ إننا حقاً بعيدون عن سيبيريا، ولكن يبدو أن بعض أساليب الفكر أو الأحلام، تنبثق من تلقاء ذاتها فى مجتمعات تفصلها فى يومنا هذا مسافات بعيدة.

وأيا كان الأمر، فإن هذه القصص تقدم لنا عالم كل يوم، وقد نفذ إليه ما هو

إلهى. فنرى الآلهة تجنب أطفالاً من مخلوقات بشرية - ولا تفتقر الميثولوجيا اليونانية إلى هذا الضرب من الأمثلة. كما نشاهد عمليات إخصاب إعجازية: بواسطة نشارة شجرة، على سبيل المثال. إذ أن النفس الإنسانية - جوهرها الحياتى - لا تحتفظ بوجودها فحسب، ولكن بقدراتها، وإن اندثر البدن. وهذه النفس هى نفس مادية، إنها عنصر مادى، وهى لا تحمل المعنى الذى نسبغه عليها، فهى ليست «روحاً»، وشأنها شأن بذرة لا تحتاج سوى إلى القليل من الرطوبة لتنبت. ومن ثم، فإن الشخص المرتبط بهذه النفس، يتخذ جميع أشكال الحياة الممكنة، حيوانية كانت أم نباتية أم بشرية. ويستحوذ السحرة على سرّ قدرة الحياة على تغيير أشكالها. ففى استطاعتهم أن يؤثروا فيها، فينقلوها حسب رغبتهم أو يكبلوها، ولكن بالغرابة دون أن يتمكنوا من إفنائها. فيبدو أن كل شئ يجنح نحو حالة من التوازن، ومن السكينة، هى الموت، والجبانات هى التى تضم الأسفار والكتب التى تمنح هذه القدرات، وإلى الجبانات أيضاً ينبغى أن تعود هذه الأسفار وهذه الكتب، لتعود الأمور إلى مسارها الطبيعى.

إن السحر الذى كان ممارسة يفخر بها المصريون قد اكتسب على ما يبدو بالتدريج سمعة سيئة إلى حدّ ما، فإذا كان السحرة الأفارقة قد استحوذوا على أسرار رهيبة، حتى استطاعوا أن يتناولوا على فرعون ذاته، فقد بات من الضروري إيجاد «سحر مضاد». وهل فى الإمكان الافتراض أن هذا الصراع الغريب الذى احتدم بين سحرة الجنوب وسحرة مصر، يخفى من ورائه مرحلة الحرب الطويلة التى نشبت بين البلدين؟ أكانت أشبه بالإعداد الدينى للأعمال الحربية السافرة؟ إنه لأمر محتمل إلى حدّ ما، ونجد له أمثلة فى أزمنة أخرى وبلاد أخرى.

وتوجد حالات أخرى ينحاز فيها السحر إلى جانب الشر: فهو الذى يدفع «ستنى» إلى التضحية بكل ثروته، حتى أنه لا يأبه لذبح أولاده، تحت ضغط الرغبة، من أجل كائن ليس سوى وهم وخيال، على الأرجح. ولحسن الحظ، لا يخلق السحر سوى صور. فتبقى الحقيقة، ولن يموت الأطفال، كما لن يستحوذ أبوهم على كل حال مع الساحرة.

وكما تنوع المجتمع المصرى برزت المشاكل الأخلاقية الأساسية. ويدفع الطفل «سا - أوزير» بأبيه إلى عالم الموتى، ليوضح له أن العدالة تسود بين الموتى. ولربما لجأت إلى هناك، لأنها أستهجرت الغريفة فى هذا العالم الذى لم يعد عالم آلاف السنين الغابرة. يالللغربة، إن العقاب الذى أنزل بالمذنبين شديد الشبه بعقاب عالم

الموتى كما تصوره الفكر الإغريقى لفترة ما ، فالحفرة التى تحفر لتمتلى أولاً بأول، تعيد بالطبع إلى الأذهان جرة أسطورة بنات «دانوس» المثقوبة.* وقصة الحمار الذى يقرض الحبل المجدول معروفه فى العالم القديم، حيث صارت ترمز لكل الذين لايتوصلون أبداً إلى قرار. كما تستعيد إلى الأذهان صخرة «سيزيف»، وإذا قال البعض ان هذا التصور لعالم الموتى هو تصور متأخر نسبياً (ومجهول من القصائد الهوميرية) ولكنّه يتبوأ مكانة بارزة فى العقيدة الفيثاغورية، فمن حقنا أن نتساءل ان لم يكن ذلك قد حدث كصدى للعقائد المصرية.

وتبرز التساؤلات أيا كان الضوء الذى نسلطه على هذه النصوص، وفى كل مرة نعود بذاكرتنا إلى هذه الجماعة الروحية التى تشكلت فى حوض بحر إيجة، الذى كانت أيضاً مجاورة له. وكان أفلاطون لا يجهل ذلك.

وأيا كان الأمر، فإن المصريين كانوا يكتنون حباً عظيماً لأرضهم. ومهما بلغوا من ثراء وسلطان فى بلد أجنبى فإنهم يظلون محتفظين برغبة دفينية فى العودة إلى البلد الذى قضوا فيه طفولتهم وشبابهم. وهو ما تفصح عنه بجلاء وقوة، قصة «سنوهى» على سبيل المثال. ولكن نلتقى أيضاً فى أماكن أخرى، بصور عن مصر - عنيدة لا تمحى: وهكذا فإن مرور الأوز البرى وهو ما يميز الانتقال من فصل إلى فصل آخر، من فصول السنة، يغذى الحلم ويصبغ عليه لونه الفريد، الحلم الذى ما كان من الممكن أن يمتلكه سوى مصرى. ان ملامح من هذا القبيل تلون موضوعات مستعارة من الفولكلور العالمى: قصة طفل إلهى أكثر علماً من الدكاترة، والعشق الدفين فى حديقة غناء، ونجد كل ذلك، فى العديد من المقاطع من الآداب، المعروفة بالآداب الشعبية لتعذر معرفة أسماء المؤلفين الذين ابتدعوها.

وتضم هذه القصص إلى جانب هذه الإقتباسات أو هذه الإكتشافات فقرات، كان من غير الممكن تخيلها فى مجال آخر: ذكريات عن نمو الإمبراطورية أو الشواهد عليه، النزاعات مع ملوك سوريا، إيمان لايتزعزع فى «أمون - رع»، فهو الأقدر بين سائر الآلهة الأجانب وأكثرها نفعاً، إحصاء للثروات المقدمة إلى الإله العظيم على هيئة جزية، عمليات تجارية تحت ستار الجزية، كبرياء مملكة تعرف أنها أكثر ثراء من غيرها من الممالك، مناورات سرية وخيانات الأمراء، الدبلوماسية التى ينبغى الاعتماد عليه للخروج من عثرة أو كبتة، فما نستشفه من هذه النصوص التى تجمع

* تروى هذه الأسطورة أن بنات «دانوس» الخمسين قد قتلن أزواجهن ليلة زفافهن فحكم عليهن فى عالم الموتى بملء جرة مثقوبة. (المترجم).

بين الواقع والخيال هي حياة شرق البحر المتوسط برمتها. وإذا صحَّ أن عاطفة الحب هي من المقومات العالمية للنفس البشرية، فليس أقل صواباً من القول أن كل حضارة تطبعها بتعبيرات متنوعة. وما كان في استطاعة مصر أن تحيد عن هذا القانون. وما فتئت قصائد الحب التي وردت في ختام هذا الكتاب موحية؛ فالعشيقان، على سبيل المثال يتصوران أنهما «أخ» و«أخت»، أيا كانت درجة القرابة التي تجمع بينهما. عندئذ تحضرنا زيجات فرعون. كما كان من الطبيعي أن تستعار الصور والتشبيهات من العالم المألوف وأن تصبح الفتيات غزلاناً ويشبه الفتيان بفرس لا يقيه شئ في إسطنبول الملك. كما أن الأشكال التي سيبتدعها شعر العشق والحب، فيما بعد تنطلق تلقائياً من هذه المقاطع الشعرية: الحوار بين العاشق ومعشوقته، الأغاني أمام الباب الموصد، وهذا الأسلوب سنعود للإلتقاء به، عند الكاتب المسرحي الإغريقي «أريستوفانوس» (٤٤٥ - ٣٨٦ ق. م)، ثم عند الشعراء اللاتين بعد ذلك، وعلى غرار ما يحدث في إحدى مسرحيات الكاتب المسرحي اللاتيني «پلوتوس» (٢٥٤ - ١٨٤ ق. م)، ويقدم قربان للمزاليح التي توصد باب المعشوق. وليس من الأمور الهينة أن نرى النساء يجروئن على التحدث جهاراً عن حبهن، وهذه الحرية وهذه الجسارة التي تبدو طبيعية جداً في هذا المقام، سوف تشكل مكسباً بطيئاً عندما تتحقق في العالم القديم الكلاسيكي، صحيح أننا نعرف الشاعرة «سافو» (القرن السادس قبل الميلاد)، ولكنها تنحدر من «الجزر»، وكانت أثينا أكثر تحفظاً، وكان علينا أن ننتظر إلى عصر «أغسطس» (المتوفى عام ١٤م)، لتكتب «سولبيكي» قصائدها الحزينة. كل ذلك كانت نساء مصر يمتلكه قبل آلاف السنين. إن الأكشاك المصنوعة من البوص، حيث يشرب العشاق معاً، عند شطآن النهر، هذا التحرر في مجال العشق، سوف يستهوي البرابرة القادمين من الشمال. ومن الشواهد التي تبقت لنا على ذلك، تلك الفسيفساء التي كان يزدان بها معبد «إلهة الحظ»، في مدينة «بالسترينا»، وترجع إلى عهد «سيل» (١٣٨ - ٧٨ ق. م) ورحلة قيصر المتمهلة على متن السفينة الملكية بجوار كليوباترا، وهكذا استقبلت مصر الخالدة سادة العالم بنشيد الحب.*

بيير جريمال

* راجع «كلمة المترجم» في المجلد الأول من هذا الكتاب. (المترجم)

الباب الأول

القوى الإلهية فى العالم

إن القوى الطبيعية بأسرها، هي في المجتمعات القديمة، أجزاء صغيرة من القوة الإلهية العظمى، المنتشرة في الكون.

قبل خلق العالم، كانت هذه القوة الإلهية لاتزال غير فاعلة، ولكنها كانت متأهبة للفاعلية، وسط كتلة سائلة ضخمة، هي محيط أزل، بلا حدود وبلا ضياء، فهو خواء لا عضوى.

وعندما تجلت هذه القوة للمرة الأولى، على هيئة انبثاق وضاء، خلقت بأساليب متنوعة، السماء والأرض والآخرى في العالم السفلى والجبال والتلال والوديان والصحارى والأنهار والبحار والبشر والحيوان والنبات والأحجار، وكل ما لا يزال يُشكل عالمنا الراهن. وفي بعض هذه العناصر يكمن جزء متناهى الصغر من الكيان الإلهي الأصلي يربطها بالقوة الأولية العظمى. وهكذا ولد سحر العالم.

وفيما بعد، تنوعت الآلهة، طبقاً للأشكال والأدوار التي تخيلها البشر فيما بعد، بدافع من الإمتنان أو رغبة في الحماية حيال العناصر الخيرة (الشمس، البقرة المرضعة، شجرة الجميز التي تمدنا بالظلال الظليلة في ساعات قيظ النهار ...) أو الخطرة (التمساح، الثعبان، فرس النهر...). وهكذا رأت النور جماعة عريضة من الآلهة.

في إطار التنظيم القبلي لعصر ما قبل التاريخ، كان لكل بطن من البطون، إله رئيسي، وإن لم يستبعد الآلهة الأخرى. وحوالى عام ٣٢٠٠ ق.م مع نشأة نظام ملكى موحد في وادى النيل الأدنى، تجمعت العبادات المبعثرة. وبدورها فإن عاصمة كل إقليم قد اتخذت لنفسها إلهاً رئيسياً. ثم مع تدعيم السلطة المركزية لفرعون وتطورها، ظهرت آلهة دولة، بمعنى الكلمة، تناظر قوى الإحياء الكبرى في الطبيعة - الكونية منها والنباتية. لقد تم كل ذلك بروح من التسامح الشديد الذى هو من سمات الديانات القديمة.

كانت جماعة الآلهة تتكون من عدد كبير من الآلهة، فكانت تعتبر «فاعلة» بقدر ضخامة أعداد القوى الإلهية التي كانت تتكون منها، فكانت هذه الجماعة ترحب من منطلق روح التسامح هذه، بالآلهة الأجنبية في زمن الفتوحات القصية، ولكن الحركات التليفقية الكبرى لم تلغ أبداً الخصوصيات المحلية.

لقد خلقت الآلهة العالم، وبالنسبة لكل إله في مدينته الرئيسية، تخيل البشر أساليب متنوعة لانجاز عملية الخلق على خير وجه، لقد نظمت الآلهة الكون وكان المصريون المرفهوا المشاعر والحس، المولعون بالصور الأسطورية الجميلة، يكثرون إذ ذاك من المناظر الخيالية التي تهدف إلى تفسير تشكيل العالم وموقع الأشياء.

لقد أقدم المصريون وهم أيضاً من هواة القصص الجميل، على صياغة العديد من الأساطير التي تدور حول حياة الآلهة، سعيًا منهم على وجه التحديد إلى تفسير الدورة الشمسية والدورة النباتية، وتقدم لنا العديد من النصوص وصفاً لمحن الشمس واللام «أوزيريس».

كما كان المصري إنساناً شديد التقوى، فنظم الأناشيد معبراً للآلهة، في صورة شعرية، عن امتنانه وعبادته، وسوف يترك هذا الشعر المقدس الغزير أثراً مؤكداً على الآداب اللاحقة الكلاسيكية القديمة واليهودية والمسيحية.

وسوف يعلن أمير «ببيلوس» في عام ١١٠٠ ق.م قائلًا: «إن الرفعة والحكمة قد جاءتا من مصر».

الفصل الاول

التكوين أو كيف خلقت الآلهة العالم.

١- «بتاح، الإله الخالق فى «منف».

من التفسيرات التى طرحت لتفسير وجود العالم، ما ورد فى نص مترابط قام بصياغته فى مدينة «منف»، كهنة الإله «بتاح».

وبالفعل فقد عُثر على لوحة جرانيتية ضخمة^(١) كان الملك «شاباكا»، من ملوك الأسرة الخامسة والعشرين (حوالى عام ٧١٠ ق.م) قد أمر بحفر نص على سطحها وهو- بشهادة الوثيقة ذاتها - نسخة من مخطوط محفوظ فى أرشيف معبد «منف»، وكان مخطوطاً شديد التلف، قرضته الديدان. إن لغة النص وأسلوبه القديمان تشهدان على هذه الحقيقة. ولسوء الحظ أصاب التلف الشديد بعض أجزاء اللوحة، فقد استخدمت فى العصور الحديثة كقاعدة لحجر طاحونة.

فليحي «حورس»: «ذاك الذى يعمل على ازدهار القطرين» -

«السيدتان»: «ذاك الذى يعمل على ازدهار القطرين» -

«حورس الذهبى»: «ذاك الذى يعمل على ازدهار القطرين» -

ملك الوجهين القبلى والبحرى: «نفر - كا - رع» -

ابن «رع»: «شباكا» - محبوب «بتاح» - إلى - الجنوب - من - جداره «الحى مثل
«رع» للزمن اللانهائى^(٢).

لقد كرس جلalte هذا النص من جديد، فى معبد أبيه «بتاح» - الذى - يوجد - إلى - الجنوب - من - جداره». وبالفعل فقد اكتشف جلalte ان الأمر يرتبط بمؤلف من مؤلفات الأجداد، كانت الديدان قد قرضته، فبات من الصعب على الناس أن يلموا

بمعناه (إلماً كاملاً) من مطلعته وحتى نهايته. فكرسه جلالته من جديد (فنسخه) ليصل أيضاً إلى مستوى رفيع من الكمال أكثر من ذى قبل - وذلك من أجل بقاء اسم (الملك) وليدوم أثره طويلاً في معبد أبيه «پتاح - الذى - يوجد - إلى - الجنوب - من - جداره» على امتداد كل الآماد للزمن اللانهائى، وهو ما صنعه ابن «رع»: «شباكا» من أجل أبيه «پتاح - تاتن»^(٣) لكى ينشط بعد أن وهب حياة لانهائية.

پتاح الإله الملكى.

تان ملك الوجهين القبلى والبحرى هو «پتاح»^(٤) الذى يشار إليه بالاسم العظيم [تات]ن- [الذى-يوجد-إلى-الجنوب-من-جداره].... [جامع شمل]الوجهين القبلى والبحرى، إنه هو، هذا الموحّد الذى ظهر متألّفاً كملك الوجه القبلى (ثم ظهر متألّفاً كملك الوجه البحرى.... ذاك الذى أنجب نفسه بنفسه، حسب أقوال «أتوم»والذى أنجب التاسوع الإلهى.^(٥) [لقد أمر «چب» رب الآلهة] أن تتجمع إلى جواره الآلهة التسعة، حتى يتم الفصل بين «حورس» وبين «ست»^(٦)، ولوضع حدّ لخصومتهم. ونصب «ست» ملكاً على أرض الوجه القبلى، حتى المكان الذى ولد فيه، فى مدينه «سسو».^(٧) ثم قام «چب» بتنصيب «حورس» ملكاً على الوجه البحرى فى بلاد مستنقعات (الذيل) حتى المكان الذى غرق فيه والده، أى «تقسيم الأرضين».^(٨) وعلى هذا النحو، سيشرف «حورس» على منطقة «ست» على منطقة (أخرى)، وسوف يعملان على إقرار السلام فى القطرين فى «عيان»^(٩) وعلى هذا النحو إذن سيتم تقسيم الأرضين.

وقال «چب» لـ «ست»: «أذهب إلى المكان الذى ولدت فيه»، (فأردف) «ست»: «الوجه القبلى». ثم قال «چب» لـ «حورس»: «أذهب إلى المكان الذى غرق فيه والدك». (فأردف) «حورس»: «الوجه البحرى». عندئذ قال «چب» لـ «حورس» و «ست»: «لقد فصلت بينكما» - الوجه البحرى والوجه القبلى^(١٠).

عندئذ بدا أن قلب «چب» مستاء، لأن نصيب «حورس» كان مماثلاً لنصيب «ست». ولذا فقد أعطى ميراثه الخاص لـ «حورس»، فهذا الأخير كان ابن ابنه البكر.^(١١) ثم قال «چب» للتاسوع «لقد وقع اختيارى على «حورس»، المولود البكر».(وقال) «چب» للتاسوع: «الميراث هو من نصيب «حورس» وحده».(وقال)

«جب» للتاسوع : «حورس» هذا الوريث، له ميراثي (وقال) «جب للتاسوع : «لابن ابني» حورس»، ابن آوى، الوجه القبلى . (وقال) «جب» للتاسوع : «المولود البكر «حورس» الذى يفتح «الدروب» . (وقال) «جب» للتاسوع : لقد ولد ابن هو «حورس»، يوم ولد فاتح الدروب»^(١٢).

هكذا تولى «حورس» أمر البلاد (باسرها). فهو الذى لم شملها^(١٣) والذى يشار إليه بالاسم العظيم «تاتن-الذى-يوجد-إلى-الجنوب-من-جداره»، رب الزمن اللانهائى^(١٤). عندئذ ازدهرت على جبينه «صاحبة-السحر-العظيم»^(١٥). إنه «حورس» الذى يتجلى متألقاً بصفته ملك الوجهين القبلى والبحرى، مؤحد القطرين فى إقليم «الجدار» (الأبيض)^(١٦) وهو نفس المكان الذى كانا قد اجتمعنا فيه.

والآن يظهر البوص والبردى^(١٧) على الباب العظيم المزدوج لمعبد «بتاح». وذلك يعنى أن «حورس» و«ست» فى سلام وهما متحدان. سوف يتأخيان من الآن ويضعان حداً لنزاعهما فى كل مكان يتوجهان إليه، نظراً لاتحادهما فى معبد «بتاح»، «ميزان القطرين». حيث جرى فيه وزن الوجهين القبلى والبحرى.

[يلى ذلك نص طويل إلى حد ما، شديد التشويه، ومستلهم من أصول أوزيرية واضحة].

الخلق

الآلهة التى جاءت إلى الوجود على هيئة «بتاح»^(١٨):

«بتاح - على - العرش العظيم...»

«بتاح - ننوت»، الأب، الذى انجب «أتوم»

«بتاح - ننوت»، الأم، التى ولدت «أتوم»

«بتاح العظيم»، قلب ولسان التاسوع.

[«بتاح»]... الذى انجب الآلهة

[«بتاح»]... الذى انجب الآلهة

[«بتاح»]...

[«پتاح»] ... [«نفر[تم]»، يومياً، من أجل أنف «رع».(١٩)

عندئذ، وفي قلب («پتاح») و(على) لسان («پتاح»)، ظهرت إلى الوجود صورة «أتوم».(٢٠) العظيم جداً هو «پتاح»، الذي ينظم (حياة) الآلهة جمعاء و«كاءاتها».(٢١) وفي قلبه، وفي نفس الوقت، ظهر «حورس» إلى الوجود، ك (شكل من أشكال) «پتاح» - وظهر «تحت» إلى الوجود على لسانه، ك (شكل من أشكال) «پتاح».(٢٢) وهكذا تجلت هيمنة القلب واللسان على سائر الكائنات حسب التعليم (الذي يرى)، أن القلب هو العنصر المسيطر على كل جسد، واللسان هو العنصر المسيطر على كل فم، (فالقلب واللسان هما) من نصيب الآلهة جمعاء، والبشر أجمعون والماشية جمعاء والكائنات الزاحفة جمعاء وكل ما يحياً، إن الأول يتصور كل ما يبتغيه «پتاح»، والآخر يأمر به.

تاسوع «پتاح» هو في حضرتة، على هيئة أسنان وشفتين. (إنها المقابل) لنطفة «أتون» ويديه. وفي الحقيقة فقد ظهر تاسوع «أتوم» إلى الوجود بواسطة نطفته وأنامله.(٢٣) إن تاسوع «پتاح» هو الأسنان وشفتا فمه التي نطقت اسم كل الأشياء ومنه انبثق «شو» و«تغنوت».(٢٤)

لقد خلق تاسوع («پتاح») الإبصار، بفضل العينين، والسمع بواسطة الأذنين، والتنفس بالأنف، وكل هذه ترفع بعد ذلك إلى القلب (ما تستقبله من أحاسيس)، والقلب هو الذي يسمح بظهور كل معرفة، واللسان هو ما يردد ما يتصوره القلب. وعلى هذا النحو، ولدت الآلهة جمعاء (ومن بينها) «أتوم» وتاسوعه. لأن كل كلمة إلهية تظهر إلى الوجود حسبما فكر فيه القلب وأمر به اللسان.

وهكذا، خلقت بفضل هذه الكلمة منابع الطاقة الحيوية وتحددت صفات الكائن، كما خلقت كل الأطعمة وكل المأكولات النافعة. كذلك أيضاً (خلق الثواب العادل) من أجل من أعتاد أن يفعل ما يحبه الناس و(العقاب) لمن يرتكب الأفعال المكروهة. ووهبت الحياة للكائن المسالم، والموت للمجرم. وهكذا تم خلق الأعمال كلها وجميع الحرفيين وعمل الأيدي وسير السيقان، وحركة كل عضو، حسب الأمر الذي تصوره القلب وافصح عنه اللسان، والذي ما زال يشكل دلالة كل شيء.

حدث إذن أن قيل عن «پتاح»: «ذاك الذي خلق كل شيء وأتى بالآلهة إلى الوجود. إنه «تاتن» الذي انجب الآلهة وانبثقت منه كل الخيرات والمأكولات النافعة والأطعمة والقرايين الإلهية وكل ما هو طيب وجميل». هكذا يعترف الناس أن قدرته عظيمة،

وأعظم من قدرة (غيره من) الآلهة. وكان «پتاح» راضياً بعد أن خلق كل هذه الأشياء وكل الألفاظ الإلهية.

لقد انجب الآلهة وأسس المدن وأنشأ الأقاليم. وأقام الآلهة في معابدها. وزاد من قرايينها ونمائها. وأسس هياكلها وصنع أجسادها كربة قلوبها. واستطاعت الآلهة أن تدخل في أجسادها التي صنعت من شتى أصناف الخشب، ومن مختلف أنواع الحجر ومن الصلصال ومن مختلف الأشياء (الأخرى) التي تنمو عليه («پتاح») والتي تتجلى من خلالها.^(٢٥) وهكذا جمعت كل الآلهة وكاءاتها إلى جواره راضية، متحدة مع رب القطرين.^(٢٦)

منف، العظيمة

مخزن غلال الإله «تاتن»، العرش، العظيم، (المدينة) التي تُفرح الآلهة الموجودة في معبد «پتاح»، (إنها) «سيدة الحياة». لقد أغرق «أوزيريس» على صفحة مياهها، واستطاعت «إيزيس» و«نفتيس» أن ترياه. وعندما لمحتاه، أعانتاه وأمرهما «حورس» أن تمسكا بـ «أوزيريس» بلا إبطاء، لتحولاً بالتالي دون غرقه. وأسرعنا ووضعناه على اليابسة: عندئذ دخل من الأبواب الخفية، إلى أمجاد رب الأبدية، مقتفياً خطى ذاك الذي يتألق في الأفق، عبر دروب «رع»، كالمترجع على العرش العظيم. ودخل القصر وتأخى مع الآلهة ومع «تاتن - پتاح»، سيد السنين. وهكذا «ظهر» «أوزيريس» على الأرض، في القصر الملكي، شمال هذا البلد الذي جاء إليه. وظهر ابنه «حورس» ساطعاً بصفته ملك الوجه القبلى، ثم ظهر ساطعاً بصفته ملك الوجه البحرى، بين ذراعى أبيه «أوزيريس»، وسط الآلهة التي تتقدمه وتتبعه.

هذا النص نص مترابط ولكنه متشعب ومركب، وينطوى على دالتين عظيمتين. فهو يستعرض من ناحية، الأساليب الذهنية والروحية التي يعتمد عليها «پتاح» (معبود) مدينة «منف»، عند خلق العالم. فبعد أن تصور في البداية عناصر الكون في قلبه - وهو مركز كل وجدان وكل نكاء - تخرج هذه العناصر بعد ذلك إلى الوجود بواسطة «الكلمة» الخلاقة. إن الإقرار بالقدرة السحرية للفظ هي حقيقة منتشرة كل الانتشار في الحضارات السامية والإفريقية على حد سواء. ولكن «ترتيب» الخليقة كما تظهر على هذا النحو ليس بالأمر العديم الأهمية: وبالطبع فالآلهة هي التي تظهر

أولاً، الآلهة التي امتزجت شخصيتها إلى حد ما مع شخصيته الإله الخالق المنفى الذى كان يحتويها جميعاً، ثم أعطى - للمخلوقات - من بشر وحيوانات على السواء - القلب واللسان، وهما ضروريان لكل كائن عاقل، فلا يوجد تمييز جوهري بين مملكتي الحيوان والإنسان. ثم خلقت المقومات الروحية والأخلاقية الضرورية لدوام الكون وتأسيس جماعة بشرية تسعى إلى مغالبة الأيام.

ثم تأتى الأعمال وجماعة الحرفيين حسب ترتيب الخلق: فعندما ينحت الحرفيون أو يرسمون أو يشكلون أو يكتبون، فإنهم يخلقون على هيئة تماثيل أو نقوش أو تصاوير - أغلفة، هى كتل أو مجرد ملامح، فى الإمكان أن تدب فيها الحياة عند النطق بالكلمات، وعلى كل حال فإنهم يعرفون بعبارة «سى عنخ» أى «ذاك الذى يُحى (بضم الياء)»، وفضلاً عن ذلك فهى طريقة لا سبغ الخلود على الخلق الجديد، من خلال إيجاد أشكال تغلب الأيام، فتحيينها عناصر الكائن اللامادية، ولإنتهاء من عمله يلجأ الخالق إلى الأسس الفيزيائية للحياة ولا سيما إمكانات الفعل والحركة، وأخيراً، فإنه يدبر شئون العالم دينياً وإدارياً، لقد تصور الإله الخالق «پتاح» مهمته وتفكرها وأنجزها على خير وجه بلا أى تدخل فيزيقي، أما الدلالة الأخرى لهذا النص فهو إقراره الواضح منذ هذا العصر القديم بهيمنة الآلهة الثلاثة: «پتاح» (إله عاصمة المملكة) و«رع» (القوة الكونية الشمسية) و«أوزيريس» (إله الإنبات والتربة الخصبة الذى سيبعث حياً)، وإلى جانب ما عرفه ثلاثتهم من تبجيل على المستوى المحلى، فإنهم سيظلون آلهة مصر العظمى طوال التاريخ الفرعونى. إذن فمنذ قديم الزمان كان الوعى يدركهم على هذا النحو ورفعههم إلى هذا المقام، بعد ان ادمجهم فى أساطير معقدة.

كان «پتاح» إلهاً ملكياً وعادلاً، فى مدينة كبرى وأيضاً إله خلق رئيسى، وإن يلجأ إلى مختلف الأساليب، فإنه لا يعطى الوجود فحسب، بل انه يسبغ على عمله النظام والأبدية فيعطى «الروح» نوداً بارزاً.

٢- بزوغ الشمس فى فجر البداية الأولى.

فى «هليوپوليس».

لا يوجد عرض مترابط للاهوت «هليوپوليس»، ولكن فى الإمكان تحليل وفهم المنظومة التى صاغها كهنة الشمس بفضل ماورد عنها من إشارات فى مختلف النصوص ولا سيما كبرى أسفار الطقوس الجنائزية: متون الأهرام، ومتون التوابيت، وكتاب الموتى^(٢٧) - والناشيد،

قبل أى خلق، كان إله - الشمس القديم، بمدينة «هليوپوليس» («آتوم» أو «آتوم - رع») مغموراً فى المحيط الأزلئ مع الآلهة، فى حالة كمون.

قال «آتوم»... «كنت» وحيداً فى الدنوء وكنت خاملاً. كنت لا أجد موطناً أستطيع أن أقف فيه، كنت لا أجد مكاناً أستطيع أن أجلس فيه. ومدينة «هليوپوليس» التى كان مقرراً أن أقيم فيها (فى المستقبل)، لم تكن قد تأسست بعد، والعرش الذى كان مقدراً أن اتربع عليه، لم يكن قد تشكل بعد. لم أكن بعد قد خلقت «نوت» من فوقى، وجماعة (الآلهة) الأولى لم تكن قد جاءت إلى العالم. وتاسوع الآلهة الأولية، لم يكن موجوداً. كانت (الآلهة) لاتزال معى. عندئذ قال «آتوم» لـ«نوء»: كنت طافياً، خاملاً كل الخمول، وكانت الـ«پعت» بلا حركة. إن ابنى، الحياة، هو الذى أعادنى إلى الوعى وبعث فى قلبى الحياة، بعد أن جمع أعضائى التى كانت حتى الآن بلا حركة»^(٢٨). وقال «نوء» لـ «آتوم»: فلتتنفس (يا «آتوم») ابنتك «ماعت» (الحقيقة والعدالة)، ارفعها إلى أنفك ليحيا قلبك. ليت ابنتك «ماعت» وابنتك «شو» الذين يطلق عليهما أيضاً اسم الحياة، لا يبتعدان عنك.»^(٢٩)

وعلى هيئة صورة أسطورية أكثر إستعلاءً، إذ يمتزج الخالق بمفرده مع المحيط الأزلئ، متواجداً وجوداً فريداً، فإنه يبعث حياته الخاصة:

«أنا»نوو»، أنا الواحد الأحد، ليس كمتلى شىء... لقد جلبت جسدى إلى الوجود بفضل قدرتى السحرية. لقد خلقت نفسى بنفسى وشكلت نفسى حسبما كنت أتمنى، حسب رغبتى. (٣٠)

تماماً، كما أن الحياة كامنه فى القدرات الإلهية الغارقة فى الخواء السائل، كذلك فإن هذا المحيط اللاعضوى هو بأبعاده صورة مسبقة للكون، إن العالم ونظامه المحكم المرتب (الكوزموس) هو على قد الإله الخالق:

...«النو»الذى يحمل «أتوم» والذى يبلغ اتساع السماء وعرض الأرض. (٣١)

عندئذ ينبثق «الشمس» (لفظ مذكر فى المصرى القديم م.) خارج الكتلة السائلة، بإرادته الخاصة، على هيئة انبعاث وضئ:

«أنا السرمدى، أنا»رع« الذى خرج من ال»نوو«... أنا سيد النور». (٣٢)

كل فجر جديد سيكون تكراراً لهذا الإنبعاث الأول للنور، إذ خلط علماء اللاهوت، من خلال صور أسطورية أكثر تعقيداً، بين البزوغ الأول للنجم والميلاد اليومى للكرة الوضئة التى تلد «نوت» إلهة السماء كل يوم، فى نورة ثابتة لا تتغير. وهكذا تتداخل الأزمنة السابقة على الخلق واللاحقة عليه لتضفى على نشاط الشمس الحيوى سرمدية لا تفارقها.

السماء حبلى بـ«رع»، وعندما ستلده «نوت»، ترتفع الأيدي ويلتف من حوله الأتباع... رب الأفق، «رع»، السرمدى، إنه يبرز خارج ال»نوو»، و«المتألقة» (٣٣) من حوله، إن تأسوعه يتحرق من حوله، وقدرته تخيف الآلهة التى أتت من بعده إلى الوجود. إن ملايين «كا»اته، هى فى فمه، فهو السحر، ذاك الذى ولد من ذاته. والآلهة عندما تراه يغمرها الفرح، وهى تعيش من عرقه العطر. إنه ذاك الذى خلق الجبال وشكل السماء. (٣٤)

لا ينبغي أن نبحث فى هذه الأساطير عن مياكل عقلانية أو أطر نظامية، فهى

تتراكب وتسعى إلى الوقوف على أحوال من الوعي الدينى ولحظات متنوعة منه .
فى اليوم الأول، و«آتوم» خارج الـ «نوو»، فإنه يجسد فى الوجود الإلهين التوأمين:
الإله «شو» والإلهة «تفنوت»، وهما أول زوجين مخلوقين. واستناداً إلى تقليد قديم،
ظل قائماً منذ عصر متون الأهرام، فإن الإله الخالق قد شكلهما بلعابه أو بتفاله:

«لقد تغلت «آتوم» من فمه، باسمك هذا، الذى هو «شو». (٣٥)
«يا «آتوم»... لقد تغلت «شو» و «نفثت «تفنوت». (٣٦)
«تفالك ولعابك، أى «شو» و «تفنوت». (٣٧)

وحسب تصور آخر، فقد شكل «آتوم» الأعزل «فرخيه»، بفعل يده النشطة عن
طريق الإستمنا:

فما أن خرج «آتوم» إلى الوجود، مارس الإستمنا فى «هليوبوليس»، فوضع ذكره
فى قبضة يده، فأوجد اللذة لنفسه. عندئذ ولد فى آن واحد التوأمان: «شو» و
«تفنوت». (٣٨)

فى عالم الثلاثة هذا، ظهر المشهد الأسطورى الأول:
يقول آتوم: «-«تفنوت»، تلك التى هى الحياة، هى ابنتى. إنها فى صحبة أخيها
«شو» الذى يدعى أيضاً ذاك الذى هو الحياة. وهى تدعى أيضاً «ماعت». إنى أحيا
مع فرخى، إنى وسطهما، أحدهما خلفى والآخر أمامى. لقد نهضت فوقهما، بينما
كانت سواعدهما تطوقنى.»- (٣٩) - (إنه ثالث مقدس، لازال غير منقسم تقريباً.)

هكذا كانت النسومات الهوائية والرطوبة اللازمة للحياة قد تشكلت فى نفس الوقت
الذى كان يكتسب فيه الكون أبعاده الزمنية بصورة كامنة:

«شو» هو الزمان السرمدى و«تفتوت» هى الزمان اللانهائى. (٤٠)

وحيث ان «شو» و«تفنوت» قد شكلا إذن أول زوجين فى العالم، فقد انجبا بعد

ذالك عن طريق وسائل الأنجاب الطبيعية عناصر الفضاء فى الكون: «جب»، إله الأرض، و«نوت»، إلهة السماء. فكانت الأرض هى العنصر المذكور والسماء هى العنصر المؤنث-نظراً لأن السماء هى مبدأ الخصوبة فى العالم المصرى لأنها تحتوى على النور واهب الحياة. لذا تُصور السماء فى الغالب على هيئة امرأة أو بقرة وهى أيضاً حيوان وولد ومصدر غذاء. ونظراً لأن «جب» قد صار «ثور» و«نوت»، فقد رزق الزوجان الثانيان أربعة أولاد وبعد النظام الكونى، استقر النظام الأرضى مع «أوزيريس» (ملك الأرض الذى سيخلف أبيه «جب» و«إيزيس» - و«ست» و«نفتيس» وهما زوجان جديان على أساس إقتران الأخ بأخته) وهو ترتيب إلهى سوف يحاكيه الملوك). حيث يرمز الزوجان الأولان لقوى خصوبة التربة وتوازن الحياة. أما الزوجان الثانيان فيرمزان إلى الجذب والتقلبات البائسة، إنه تعبير عن التعارض الملموس بين وادى النهر والصحارى والتضاد الأخلاقى بين الخير والشر. وهكذا يكتمل التاسوع:

أيها التاسوع العظيم الذى يقيم فى «هليوبوليس»، أيا «آتوم»، أيا «شو» و«تفنوت»، أيا «جب» و«نوت»، أيا «أوزيريس» و«إيزيس»، أيا «ست» و«نفتيس»، الذين أنجبهم «آتوم»، بينما قلبه مفعم بالسعادة بسبب أولاده. (٤١)

وتتواصل عملية الخلق المتبقية، جنباً إلى جنب مع خلق البشرية:

كلمات نطق بها... سيد الكون....: «لقد أتيت أربعة أعمال صالحة عند باب الأفق. لقد خلقت الرياح الأربع» (٤٢). ليستطيع كل امرئ أن يتنفس حيثما يوجد: وذلك أحد أعمالى. لقد خلقت الأمواه الدافعة (الفيضات) لتزدهر أحوال الصغير والكبير، على حدّ سواء. فكان (عملاً آخر) من أعمالى. لقد خلقت كل إنسان شبيهاً لجاره، ولم أسمح أن يرتكبوا الشر، ولكن قلبهم خالف ما قلته. (٤٣) فكان (عملاً آخر) من أعمالى. وتصرفت بحيث لا تفكر قلوبهم فى الغرب. (٤٤) وتوفر القرايين الإلهية لآلهة الأقاليم. فكان (عملاً آخر) من أعمالى. لقد خلقت الآلهة من عرقى (بفتح العين) والبشر من دموع عيني» (٤٥)

وتمتدح جميع الطقوس قدرة «أوزيريس» الإله الخامس من آلهة تاسوع «هليوبوليس».

إن قلب «جب» و«نوت» مفعم بالسعادة، ويتردد الاسم الجديد: «ونن - نفر»^(٤٦) قوى الجانب كالنبات! «رع» هو إشعاعه وسوف يدوم ما يقال له: أنت الفيضان، أنت أعظم الآلهة، الذى يعمم ما يتنوقه البشر، الحلوى على القلب، لا وجود لما يجهله، إنه صاحب القدرة المرهوب الجانب، عداء التاسوع،^(٤٧) ذاك الذى يُبجل «با» و«ه»، الأكثر فطنة من آلهة الجنوب والشمال.^(٤٨)

هذا النسق تَمَّت صياغته بكل دقة لعرض نشأة الكون وأصل مكوناته الأساسية، وأيضاً لرسم صورة لتاريخ الشعائر. لقد رأى كهنة «هليوبوليس» أنه من «الكياسة» بمكان، إذ لاحظوا صعود نجم الشعائر المكرسة لـ «أوزيريس» (إله القدرات النباتية والبعث والذى ترجع أصوله إلى الدلتا)، أن يضموه إلى نسقهم، الذى نشأ حول الإله - الشمس، فأضافوا للآلهة مزيداً من الفاعلية الإلهية والقدرة السحرية. لقد تأكد ااضفاء صبغة شمسية مقصودة على «أوزيريس» من خلال ما أختص به من أوصاف وصفات تعود فى المعتاد إلى «رع».

هذه الصور وهذا الإيمان اللذان ولدا فى وعى البشر، قبل أربعة آلاف سنة من الميلاد، كانت ما تزال قائمة قبل قرون معدودات من ميلاد المسيح. إنه مثال لا يضاهيه مثال، على عقيدة راسخة ودائمة، إن سفرأ طقسياً يرجع إلى القرن الرابع قبل الميلاد،^(٤٩) يعرض على النحو التالى قصة الخلق فى «هليوبوليس» :

يقول سيد الكون: «عندما جئت إلى الوجود، تجلّى عندئذ الوجود، لقد جئت إلى الوجود على هيئة «خبرى»»^(٥٠) هكذا جئت إلى الوجود للمرة الأولى، جئت إذن إلى الوجود على هيئة «خبرى»، فكنت موجوداً. هكذا إذن تجلّى الوجود، لأننى كنت سابقاً على الآلهة السابقة، التى تكفلت بخلقها، كنت سابقاً على الآلهة السابقة، وكان اسمى سابقاً على اسمها، لقد صنعت (الزمن) السابق والآلهة السابقة. لقد فعلت كل ما كنت أتمنى (أن أفعله) على سطح هذه الأرض وانتشرت فيها. وعقدت يدي، أنا الأعزل، قبل أن تولد، حيث لم أكن قد تفلت «شو» أو نفثت «تفنوت»، ودربت فمى، إذ

كان اسمى «السحر»، وكنت «ذاك - الذى - ينفت». وجئت إلى الوجود على هيئتي، جئت إلى الوجود على هيئة «خبرى»، جئت إلى الوجود فى (الزمن) السابق، ثم جاءت إلى الوجود العديد من الأشكال فى «الزمن الأول»، والتي لم يسبق ان تجلّى أى منها على هذه الأرض. لقد أنجزت كل عملى فى عزلتى، دون وجود أحد غيرى يستطيع ان يعمل معى فى هذا المكان. لقد خلقت الأشكال بفضل هذه القوة العليا (التي بداخلى). لقد جمعت (الأشياء) بينما كنت فى الـ «نوو»، أشبه بكائن ما زال غافياً، لأننى لم أكن قد وجدت بعد مكاناً أنهض فيه. ثم (وُلِدَت) الفاعلية فى قلبى، وبدأت خطة (الخلق) أمام بصرى. ومن ثم حققت عملى كله وأنا فى عزلة. لقد صغت خطة فى قلبى، فخلقت عندئذ أشكالاً أخرى، وكانت الأشكال التى عملت على ظهورها لا حصر لها. وبعد ذلك جاء أبناؤها إلى الوجود فى أشكالها كأبناء. وأنا الذى تفلت «شو» ونفثت «تفنوت». كنت قد جئت إلى الوجود، إلهاً أعزل، والآن يخصنى ثلاثة آلهة، بعد أن جاء إلى الوجود، على هذه الأرض الإلهان (التوأمان). كان «شو» و«تفنوت» ينشطان الـ «نوو» فى سعادة، وهما ما يزالان بداخله... وبالفعل فقد اتحدت بجسدى ذاته، بحيث خرجا منى بعد أن أوجدت الإثارة بقبضتى المضمومة، فنبعت الشهوة من يدي وسالت النطفة من فمى. وهكذا تفلت «شو» ونفثت «تفنوت». هكذا إذن جئت إلى الوجود، إلهاً أعزل، والآن يخصنى ثلاثة آلهة، بعد أن جاء إلى الوجود على هذا الأرض الإلهان (التوأمان). وهكذا كان «شو» و«تفنوت» ينشطان الـ «نوو» فى سعادة، (ومرة أخرى يكرر النص الفقرة السابقة) لقد كان أبى الغافى،^(٥١) هو الذى(؟). وكانت عيني هى التى طاردهما (وأعادتهما) بعد زمن لانهاى، بقيا خلاله بعيداً عنى...^(٥٢) وبكيت عليهما (بهما) بالدمع، وبعد أن بكت عيني على هذا النحو، جاء البشر إلى الوجود.^(٥٣) ... وبعد ذلك قام «شو» و«تفنوت» وأنجبا «جب» و«نوت». وهذان أنجبا من جسديهما «أوزيريس» و«حورس» - مخنتى - إرتى(٥٤) و«ست» و«إيزيس» و«نفتيس». وهؤلاء أنجبوا وشكلوا (بدورهم) عدداً غفيراً من الأشكال على هذه الأرض، أى أبناؤهم وأحفادهم...

إنه نص متشعب، يجمع بين تقاليد مختلفة فى ترتيب أسطورى تليقوى عن قصد، إنه نص تعزيمى، يذكر باستمرار كلمة «خير»: ومعناها «جاء إلى الوجود، يتجلّى» واشتقاقها «خبرو» ومعناه الأشكال. إنها تراويل حقيقية، تدور حول عمل الإله الخالق، والتكرار مقصود، وكأنه تكرار لابتهالات سحرية من أجل الوجود الجديد الذى انبثق فى اليوم الأول من سطح السائل السابق، ويكاد يكون نصاً مفرحاً، يسوده شعور

بالعرفان تجاه عمل الآلهة. إنه نص ترجع أصوله الروحية إلى الأزمنة الغابرة عندما بدأ الإنسان يعيش على ضفاف وادى النيل.
فى هذا العالم الأول، كان البشر والآلهة يشكلون شيئاً واحداً.^(٥٥) فلم يكن البشر قد استحقوا من جراء جحودهم أن يفرق بينهم وبين الآلهة. كان العصر الذهبى للكون.

٣- الآلهة الثمانية فوق التل.

فى «هرموبوليس».

اللاهوت الذى صيغ أصلاً فى «هرموبوليس» - عاصمة الاقليم الخامس عشر من أقاليم الوجه القبلى والمدينة المقدسة للإله «تحت» - لم نعرفه من خلال أى نص مترابط، ولكن يدل اسم المدينة فى اللغة المصرية القديمة وهو «خمنو» - أى «مدينة الثمانية»^(٥٦) (الاشمونين، حالياً) - يدل على أن هذا النسق الفكرى قد صيغ منذ زمن سحيق ويمكن ان نفهم جوهر هذا النسق بفضل نصوص ترجع إلى عصور متأخرة، ولا سيما العصر البطلمى. وبالفعل، نرى أن لاهوتى «منف» ولاهوتى طيبة على وجه الخصوص، قد خصّوا مفاهيم «هرموبوليس»، بمكانة بارزة فى أبحاثهم المتأخرة، التى تنحى منحى تلفيقياً فى عرضها لقصص الخلق.

فى الاصل، كانت ثمانية آلهة أولية موجودة فوق تل انبثق فى «هرموبوليس» من المحيط الأزلّى. إنها أربعة أزواج إلهية، يتكون كل زوج منها من عنصر ذكر وعنصر أنثوى، وكانت تتخذ هيئة الضفادع (من سكان المياه المعتادة) والأفاعى (وهى رمز قديم للحياة المتجددة أبداً)^(٥٧). وقائمة اسمائهما موجودة فى المعابد الطيبية، لا سيما فى مدينة هابو حيث جرى تكريس معبد لهذا الثامون، فى الأزمنة المتأخرة، وتستعيد هذه الأسماء إلى الأذهان «المشهد الطبيعى» الأول للعالم. وأسماء الثمانية هى: «نون» و«نونت»^(٥٨) وهما يشخصان العنصر السائل الذى كان يغطى «المكان» غير العضوى واللانهاى. - «ححو» و«ححت» رمزا سرمدية «الزمان» - «كيكو» و«كيكت» اللذان يشخصان «الظلام»، فى عالم بلا نور، وهى الظلمات التى كان الخواء غارقاً فيها. - وكان «آمون» و«أمونت» هما «القدرة الإلهية الخفية» التى يضمها العنصر السائل. - إنه مشهد لانهاى أزلّى، حالك الظلمة، ستدب فيه الحياة.

وذات يوم شرعت الآلهة السابقة فى العمل. وتقول رواية متواترة أنها شكلت بيضة فوق تلها. وحطم النجم الساطع غلافها لينبثق منها. وتصور رواية أخرى الثمانية وهى تخلق من نطفتها، زهرة اللوتس، زهرة الأمواه، التى تنفتح بثلاثتها مع شروق الطفل الشمس الذى سطع بنوره على العالم.

(زهرة) اللوتس التى جاءت فى البدء إلى الوجود وطردت الغمامة المعتمة، دون أن يتمكن أحد بعد، أن يتعرف عليها (الزهرة). (لقد صنعتم) انتم (الآلهة الثمانية) نطفة من سائل خرج منكم وسكبتم هذه النطفة على زهرة اللوتس، بأن أرقتم سائلاً نطفياً. لقد وضعتموه فى الـ «نوو»، وكثفتموه فى شكل واحد، وجاءت ولادة وريثكم الوضاعة على هيئة طفل. (٥٩)

(زهرة) اللوتس... هذا الإله الذى فى قلب حوض الماء الخاص به الذى أنبعث من جسدكم (أيها الثمانية)، زهرة اللوتس الضخمة المنبثقة من البركة الكبرى التى كانت فاتحة النور، عند «المرّة الأولى»... إنكم تبصرون نورها، وتستنشقون عبيرها، وأنفكم ملائ بها. إنه ابنكم الذى يظهر على هيئة طفل، ليثير البلاد بعينيه (٦٠)... لقد جئت إليكم بزهرة اللوتس الواردة من المستنقعات، (فهى)، عين «رع» شخصياً (٦١) ذاك الذى يحقق (فى ذاته) حصيلة الأقدمين، الذى خلق الآلهة السابقة وصنع كل ما يوجد فى هذا البلد... واذ يفتح عينيه، فإنه ينير الأرضين، ويفصل الليل عن النهار. لقد خرجت الآلهة من فمه والبشر من عينيه، فكل شئ ولد منه، هذا الطفل (الذى يتألق) فى زهرة اللوتس، والذى تُحى أشعته كل الكائنات. (٦٢)

وهناك نص أحدث، ويرجع إلى ما قبل بداية التقويم الميلادى بقليل، يقدم ثمانية شركاء فى أشكال مختلفة. ولكن تظل أسطورة «الطفل - الشمس» المنبعث من اللوتس باقية بفعل أندفاع تكاثرى.

نزل الثمانية إلى «هرموپوليس»... بينما [كانوا يتحولون إلى أبقار وثيران حسب] طبيعتهم. (٦٣) كان الأسود والأخضر... لوني الثيران والأبقار، (٦٤) عن هؤلاء الذين نادى (٦٥) عليهم قائلاً: «فلتتحد [الثيران الأربعة]! فلتتحد الأبقار الأربع! فـ [تتحد] على الفور!» وصارت الذكور ثوراً أسود، والإناث بقرة سوداء. وأطلق [عليهما اسماً]

«أمون» و«أمونت» - وأنقضَّ الثور على البقرة [بسرعة حتى] أنه أراق نطفته على الماء في «البركة العظمى» في «هرموبوليس» التي كانت قد أزهرت [زهرة اللوتس] وبرعم اللوتس... كانت زهرة لوتس على هيئة جعران، برأس [كبش]،^(٦٦) واتخذت شكل طفل، [يضع] أصبعه [على فمه، ويحمل] تاجاً عليه صل^(٦٧)

إن شعيرة تقديم زهرة اللوتس هي مظهر دائم وثابت لعقيدة «هرموبوليس» هذه. وسواء هي زهرة اللوتس الزرقاء أو زهرة اللوتس البيضاء، الموجودة على صفحة المياه، أو هي زهرة اللوتس اللازوردية أو زهرة اللوتس الفضية، فإن رفع الزهرة حتى الأنف الإلهي، أثناء الخدمة الإلهية، داخل المعبد، يعتبر رمزاً للحياة الشمسية. وانتظم الكون. وكان رجال «هرموبوليس»، يتطلعون أيضاً إلى هذا العصر الذهبي الذي عرفته أزمنة العالم الأولى.

* لقد خلقت (الآلهة) «السابقة» إله الأفق، وفي زمانها أيضاً خلق الجمال والرفق والسعادة. وفي عصرها جاء إلى السماء ناموس الحقيقة والعدالة («ماعت»). وأتحد مع أهل الأرض. وفي زمن الآلهة السابقة، كانت الأرض تفيض (بالخيرات) والبطون متخمة والمجاعة لا وجود لها في القطرين والجدران لا تنهدم والشوكة لا تخز.

* لقد خلقت (الآلهة) الدائمة قرص الشمس، والبشر وجميع الأبرار، في عصرهم. وهبط ناموس الحقيقة والعدالة على الأرض، وتأخى مع الآلهة - وفي زمن الآلهة السابقة، كان الطعام وافرأ في جسد البشر، والشر لا وجود له على سطح الأرض، والتمساح لا يخطف (فريسته) والثعابين لا تلدغ^(٦٨)

٤- في إسنا.

في مصر العليا وعلى بعد ٥٥ كم جنوب مدينة الأقصر، تقع مدينة إسنا وهي حالياً مركز ريفي شأنها شأن العديد من المراكز الأخرى في مصر. وعندما نشر عالم المصريات الفرنسي «سرچ سونرون» Serge Sauneron، منذ فترة قصيرة المتون التي نحتت في المعبد العتيق^(٦٩) فقد كشف النقاب عن الذخائر الروحية التي كان لا

يزال يحتفظ بها هذا الأثر - الذى يرجع تاريخه إلى القرن الثانى الميلادى، ويعود تاريخ معظم هذه المتون إلى عصر تراجان (٩٨ - ١١٧م) وهادريان (١١٧ - ١٣٨م)، وهى محصلة لتطور دينى طويل، يعود إلى أزمنة موعلة فى القدم، وتدور حول عبادة الإله الكبش «خنوم»، وفى زمن أحدث، نرى أن عبادة الإلهة «نيت»، الإلهة القواسية، التى ظل مركز عبادتها الرئيسى طوال التاريخ الفرعونى فى مدينة «سايس» فى الدلتا، قد اتحدت بعبادة «خنوم». وتبرهن هذه الوثائق أن الفكر الوثنى الذى يخلط الأساطير والصور التى تصورها، منذ أكثر من أربعة آلاف وخمسمائة سنة، قد بقى فى علاقته بالتقاليد، على نفس القدر من الثراء والورع والأمانة، وهى أحدث مجموعة نصوص هيروغليفية من مصر القديمة حفظها لنا الدهر .

١ - «خنوم» الفخارى: (٧٠)

يخلق الكون على عجلته.

* «خنوم - رع» إله عجلة الفخارى، الذى أسس الأرض بساعديه، الإله الذى يوحد (الأبدان) فى بطن الأم، البناء الذى يعمل على ازدهار الفرخين^(٧١)، الذى يحيى الكائنات (التي) مازالت فى طفولتها بفضل نسمة فمه، الذى يغمر البلاد بأمواء الـ «نوو» الدافقة، فى حين تحيط به «الدائرة السائلة الكبرى، ويحيط به بحر الأطراف العظيم» (٧٢).

لقد شكّل على عجلته، الآلهة والبشر، وسوّى الأغنام والقطعان، وصنع العصافير والأسماك، وشكّل الذكور المنجبين وأتى بالإناث إلى العالم. وقام بتنظيم مسار الدم فى العظام، والتشكيل فى ورشته (٩) بساعديه، عندئذ نفذت نسمة الحياة إلى جميع الأشياء وشكل الدّم... مع النطفة، ليكُون منذ البداية عظماً وضأءة^(٧٣) وجعل الأنثى تلد إذا حان وقت (ولادتها) ... لقد خفف الآلام بما يوجد به قلبه، ولطف الحناجر، واهباً الهواء للذين يتنفسون، فيُحْيى الكائنات الصغيرة وهى لاتزال فى بطن الأم. لقد جعل خصل الشعر تنبت وجعل الشعر ينمو. وسوّى الجلد على الأعضاء. وصنع الرأس وشكّل الوجه ليعطى للملامح شخصيتها، وجعل العينين تنتفخان وفتح

الأذنين، ومزج الجسد بالهواء مزجاً، وجعل الفم لتناول الطعام وشكل الأسنان للمضغ. وفصل اللسان ليتمكن من الكلام ومن الآن استطاع الفكان ان يتباعد. وجعل العنق للبلع والبصق أيضاً و (أوجد) العمود الفقري دعامةً والخصيتين اللتين يرتجف بسببهما الفخذ أثناء الجماع، والشرج ليقوم بوظيفته. والحلق ليزرد واليدين وأصابعهما لتقوم بعملها، والقلب ليقود (الكائن)، والخصيتين سنداً لعضو التذكير وأداء العملية الجنسية، والأعضاء الأمامية لبلع كل شيء، والأعضاء الخلفية لبت الهواء في الأحشاء^(٧٤) وللجلوس أيضاً أثناء الوجبات وامتداد الأعضاء الداخلية بالحياة أثناء الليل. و(أوجد) عضو الحياة للجماع والرحم لتلقى النطفة. وهكذا تتضاعف الأجيال في مصر. و(جعل) المثانة للتبول وعضو الحياة ليقذف وينتفخ عند ضمّ الفخذين. وقصبة الساق للمشى والفخذين للتجول، إذا أن عظامها تنفذ عملها بتدبير من القلب.

هكذا تشكلت (جميع) الكائنات على عجلته. (وفيما بعد) تغير التعبير الشفهي، حسب كل بلد، وصولاً إلى لغة تختلف عن تلك التي يتحدث بها (أهل) مصر. وخلق المنتجات الأجنبية في نطاق أراضيها ليتمكنوا من نقل الجزية إلى الخارج، لأن سيد العجلة هو والد (الجميع) ، (إنه) «تاتن» الذي يعمل على وجود كل ما هو موجود، فوق اليابسة، وخلق مواد إعاشتهم - كالتى عند أهل «إبها»^(٧٥) - من أجل إطعام أجسادهم (وأجساد) ذريتهم أيضاً. وعندما بصق فمه، جاءوا في الحال إلى الوجود^(٧٦). ولم تتوقف (عملية الخلق) : فمنذ أن بدأت العجلة في الدوران، وهى تدور كل يوم.

لذا تعبدك جميع المخلوقات، يا «خنوم»، يا صورة «تاتن»، (أنت يا) خالق الخالقين، (يا) من جئت إلى الوجود بكل ما هو قائم في (مدينة) إسنا، (يا) من يطعم الكائن الصغير في بطن (أمه) إلى أن يكتمل الزمن (المحدد) ثم ينبعث بأمرك من جسد الأم عندما يحل أجل (الولادة).

لقد شكل البشر على عجلته ، وأنجب الآلهة، وخلق الأغنام والماشية، وسوى الطير والأسماك وجميع الزواحف. وفي أعقابه ، جعل الأسماك ترتعش في مياه الـ «نوو» عند الخروج من الكهفين^(٧٧) لاشباع البشر والآلهة في الوقت المناسب. لقد أعطى الوجود للنبات في الحقول ولون الشيطان بالزهور. وجعل أشجار الحياة^(٧٨) تعطى ثمارها لتأمين معيشة البشر والآلهة. وشق التصدعات في جسم الجبال وجعل المحاجر تلفظ ما في باطنها في أحجار^(٧٩).

* تحية لك (يا) «خنوم - رع»، (يا) سيد إسنا، (يا) «بتاح - تاتن» الذى انجب الالهة السابقة، أيها الإله العظيم (الذى) جاء إلى الوجود فى الزمن الأول، (أيها) الكبش الرائع، فى المرة الأولى!

لقد رفع السماء، وسند القبة الزرقاء، ونشر النور فيها، ساطعاً مشعاً، ثم أقام فيها مقر روح الالهة. ويسط الأرض فوق قواعدها، وأضاء الأرضين بعينه، وأذا نشط الإله، أخذ الوجود يتجلى. عندئذ فتح القطرين بقوته، (فهو الإله) صاحب الوجه المهيّب، والطلعة البهية، صاحب الأبهة ذات الهيئة القديرة، فمن وجوده، كانت كل الكائنات تنهل وجودها، إنه أعظمها جميعاً، وأشرفها جميعاً، وأعظم سائر الالهة، صاحب الهيئة الخفية، المهيمن على الالهة، صانع صناعات الأشكال، عظيم الالهة السابقة، أبو الآباء وأم الأمهات، الذى خلق كائنات القبة الزرقاء، وجاء إلى الوجود بكائنات العالم السفلى، (إنه) الكبش المقدس الذى انجب الكباش، (إنه) «خنوم» الذى صنع المخلوقات، (إنه) الإله صاحب اليد الصانعة التى لا تعرف الكلل، فلا يوجد عمل يجهله، لقد أقام المدن وفصل بين الحقول، وخلق القطرين وثبتت الجبال، وشكل البشر، على العجلة، وجاء بالالهة إلى العالم ليملا الأرض ودائرة المحيط الأكبر، جاء فى زمنه ليحيى كل الذين خرجوا من عجلته، فخلق العشب لتتجمع الماشية، وشجرة الحياة من أجل الأحياء، إنه يحل دائماً فى اللحظة المناسبة، لقد رسم حدود السماء، إلى يومنا هذا، (إنه) الإله الخير للزمن الأول، الذى يعبر السماء منذ مطلع الفجر على (متن) سفينته^(٨٠) ويملا الأرض بجماله. ويتحقق قَدْر الأطفال ونموهم حسبما يأمر به، والماء والريح تأتمر بأمره وما يخرج من فمه، (ينفث) بلا إبطاء، هو الذى صنع ذاك وذلك، على حد سواء، فما من عمل يتم بدونه^(٨١).

هذا النص - وهو نشيد عرفان وإجلال إكراماً للإله «خنوم» كان الكهنة يترنمون به مع مطلع كل صباح وخلال الساعتين الأوليين من النهار فى معبد إسنا فيجدون يومياً مجد الخالق

ب - الإله «نيت»، القواسة. أم الكون.

فوق الأكمة التي بزغت في إسنا.

إن أبا الآباء، وأم الأمهات، الكائن الإلهي الذي استهل وجوده في البدء، كان موجوداً في قلب الـ«نوو»، لقد أنبثقت من ذاتها، بينما كانت الأرض لاتزال في الظلمات، ولم يكن النبات ينمو. اتخذت (في البدايه) شكل بقرة، حتى لم يكن في مقدور أى إله، فى أى مكان كان، أن يعرفها. ثم تحولت إلى سمكة -بياض^(٨٢) وعندئذ بدأت تسير في طريقها.

اضاعت البصر بعينها فكان النور، عندئذ قالت: «هذا المكان الذى أنا موجوده فيه، فليصبح من أجلى أرضاً يابسة فى قلب الـ«نوو»، لأتمكن من الوقوف فوقه». عندئذ أصبح هذا المكان الذى كانت «نيت» موجودة فيه، أرضاً يابسة فى قلب الـ«نوو»، حسب الكلمات التى نطقت بها، وصار (هذا المكان) «أرض المياه» ومدينه «سايس»^(٨٣) وحلقت كالجعران، فوق هذه الأكمة. عندئذ ظهرت «پر - نثر» و«په»^(٨٤) وقالت أيضاً: «كم هى ممتعه نكهة هذه الأكمة» وظهرت «دپ»^(٨٥) وصار يطلق من الآن على «سايس» اسم «أرض الترويح».

وهكذا، فكل ما كان يحتويه قلبها، كان يأتى فوراً إلى الوجود. وإذا استشعرت العذوبة فوق هذه الأكمة، ظهرت مصر وسط الإبتهاج العام^(٨٦).

خلق الثلاثين إلهاً.

ثم شكلت ثلاثين إلهاً، بأن نطقت أسماعها، الواحد تلو الآخر، وكانت مسرورة بعد أن رأتها. وقالت (الآلهة): «مباركة أنت، يا سيدة الآلهة، يا أمنا، (يا) من أتت بنا إلى

الوجود. لقد صنعت أسماعنا، بينما كنا لانزال بلا شعور، لقد فصلت من أجلنا بين النهار (٩) وبين الليل. لقد شكلت من أجلنا أرضاً يمكننا أن نقف فوقها. لقد فصلت من أجلنا بين النهار وبين الليل. يا للفاعلية، أه! يا لفاعلية، كل ما يخرج من قلبك أنت. أه! أيتها الوحيدة، التي أتت إلى الوجود عند البدء. إن الزمن الأبدى والزمن اللانهائى يمران أمام وجهك «

عندئذ قالت لأبنائها: «هيا، فلننهض فى هذا المكان، الذى صار أرضاً يابسة نستطيع الوقوف فوقها، لنطرد الكل ثم سنبحر فى اتجاه هذا المكان المقدس، «إسنا-سايس»، هذه الأرض (التي) فى قلب الـ«نوو»، أكمة الترويح هذه، التي سنقيم عليها. «بسطت أرضاً يابسة فى قلب الـ«نوو» وأطلقت عليها اسم «الأرض العليا».

عندئذ، قالت الآلهة العظيمة، للقديرة: «أنت التي أتيت بنا إلى الدنيا أنت التي انبتقنا منها، اجعلينا نعرف ذاك الذى لم يولد بعد، انظرى فالأكمة معزولة ونحن نجهل ما سيأتى أيضاً بالضرورة إلى الوجود»، وأجابت «نيت» (قائله): «سأحيطكم علماً بما ينبغى أن يظهر (قريباً)، فلنذكر أيضاً أربعة مقاصد خيرة، فلنضىء ذاك الذى فى أجسادنا، فلننطق بصوت مرتفع بذاك الذى على شفاهنا، وهكذا فى ذلك اليوم بالتحديد سأحيطكم علماً بكل شىء». ^(٨٧) وأتمت (الآلهة) كل ما قالت، وحلت الساعة الثامنة بعد برهة قصيرة.

ميلاد الشمس.

عندئذ، تأملت البقرة «أحت» ^(٨٨) ما كان ينبغى أن يأتى إلى الوجود، وقالت: «سوف يظهر اليوم إله عظيم. وعندما يفتح عينه، سيكون نور. وعندما يغمض عينه تظهر الظلمات. وسيولد البشر من دموع عينه والآلهة من لعاب شفثيه. سأجعله قوياً بقوته، وأجعله ساطعاً بفضل سطوعى، وأجعله قديراً بقدرتى. وسيثور أولاده عليه ^(٨٩)، ولكن سيجهز عليهم، ويضربون من أجله لانه ابنى، الذى من جسدى، وسيصبح ملكاً على هذا البلد للزمن اللانهائى. سوف أحميه فأعانه بساعدى، فلا يصيبه سوء. هيا، سأقول لكم اسمه: سيكون «خبرى» عند الفجر، و«أتوم» فى المساء، وسيظل يومياً هو

الإله الساطع للزمن اللانهائي، بهذا الاسم الخاص به، (اسم) «رع»^(٩٠)، وقالت الآلهة: «من بين ما نسمعه، فإنك تذكرين أشياء نجهلها»، وهكذا صارت (كلمة) «خمنو» هي اسم هذه الآلهة وصار في ذات الوقت اسماً لهذه المدينة^(٩١) عندئذ، نهض هذا الإله الكبير خارج الافرازات التي أفرغها بدن «نيت» والتي كانت قد وضعتها داخل جسم بيضة. وعندما فجرت هذه (البيضة) الـ«نوو»، ارتفعت المياه، في مكان واحد، وسقطت نطفه على البيضة بينما كان الـ«نوو» يحطم القشرة التي كانت موجودة حول هذا الإله العظيم المقدس. كان «رع» هو الذي اختفى في قلب الـ«نوو»، بهذا الاسم الخاص به (اسم) «أمون» وهو الذي كان عليه أن يشكل الآلهات من خلال أشعته، بهذا الاسم الخاص به (اسم) «خنوم»^(٩٢).

وصاحت أمه الإلهة-البقرة بأعلى صوتها «تعال، تعال، أنت الذي خلقتك تعال، تعال، أنت الذي ولدتك تعال، تعال، أنت الذي جئت بك إلى الوجود ! أنا أمك، البقرة «أحت»»، عندئذ، تقدم هذا الإله، مبتسماً، مرحباً، بهذه الإلهة. وألقى بنفسه حول عنقها (مكذا)، وهوما يفعله في المعتاد الابن مع امه. وأصبح هذا اليوم هو اليوم الجميل لبدايه السنة.

ثم بكى «رع» في الـ«نوو»، عندما لم ير أمه البقرة «أحت» وأتى البشر إلى الوجود من دموعه^(٩٣) وسال لعبه بعد أن رآها وأتت الآلهة إلى الوجود من لعب شفتيه. والان ترقد هذه الآلهة السابقة (كل إله) في ناووسه. وكانت (الآلهة) قد «سُميت» بعد ان تفكرتها هذه الإلهة^(٩٤) إنها (الآلهة) تحمى «رع» من الآن فصاعداً داخل مقصورة (مركب الشمس)، إنها (الآلهة) تجزل الشاء تهليلاً لهذا الإله وتقول: «مرحباً، مرحباً بك، يا وريث «نيت»، الذي صنعت به يديها وخلقته في قلبها، أنت ملك هذا البلد للزمن اللانهائي، كما كانت أمك قد تنبأت به.»

بقية الخلق وملخص له

ومع ذلك، طردت هذه الآلهة السابقة بصقة من فم «نيت»، بصقة كانت قد شكلتها («نيت») في الـ«نوو». فصارت ثعباناً طوله مائة وعشرون ذراعاً^(٩٥)، أطلق عليه

«أبوفيس». وصاغ قلبه العصيان ضد «رع» مع بنى جنسه الذين انبعثوا من عينه.^(٩٦)

ثم خرج «تحوت» من قلب «رع»، فى لحظة حزن، الأمر الذى استحق عنه اسم «تحوت».^(٩٧) وتحادث مع ابيه الذى أوفده^(٩٨) للتصدى للثورة بصفته صاحب «الكلمة الإلهية».^(٩٩) هكذا، فإن «تحوت» رب «هرموبوليس»، قد أتى إلى الوجود فى هذا المكان، (هو) والآلهة الثمانية فى المجمع الإلهى الأول.

عندئذ قالت «نيت» لابنها: «تعال معى إلى «إسنا - سايس»، إلى هذه اليابسة المشهورة فى قلب الـ «نوو». سوف أعلن اسمك فى مدينتك، ولن يتوقف الناس أبداً عن سماعه، كل يوم. سوف أرضعك لتصبح قوتك عظيمة، ويزداد أيضاً مدى ما تبعثه من خوف فى النفوس، حتى تتمكن من القضاء على الذين قد يتمردوا عليك».

هكذا خرجت سبعة أحاديث من فم «نيت» ، أصبحت سبعة آلهة. وبالفعل، فما قالتها صار اسماً للأحاديث، اسماً للكلمة الإلهية واسم «سايس»، أيضاً. وهكذا ولدت «الأحاديث - الآلهة» السبعة (للإلهة) «محت - ورت»، لتصبح من الآن الحامية لـ «محت - ورت»، فى كل مكان تقصده. عندئذ تحولت إلى بقرة «أحت»، ووضعت «رع» بين قرنيها.^(١٠٠) وسبحت وهى تحمله. وقالت الآلهة : «إنها السباحة العظيمة مع ابنها»، ومن هنا اشتق اسم «محت - ورت»^(١٠١).

وامضت فترة من الزمن (تصل) إلى أربعة أشهر فى مدن الجنوب، التى يطلق عليها «قيوم البلاد»^(١٠٢) لصدّ العصاة الذين كانوا يزحفون على جلالته بدافع من الكراهية^(١٠٣). وكان يتألق أمامها لهب، سواء فى الوجه القبلى أم فى الوجه البحرى.

وعندما وصلت إلى «سايس» فى مساء اليوم الثالث عشر من الشهر الثالث من فصل الجفاف^(١٠٤)، كان عيد جميل وعظيم فى السماء وعلى الأرض وفى كل بلد من البلدان . عندئذ، بدلت من هيئتها وصارت الإلهة «أوريرت»^(١٠٥) وتناولت قوسها بيدها، وسهمها بقبضتها، وأقامت فى معبد «نيت» فى صحبة ابنها «رع»^(١٠٦)

عندئذ قال «رع» للإلهة التى كانت فى صحبته: «رحبوا بـ «نيت» فى ذلك اليوم. تعالوا لتقيموا الأفراح من أجلها فى ذلك اليوم الجميل، لأنها أوصلتني سالماً معافى. اشعلوا المشاعل أمامها ! اقيموا الأعياد فى حضرتها، حتى مطلع الفجر».^(١٠٧)

[يلى ذلك ، وصف لطقوس العيد الذى كان يتكرر سنوياً فى إسنا فى نفس التاريخ – العيد الكبير لنشأة العالم .]

إن هذه النصوص التى يرجع تاريخها إلى عصر الأمبرطور تراجان والتى تعتبر من أحدث النصوص التى وصلت إلينا من مصر القديمة هى تركيب روحى شامل حول موضع نشأة العالم – على النحو الذى تمت صياغته على امتداد آلاف السنين (أكثر من أربعة آلاف سنة على الأقل) فى مختلف الأماكن المقدسة فى أرجاء البلاد . وتلك دلالة على إيمان راسخ، وتسامح مطلق يربط بين المعتقدات دون أن يرفض أيها منها . ويمكن أن نلاحظ وجود ثوابت هامة فى الفكر أياً كان منشؤه، فى البدء كان ينبسط الخواء السائل اللامحدود واللازمى واللاعضوى والخامل، الذى كان ينطوى على قدرات الحياة، ولكنه لا يستطيع إن يمنحها، ومن جوفه انبثق الخالق ذات يوم، بطرق مختلفة، وهى فى الغالب إرادة الوجود التى كان قد تصورهما، وعلى اختلاف الأماكن يتغير اسم الإله الخالق الذاتى الولادة، كما أن أساليب الخلق كانت أيضاً متنوعة، ولكن يظل عنصر واحد يلجّ بثبات، ففى الأغلب الأعم، تولد فكرة الكون فى بداية الأمر فى وعى الإله بينما لا يزال خاملاً، فنشأة الكون كانت أولاً صياغة ذهنية، إن قوة الروح هى التى تتصور العالم، الذى سيعمل سحر «الكلمة» على حقيقة فيما بعد، وتحقق هذه العملية فى الغالب فوق أكمة منبعثة من المحيط الأزل، وهو «المكان» الأول المنبثق من الأمواه، وهى الضمانة الأولى لعالم الغد، إن الإله المنعزل يخلق الزمان والنور والآلهة والبشر والكائنات الحية والأرض السماء، عن طريق «الكلمة» بالطبع وبشكل أساسى، ولكن أيضاً من خلال تجسيد القدرات الإلهية الكامنة فى ذاته، وقذف النطفة وبصق لعابه أو بواسطة بيضة تنكسر قشرتها لتنبثق منها الحياة والنور أو أيضاً بواسطة زهرة لوتس يصبح تويجها رحم «اليوم الأول»، وتختلط الصور فى فيض أسطورى غايته أن يكون مؤثراً وفاعلاً، إن الخلق بالكلمة يربط بين التجانس الصوتى للألفاظ ليفسّر تفسيراً سحرياً الأسماء التى تطلق على الكائنات والأشياء.

تسمح هذه النصوص أيضاً بإدراك مدى التأثير الجسيم الذى مارسه فعلاً الفلكلر

المصرى على الفكر الإغريقى، فكان هذا الأخير تلميذاً مجّداً، فاستلهم هذه
التصورات، التى ترجع أصولها - كما يمكننا ان نلاحظ عند قراءة النصوص
اللاهوتية القديمة التى نعرض لها فى هذا الكتاب - إلى الماضى السحيق لأقدم
عصور تاريخ وادى النيل.

شروح وهوامش الفصل الأول من الباب الأول

(١) لوحة حجرية تبلغ ١٣٧ سم ارتفاعاً و٩٢ سم عرضاً - وهي محفوظة حالياً بالمتحف البريطاني British Museum. وتضم نصاً من سطرين أفقيين و٧٢ عاموداً رأسياً.

النص المصري : K.Sethe, Das Denkmal Memphitischer

Der Shabako Stein des Britischen Museums.

Leipzig, 1928 (2e ed: 1964), pp. 20-80

(٢) الملوك الأجانب ومنهم الملك «شاباكا» على سبيل المثال، كانوا عندما يتربعون على عرش مصر، يتخذون لأنفسهم الألقاب الفرعونية المكونة من خمسة أسماء والتي تربط الملك بالهة الوادى المشهورة، وإذا كان الاسم الشخصى («شاباكا») يلزمه كالمعتاد لقب «ابن رع»، فإن صيغة اسم التتويج الذى اختاره (والذى يلى لقب: «ملك الوجهين القبلى والبحرى») - هى صيغة مصرية صرفة ويعنى «كاملاً هو - كما رع». وقد سبق لأحد ملوك الأسرة العاشرة ان حمل هذا الاسم.

وذلك الذى - يوجد - جنوبى - جداره - - هى صفة قديمة جداً يوصف بها إله «منف»، وربما يرجع تاريخها إلى زمن تشييد المدينة، عندما كان «پتاح» إلهاً محلياً وله معبد جنوب سور المدينة الجديد.

(٣) شكل آخر من أشكال الإله «پتاح»، ومرتبطة بإله محلى آخر هو «تا - تن» ومعناه حرفياً «الأرض التى ترتفع»، وأصبح هذا الإسم من الناحية العملية صفة لإله «منف»، على اعتباره بمثابة إشارة إلى عمله الخلاق، عند بروز الأرض من المحيط الأزل.

(٤) يروى التقليد ان الآلهة قد حكمت الأرض فى بداية الأمر قبل الملوك على ما يبدو، وتوجد أشارات كثيرة إلى هذه الأسرار الإلهية الأولى فى العديد من الوثائق؛ كما أوردت إحدى البرديات المحفوظة فى متحف مدينة تورين اسم «پتاح» بصفته اسم أول ملوك الوجهين القبلى والبحرى، واعتمد «مانتون» على هذا المصدر.

ومن ثم فإن «شاباكا» يسير على خطى «أقدم الملوك والآلهة». وقد سعى مؤسسو الأسرار الأجنبية إلى أن «يتمصروا» بشتى الوسائل.

(٥) «أتوم» إله الشمس فى هليوبوليس. راجع فى هذا الفصل: «بزوغ الشمس فى فجر البداية الأولى فى هليوبوليس»

(٦) هذا النص الذى لا يلتزم بالترتيب الزمنى لعملية الخلق على وجه التحديد، يبدأ بتأكيد قيام الآلهة بتنظيم شئون المملكة، بزعمامة الإله «چب»، إله الأرض. إن اتحاد «حورس» و«ست»، ابن

وشقيق «أوزيريس» المتخاصمين (راجع الفصل الثالث من الباب الأول) سيقف شاهداً إلهياً على اتحاد القسمين الطبيعيين للملكة. وبداية، يبدو الخلق في الواقع عملية تنظيم لجميع الآلهة، ونزعة تلفيقية كبرى، تتصدرها شخصيتا «جب» و«پتاح» أيضاً على نحو خاص، والآخر سيندمج في «حورس»، رمز الخير، ويتشكل تاسوع هليوبوليس على هيئة محكمة.

(٧) شمال الوجه القبلى فى منطقه الفيوم.

(٨) ان «أوزيريس» الذى ترى فيه بعض المصادر الأخرى أول ملك يحكم الأرض (راجع ص ١٤٥) الكتاب هو رمز اتحاد المملكة وهو الإتحاد الذى يسمى «جب» إلى إعادة تحقيقه من خلال اتحاد «حورس» و«ست» اللذين يتخاصمان على ميراث أبيهما (راجع الفصل الثالث من الباب الأول)

(٩) موقع على مقربة من رأس الدلتا.

(١٠) إذا كان الوجه القبلى - الذى انطلقت منه حركة الوحدة التاريخية - يتصدر دائماً الانقلاب والشعائر بالمقارنه مع الوجه البحرى، فإننا نرى هنا وبصفة استثنائية أن الشمال قد ورد قبل الجنوب، وذلك إعلالاً من شأن الإله «حورس» على الإله «ست» وربما تكريماً للإله «أوزيريس» الذى وافته هنا المنية.

(١١) وفقاً لما جاء فى لاهوت «هليوبوليس» فإن «أوزيريس» والد «حورس» كان فى الواقع هو المولود البكر للإله «جب» (الأرض) والإلهة «نوت» (السماء) إذ تمتزج الأفكار والأساطير لتشكل من جديد مجموعات روحية ضخمة، ومن ثم تصبح الأرض بأكملها، ميراث «جب».

(١٢) «أوب- وارات» ذاك الذى يفتح الطريق، هو إله على هيئة ابن أوى، ورب مدينة «أسيوط» وفى الغالب كان يحدث الخلط بينه وبين «حورس»

وإذ تم تقسيم ميراث («جب» أو «أوزيريس») فى بداية الأمر على «حورس» و«ست»، فقد آل هذا الميراث فى النهاية إلى «حورس». كما يختلط أيضاً تقليدان فى هذا السياق: فمن ناحية، كانت رواية التقليد التاريخى، تضع المملكتين الأوليين لعصر فجر التاريخ تحت رعاية «ست» فى الجنوب و«حورس» فى الشمال - ومن ناحية أخرى، كان التقليد الأسطورى يجعل من «حورس» الوريث القانونى لوالده «أوزيريس»، الذى قتله «ست»، ولكنه - أى «أوزيريس» - بعث حياً من جديد.

(١٣) إشارة محتملة أيضاً إلى وقائع تاريخية: فقد كان «نعرمر» الملك الذى وحد البلاد ينحدر أصلاً من الجنوب ومن مدينة هيراكنبوليس» حيث كان يعبد «حورس» (ونظراً لأن لفظ «حور» هنا هو اسم جنس، فإنه يدل على جميع الصقور التى تعبد، وكانت كثيرة). وبات هذا الـ «حور» هو الـ «حور» الملكى حقاً، الذى تسبق صورته الاسم الأول من مجموعة ألقاب ملوك مصر.

(١٤) يشهد كل ذلك على الصفة الملكية للإله «پتاح» فقد آل إليه ميراث البلاد، بصفته «حورس».

(١٥) الصل.

(١٦) كانت «منف» عاصمة إقليم «الجدار الأبيض».

(١٧) الشارتان الشعاريان الجنوب والشمال. وتتصدران الاسم الرابع من أسماء الملوك وهواسم التنويج «نسوت-بيتي» الذي نترجمه بـ «ملك الوجيهن القبلى والبحرى» ولكنه يعنى حرفياً: «ذاك الذى ينتسب الى البوص والنحلة»

(١٨) يلى ذلك قائمه بأقنانيم إله «منف» التى كانت أول ما جاء إلى الوجود.

(١٩) إن الإله «بتاح» يتكون إذن من ثمانية أقنانيم: ويؤكد الأقنوم الأول على صفته الملكية كما سبق أن تحدثت. ثم يمتزج بعد ذلك الإله «بتاح» مع المحيط الأزلئ («نور») ونقيضه الأنثوى (ننوت) اللذين ينجبان «أتوم»، الإله الشمسى الأولى فى هليوبوليس. وبتاح هو أيضاً الذكاء وقدرة التصور ذهنى والإرادة للتاسوع المعبود فى هذه المدينة. ومن خلال علاقته المستمرة بالشمس (العنصر الأساسى فى الكون المخلوق) فهو «نفرتوم» «الإله-اللوتس» الذى ينبثق النجم منه انبثاقاً مقدساً مع فجر اليوم الأول والذى يرضى عطره الذكى الرائحة الأنف الإلهية. ومن المؤسف جداً وجود فجوات فى النص على امتداد ثلاثة أسطر.

(٢٠) إن «بتاح»-الإله الأساسى - يتصور شكل أتوم ذهنياً، ويخرجه إلى الوجود. وأتوم «هو شمس» هليوبوليس، الذى كان يعتبر خالقاً فى هذه المدينة. (راجع ص ٣٠). كل عاصمة إقليم كانت تنظر إلى إلهها بصفته مبدع الكون .

(٢١) الـ «كا» هى الطاقة الحركية للكائن، حيويته الكامنة.

(٢٢) جميع الآلهة المولودة من «بتاح» هى أيضاً صوره المختلفة. وقد صاغت «منف» وكهنتها أيضاً نظرية تليفية كبرى من أجل إلهها.

(٢٣) راجع ص ٣١ .

(٢٤) دليل جديد على الإهتمام «بتجميع» نظريات الخلق اللاهوتية. و«شو» و«تفنوت» هما إلهان «توسان»، خلقهما أتوم أولاً، عند انبثاقه من المحيط الأولى. كما أن «شو»، إله الهواء، و«تفنوت»، العنصر الإلهى للرطوبة، هما وجهان للزمان والأزل.

(٢٥) المقصود به هنا التماثيل التى تم تشكيلها كأغلفة جسدية وأوعية للحياة الكامنة. إنه أحد المبادئ الكبرى للفن المصرى، فجعله سحراً عظيماً باعثاً للحياة، وقد أقيم للأمد اللانهائى فتدوم إمكانات الكائن إلى الأبد.

(٢٦) «بتاح» الملكى.

(٢٧) راجع «نصوص مقدسة ودينوية من مصر القديمة» المجلد الأول: ص ٢٠٠ - ٢١٦، ٣٦١ - ٣٧٠

(٢٨) هنا الابن الملازم لشخصية الإله الخالق والذى سيُحى هذا الأخير- فيجمع أعضاء جسده ويدفع روحه ووعيه إلى الوجود- هذا الابن هو الإله «شو»، مبدأ الحياة الأسمى الذى يشخص «فراغ» الكون غير المخلوق («شو» هو فى اللغة المصرية «الفراغ أو الخلاء») والهواء الذى لا غنى عنه لكل

حياة. إن «إحياء» الأب هذا بفضل الابن هو صورة متأثرة بأسطورة أوزيريس. (راجع الفصل الثالث من الباب الأول: «البعث وحب الحياة: الأب والابن») وفيما بعد، وفي السفر الأول من العهد القديم (وهو سفر التكوين، من الكتاب المقدس - م) فإن النور سيرتبط أيضاً «بنسمة الحياة التي ترفرف فوق الأموات». ولا ريب أن في استطاعة وعى الساميين الوصول إلى صور مماثلة في أوساط مختلفة، ولكن تأثير مصر الروحي على الشعوب القديمة ظل عظيم الشأن.

(٢٩) إن العنصريين الأساسيين الضروريين للعالم في حالة تكوّنه هما الهواء (المبدأ الفيزيقي) والحقيقة والعدالة (وهما مبدآن أخلاقيان لاغنى عنهما لكل حياة) Textes des sarcophages, 80 b1c متون التوابيت.

(٣٠) نفس المرجع B3L 741.

(٣١) نفس المرجع B1C. 78.

(٣٢) كتاب الموتى.

.Livre des Morts, chapitre 159 B. Budge, B.D. III, P,8, 1. 13.14

(٣٣) الصل - الثعبان الشمسي الحامي.

Textes des Sarcophages, 648 G1T (٣٤)

(٣٥) (٦٦٣ N)، T.P. § 1652C (متون الأهرام). وذلك مطابق للفكرة القائلة بأن في إمكان الفم، بواسطة الكلام، أن يخلق الأشكال ويمنحها الوجود. ولكن ينطوي الأمر أيضاً على السعي وراء التجانس الصوتي بين الجذر الإشتقائي «إشش» أي، «يبصق» والكلمة «شو»، وهي مباحث شكلية كان المصريون مفرمين بها وهي ليست تلاعباً لا نفع منه، ولكنه اهتمام يريد إضفاء فاعلية سحرية أكبر على الكلمة.

(٣٦) متون الأهرام (٦٦٣ N) T.P. § 1652 c. نفس النزعة الشكلية بحثاً عن التجانس الصوتي بين الجذر الإشتقائي «تفن»: «ينفث» والإسم «تفتن» (حرفياً: «تلك التي تنفث»)

Textes des sarcophages, 331 G1T (٣٧)

T.P. § 1248 a-d (p465-466) (٣٨)

Textes des sarcophages, 80 B1C. (٣٩)

(٤٠) نفس المرجع B1c 80.

T.P. § 1655 a-c (M 205) (٤١)

(٤٢) راجع الفصل الرابع من الباب الأول.

(٤٣) راجع الفصل الثاني.

(٤٤) مملكة الأموات،

(٤٥) تجانس صوتى جديد بين كلمة «رمت» (البشر) وكلمة «رमित» (الدموع)

Livre des deux Chemins, 1130 B3c.

(٤٦) من اسماء أوزيريس، ويعنى «ذاك الذى يظل كاملاً»

(٤٧) من الصفات المعتادة المنسوبة للإله «رع»، تبعاً لدورته.

Livre des morts, chapitre 136 A=Budge, B.D, P182, 1. 6-8 (٤٨)

British Museum, (n10188)Bremner -Rhind «برمنر رند» (٤٩)

R.O. FAULKNER, The papyrus Bremner-Rhind Bruxelles: النص المصري:

1933, pp.69-72(1.28/20-29/6)

(٥٠) الإله الجعران، الشمس عند الفجر.

(٥١) الإله الخالق، ولم يكن بعد فاعلاً حيث كان هو ذاته فى وضعه السابق.

(٥٢) عن هذه الأساطير حول عين «رع» راجع ص ٦٠

(٥٣) راجع الهامش رقم ٤٥

(٥٤) الهيئة الشمسية.

(٥٥) راجع الفصل الثانى من الباب الأول.

(٥٦) هرموبوليس هو الاسم الذى أطلقه الإغريق على المدينة بعد ان اندمج الإله الإغريقى «هرمس» مع

الإله المصرى «تحت».

(٥٧) راجع ص ص ٢٢٥ - ٢٢٦

(٥٨) «نونت» كلمة مؤنثة تكونت من المذكر «نون». وسوف تتكون الأسماء الأخرى على نفس الوتيرة. ان

هذا الخلق المستند إلى قواعد النحو يضمن تألف الزوجين الأسطوريين

(٥٩) معبد إدفو. Sauneron, Naissance du monde, pp58-59.

(٦٠) ينظر إلى الشمس والقمر فى الغالب على إنهما عينا الطفل البدنى - أو عينا الصقر الذى يعانقه

بجناحيه ويندمج معه، عندما يخلق فى السماء، وذلك وفقاً لصورة أسطورية قديمة جداً وثابتة.

(٦١) تتجمع الصور وتندمج فى وعى دينى على درجة كبيرة من الودع. والزهرة هى التى تندمج هنا مع

عين «رع». وسوف تكون بعد بضعة أسطر، ذات عينيْن على شاكلة الشمس التى ترمز إليها.

(٦٢) معبد إدفو. Sauneron, Naissance du monde, pp-59.

(٦٣) تسعى الأشكال إلى تأكيد القدرة الولادة والجوهر المخصب لكل ما هو أولى وبدئى.

- (٦٤) إصرار مماثل، على التجديد الأبدى لهذا الفجر الأول. و«الأسود» هو لون العلم الذي يخصب تربة مصر ويعطيه إمكانات وجوده. والأخضر، هو لون النبات، بنورته التي لا تتبدل.
- (٦٥) ينظر إلى «بتاح» في هذا النص باعتباره خالق الثمانية. إنها نظرة تلفيقية، بتأثير عقيدة «منف».
- (٦٦) شكل آخر ذو نبرة تلفيقية. الجعران هو أحد أشكال الشمس عند الفجر، عندما يهب الحياة من جديد كالיום الأول من أيام الخالق. والكبش هو الحيوان المقدس للإله الشمسي «أمون - رع». إنه صورة أسطورية ودلالاتها المؤكدة تشير إلى الوجود الكامن للإله في الزهرة.
- (٦٧) بردية P. 13603 في متحف برلين.

Sauneron, Naissance du monde, p58.

- (٦٨) Iseth, Amun und die acht Urgotter, Tafel IV.
- (٦٩) Sauneron, Le temple d'Esna, 5vol., le Caire, 1959-1962. (٦٩) publications de l'Institut français d'archéologie orientale du Caire.)

- (٧٠) ربما ارتبط هذا اللقب بـ«خنوم»، نظراً لوجود مستعمرة نشطة من الفخاريين في هذه المنطقة.
- (٧١) إشارة إلى التورمة.
- (٧٢) لقد تم تقسيم المحيط الأزلي إذا صح القول. ففي حين أن النيل المنبثق منه كان يؤمن الحياة في مصر، فقد طردت بقية مياه الخواء إلى أطراف الكون المنظم.
- (٧٣) حول التالف الأبيض للعظام راجع، Sauneron, op.cit., v, p.99, note m.
- (٧٤) حرفياً: «أولئك الذين في داخل الجسد»
- (٧٥) البلدان الجنوبية.
- (٧٦) يمكننا أن نلاحظ في هذا النص تأثير النظريتين اللاهوتيتين المنفية والهليوپوليتانية - إن تنو أساليب الخلق المستخدمة توفر له واقعية أكبر، وتتدخل الأساليب وتضاف بعضها لبعض لتؤثر أكثر فأكثر هذه النشأة.
- (٧٧) مفارقتا جزيرة بيجاء، على مقربة من إلفنتين، ومنها على ما يفترض كان يتفجر نهر النيل، المنبع من «الدون».
- (٧٨) أشجار الفاكهة التي تتجدد فيها الحياة كل سنة فتعطي ثمارها، في دورة لا تتبدل أبداً.
- (٧٩) النص المصري: Sauneron, Esna, III, doc. 250, pp. 130-133.
- (٨٠) لقد اندمج هنا خنوم مع الشمس عبر مسارها النهاري.
- (٨١) النص المصري: Sauneron, Esna, III, pp. 375-376.

(٨٢) هامش نقعلاً عن Sauneron, Esna, v, p.254 d: «وهكذا كان سمك البياض Lates، الذى نعرف الدور الذى كان يلعبه فى شعائر عبادة الإلهة «نيت» واحد الأشكال التى تلمصتها الإلهة، عند بدء العالم، وكانت إسنا تعرف فى الماضى باسم «لاتوبوليس» أى مدينة «لاتيس» (وهو إسمها اليونانى م)، ومازال فى امكاننا فى الوقت الراهن ان نتجول فى الجبانة الشاسعة للسمك المحنط القائمة فى صحراء إسنا.»

(٨٣) اندماج كامل للمكانين اللذين تقام فيهما شعائر الإلهة سايس فى شمال إسنا («أرض المياه») فى الجنوب وتضفى النزعة التليفقية «الجغرافية» ثباتاً أكبر على الوحدة الدينية.

(٨٤) «پر - نثر» «بيت الإله» هو معبد للمنطقة الريفية جنوب إسنا ومدينة «په» أو «بوتو» هى مكان مقدس فى الوجه البحرى، ان أول ما خلقته «نيت» بعد الخلق البدئى للنور هو توحيد معبدى الشمال والجنوب فى كيان واحد، بعد أن اندمجا، وكما لاحظنا من قبل فإن أساليب الخلق ترتبط ارتباطاً وثيقاً ببعض التجانس الصوتى للألفاظ: طارت أى «عيا» و «پا» أى ظهرت. (راجع الهامش ٣٥)

(٨٥) تجانس صوتى بين «دپ» أى نكهة و«دپ» وهو اسم مكان مقدس فى الوجه البحرى.

(٨٦) مقارنة لفظية جديدة بين كلمة «باك» (عذوبة النور) وكلمة «باكت» وهى من الأسماء التى تشير إلى مصر.

(٨٧) تبدأ عملية الخلق فى الوعى الكامن الذى لم يتخذ بعد شكلاً محدداً والذى تحمله الإلهة فى ذاتها، وسيجرى التنفيذ على مراحل ثلاث: استعراض واختيار أفضل الفاعليات التى سترمز إليها المقاصد الأربعة والانتقال من الحدس إلى الفكرة، بفضل صياغة ذهنية، ثم التعبير اللفظى الذى سيحلب الواقع المادى لما استشعره الفكر أولاً، ثم تصوره بشكل واضح (الكلمة المستخدمة وهى «سب أك» تعنى حرفياً «يجعله مضيئاً» أو «ساطعاً كالشمس»).

(٨٨) شكل من أشكال «نيت».

(٨٩) راجع ص ٥٧

(٩٠) منذ زمن موغل فى القدم صاغ علماء لاهوت هليوبولسى تركيباً جمع بين أسماء مختلفة لإله الشمس واللحظات الأساسية من دورته: الفجر والسمت والغسق. ونجد هذا التركيب فى متون الأهرام قبل ثلاثة آلاف سنة.

(٩١) تلاعب جديد بالتجانس الصوتى بين «خم-ن» أى نهج و«خمنو» أى مدينة الثمانية، أى الأشمونين أو هرموبوليس، إنها بلا شك إستعارة مأخوذة من لاهوت هرموبوليس.

(٩٢) انه نص تلفيقى بالتاكيد ويجمع بين تقاليد لاهوتية متنوعة.

(٩٣) راجع ص ٣٢

(٩٤) تقليد منفى.

(٩٥) حول الرقم ١٢٠ راجع الهامش ١٠ من الفصل الأول من الباب الثانى

(٩٦) وهنا أيضاً تحدث لحظة الميلاد عندما يتفجر ما وضع فى الـ «نور»، عند مستوى السطح، كما لو أن المياه الأزلية، وهى المكان الذى تتجمع فيه القوى الكامنة للأجيال القادمة، لم يكن فى مقدورها أن تحتفظ فى داخلها بالحياة عند ولادتها»

(Sauneron, Esna, v, p255, a)

(٩٧) تجانس صوتى محتمل بين كلمتى «حجر» أى الحزن و«جحوتى» أى «تحوت».

(٩٨) تجانس صوتى بين الفعل «هاب» أى يرسل واللفظ «هب» الدال على «الطائر - إبيس» (أبو منجل) - وهو الشكل المعتاد للإله «تحوت».

(٩٩) «تلاعب» أكثر دقة فى هذا الصدد يعتبر اذن الإله «تحوت» رسول «رع» وحامل كلمته، ولكن اللفظة المستخدمة وهى «مدونثر» (حرفياً «الكلمة الإلهية») تدل أيضاً على العلامات الهيروغليفية، التى يعتبر «تحوت» خالقها وإستادها.

(١٠٠) إنه المظهر المعتاد للبقرات «محيت ورت» وواحد من الأشكال التى تتخذها الإلهة «نيت». هنا، يورد النص تفسيراً متأخر عن موقف البقرات السماوية - والشمس بين قرنيها - وهو تصوير موفى فى القدم.

(١٠١) حرفياً: «محت - ورت»، أى «السباحة العظيمة».

إن ملاحظات «سونرون» Sauneron ، فى شرحه لجمل هذا المقطع سليمة تماماً وتعبر بكل دقة عن روح النص (Esna, V, PP.268 - 269): «لو استعرضنا نص عملية الخلق فى ترابطها، للاضطلاع فى واقع الأمر، أن «نيت» قد تحدثت سبع مرات ... ومن جانب آخر، وبشكل متباين، فإن هذه الأحاديث السبعة، كانت أصل بعض عناصر الخلق : الأرض التى انحسرت عنها المياه - ومدن إسنا و«پر - نثر» و«به» و«دپ» و«سايس» - والشمس «رع»، وكان لعمليات خلق أخرى (الآلهة والبشر والآلهة الثلاثين و«أبوفيس» و«تحوت») أصول مختلفة ... وإستناداً إلى هذا التفسير الخاص بمدينة «لاتوبوليس»، ليست الآلهة - الأحاديث» سوى العنصر الفعال لكلام الآلهة، وقد تفردت فى أعقاب نشاطها فتجمدت على هيئة مبادئ إلهية موتى، إننا نعرف أن هذه الآلهة - الأحاديث السبعة، كانت مدفونة فى جبانة الإلهية فى «پر - نثر».

ومن الغريب حقاً، جنباً إلى جنب مع هذا المسرد ان نتناول بالفحص نص مدينة ليدن المستغلل المعروف باسم «كوسموبوليا» (Festigièr, la révélation Kosmopolia d'hermes Trismégiste PP. 302 - 303) حيث تولد عناصر العالم من سبع قهقهات متعاقبة صادرة عن الخالق : «وضحك الإله سبع مرات، وبينما كان الإله يضحك، ولدت الآلهة

السبعة التي تحيط بالعالم.. وتلك هي الالهة التي تظهر في المقام الأول... يلي ذلك نص طويل
يخبرنا من ولد مع كل قهقهة من القهقهات :

(١) «فوس» اى النور

(٢) الماء

(٣) ومن جراء غضب الإله ظهر «نوس» - الذهن - وهو يمسك، قلباً في يده، وهو الذى أطلق

عليه «هرمس» Hermes

(٤) «وچنّا»، ممسكا في يده «البذور».

(٥) «مويرا» - القدر

(٦) «كايروس» - الملكية

(٧) «بسيشييه».

ويختلف النسان بالطبع في تفاصيلهما، ولكن بينهما التناظر من حيث البنية»

(١٠٢) كان المصريون يولون وجههم شطر الجنوب، في اتجاه منابع النيل، كجهة أصلية، وحسب صورة

قديمة جداً، كانت مصر سفينة يتجه قيادتها صوب الجنوب، في عهد الملكة «حتشبسوت» على

سبيل المثال، راجع: Urk., IV, 66

(١٠٣) راجع الفصل الثانى.

(١٠٤) قرب نهاية شهر يونيو، وهو العيد المعروف أيضاً بعيد الثالث عشر من شهر أبيب.

(١٠٥) اسم البقرة، أم «رع».

(١٠٦) بعد أن خلقت «نيت» العالم في إسنا، عادت إلى مكانها المقدس الذى انحدرت منه ورجعت إلى

هيئتها الأولى.

Sauneron, Esna, III, doc. 206, PP 28-34.

(١٠٧)

الفصل الثانى

تقرّد البشر والكون الجديد

أثار جحود البشر قضية أول عمل قام به الخالق، واضعاً نهاية للعصر الذهبى الذى عاشه معاً البشر والآلهة.
وتقدم النصوص الجنائزية ومدونات المعابد وصفاً لهذه الحلقة الثانية من تاريخ العالم.

١- الإله «رع» :

رحمته وضعف همته.^(١)

(أو سفر بقرة السماء)

.... الإله الذى أتى بنفسه إلى الوجود، بعد أن ظل ملكاً على البشر وعلى الآلهة الذين كانوا يؤلفون آنذاك «شيئاً» واحداً، إذا بالبشر يدبرون المؤامرات ضد «رع»، بيد أن جلالة «رع»^(٢) - فليحى ويزدهر ويكن فى صحة طيبة - كان قد تقدمت به السن. كانت عظامه من فضة وأعضاؤه من ذهب، وشعره من اللآزورد الخالص. وأحيط جلالته علماً بالمؤامرات التى كانت تحاك من حوله، بمعرفة البشر. ولذا، فقد أخبر من كانوا فى حاشيته : « استدعوا من أجلى عيني «شو» و «تقنوت» و «چب» و

«نوت»^(٣) ومعهم فى نفس الوقت الآباء والأمهات الذين كانوا يقيمون معى، بينما كنت لا أزال فى الـ «نوو»، معهم فى نفس الوقت أيضاً، إلهى «نوو»، وليصطحب معه بطانته. سوف تقوم «أنت» بإحضارهم سرّاً، بحيث لا يرا (هم) البشر، فتلوذ قلوبهم بالفرار. وسوف تذهب معهم إلى القصر ليتقدموا (إلى) بنصائحهم. ومنذ أن رفعت (أنا)، بينما كنت (لا أزال) سائراً فى الـ «نوو»، حتى المكان الذى أتيت فيه إلى الوجود، عاونتنى هذه الآلهة.^(٤)

ولمّا (وصل) هؤلاء إلى جواره، خرّوا عندئذ ساجدين فى حضرة جلالته، وألقى خطاباً أمام الآباء الأقدمين، هو الذى كان قد خلق البشر، (هو) ملك الشعب، وأجابت الآلهة على جلالته قائلة: «حدثنا، إلى أن نفهم الأمر». وقال «رع» لـ «نوو»: «يا إله الزمان الأول، الذى جنّت فيه إلى الوجود، أيتها الآلهة الأولية، إن البشر الذين خرجوا من عيني، ها هم يتآمرون علىّ. أخبرونى ماعساكم تفعلون لمواجهة الأمر. انظروا، فإننى ابحت. ولكنى لا أريد قتلهم مالم استمع إلى ما فى وسعكم أن تخبرونى به حول هذا الموضوع». عندئذ قال جلالة «نوو»: «يابنى «رع»، الإله، الأعظم من خالقه، الأقيم ممن شكلوه، إن عرشك لشديد الرسوخ، والرعب الذى تثيره لشديد الوطأة. أرسل أذن عينك^(٥) لتتصدى لأولئك الذين يتآمرون عليك». قال جلالة «رع»: «انظروا إليهم، وقد شرعوا (الآن) يفرون إلى الصحراء»^(٦) بعد أن ملك الرعب قلوبهم من جراء ما ساقوله لهم! «فأجابوا على جلالته: «مُر أن تذهب عينك إليها (الصحراء) وتقضى عليهم من أجلك، فإنهم يخططون لأعمال خسيصة. ولا توجد عين تفوق (عينك) هذه، لضربهم نيابة عنك. فلتهبط على هيئة «حتحور»، «واتجهت إذن الإلهة إلى الصحراء وأبادت البشر.

وعلى ذلك، قال جلالة هذا الإله: «مرحباً بك، فى سلام، (يا) «حتحور» التى أنفذت العمل الذى جنّت (هنا) من أجله». وأجابت هذه الإلهة: حقاً وكما أنك تحيا من أجلى، فقد تسلطت أنا على البشر. وكان الأمر لطيفاً على قلبى». وقال جلالة «رع»: وهكذا سأسعيد سلطانى عليهم بصفت (سى) ملكاً، بعد أن تناقص العدد». وهنا ظهرت «القديرة»^(٧) صانعة الجعة^(٨) أثناء الليل، التى عبرت فوق دماء (البشر) بدءاً من «هرقليو پوليس». وقال «رع» (أيضاً): «استدعوا من أجلى رسلاً مسرعين وعلى عجلة من أمرهم، فيسرعون كالظل وراء الجسد». واحضروا له على الفور هؤلاء

الرسول وقال جلالة هذا الإله: «فليركضوا حتى إلفنتين ويحضروا لى كميات كبيرة من الـ«ديدى»^(٩)». فاحضروا له هذا الـ«ديدى». عندئذ أمر جلالة هذا الإله العظيم أن يتولى «المحاصر - الذى - فى - هليوبوليس»^(٩) خلط هذا الـ«ديدى». وعلى ذلك، كانت الخادومات تسحن الشعير كما لو كانت تعدّ الجعة. عندئذ اضيف الـ«ديدى» لهذا الخليط فاتخذ شكل دماء البشر. وأعدوا سبعة آلاف جرة من (هذه) الجعة، وذهب جلالة ملك الوجهين القبلى والبحرى «رع» فى صحبة الآلهة لمشاهدة هذه الجعة. عندئذ طلع الفجر (المرتقب) لمذبحة البشر (المنتظرة) بمعرفة الإلهة، أثناء أيام السفر بحراً فى اتجاه الجنوب. وقال جلالة «رع»: «ما أحسن ذلك السوف أتمكن من حماية البشر منها». وقال (أيضاً): «فلتُنقل الجعة إلى المكان المرتفع حيث من المتوقع أن يُذبح فيه البشر». كان جلالة ملك الوجهين القبلى والبحرى، «رع» قد نهض مبكراً، فى عز الليل، حتى يسكب هذا السائل الذى يجلب النوم، وهكذا غطيت الحقول بهذا السائل (إلى ارتفاع) ثلاث راحات^(١٠) بفضل القدرة الجبارة لجلالة هذا الإله.

ولما وصلت الإلهة عند الفجر، وجدت كل شئ مغموراً (وإذ ترائى لها) وجهها فى الماء، رأت (هـ) جميلاً. عندئذ، شربت واستحسن قلبها الأمر. ثم رحلت، وهى ثملة، دون أن تتعرف على البشر. عندئذ قال جلالة هذا الإله «رع» لهذه الإلهة: «مرحباً بك، فى سلام (أيتها) الرشيقّة!» وظهرت الجميلات فى (مدينة) «إيماو»^(١١). وقال جلالة «رع» بشأن هذه الإلهة: «فليُعدّ (من الآن) سائل من أجلها يجلب النوم فى فترة عيد «السنة» ولتتكف خادماى (بأن تصنع) ذلك». وحدث أن صناعة هذا السائل الذى يجلب النوم كان (أيضاً) من اختصاص الخادومات فى عيد «حتحور»، ومن أجل جميع البشر منذ اليوم الأول.

هكذا انقذ «رع» قسماً من مخلوقاته الجاحدة، ولم تنفرد مصر دون غيرها بموضوع هلاك البشرية. إنه موضوع شرقى قديم، نجده فى ملحمة «جلجاماش» وفى العهد القديم (من الكتاب المقدس). إن «إيل» الإله العظيم لـ«سومر»، كان قد أهلك هو أيضاً خليقته، عن طريق المياه التى غمر بها الأرض، ولم يُبق إلا على زوجين، لجأ إلى جزيرة تم الحفاظ عليها. وهنا كان الحكيم «أوبلا - نافيستم» يمتلك نبات الحياة الذى فشل «جلجاماش» فيما بعد أن يحافظ عليه. و«يهوه»، إله اليهود، قد أغرق هو

أيضاً مخلوقاته فى طوفان شامل، كانت ملامحه شديدة الشبه بلامح الرواية السومرية القديمة: الأيام السبعة، تخليق الغراب، وما شابه ذلك. وفى هذه الحالة أيضاً استطاع زوجان بمفردهما - هما «نوح» وزوجته - وعينات من عالم الحيوان - ان يطفوا وحدهم داخل فلكهم، فوق أكمة، بعيداً عن المياه المدمرة.

والأسطورة المصرية أكثر إنسانية. إن قسماً كاملاً من الخليقة قد تم أنقاذه بفضل رحمة الإله العظيم، الذى رثى لمصير البشر فتحايل لأنقاذهم من الهلاك الشامل. وفى هذه الحالة، كان الطوفان وسيلة للوقاية وليس للموت - كما أن المياه هى من مقومات الحياة فى مصر، فى حين أن الأمطار الشديدة الغزارة قد تسبب الخراب والدمار فى حضارات أخرى، ويسترسل النص أيضاً، وينتهى إلى رؤية جديدة للعالم، هى رؤية أكثر شمولاً.

عندئذ قال جلالة «رع» لهذه الإلهة (حتحور): «أوجد إذن داء (أو) مرض فى وسعه أن يصيب اللهب (الشمس)؟ لأنه كما ترون، فقد حلّ (بالنسبة لى) زمن الإعياء.» وقال أيضاً: «حقاً، وكما أننى أحياء، فإن قلبى متعب، متعب جداً من البقاء بين البشر. لقد عقدت العزم على أن أقتلهم، ولكنى لم أفعل، إن أعدادهم القليلة لم تعد تثير إهتمامى» فأجابت الآلهة التى كانت فى معيته: «لا تكن مجهداً، لا تكن ضعيف الهمة، فما زلت قادراً، على ما ترغب.» عندئذ قال جلالة هذا الإله إلى جلالة «نوو»: «لقد وهنت أطرافى لأول مرة، فلا أسير بخطوات واسعة عندما (يحاول) شخص آخر أن يلحق بى.»^(١٢) عندئذ قال جلالة «نوو»: «أيا بنى «شو» فلتكن عينيك^(١٣) بالنسبة لأبيك هى الحامية له. أيا ابنتى «نوت»، اقيمينى فوق ظهرك.» فأجابت «نوت» قائلة: «ولكن ما السبيل إلى ذلك، يا أبى «نوو»؟...» وتحولت عندئذ إلى [بقرة]. وأقيم جلالة «رع» فوق ظهرها... وأصبح فى وسع البشر أن يروه فوق ظهر البقرة فقالوا له: «سوف نجهز على أعدائك وأولئك الذين يتآمرون على ارتكاب هذا (التمرد). ومع ذلك تحرك جلالته نحو القصر [فوق ظهر] هذه البقرة... وهكذا كانت الأرض فى الظلمات. وعندما لاح الضوء، عند الفجر، خرج رجال يحملون الأقواس والعصى، وقال جلالة هذا الإله: «الشّر فى أعقابكم، (أيها) القتلَةُ احجموا عن القتل...» ثم قال لـ «نوت»: «اقيمينى (أيضاً) على ظهرك حتى ترفعينى» - «ولكن ما هذا إذن؟» قال ذلك، فى حين كانت «نوت» قد تحولت إلى إلهة السماء. عندئذ (تحدث) جلالة هذا

الإله مناشداً فى إلحاح: «ابعدينى عنهم، ارفعينى، حتى يشاهدونى (رغم ذلك)، ولو كنت بعيداً فى عالم الآلهة».

وإذ نظر جلالة هذا الإله «فيها» («نوت» = السماء)، قالت: «واه! لو كان فى وسعك ان «تجهّزنى» بأشياء عديدة...»^(١٤) الريف هنا هادئ، عندئذ ظهرت «حقول القرايين». ^(١٥) سوف ازرع فيها الخضروات، فظهرت «حقول البوص». ^(١٦) سوف أوفر لها كل شئ، (ولا سيما) النجوم المتألقة، التى تولد ثم تولد، على الدوام. ^(١٧)

فى هذه اللحظة، أخذت «نوت» ترتعش بشدة بسبب الإرتفاع (الشاهق). ^(١٨) عندئذ قال جلالة «رع»: «واه! ليت عندى «الملايين» فاسندها!» عندئذ جاءت إلى الوجود الأعمدة «ححو» الشهيرة. ^(١٩) وقال جلالة «رع» أيضاً: «يا بنى «شو» خذ مكانك تحت ابنتى «نوت»، ^(٢٠) واحم من أجلى الأربعة «ححو» (فى الشرق) والأربعة «ححو» (فى الغرب) لتحيا (أيضاً) خلال الليل. ^(٢١) ضعها («نوت») فوق رأسك، ارفعها. فقد يتفق ان تُعطى مرضعة ^(٢٢) لابن أو لابنة، ويتفق (أيضاً) أن يوضع ابن بواسطة أبيه فوق رأسه. ^(٢٣)

يلى ذلك وصف ملون للتنسيق الجديد للكون وهذا الوصف هو فى واقع الأمر متن توضيحي للنقش الملون المحفور وسط النص - فالأشكال والكلمات تجمع جنباً إلى جنب فاعليتها السحرية.

يقال هذا النص على صورة بقرة، و«الجن» - «ححو» وراثها، وقوائمها الأربع ملونة وعلى بطنها تسعة نجوم. ^(٢٤) والذيل يتدلى فى الخلف على قائمتيها. ^(٢٥) و«شو» تحت بطنها وهو ملون باللون الأصفر، وساعدها ترفعان النجوم، وفى وسطها وضع اسمه، اى «شو» ذاته، وأمام «شو»، بجوار يده، يوجد القارب المقدس، ^(٢٦) (الذى) يضم دفعة وقمرة، وصُور القرص فوقه، و«رع» موجود فيه. ^(٢٧) والشئ نفسه من خلفه، بجوار يده. ^(٢٨) وضروعها وسط قائمتيها، ناحية الشرق. ^(٢٩) وجانبها ^(٣٠) ملون، وسط القائمة. والذى يقال فى الخارج (مدون) بالخط المعكوس ^(٣١): «أنا هو أنا، ولن اسمح أن ينشطوا». وما (يقال) أسفل القارب، وما (يقال) فى المقدمة (مدون) بالخط

المعكوس: «لا تكن متعباً، أيا بنى». وما يقال: «ان وضعك شببيه (بوضع) الـ الأبدية». وما يقال هنا: «ابنك موجود بداخلى»^(٣٢) الحياة والصحة والإزدهار، فلت هذا الأنف المقدس الذى هو أنفك». إن ما (يقال) خلف «شو» بجوار يده، ما «أحميهم». إن ما (يقال) خلفه، بجواره، بالخط المعكوس، ما يقال: «يا ماعت إننى موجود كل يوم بالتأكيد». ان ما (يقال) تحت ساعد هذا الشكل الذى تحت (البقرة) الشرقية، أما ما يقال خلفها، إن ما يقال: «كل الأشياء. قد وضعت» الأختام»^(٣٣) ما هو موجود فوق رأسه، أسفل الجزء الخلفى من هذه البقرة، موجود بين قائمتيها، ما يقال: «ليته يتم خروجه!» (خروج قرص شمس الفجر، جسد البقرة، على ما يظن)، ما هو موجود خلف الشكلين (ال«ححو» الشرقية)، ما بين فخذي البقرة (وما يوجد) فوق رأس هذه الأشكال: «الشيخوخة... فلتج المديح...» ما هو موجود فوق رأس الشكلين (ال«ححو» الغربية)، وما هو موجود بين قائمتي البقرة الأماميتين: «ذاك الذى ينبج، ذاك الذى يسمع، قدرة، الآلهة».

إن التفرد هو طابع هذه الفقرة من النص، وهى فقرة تقطع تسلسل النص به مؤقتة، لتقدم وصفاً للنقش الذى يصور المشهد الجديد للكون، إنه ينقل ويحدد دقة موضع المتون التوضيحية فى الصورة المنحوتة. وتسترجع هذه المتون بإي الأفعال التى مرت، إن دلالتها غامضة فى بعض الأحوال، الأمر الذى يدعم تداء كاملاً الفاعلية المشتركة فى نظر المصريين، التى تنبعث من الصورة ومن الكلمة. وبعد ذلك، يتواصل النص ويصف ادخال عناصر أخرى إلى العالم الجديد - و فى هذا النص ان الآلهة قد ابتعدت عن البشر.

وقال جلالة هذا الإله «رع» إلى «تحوت»: «استدع من أجلى جلالة «چب»، -ول- «هيا سارع على الفور.» فجاء جلالة «چب». وقال جلالة هذا الإله: «نايينك، تلك التى فىك»^(٣٤) إنها تخشأنى منذ أن وجدت، ولكنك تعرف أيضاً أنها ون مفيدة. اسرع إذن حيث يوجد والذى «نوو» لابلأغه: «احترس من تلك التى

اليابسة وفي الماء.» وفي نفس الوقت أكتب نصاً (تعويذة سحرية) ضد كل أكمة تابعة لثعابينك فتقول: «حذار أن تلمس»^(٣٥) شيئا». ومن ثم ستعلم أنني هنا وأننى أشرق واسطع من أجلها أيضاً.^(٣٦) وسيدوم خلقها هذا، (على وجه) الأرض للزمن اللانهائى. حذار أيضاً من هذا الإفتنان السحري المشهور الذى تعرفه أفواهها. انظر، فإن الإله «السحر» ذاته موجود فيها، أما من يعرفه، فهو أنت. (أما) أنا، فلن أتعب من الإرتفاع الذى ظهر أمامى فجأة.^(٣٧) ولذا فإننى أضمها إلى ابنك «أوزيريس» الذى سيحمى صغارها ويحمل قلوب الأقدمين على النسيان، وتُجدى نفعاً بسبب ما تفعله حسبما ترغب، من أجل الأرض بأسرها، وبفضل الإفتنان السحري الذى فى أجسادها.^(٣٨)

ثم قال جلالة هذا الإله «رع»: «فليُستدع «تحت» من أجلى.» فجئ به اليه فى الحال وقال له «رع»: «انظر، إنى هنا فى مكانى فى السماء. ومن هذا المكان، سأجلب النور الذى يطرد الظلمات»^(٣٩) والذى يغمر بأشعته، العالم الآخر السفلى كما فى جزيرة «بابات».^(٤٠) وأنت سوف تقوم بالكتابة هنا، وتعيد النظام بين السكان الذين خلقناهم، ودبروا تمرداً. فأنت الذى ستطرد أولئك الذين سلكوا سلوكاً سيئاً. سوف تحل مكانى، وتكون كاهنى المساعد، فيقول عنك الناس: «تحت» هو كاهن «رع» المساعد.^(٤١) وسوف أعمل لترسل من هم أكثر بسالة منك». وهكذا جاء إلى الوجود «أبو منجل» الشهير هذا، (وهو طائر) «تحت».^(٤٢) وسوف أعمل أيضاً لأمك من أن تبسط ساعدك فى حضرة «الأزليين»، الأكبر منك، لأن الخطاب الذى ألقيته (خطاب) جيد. وهكذا أتى إلى الوجود أبو منجل المقدس الشهير هذا، (وهو طائر) «تحت».^(٤٣) وسوف أعمل أيضاً لتحيط السماءين^(٤٤) بجمالك وبياضك». وأتى إلى الوجود القمر الشهير هذا، (وهو قمر) «تحت»^(٤٥) وسوف أعمل على ألا تتوقف عن التجوال فى الـ «حاو-نبو».^(٤٦) وهكذا أتى إلى الوجود هذا القرد ذو رأس الكلب الشهير (وهو قرد) «تحت».^(٤٧) وهكذا حدث ما حدث.

٢- أبناء الضعف

ونجد أيضاً في «كتاب الموتى»^(٤٨) صدًى لأسطورة الثورة الأولى للمخلوقات في الفصل السابع عشر من هذا السفر الطقسي الجنائزي، وما يعنينا في هذا المقام، هو نص مصحوب بشرح متوالية^(٤٩)

«كنتُ الكل، بينما كنتُ موجوداً (من قبل) بمفردى فى الـ «نوو»، وأنا (الآن) «رع» ذو التجليات المتألقة، بينما يبدأ فى حكم ما خلقه»، - ترى من يكون؟ - إنه «رع» عندما يبدأ فى حكم ما خلقه، عندما يتجلى متألّفاً للمرة الأولى، بصفته ملك على خليقته، فى حين أن أعمال الرفع التى يقوم بها «شو»^(٥٠) لم تكن قد وجدت بعد، إنه فوق الأكمة التى فى «هرموبوليس»^(٥١) وعندئذ، سلّم إليه أبناء الضعف الذين كانوا فى «هرموبوليس»^(٥٢)

يرجع هذا النص إلى أصول «هرمبوليتانية» واضحة، ولكن تصادفنا فى نفس هذا الفصل إشارات مماثلة لثورة البشر من خلال نص من الراجع أن صياغته ترجع إلى علماء اللاهوت فى «هليوبوليس»، الأمر الذى يبرهن بجلاء على أنه، كان هناك، خارج المعتقدات المحلية وكبرى الأساطير الدينية فكر واسع الإنتشار مولى بالصور، وكان متماثلاً فى أرجاء وادى النيل، إذ كان كل مجمع من مجامع الكهنة يؤولها - أى هذه الصور - بما يتفق وتقاليدِهِ الخاصة. وكانت تجمع هذه التقاليد فيما بعد على هيئة أسفار كبرى للطقوس الجنائزية، فتقدم تعاويذها العون للإنسان لتستمر حياته فى العالم الآخر، إذ كانت أعدادها وأصولها المتنوعة هى الضمان لأعظم قدر من الفاعلية السحرية.

«إننى هذا القط الكبير، الذى بجواره تفتحت الشجرة «إشد»،^(٥٣) فى

«هليوبوليس»، خلال هذه الليلة التي أبيد فيها أعداء «سيد الكون». من هو؟ إن هذا القط الكبير، هو «رع» ذاته، لما كان طفلاً. لقد أسموه قطاً، عندما قال عنه الإله «سيا»^(٥٤): «أيوجد أحد كمثلته في نشاطه الخلاق؟» ومن هنا جاء اسمه القط.^(٥٥) كلمة أخرى: «(لقد حدث ذلك) عندما أعدّ «شو» وصية لصالح «جب» و«أوزيريس». أما عن أنقسام الشجرة «إشد»، بجواره في «هليوبوليس»، (فقد حدث ذلك) عندما كفر أبناء الضعف عما ارتكبوه. أما بالنسبة لليلة القتال الشهيرة هذه، فقد حدث ذلك عندما (سعدوا إلى) الدخول في شرق السماء واحتدم القتال عندئذ في السماء وفي أرجاء الأرض.^(٥٦)

ووسط ضخامة هذا الخيال الجامع الذي صاغ أشكال الآلهة، تظل فكرة واحدة ثابتة: فكرتضعف أوضاع الإنسان وصولاً إلى جحود البشر حيال خالقهم. لقد جرى الإعداد للقتال أثناء الليل، وهي الفترة التي تسيطر أثناءها قوى الشر. وسوف يستسلم ضعف البشر الفاسدين في وجه القوى الشريرة، ويحدث الهجوم عند الشرق، عندما ينبعث «الشمس» (مذكر في اللغة المصرية القديمة م.) إما من شجرة «نوت» أو من الأفق ذاته، في الفترة التي تحل فيها قوى النور الخيرة محل شياطين الظلمات، وسيكون للخير اليد العليا، لا محالة.

إن سفرًا طقسياً كبيراً، مخصصاً في المقام الأول، لمحاربة الثعبان «أپوفيس»، عدو «رع» (ومحفوظ على بردية «برمنر - ريند» Bremner - Rhind - وسنعرض له فيما بعد)، إن هذا السفر يبغى بفضل ما يضم من أوراد وتعاويد، أن يؤكد يومياً على انتصار الخالق وأن يبغى البشر الأوائل المتمردين في وضعهم الساقط وعديم الوجود.

٣- معركة الإله ضد الأشرار.

إن نصوص الشعائر الدينية المدونة في المعابد التي أقيمت في الأزمنة المتأخرة تظل محتفظة بأصداً هذه الأسطورة. ولا ريب أن المقصود من عناصر هذه النصوص الشعائرية هو استرجاع التتابع الخيالي لسياق المعارك الأولى، التي كان يعتمد تاريخها على تقليد قديم، بشكل ملموس، (وكانها قصيده ملحمة استعراضية).

١- في معبد كوم أمبو. (٥٧)

عندئذ بلغ «رع» هذه الأكمة (التي) في الشرق. (الأكمة) التي يطلق عليها «أومبوس»، في حين كان «تحت» «حورس الكبير»^(٥٨) ضمن حاشيته للبحث عن هؤلاء الأعداء الأشرار الذين كانوا فيها. واتجه «رع» إلى قصر «أومبوس»^(٥٩)، و«حورس الكبير»، سيد «أومبوس» إلى المعبد، و«حورس بن إيزيس»^(٦٠) إلى «شيدا بود»^(٦١)، إذ كان مقره في هذا المكان. واستقروا فيها. عندئذ قال «رع» «لـتحت»: «فلتأمروا بأن يوفد من أجلى جاسوس ليبحث عن الأعداء الموجودين في هذه الأكمة» وانصرف هذا الجاسوس، واكتشف (وجود) مائتين وسبعة وخمسين عدواً عند شاطئ «البحيرة» الكبرى^(٦٢)، وعلى رأسهم ثمانية قواد معادون ويلتف حولهم جيش كامل. كانوا عند شاطئ «البحيرة» الكبرى، (حيث) كانوا يتقنون على أبيهم، بينما هذا الجاسوس واقف عند شاطئ النهر. عندئذ عاد هذا الأخير إلى جوار «رع» ومعه (تقرير عن) موقف الأعداء. وقال «رع» «لـتحت»: «مَنْ من الآلهة، هو الإله الذي سيزحف على هؤلاء الأعداء ويثخنهم تقتيلاً دون أن يترك واحداً منهم على قيد الحياة؟» فأجاب «تحت»: «إن «حورس الكبير» هو الذي يقيم هنا (وهو أيضاً) الإله «شو» بن «رع»^(٦٣). إنه سيد التقتيل على الأرض بأسرها. فليزحف إذن عليهم وليجهز عليهم...» وتم استدعاؤه إلى حضرة «رع» ومنحه «رع» قوته. وأمدّه بأسلحة القتال وبمختلف تجهيزات الحرب. وأصبح وجهه، «حورس الكبير» قرمزي

(اللون)^(٦٤)، وثارت ثائرة جلالته، وارتعدت جميع أعضائه، لانه استطار غضباً، إذ كانت سكاكينه ^(٦٥) تهاجم هؤلاء الأعداء الأشرار، إنه الكائن الجسور القلب لحر المتمردين^(٦٦)

ب- فى معبد إسنا.

(فى) اليوم التاسع (من) الشهر الثانى من فصل الجفاف ^(٦٧)، حضر «رع» إلى المكان الذى يقيم فيه والده «تاتن»، يصحبه ابنه «شو» بعد أن وقعت الأرض فى اضطراب شديد وانتشرت الحرب عبر السهول والتلال ، تم إدخال جلالته من الناحية الواقعة فى أعلى النهر وإلى الغرب من «پر-نثر»، لحجبه عن نظرات أعدائه، واختفى إذن فى مكان سرى. وتوارى فى قلب الجبل (الذى أصبح) القصر الكبير جداً للإله الخفى، الذى لا يجوز معرفة ما بداخله.

عندئذ حضر ابنه «شو» لمشاهدته، وشعر قلبه بمتعة عظيمة بعد ان رآه، إذ كان قلبه فى سلام فى قصره. وقال لأبيه: «التسبيح لك! التسبيح لك! يا أبا الآباء، أيها الإله (يا) صاحب الجسد التام (أى الكامل)». ولذا أطلق عليه «آتوم»^(٦٨). كما يقال عنه أيضاً: «أيها الساهر فى اليوم التاسع» لان جلالته كان يقظاً فى هذا المكان. ولكن فى أعقاب ذلك، سمع المتمردين (ذات يوم) «رع»، وهو يتحدث (ناحية) أعلى النهر وإلى الغرب من «پر-نثر». عندئذ ساروا صوب هذه الأكمة وأثاروا الإضطرابات بين مرافقى «شو» وموكب «رع» بحيث قام هؤلاء بذبح المتمردين فى هذا المكان.^(٦٩)

ويلجأ نص آخر من نصوص معبد إسنا إلى أسلوب سبق أن لا حظناه:
ويقوم على ربط تقليد محلى بأسطورة عامة. ولن يغيب عن تقليد مدينة «لاتوپوليس» ان يتواءم مع تقليد مدينة «هليوپوليس».

وانطلق «خنوم» ليتصدى لهم، حاملاً أسلحة القتال... وأعمل فيهم تقتيلاً، فسقطوا أسفل فى الماء. عندئذ بدّل من هيئته واتخذ شكل التمساح.... فخرّ عدوه... وعليه

فقد لا حظ «رع» انه كان سيد القدرة. فاتحد معه فى هذه الحقول وابتهج قلبه. وجعله سيد الريف وأطلق عليه من الآن اسم «خنوم»^(٧٠) سيد الريف. وتلفت «تفنوت» فوق رأسه على هيئة صل، وتتألق الآن على جبينه^(٧١) فى هذا الريف الجميل. ومن هنا جاء اسمها «نبتو»^(٧٢)

وقال «رع» لأمه: «قلبى مفعم بالسعادة، لأننى شاهدت ابندى» «شو»^(٧٣) بصفته سيد القدرة وشقيقته «تفنوت» هى الصل الذى يلتف على جبينه. «إن المياه تتحد باليابسة فى هذا الإقليم، ومن ثم أطلق على هذا المكان المقدس «بيت اتحاد اليايسة» أى «پرخنوم الريف»

وانتصر جلالاته مرة ثانية، فى اليوم الأول من شهر كيهك...^(٧٤) وظهر جلالاته متألقاً على هيئة أسد بمقدرته الشجاعة^(٧٥). وفى الحقيقة فقد أتى إلى العالم كأسد شرس النظرات، عنيف وشجاع وجامع... يملأ الجبال زئيراً. عندئذ خرج ليتصدى لهم، واستقر وسطهم، بينما جاءت شقيقته «تفنوت» بهيئتها كقبوة وباسمها «منحيت»^(٧٦) لتنتزع رأس أعدائه، وذبح نصف... إذ اتخذ هيئة كبش عدوانى، جياشاً بشجاعته، بساعده القوى الذى يقضى على المتمردين والذى أثخن «أبوفيس» ذبحاً،^(٧٧) (الكبش) صاحب القدرة العظيمة فى پرنثر، وخرج منتصراً من جميع معاركه...^(٧٨)

وفى إسنا أيضاً خلال عيد خلق العالم، كان القوم يترنمون بهذا النشيد الختامى الذى يستعيد الأمجاد الإلهية، خلال هذه المعركة التى نشبت مع بداية العالم:

تحية لك، أيها التمساح الكبير، الكائن الذى يختبئ فى [الـ «نوو»] لإعادة الشباب إلى جسده، ثم يخرج منه وقد استحال أسداً ليدحر الثوار. لقد أمسك بسهامه، وقبض على عصا الحقل ليصرع أعدائه. وهكذا يبعد المتمردين، سائراً بخطوات واسعة فى الريف، فيطلق صيحاته وزئير الأسد فوق التل، ومُجهزاً على الذين فى عداد العصاة. لقد رفع يديه حاملاً العصا، ليصرع المتمردين على جناح السرعة، ممسكاً بالوتد ليرشقه فى (جسد) «أبوفيس»، ممسكاً بالسكين ليقوم بتقطيع جميع

أعضائه، قاضياً على أعدائه، ذابحاً العصاة بكل (ما أوتى من) قوة، صارعاً
المتمردين أيضاً،^(٧٩) ضارباً عنق الثعبان^(٨٠) قاتلاً الكائن الخسيس الطابع، واضعاً
فوق خشبة الإعدام الإلهية الثعبان المتوهج الفم، مسيئاً إلى المتأمرين، ساحقاً
الأعداء، داهساً أعداءه بقدميه، ومكانه المقدس يعمه الفرح، بينما هو فوق محفته -
(الإله) المنتصر، يومياً!^(٨١)

لقد خاض إذن رجال أشرار منذ بداية العالم معركة - وربما معركتين - ولكن
الإله الخالق ردهم بسهولة إلى صوابهم، إنها معركة الشر ضد الخير.
انه الخلق وقد خلص من القوة الشريرة التي «انتظمت من جديد مع ذلك، خلق
تبقى فيه الآلهة معزولة عن البشر الذين مازال يُخشى من نقائصهم.
إنها أسطورة مشتركة بين مدن مصر العظيمة المقدسة، وذلك على امتداد أُلفيات
عديدة،
إنه «تأويل» ثانٍ للكون، أو نهاية العصر الذهبي.

شروح وهوامش الفصل الثانى من الباب الأول

(١) هذا النص محفور فى العديد من المقابر الملكية فى وادى الملوك، بطيبة، بل هو موجود جزئياً فى مقبرة «توت عنخ آمون» وبشكل أوفى فى مقابر «سيتى» الأول و«رعمسيس» الثانى و«رعمسيس» الثالث- من ١٣١٠ إلى ١١٦٦ ق. م

PiANKOFF, in B.I.F.A.O.

النص المصرى:

(٢) أول ملوك الأرض .

(٣) راجع ص ٣١

(٤) حرفياً: « اصطلحتبتى هذه الآلهة »

(٥) عين «رع» هو عنصر هام من عناصر الشخصية الإلهية وقد يتخذ أشكالاً إلهية مختلفة: «شو» و«تفنوت» و«حتحور». ويصح رسول الإله الشمسى فيكلفه بمختلف المهام .

(٦) المكان التقليدى لقوى الشر والجذب

(٧) البحث عن التجانس الصوتى بين الفعل «سخم» ومعناه «يتحكم فى» واللفظ «سخت» ومعناه «الشديدة البأس» وهذا اللفظ هو أيضاً إسم الإلهة - اللبوة، المحاربة - وهى الشكل العنيف للإلهة «حتحور».

(٨) إشارة إلى بقيه النص حيث سيتم اثنا الليل خلط جعة ذات خواص معينة.

(٩) من الراجع إنها مادة تصبغ بالحمرة، المفرة الحمراء؟

(١٠) يتكون الذراع من سبع راحات، وطول الراحة حوالى ٧,٥ سم - فيصبح ارتفاع السائل الذى غطى الحقول أكثر من ٢٢ سم.

(١١) تجانس صوتى ثلاثى يجمع بين الكلمات «إمايت» («الرقيقة») وإماو « (اسم المدينة التى يفسر أصل اسمها تفسيراً شفهياً، أسوة بالعديد من أسماء الأماكن الأخرى) وإماو» (التالق الشمسى)، إننا هنا أماً خلاصة لها دلالتها لإمكانات الفعل.

(١٢) لعبة تجانس صوتية معقدة بين الكلمات المصرية التى تدل مخارجها الصوتية على فكرة الشيخوخة، الأمر الذى يقلل بالتالى من تماسك الجملة من حيث معناها الحرفى. الربط بين الجفر «ياى» (السير بخطى واسعة) والكلمة «ياو» (الشيخوخة) - وبين العبارة «يحت رى» (يبلغنى) والعبارة الشائعة «يحي ياو» (يلوغ الشيخوخة).

(١٣) تقارب صوتى بين كلمة «إرت» (العين) والفعل «إرت» الذى يعرف القدرة الخلاقة وإمكانية الفعل. حول «استقلال» العين راجع الهامش رقم ٥.

(١٤) سيقوم «رع» بفضل الكلمة الفعالة «بإمداد» السماء بالحقول والنجوم، وهكذا استكمل أول أعماله

وارتقى به. وقد خلقت السماء فى واقع الامر على صورة الأرض بحواضرها واريافها، وبنهرها وأسوارها.

(١٥) كلمه «حتب» معناها «أن يكون هادئاً وراضياً». وتدل أيضاً على «تلك التى ترضى» أى القرايين.
(١٦) تقارب بين المخارج الصوتيه للفعل «يار» ومعناه «يزرع» والاسم «يارو» الذى يدل على نبات «البوص».
(١٧) تقارب ضمنى بين الفعل «يخبيخ» أى («ليتلا») والفعل «أخ أخ» ومعناها اخضوضر مثل النبات. ان قوة الكلمات تخلق مشهداً طبيعياً.

(١٨) بعد أن وثبتت الإلهة وثبتها الكونيه العظمى أصابها الدوار وهى واقفة فى أعالى العالم.
(١٩) الاسم «ححو» الذى نترجمه بكلمه «الملايين» هو جناس لفظى للاسم الدال على عُمَد السماء أو دعاماتها وهى الآلهة الثمانية التى ترفع اثنين اثنين البقرة وتكون قوائمها الأربع. ولها فى مقبرة سيتى الاول تصوير بالنقش الملون.

(٢٠) من الآن، سوف يسند «شو» جسد الإلهة بذراعيه المرفوعتين إلى أعلى، فى حركة تشبه حركة الإله الإغريقى «أطلس».

(٢١) زمن انتشار القوى الشريرة.

(٢٢) تجانس صوتى بين الفعل «منع» ومعناه «رفع» والاسم «منعت» ومعناه «المرضعة».

(٢٣) وضع معاكس لوضع العالم الجديد.

(٢٤) وضع النحات اثنا عشر نجماً. وكان المكان يتسع لهذا العدد. إن أى «فراغ» هو أمر غير مستساغ للعين، فلا يجوز تركه على هذا النحو فى تصوير مصرى.

(٢٥) حرفياً : «هو أمام قائمتيها».

(٢٦) قارب الشمس، حيث يوجد الإله «رع» الذى سيبهر من الآن على صفحة النهر السماوى (الصورة العليا لنهر النيل).

(٢٧) أو : «فيه» - قرص الشمس، إن التأويلين ممكنان نظراً إلى أن كلمتى «قارب» و«قرص» هما من نفس النوع (المذكر) فى اللغة المصرية القديمة.

(٢٨) يوجد «شو» فى مركز التكوين الذى تهيمن عليه البقرة الكبرى. ويسند «شو» بطنها وتستقر على الجانبين قوائم الحيوان المقدس (أمامه وخلفه).

(٢٩) القائمتان الخلفيتان بالطبع، ويقال إنها ناحية الشرق، لأن البقرة ستلد الشمس يومياً ولادة طبيعية.

(٣٠) المقصود به هنا، نقش جدارى، ولذا فإن رؤيتنا للضريعين هى إذن رؤية جانبية.

(٣١) نمط من الكتابة المصرية شديدة السرية.

(٣٢) من الراجع أنها من كلمات «نوت»، لأنها ستحبل من الآن من صلب «رع» مع حلول كل ظهيرة، بالشمس الجديد(ة) التى ستلدها يومياً عند الفجر والتى ستستسلل بين قدميها الخلفيتين. (راجع الهامش ٢٩)

- (٣٣) هذه الجملة لوجود لها على النقش الجدارى.
- (٣٤) ترتبط الثعابين بإله الأرض، «جب». ورمزية الثعابين متنوعة: فهو ثارة مخلوق عدوانى وخطير بالنسبة للشمس ولكن الثعبان هو أيضاً الصورة الأسطورية للحياة التى تولد على الدوام من جديد.
- (٣٥) معنى مادی جداً. ففى الغالب، تكون علامة الأصبعين هى العلامة الملحقة بهذا الفعل.
- (٣٦) وهكذا سيتم تحييد عنصر محتمل للإضطراب فى العالم أو عنصر هدم. وستظل الثعابين مخلوقات الإله فى عالم يحاول هو أن يبعد عنه السحر الضار.
- (٣٧) إن يهبط «رع» إلى الأرض من جديد.
- (٣٨) فى ظل حماية أوزيريس، سيد النباتات، سوف ينتصر جانب الخير من الثعبان - الذى يتغذى على عصارة النباتات ويتمثل بالتالى طبيعتها. ومن خلال عملية خلقه «الثانية» يسمى «رع» إلى أبعاد القوى الشريرة. كما نرى أن الثعبان كان أيضاً فى خليفة الإله «يهوه» عنصراً خطراً وضاراً على توازنهما. (راجع الإصحاح الثالث من سفر التكوين م.) ويبدو أن «رع» قد حاول من أعالي السماء التى يقيم فيها الآن، أن يبعد هذا الخطر عن الأرض بأن التمس مساعدة «جب» و«أوزيريس»، إلهى الأرض والنبات، السيديين الطبيعيين للثعابين.
- (٣٩) الألفاظ الدالة على نور الشمس كثيرة، وغالباً ما يستخدم الاسم «شيسبو» فى سياق النصوص التى تعنى أن الضوء يطرد الليل. أما الاسم «آخو» فإنه يشير إلى فيض النور. والمقصود به هنا إذن فعلين متعاقبين وممتكاملين.
- (٤٠) جزيرة تقع فى سمت السماء.
- (٤١) سيتولى «تحتوت»، الإله - القمر - إضاءة السماء أثناء الليل، بدلاً من «رع».
- (٤٢) مجموعة جديدة من التجانس الصوتى لتفسير خلق عناصر جديدة. وبين النص «هاب» (أى «يرسل») والاسم «هب» الذى يدل على طائر «الأبيس» - أبومنجل.
- (٤٣) من غير المطلوب أن نبحث هنا عن دلالة نصية، بل عن تجانس صوتى بين الإسم «خن» (أى «الخطاب») والإسم «تخن» الذى يدل على الطائر المقدس للإله.
- (٤٤) السماء العليا والسماء السفلى التى تنقل الأولى أسفل الأرض كصورة طبق الأصل.
- (٤٥) المعنى مزدوج هنا بفضل مقابلة بين الفعل «إنح» (أى «يحيط») والإسم «إعح» (أى «القمر»).
- (٤٦) اسم جزر بحر إيجة أو قسم شمالى من آسيا. وفى حقيقة الأمر، فإن تحديد الموقع الدقيق لهذا التعبير الجغرافى قد تغير على ما يظن حسب العصور. ولا نفهم يقيناً سبب وجوده فى هذا النص.
- (٤٧) إذا نظرنا إلى العلامات الصوتية الساكنة المكونة للإسمين لوجدنا أن وجه الشبه بينهما تام. ويعنى الأول «التجوال المستمر» («عن عن») والثانى «القرود نور رأس الكلب» («عن عن»). وربما كانت العلامات المتحركة الداخلية وحدها والتى نجهلها فى الوضع الراهن لمعارفنا باللغة، هى التى كانت تميز بينهما. وفى لغة الكتابة، كان «المخصص» هو الذى يميز بينهما («المخصص»). علامة تضاف إلى العلامات «الصوتية» للكلمة، وهو يوضح فئة الكائنات أو الأشياء التى تنتسب إليها هذه الكلمة.

والمخصص قيمة بصرية فقط ولا ينطق ابداً - المترجم).

(٤٨) نصوص مقدسة ونصوص دنيوية. المجلد الأول، ص ٣٦١

Budge, Book of the Dead

(٤٩) النص المصري؛

I p.53, I, 3-5 (pap. de Nebse'ni)

(٥٠) إشارة إلى ما قام به «شو» عند رفع الإله «رع» إلى أعلى ساعديه، حتى عالم الآلهة. ان «التسلسل الزمني» للأحداث مماثل لتسلسلها في النص السابق. ففي أعقاب ثورة البشر عقد الإله العزم على الإبتعاد عنهم.

(٥١) راجع ص ٣٥

(٥٢) هذا النص نص معدل مختصر وتشبه عناصره النص السابق إلى حد كبير.

(٥٣) البرساء؛ هي شجرة «نوت» التي تلد الشمس عندما تتفتح مع كل فجر.

(٥٤) إله المعرفة.

(٥٥) تجانس صوتي كامل للعلامات الساكنة بين الإسمين «ميو» أي، «قط» «ميو» أي «مماثل».

Budge, Book of the Dead, I, P69, 1.54-59

(٥٦)

(٥٧) مدينة تقع على بعد ١٦٠ كم إلى الجنوب من الأقصر. ويرجع المعبد القائم حالياً إلى عصر البطالة

(القرنين الثاني والأول ق. م.) لقد تم تسجيل المدونات مؤخراً وقام «أدولف جوتنبوب Adolhe

Gutbub بنشرها.

(٥٨) «هارويريس» Haroëris هو التصحيف اليوناني للإسم المصري «حور - ور»، أي «حورس الكبير» -

وهو الإله الصقر الشمسي المعبود في معبد كوم أمبو إلى جانب الإله - الصقر سويك، وكان لكل

منهما معبده «الخاص» ولكن العبادتين كانتا مرتبطتين.

(٥٩) معبد «أومبوس» بلا شك.

(٦٠) «هارسييسيس» Harsiesis، وهو التصحيف اليوناني للإسم المصري «حور - سا - إيزة»، أي

«حورس بن إيزيس»، إن «رع»، هو إذن في صحبة نائبه «تحوت» و«حورسين اثنين» أحدهما

«حورس» شمسي والآخر، «حورس» أوزيرى وهما قد يندمجان في طقوس معبد كوم أمبو.

(٦١) مكان مقدس في معبد كوم أمبو. أو ربما اسم المعبد ذاته. ومن ثم من الراجح ان الآلهة الثلاثة قد

اتخذت مقامها في كوم أمبو، وقد أطلق عليه أسماء مختلفة.

(٦٢) إنه اسم النهر، دون شك.

(٦٣) نلتقى هنا بالتقليد القديم (راجع ص ٣١) ولكن حدث عملية تلفيقية مع أشكال الهيئة الأخرى.

(٦٤) من شدة الغضب ضد الأعداء. على ما يرجح. ولكن الأحمر هو اللون الذي يلون بشرة المحاربين:

سواء كان الإله «مونتو» أو الفرعون «رعمسيس» الثاني. راجع

C.Laiouette, Empire des Ramse's, P.377

- (٦٥) من الراجع أنها مخالب الصقر.
- (٦٦) GuTBUB, Kom Ombo,,I, P. 424
- (٦٧) قرب نهاية شهر مايو - وهي الشعيرة المعروفة بشعيرة التاسع من شهر بؤونة.
- (٦٨) تلاعب بالألفاظ بالجذر «إتم» ومعناه «يكون تاماً، يكون كاملاً» والذي يدخل في تكوين إسم «آتوم».
- (٦٩) SAUNERON, Esna, III, PP.5-6
- (٧٠) شرح اسم «خنوم» الذي يعنى حرفياً: «ذاك الذي يتحد».
- (٧١) صفة شمسية على وجه الخصوص وهي الآن صفة لخنوم أيضاً.
- (٧٢) «نبتو» هو اسم إحدى زوجتي «خنوم» في إسنا.
- (٧٣) تلفيق آخر بين خنوم وابن «رع». وانضم بالتالي إله إسنا إلى العائلة «الشمسية».
- (٧٤) في فترة فيضان النيل عند نهاية فصل الفيضان.
- (٧٥) المقصود به هنا بلا شك هو «شو»، الذي قد يتخذ هيئة الأسد، والذي اندمج هنا مع «خنوم».
- (٧٦) اسم الزوجة الثانية لخنوم في إسنا.
- (٧٧) راجع الفصل الثالث من الباب الأول: «مأثر أبوفيس».
- (٧٨) SAUNERON, Esna, V. PP 374- 375
- (٧٩) ان التردد الذي لا يكل للإستعراض المظفر لمأثر انتصاراته حتى تكاد تكون ترنيمة - يسبغ عليها مزيداً من الصلابة والإستمرارية.
- (٨٠) عدو الشمس - مثل «أبوفيس».
- (٨١) SAUNERON, Esna, III, PP. 162-163

الفصل الثالث


الأساطير الإلهية

إلهان من بين سائر الآلهة، استطاعا أن يلهما خيال البشر فنسبوا إليهما مغامرات تحمل جميعها عبراً من الحياة: الأول، هو «رع» الإله الخالق، جالب الخير، في الزمن الأول، والثاني، هو «أوزيريس»، الإله العظيم الفائدة للنبات والتربة الخصبة، أن الشمس مثلها مثل النبات تولد، من جديد، بلا انقطاع، كل يوم مع كل فصل من فصول السنة. وبالطبع أصبح «رع» و«أوزيريس»، الإلهين النموذجيين الضامنين للخلود المحقق، ولكن وكما حدث في زمن بداية العالم، تظل القوى المعادية للنظام والسلام الهادئ، كامنة على الدوام، وستتكرر المعركة الأولى الكبرى، على شكل معارك يومية وموسمية، يكون فيها النصر لقوى الخير.

١- مغامرات الشمس.

١ - الرحلة الأبدية.

في الكون الجديد، يتجول النجم عبر السماء، على ظهر الإلهة السماوية، التي قد تسمى حسب العصور «نوت» أو «حتحور» أو «إيزيس»، وتتم هذه الرحلة على متن قارب تماماً كم يحدث على صفحات «نيل» الأرض، والشمس قاربان مقدسان تحت تصرفها: الأول للرحلة النهارية على صفحات «نيل» السماء العليا، والآخر في السماء

السفلى. للرحلة الليلية على صفحات النيل السفلى. ويتم الانتقال من سفينة إلى أخرى في نقطتين محددتين: وهما الشرق والغرب، في «الأفقين»، وقد رسمت لهما صور متنوعة. ان العلامة الهيروغليفية - وهى علامة تصويرية - المقابلة لهذه الكلمة تمثل صورة شاملة:  يمكن ان تؤخذ على أكثر من محمل، فهى: تلّان يفصل بينهما فى الوسط وادّ تنبثق منه الشمس ناحية الشرق، مع فجر كل صباح - أو شجرتان (شجرتا برسام) سوف تنبثق من وسطهما ناحية الشرق الكرة المنيرة. والحركة ناحية الغرب معكوسة. وهكذا تستمر الدورة المقدسة إلى الأبد.

* يتجلى «رع» متألقاً فى أفقه. إن تأسوعه فى معيته. وعندما يخرج من المكان السرى، تعتري الأفق الشرقى من السماء، رعشة على صوت «نوت». إنها تضفى قداسة على دروب «رع»، أمام «عظيم العظماء» بينما يواصل هو دورته. « انهض إذن، يا «رع» (أنت) الذى فى مقصورتك، لتستمع بالنسيم وتستنشق ريح الشمال وتبتلع «العمود الفقى»^(١) وتستحوذ على النهار فى شبائك وتتنفس «ماعت» وتنظم جماعتك، بينما يبهر قاربك المقدس ناحية السماء السفلى. العظماء يرتعدون (عند سماعهم) صوتك، أنت تأمر عظامك وتجمع أعضاءك^(٢) وتولّى وجهك شطر الغرب الجميل. وهكذا تعود كل يوم (وأنت) جديد يا سيدّ المتعة. إنك هذه الصورة الذهبية التى تسند القرص كله. إن أرجاء السماء ترتعش عندما تعود، كل يوم (وأنت) جديد. إن الأفق فى فرح وأولئك الذين بين حبال (قاربك) مغتبطون.»^(٣)

وصورة الفجر أشبه بفتحة عريضة فى الكون العلوى تطل منها على قوى النور الخيرة ونسمات الريح:

السماء تنفتح، الأرض تنفتح، الغرب ينفتح، الشرق ينفتح، كما ينفتح هيكل الوجهين القبلى والبحرى، الأبواب والمصاريع تنفتح، من أجل «رع»، عند خروجه من الأفق. بابا قارب الليل ينفتحان من أجل، بينما ينفتح من أجله مصراعاً قارب النهار. انه يتنفس «ماعت»^(٤) إنه يخلق «تفنوت»، فى حين يتبعه رفاقه.^(٥)

إن «رع» نور الأحياء على الأرض، سوف يواصل رحلته على صفحة «النهر - العلوى»، فى أملاكه العليا، فيعبر حقوله، شأنه شأن أى مصرى، لقدتشكلت السماء العلوية والسماء السفلية كصورتين للأرض، وإن كانتا أيضاً معكوسة فقط. إنه كون قائم على الشفافية والتناظر بل والتطابق تقريباً، فى هذه الحقول، نجد أن الأكمات (كتذكيرة للأكمة الأولية) أهلة بالوجود الإلهى، ومنها، الأكمة الخضراء التى يقيم فيها «حور - أختى» («حورس» الأفقيين» فى هيئة شمسية):

* حقل البوص جدرانته من نحاس^(٦) ويرتفع نبات الشعير فيه، إلى خمسة أذرع،^(٧) وسنابله إلى ذراعين، وسيقانه إلى ثلاثة أذرع، ويرتفع نبات العلس فيه، إلى سبعة أذرع، وسنابله إلى ثلاثة أذرع، وسيقانه إلى أربعة أذرع، إن الأبرار الذين طول كل منهم، تسعة أذرع (هكذا)، هم الذين يقومون بالحصاد إلى جانب «حور - أختى»^(٨).

(إنه كون، وإن كان خيالياً، إلا أنه محدد بكل دقة).

عندما تختفى الشمس فى الغرب عن أعين الأحياء، يسطع فجر جديد فى الغرب للأموات الذين يتزاحمون عند شاطئ «النهر السفلى»، فى انتظار هذا النور الذى يعبر فى «سفينة الليلية»، فيعطيه الضوء والنسمات للحظة من الزمن. إن «رع» له فجران للحياة، فجر للأحياء وفجر للأموات.

* أنت كامل كل يوم، (يا) «رع»، أمك «نوت» تعانقك، بينما تغرب فى تودة، فى أفق «مانو»^(٩) وأنت مسرور القلب، الموتى المجلون هم فى فرح عندما تنشر ضياعك هناك، من أجل الإله العظيم «أوزيريس»، حاكم الزمن اللانهائى،^(١٠) إن أولئك الذين يمتلكون مقبرة، تقدم سواعدهم الثناء والتهليل لـ«كا» لك، داخل مقابرهم المنحوتة فى الصخر ويرفعون لك كافة التماساتهم، بعد أن تتألق من أجلهم^(١١). لقد هدأ قلب

سادة الـ«دوات» (١٢) واستكان، بعد أن أثارهم ضياؤك الحانى، و تنفتح أعين أهل الغرب عندما يرونك وتلتهب مشاعر قلوبهم، كلما استطاعوا أن يتأملوك. كما أنك تستمع إلى التماسات أولئك الذين فى التابوت، وتُبعد عذابهم وتطرد آلامهم وتمنح أنفسهم نسمة (الحياة) وهكذا يمسون أيضاً حبال قاربك فى أفق «مانو» (١٣)، انت كامل، كل يوم، (يا) «رع»، وأملك «نوت» تعانقك. (١٤)

لا تتم رحلة الشمس بلا معوقات، إن القوى الشريرة، التى تسعى حثيثاً وراء الفوضى، تتجسد على وجه التحديد فى هيئة شعبان، سيعاود هجومه، كلما قامت الشمس برحلة العبور، كان الشعبان أيضاً فى نظر البشر خالداً، لأنه يولد من جديد كلما غير جلده. أجل، إنه خالد على ما يبدو، ولكنه سهل المنال ويُقهر على الدوام.

* أما عن هذا الجبل «باخو» الذى يستخدم ركيزةً للسماء، فهو قائم إلى الشرق منها، ويبلغ طوله ثلاثمائة ذراع، وعرضه مائة وخمسين ذراعاً، ويقيم «سوبك»، الإله-التمساح، سيد «باخو»، شرق هذا الجبل، ومعبد من الحجر الـ«حرس» (١٥). وعلى قمه هذا الجبل شعبان طوله ثلاثون ذراعاً، إن ثمانية أذرع من مقدمة جسده هى من حجر الصوان واسمه هو «ذاك الذى فوق جبله، ذاك الذى فى لهيبه» (١٦). وبعد أن توقفت (الشمس) لحظه، فى سمت (السماء)، (حدث) أن صوب هذا الشعبان نظراته إلى «رع»، عندئذ تعطل القارب فجاء وأصاب مساره فوضى شديدة، (وبالفعل) كان (الشعبان) قد أبتلع سبعة أذرع من المياه العظمى وأطلق «ست» (١٧) عليه حربته النحاسية وأجبره على أن يلفظ ما ابتلعه، ثم وقف أمامه متحدثاً برقى سحرية: «ليت الرأس النحاسى الذى فى يدي يدفعك إلى أن تستدير إلى الوراء، إني انتصب أمامك، لتعود ملاحه (القارب ملاحه) سلسلة، أنت الذى شاهدت (الشمس) وإن كنت بعيداً، اخف رأسك الآن حتى أتمكن من الإبحار من جديد، استدر امامى إلى الوراء، أنا الذكر الذى سيحجب وجهك ويبرد شفئك، من أجل البقاء مزدهراً، لأننى مزدهر. أنا (العارف) الكبير للرقى السحريه، (أنا) ابن «نوت». إني اضع فاعليتى فى مواجهتك، ترى ما هى هذه الروح التى تمشى على بطنها وعلى مؤخرتها وعلى

فقراتها ؟ انظر إنى امضى الآن وقوتك فى يدى، فأنا ذاك الذى يحمل القوة. لقد حضرت لاهتم، بدلاً من «رع»، بأمر الـ «أكرو» (١٨)، وليكون هو فى سلام، عند المساء بعد أن ينتهى من دورته، فى السماء العليا، والآن تدترك الأربطة، وهما كان قد رتب ضدك، من قبل. هكذا سيغيب «رع» حياً فى أفقه. (١٩)

من بين هذه الشعابن الضارة، فإن الشعبان الذى نعرفه أكثر من غيره، وأكثرها شهرة فى قصص المغامرات الشمسية، هو الشعبان «عابيب» الذى صحّف الإغريق اسمه إلى «أبوفيس».

وقد عثر على نص طويل مدون على بردية (هى بردية «برمنر - ريند» - *Bemner Rhind*) ويقدم هذا النص عرضاً للمعارك ويستعرض على وجه الخصوص قائمة بالتعاويد اللازمة لهزيمة الكائن المثير للفوضى.

ب- مآثر «أبوفيس» أو الهزيمة اليومية للشر. (٢٠)

بداية الكتاب المكرس لسقطة «أبوفيس»، عدو «رع» وعدو «ون-نفر» (٢١) - ليكن حياً ومزدهراً وفى صحة طيبة ! (يا صادق - القول)، (طقس) يقام كل يوم على امتداد (النهار) فى معبد «أمون - رع»، سيد عرشى القطرين، فى الكرنك.

تعويذة للبصق على «أبوفيس». كلمات تقال: «فليبصق الناس عليك، يا «أبوفيس»!« تقال هذه الكلمات أربع مرات. (يفعل) ذلك لصالح «رع» و«كا»^{٢٢}، يفعل ذلك لصالح فرعون و«كا»^{٢٢}. «لقد أقبل «رع» قوياً. لقد أقبل «رع» «باسلاً. لقد أقبل «رع» متحمساً. لقد أقبل «رع» مجهّزاً. لقد أقبل «رع» فى فرح. لقد أقبل «رع» كاملاً. لقد أقبل «رع» بصفته ملك الوجه القبلى. لقد أقبل «رع» (أيضاً) بصفته ملك الوجه

البحرى. لقد أقبل «رع» فى سرور. لقد أقبل «رع»، مظفراً^(٢٣). أه ! احضر إلى جانب فرعون- فليكن حياً ومزدهراً وفى صحة طيبة ! لى يصدّ من أجله جميع أعدائه، كما أنه من أجلك صرع «أبوفيس»، (كما أنه) من أجلك قطع «الشرير» تقطيعاً، ويقدم المديح لقوتك، ويكرمك فى كل تجلٍ من تجلياتك الوضّاءة، التى من خلالها تشرق متألّقاً من أجله، كما أنه يصرع أعداءك من أجلك، طوال كل يوم. »

* تعويذة لسحق «أبوفيس» بالقدم اليسرى : «انهض، أيها (الإله) «رع» وصدّ أعدائك. تألق، أيها (الإله) «رع» لأن أعداءك قد اجهز (عليهم). انظر، إن فرعون- فليكن حياً ومزدهراً وفى صحة طيبة ! - قد صرع من أجلك كل أعدائك. أيها (الإله) «رع» اطرّد جميع أعدائك، أمواتاً كانوا أم أحياء. انظر، إن «رع» له سلطان عليك، يا «أبوفيس» إن أواره المتوهج يتفجر ضدك، إنه يتمكن منك، حرارته المحرقة تشتد عليك، النار تنزل على جميع أعداء «رع». «تقال هذه الكلمات أربع مرات. «فلتنزل النار أيضاً على أعداء فرعون. تمكّن من أعدائك، أيها (الإله) «رع»، ليتك تستطيع بالتالى أن تروح وتغدو (فى حرية) فى أفقك، إن أولئك الذين على متن «سفينة الليل» يعبدونك، وطاقم سفينتك المقدسة فى فرح، ليتك تتجدد فتبدو متألّقاً، فى سرور، فى قلب «سفينة النهار». الثناء لك يا «رع- حور- أختى». (وهى كلمات) تقال أربع مرات.

تعويذة للإستيلاء على الحربة لضرب «أبوفيس». كلمات تقال: «لقد أمسك «حورس»^(٢٤) بحربته النحاسية لقطع رؤوس أعداء «رع». لقد أمسك «حورس» بحربته النحاسية لقطع رؤوس أعداء فرعون- ليكن حياً ومزدهراً وفى صحة طيبة ! انظر لقد أمسك «حورس» بحربته النحاسية وضرب الأعداء فى قيود قاربه. انهض إذن أيها (الإله) «رع»، عاقب هذا الذى تمرد عليك، قطع «أبوفيس» بالسكين تقطيعاً، للإجهاز على جماعة «الشرير». انهض أيها الفرعون، عاقب هذا الذى تمرد عليك، قطع «أبوفيس» بالسكين، للإجهاز على جماعته. تعال، أيها (الإله) «رع»، فى بهائك الوضّاء، فأولئك الموجودون فى هيكلكم^(٢٥)، يتعبدونك، وسيعبدونك فى كمالك. انهض

وتألق، فلا أعداء لك من الآن، ومقدرتك السحرية سوف تحمى جسدك. إن فرعون يعبد «رع» ويرمى «أپوفيس»، إنه يكدغ فى وسط ظهره. واه! لقد سرت النار فى «أپوفيس»! بحريته ويقبض على اللهب، ليشعل فيه النار، إنه ينزل العقاب بجثة عدوك. إن النار فىك، ولهيبها فىك، والنار هى أيضاً فىكم، يا أعداء فرعون^(٢٦)، وسوف تلتهمكم. انهض إذن، أيها (الإله) «رع»، وانزل العقاب بمن تمرد عليك، اشعل النار فى «أپوفيس»! إنه يكدغ فى وسط ظهره. واه! لقد سرت النار فى «أپوفيس»! والآن يبحر «رع» فى انسجام مع الريح المواتية، فى حين أن طاقمه مفعم بالبهجة وأهل الأفق فى فرح عندما يرونه. لقد صرع عدوه، والنار أمسكت بـ«أپوفيس» «المزمر» «الشرير»، فلن يعرف الراحة والسكينة أبداً.

أيها (الإله) «رع-حور-أختى» أدر وجهك الجميل صوب فرعون-فليكن حياً ومزدهراً وفى صحه طيبة! صدّ جميع أعدائه من أجله. وسوف يعبد «رع»، بالحققة. ومثلما انتصر «رع» على «أپوفيس» - تقال (هذه العبارة) أربع مرات-«سوف ينتصر فرعون على أعدائه». تقال هذه العبارة أربع مرات^(٢٧).

ينبغى تلاوة هذه التعويذة على (صورة لـ) «أپوفيس» مرسومة بالمداد الأخضر على برديه ناصعة البياض توضع على النار فتأتى عليها، فى حضرة «رع» عند ظهوره فى الفجر، وفى الظهيرة وفى المساء أيضاً وهو يغرب حياً فى الأفق، وفى الساعة السادسة ليلاً، وفى الساعة الثامنة نهاراً، وفى نهاية المساء، وإلى أن تنتهى كل ساعة من ساعات النهار والليل، وفى عيد «غرة الهلال» ويوم عيد الشهر، وفى عيد اليوم السادس، وفى عيد اليوم الخامس عشر، وكذلك كل يوم^(٢٨). «لقد سقط «أپوفيس» عدو «رع» الذى كان يفجر العاصفة فى السماء. والآن يتألق «رع». لقد سقط «أپوفيس»، بالحققة. سوف يحرق فوق محرقة من حطب نباتى، وتوضع رفاته فى إناء للتبول ويجمع فى كومة رماد وحيدة^(٢٩) كما ستتنصرف طبقاً لهذه التوجيهات، فى الساعة السادسة ليلاً والساعة الثامنة نهاراً، بمعنى: أن يوضع «أپوفيس» فوق محرقة،

ويبصق عليه عدة مرات، مع بداية كل ساعة (من ساعات) النهار، وحتى حلول الغسق، وبعد ذلك، وخلال الساعة السادسة (من ساعات) النهار، ستضع «أبوفيس» على النار، مع البصق عليه وسحقه بالقدم اليسرى، (ويتم بالتالي) دحر «المزمجر» الخسيس الوجه، وسوف تعمل بالمثل في الساعة الثامنة (من ساعات) النهار، للحيلولة بهذه الطريقة دون قيام «أبوفيس» بالهجوم على «سفينة الليل» كما ستعمل أيضاً بالمثل عند جيشان السحب في شرق السماء وعند غروب «رع» حياً في الغرب لمنع «الحمراء»^(٣٠) من أن تحلّ في شرق السماء، ستفعل ذلك عدة مرات، لمنع هبوب العاصفة، لمنع إثارة الإعصار في السماء، ستفعل ذلك عدة مرات، ضد العاصفة، عندئذ سيتألق قرص «رع»، لقد سقط «أبوفيس»، بالحققة.

سيكون الأمر خيراً، لمن يقيم هذه الشعيرة على الأرض، كما سيكون خيراً لعالم تحت الأرض، ومن ثم تعطى القوة لهذا الرجل الذي في مكانه الإرتقاء إلى الوظيفة (التي يشغلها) رئيسه (في الوقت الراهن)، وهو ما سيتيح له بالحققة، أن ينجو من كل الأشياء الرديئة والشريرة، لقد كان في وسعي أن ألاحظ ما كان قد حدث لى،^(٣١)

السفر الأول^(٣٢) المكرس للإجهاز على «أبوفيس»، عو «رع»، كلمات تقال: «انكفى على وجهك، يا «أبوفيس» أيها الخصم الخسيس (للإله) «رع»، استدر إلى الخلف، أيها العدو، أيها الثائر، الذي بلا ساعدين وبلا ساقين، سوف يبتز الجزء الأمامى من جسمك، وعناصر وجهك، لقد سقطت، لقد هلك، إن «رع - حور - أختى» هو الذى أجهز عليك، لقد طردك، لقد أدانك، إن «العين»^(٣٣) التى تنتمى إلى جسده هى التى عاقبتك، وقد سقطت بسبب النار الصادرة عنها، بسبب اللهب الناتج من حرارتها والذى يظهر فى الوقت (المناسب)، وكانت حرارته موجهة ضدك، ويُطرد غضبك على يدى «إيزيس» بفضل كلمات فمها الخيرة،^(٣٤) ومن ثم قُطع «با»^(٣٥) بالسكين، وبترت فقراتك، لقد فرض «حورس» عاهتك ويحتفظ بك أبناء «حورس» سجيناً، أنت الذى كنت قد أبدت لحظة (وصولهم). استدر إلى الوراء! استدر إلى الوراء! استدر إلى الوراء! إلى الوراء! إلى الوراء! لقد سقطت يا «أبوفيس»، لقد تقهقرت، لقد استدرت إلى الوراء، التاسوع الأعظم الذى فى «هليوبوليس» يجعلك تتراجع أيضاً.

لقد أسقط «حورس» غضبك، و«ست» جعل لحظة (هياجك) غير ناجحة، و«إيزيس» تصدك و«نفتيس» تقطعك بالسكين تقطيعاً، إن التأسوع الأعظم الذى يقيم عند قيوم قارب «رع»، يجعلك تتراجع، بعد أن طعن «ست» رقبته، وأبناء «حورس» يرشقون حراهم فى جسدك، كما تصدك هذه الآلهة حارسة البوابة السرية وأنفاسها المتوهجة تخرج وكأنها النار، تقهقر، استدر إلى الوراء فى مواجهة أنفاس النار الصادرة من فمها، اسقط، انحرف، يا «أبوفيس»! تقهقر، استدر إلى الوراء، يا غريم «رع»! لأنك سقطت من زمانه، وأولئك الذين فى سفينة المقدسة يجهزون عليك أيضاً، إلى الوراء! لقد طردت منك الأرواح الشريرة، لقد أبعدت، لقد طردت من زمانك، اسقط إذن! استدر إلى الوراء! ان «با» لك يستدير إلى الوراء، إن لحكم ينتزع منك، وتقرض عليك العاهات، وتمزق إرباً، وتبتز ويستبعد غضبك وتنتزع منك قدرتك على المشى ويضرب لحكم وأعضاؤك بالمثل، ويفصل «با»ك عن «ظلك»، (٣٦) ويفنى اسمك (٣٧) وقدرتك السحرية قد استبعدت، لقد أصابك الدمار، اسقط! لقد سقطت! ولن تخرج من مكان ابادتك هذا، للزمان الأبدى وللزمان اللانهائى، أنت عاجز، لقد تجددت أربطتك، أنت فى حراسة من يحرسون الأمراض، لقد استبعد زمانك ويعود غضبك إلى حيث كان، ويعرقل «رع» خطاك وتستبعد من عرينك، اسقط! تراجع! لأنك وقف على الشرا ذاك الذى يحرس (بضم الياء) هو محروس حراسة مشددة، ولن تظهر أفعاله أبداً، لقد دُمر «با»ك، وقضى على ظلك، وأوقفت على «عين حورس» المتوهجة، وسلطانه عليك، ويلتهمك حتى أطراف وجهك، لا توجد أبداً، يا «أبوفيس»، لقد أمطرك بوابل من السهام، لقد أجبرك على التراجع، لقد دمرك، لقد وضع نهاية لوجودك،

.....

القسم الثانى المكرس للإجهاز على «أبوفيس»، عدو «رع»: «انكفئوا على وجوهكم، يا أعداء «رع»! أيا جميع المتمردين، المناوئين، «أبناء الضعف»، الكائنات ذات القلب الخسيس، الثائرين الذين بلا اسم، المقتولين الذين أرادوا أن يرتكبوا مذبة! لقد صدرت الأوامر بإبادة الكائنات ذات القلب الخسيس، تلك التى دبرت التمرد، الثائرين الذين سعوا إلى إشاعة الفوضى» (٣٨) اسقطوا إذن! اسقطوا خلال زمن «رع»! إنه يبيدكم، إنه يجهز عليكم، إنه يقطع رؤوسكم، على وجوهكم! انظروا، إنه هو

الذى يُدمركم، إنه هو الذى يذبحكم. يا من أردتم أن تُدمروا، فلتُدمروا! فلتبادوا! لن توجدوا أبداً، لن تكونوا أبداً، لن تعودوا إلى الوجود أبداً، لن تحيوا أبداً. سوف تنتزع رؤوسكم، وتندق أعفاقكم، وتبتتر فقراتكم، وتكون العاهات من نصيبكم، ويتولى القوم ذبحكم. سوف تسقطون بسبب «عين حورس»، فلهيها «نافذ» فى مواجهتكم. والنار سوف تمسك بكم. و«عين رع» المتألفة، سوف تنهض ضدكم. وقوة «رع»، سوف تتسلط عليكم. وعينه، سوف تتسلط عليكم. وباسمه المقدس «النار الملهبة» سوف يلتهمكم، ويعاقبكم. وباسمه المقدس «سخت»،^(٣٩) سوف يتسلط عليكم. وتسقطون بسبب النار التى له، فما يصدر عن هذه النار من لهب، لايحتمل. سوف تهلككم أنتم الهالكون، الهالكون، النار تنبعث ضدكم، (يا) أعداء «رع»، الشائرين على «حورس»، (ومن ثم) على «با»كم، وأجسادكم وأطيافكم. إن النار تنبعث، فتكويكم، وأوارها يحرقكم، وحرارتها تأتى عليكم. إنها «تشق» شقاً،^(٤٠) إنها تشقكم، إنها تفتترسكم، إنها تيبسكم، إنها تأتى على «با»كم. ويحمل لهيها العقاب (حتى) إلى أطيافكم. أنتم، يا من أردتم أن تبيدوا، فلتبادوا! إنكم تُطردون طرداً! سوف تحرقون، وتقطعون تقطيعاً، ويتولى القوم ذبحكم، لقد خُصص لكم موقد اللهب العظيم، سيد الحرارة، وضياؤه يلتهم «با»اتكم، وتوجهه يعاقب أجسادكم، وفى أتونه العظيم - يحشركم حشراً، وبسكينه يقطعكم، وضدكم يستشيط غضباً، ويستهلككم غذاءً لأتونه، ويصليكم بلهبه، ويحرقكم حرقاً، ويصليكم صلياً، ويمسك بكم بقبضة من نار. سوف يحطمكم باسمه المشهور: «اللهب - الذى - يحطم»،^(٤١) ويشقكم شقاً باسمه: «اللهب - الذى - يشق». سوف تتساقطون بسبب أتونه، فشديد هو اللهب العظيم القائم فى ناره. وضياؤه سوف يلتهم «با»اتكم.

أنتم الذين كان فى نيتكم أن تقتلوا، فلتُقتلوا! لقد سقطتم وأجهز عليكم! اسقطوا بسبب «رع»! اسقطوا بسبب الغضب الذى يملكه! ولتهلكوا بسببه، ولتهلكوا! سوف يقضى عليكم، سوف يُجهز عليكم، سوف يُقطعكم تقطيعاً، سوف يُدينكم، سوف يُهلككم، سوف يُبِيدُ أسماكم، سوف يبتتر «با»اتكم، سوف يسجنكم، سوف يقضى عليكم، سوف يَرُدُّكم، سوف يعاقبكم، سوف يجهز عليكم، سوف تسقطون بسبب لهبه الفتاك، سوف يقضى عليكم. وعلى ذلك، فلا وجود لكم أبداً! أنتم يا من كنتم تريدون الإهلاك، فلتهلكوا هلاكاً! فلتهلكوا، فلتهلكوا، ليهلك «با»مكم! فلتهلكوا، وليهلك

جسدكم! فلتهلكوا، وليهلك طيفكم! فلتهلكوا^(٤٢)! لن توجدوا أبداً. ولن يوجد «با»كم أبداً. لن توجدوا أبداً. ولن يوجد طيفكم أبداً. لن توجدوا أبداً، لن توجد حياتكم أبداً. لن توجدوا أبداً، لن توجد قدرتكم الجنسية أبداً. ورؤوسكم لن تتصل بأجسادكم، أبداً.

إلى الورا، إذن، بسببه! استديروا إلى الورا، إليها المتمردون! لا توجدوا أبداً ليت الإله «تحت» (يوجه) قدرته السحرية ضدكم! إنه الإله^(٤٣) شديد البأس عند مواجهتكم. إنه يقهركم، ويحمل الناس على كراهيتكم، فاللهب المنبعث من فمه تتوجه إليكم، احترقوا إذن، أيها المتمردون! لا توجدوا أبداً إن «تحت» بما له من قوة سحرية هو ضدكم. إنه يصركم، إنه يقطعكم تقطيعاً، إنه يقضى عليكم، إنه يخصصكم بالنظرة الملتبئة المنبعثة من «عين حورس». وهذا الأخير يلتهمكم حتى أطراف وجهه، إنه يقضى عليكم بعظمته المشتعلة. ولن يكون في الإمكان صده في اللحظة التي يسعى قلبه (إلى عمل ذلك) باسمه «مريت»^(٤٤) ولتبادوا، إذن بسببه! استديروا إلى الورا بسببه! استديروا إلى الورا، بسببه! إلى الورا، بسببه! أيا أعداء «رع» و(يا) أعداء «حورس»! سوف يرشقكم بسهامه، سوف يدفعكم إلى الخلف، سوف يأتي عليكم - سوف يبيدكم بسببه، سوف تذبحون بسببه، ولن تعرفوا أبداً الإنتصاب، ولن تطأوا (امراً) أبداً، للزمن اللانهائي، الزمن اللانهائي.

إن رع منتصر، إن الحقيقة والعدالة ضدكم، يا «أبوفيس» و(يا) «أبناء الضعف» الشديدي الجبن، إن «رع» ينتصر على أعدائه، (تقال هذه الكلمات) أربع مرات.^(٤٥) إن «أوزيريس»، أول أهل الغرب، ينتصر على أعدائه. (تقال هذه الكلمات) أربع مرات. إن فرعون، ليكن حياً ومزدهراً وفي صحة طيبة، ينتصر على أعدائه» (تقال هذه الكلمات) أربع مرات.

لقد صرعت «أبوفيس»، والمتمرد، والسلفاء، والكائن الخسيس القلب، وأبناء الضعف في شتى منازلهم، وفي كل مكان يوجدون فيه. لقد أجهزت على جميع أعداء «رع»، في شتى منازلهم، وفي كل مكان يوجدون فيه. لقد صرعت كل أعداء «حورس»، في شتى منازلهم، وفي كل مكان يوجدون فيه. لقد أجهزت على أعداء «أمون - رع»، سيد عرش القطرين، الذي يتسيد الكرنك، في شتى منازلهم، وفي كل مكان يوجدون فيه. لقد صرعت أعداء «بتاح»، «ذاك - الذي - يوجد - جنوب -

جداره»^(٤٦) الإله سيد حياة الأرضيين، فى شتى منازلهم، وفى كل مكان يوجدو (لقد سلكت) على النحو ذاته، فى مواجهة جميع أعداء «آتوم»، وعلى النحو ذاتاً مواجهة جميع أعداء «تحتوت»، رب «هرموبوليس» وعلى النحو ذاته، فى مواجهة أعداء الإلهة «يوسعاست»^(٤٧) سيدة^(٤٨) والإلهة «حتحور»، سيدة «حت إيت»^(٤٩) «آتوم»، جميع أعداء «حورس»، رب «أتريبس»، جميع أعداء الإلهة «خاوت»، زوج جميع أعداء (الإلهة) «باستت»، سيدة «بواستس»، جميع أعداء «أوزيريس» «بوزيريس»، جميع أعداء «باوبدد»، الإله العظيم، حياة «رع»، لقد أجهزت على أعداء الإله «اينحرت - شو»، ابن «رع» وأعداء «حورس» القوى الساعد، أعداء «أمون - رع» الذى يتحد بإله «بحدت»^(٥٠) جميع أعداء «أنوبيس»، «سيوت»^(٥١) جميع أعداء الإله «سويد»، سيد الشرق^(٥٢) جميع أعداء «حورس» «شدنو»^(٥٣) جميع أعداء «حورس» الذى يقيم فى (؟)، جميع أعداء «حورس» الأرضيين وسيد «تيدد»^(٥٤) جميع أعداء «حورس» فى مدينة «په» وأعداء «واجت» فى (مدينة) «دپ»^(٥٥) جميع أعداء «حر - ور» (حورس الأكبر)، سيد القبلى - فى جميع منازلهم، وفى كل مكان يوجدون فيه، لقد صرعت أيضاً. أعداء فرعون - ليكن حياً ومزدهراً وفى صحة طيبة - فى جميع منازلهم، وا مكان يوجدون فيه».

.....

باقى النص هو عبارة عن خطاب للإله «رع» يصف فيه عمله كإله خالق، وقد أن ترجمنا هذا المقطع من خلال شروحنا على مقومات عملية الخلق، كما ه كهنة «هليوبوليس»^(٥٥)

ثم نعود إلى ترديد الطلبات التى لا آخر لها، الطلبات الفاعلة للجحيم الا حيث يتولى سحر الكلمات احتواء «أبوفيس» والمتمردين..... وفيما يلي مقطع آذ

* «يا «أبوفيس»، (يا) عدو «رع»، إن «رع» يهزمك. ان «آتوم» يدفع الإستدارة إلى الوراء، بفضل التعزيمات السحرية التى على شفتيه، انصت إلى

الكلمات السحرية، لسوف تموت بسببها، كما أمر به «رع» فى حقل.

يا «أبوفيس»، (يا) عدو «رع» إنى اعرف ما ارتكبتة، تعال وانصرف بسبب أفعالك السيئة، إنك تسقط فى زمن نحسك. ان «رع» يطرد منك الأرواح الشريرة، بشهادة «التاسوع الأعظم». أما أنت، يا «أبوفيس»، (يا) عدو «رع» فقد سقطت، سقطت، سقطت، فى زمنا المرموق، لقد سلمتك للسكين، فامسك بك بفضل صناع السكاكين المشهود لهم الذين فى القارب المقدس، وإلى اللهب أيضاً مصيرك، فله سلطان عليك، خلال أوقات النهار من كل يوم، وإلى خشبة الإعدام مصيرك، فوجهك (كان بالفعل) فى مواجهتها. و«إيزيس» تجهز عليك بفضل أقوالها السحرية، وإلى «عين حورس» مصيرك، فى حين أن الإلهة «أوسرت».^(٥٦) «المتوهجة» تحرق «با»ك، وإلى «حورس» وريث الإله العظيم مصيرك، والحربة التى بيده تنطلق ضدك، وإلى «ست» بن «نوت» مصيرك، إنه يحطم فقراتك، وينتزع رقبتك، ثم يطعنك بالحربة القوية التى يمسكها بيده، وإلى «عين رع» مصيرك، (العين) ذات النظرة الملتهبة لـ «حورس»، التى تلتهم جسدك، إلى آلهة طاقم «رع» مصيرك، (الآلهة) التى تؤمن ملاحته (النهرية) وتضع رأسك على اليايسة، إلى «حورس - مخنتى - إيرتى»^(٥٧) مصيرك، انه يقتلك بسكينه الذى فى «ليتوبوليس». إلى حراس البوابات السرية مصيرك، فتنهض ضدك أنفاسهم الملتهبة ومشاعلهم، وتأكل «المرعبة العظيمة» وتتغذى على جسدك.

يا «أبوفيس»، يا عدو «رع»، لا تبهر، لا تمش، لا تأت إلى الوجود، لا تتجمع أبداً.^(٥٨) سوف يواجهك «باء» خارج من الغرب، إلى اللهب المنبعث من فمه، مصيرك، سوف يواجهك صقر خارج من الشرق.^(٥٩) إلى القدرة السحرية التى فى جسده مصيرك، ان القائمين فى هياكلهم يقطعونك، كما يرشقون فيك سهامهم، ويقطعونك إرباً إرباً، مرة ثانية ومرة ثالثة، وتوضع على مجرة الإله، على نار هذا الذى يلتهم الحجر الأخضر، (فى) مكان ذبح طاقم «رع»، على خشبة إعدام «تحوت». عندئذ، يأخذ منك كل إله نصيبه من الطعام، وتصبح قلوبها راضية لأنها تمزقك إرباً إرباً.

يا «أبوفيس»، يا عدو «رع»، إلى وراء! استدرد، (فلتكن) رأسك باتجاه الأرض! إن قدرتك على الحركة قد دمّرت، ان بصرك قد تلاشى، ولن يوجد أبداً، (بل إن) صورتك لن توجد أبداً، وهيئتك لن تكون أبداً. لن تأتى أبداً لملاقاة «رع» فى سماء يه، فمن الآن ينتسب «رع» إلى سماء يه، إنه ينتصر عليك، وسوف يوضع ذنبك (بفتح

النون) فى فمك، وتاكل لحمك ذاته، (بعد) أن تقطع على مذبح آلهة التاسوع العظيم الذى يقيم فى «هليوبوليس». لقد سقطت صريعاً، لا نهم اجهزوا عليك. وتظهر الأضرار عندما تنبثق حرارة لهيبها ضدك، ويتعالى الصراخ ضدك وقد استحالت ناراً، وتواجهك وجوها فى أتونها... وتحرق أحشائك، بعد أن صدتك بالسكاكين التى فى أيديها، ويصداك «أبناء حورس» أيضاً، بينما تنفذ فيك قدراتهم السحرية، إذ تعترضك تعاويذهم. أنت من الآن «مسحور» على الماء وعلى اليابسة، أنت من الآن «مسحور» فى كل بادرة قد تقدم عليها، فى ساعة نحسك.

لا تهاجم «سفينة الليل» وما فيها من آلهة، إلى الراء، أيها المتمردين! لقد أبعد باؤك، لقد قطعت إرباً، لقد طردت (بعيداً) عن السفينة المقدسة، وطردت منك الروح الشريرة، لقد أجهز عليك، «وعين رع» تلتهمك».

.....

هذا السفر هو سليل من الألفاظ المدمرة، ألفاظ متنوعة أو على وتيرة واحدة بشكل مقصود، إنه ترنيمة موت طويلة، وهذيان سحرى مهول للألفاظ، هكذا يبدو لنا للوهلة الأولى هذا السفر الطقسى، والذى يبرهن برهاناً بيناً على الأهمية القصوى التى أولاهها المصريون «الكلمة» عند تأسيس نظام الكون. وتنهال الكلمات وكأنها سيل من اللعنات، الفعالة وغير المحتملة، ولكنها بلا دواء، وهى موجهة إلى «أپوفيس» فى المقام الأول، ولكن أيضاً إلى المتمردين عند بدء الكون، إن المغامرة الكبرى لرحلة الشمس، تصبح يومياً نسخة مطابقة للزمن الأول، وكل فجر جديد هو صدئ للخلق، إنها المعركة الكبرى، التى تتجدد على الدوام، يوماً بعد يوم، منذ «المرّة الأولى» - معركة الخير ضد الشر والنور ضد الظلمات والنظام ضد الخواء.

ويلعب المعبد وكهنته فى هذه المعركة دوراً فاصلاً. كان المعبد المصرى ينطلق من فلسفة خاصة، فلم يكن مكاناً يتعبد فيه الإنسان ويخلو إلى نفسه كما هو حال الكنائس والمساجد والمعابد اليهودية.

وبداية، فإنه يعتبر بأقسامه المكونة له وأشكاله - خلاصة للخلق وصورة للعالم. إن صرح المدخل يستوحى بنيانه من جبل الأفق بتلّيه، ومن وسطه تنبعث شمس

وبداية، فإنه يعتبر بأقسامه المكونة له وأشكاله - خلاصة للخلق وصورة للعالم. إن صرح المدخل يستوحى بنيانه من جبل الأفق بتلّيه، ومن وسطه تنبعث شمس الصباح. كانت أرضية المكان المقدس ترتفع بالتدريج إلى حدّ ما، بدءاً من المدخل وحتى قدس الأقداس (فى الطرف الآخر من المعبد)، فى حين كان ينخفض السقف على العكس. والناووس الذى يضم تمثال الإله، والذى تتجه إليه أرضية المعبد وسقفه، يمثل الأكمة الأصلية المنبثقة من المياه الأزلية والتى فوقها الإله الخالق. والبحيرة المقدسة، على مقربة من المعبد هى من «بقايا» المحيط الأزلّى. أما بهو الأساطين فهو صورة للكون: فالسقف الملون باللون الأزرق، هو السماء المرصعة بالنجوم الصفراء (فالنجاس هو المادة التى صنعت منها النجوم). كما يزدان أحياناً بخرائط النجوم أو دائرة بروج السماء. ومن الأرضية تنبثق نباتات المستنقعات، وتزين صورها القسم السفلى من الجدار، فى حين أن خصوبة التربة تمثلها «غابة» الأساطين النباتية بالتيجان التى تجسد على نحو خاص أشكال نبات اللوتس والبردى والنخيل. إن «مسار» المعبد، هو عبارة عن ميكروكوزم (عالم صغير) محمّل بقدرة سحرية، كما يهدف أيضاً إلى تصوير رحلة نجم الشمس: إذ يفترض أنه ينبعث من «الصرح» وكأنه «أفقه»، ليواصل طريق حياته ويغمر بنوره الفناء العام وبهو الأساطين، ثم ينتقل بعد ذلك إلى عالم المساء فى ظلام قدس الأقداس الذى يسعى إليه ومن نور المشرق إله ظلال المغرب، يمتزج «طريق» المعبد مع «طريق» الشمس.

وفى هذا المكان المقدس، الرمز المكتمل للكون، كان على الكهنة أن يدافعوا عن الإله، يحمونه ويحافظون على نظام الخلق. وينجزون هذه المهمة الجوهرية بفضل الطقوس والكلمات التى ينطقون بها، ولولاها لعاد الخواء أدراجه. ويبرهن هذا النص على هذا الدور بالبرهان البين.

ولا شك أن تلاوة الترنيمة السحرية الطويلة فى غبش المعبد المقدس كان أمراً مؤثراً، إذ يتلوها الكهنة، وهم مساعداً الآلهة، بصوت جهورى - يتلون التضارعات الكبرى للحق والعدالة لمواجهة الإنحطاط. إنه الصراع الضروس من أجل الخير الذى لا يشارك فيه «رع» فحسب، بل جميع الآلهة أيضاً. ومن ثم، ويوماً بعد يوم، وفى لحظات وساعات محددة، كان رجال مقدسون يسهرون لتتمكن الشمس، عبر رحلتها الأبدية، من مواصلة عملها الخير. كان المعبد هو الحافظ العظيم للنشط للخلق.

ح- «رع» و«إيزيس». (٦٠)

كانت الأساطير التي تحرك المشاعر البشرية موجودة أيضاً في عالم الآلهة. وتُبرز أسطورة من هذه الأساطير بوضوح فضول المرأة الطبيعي ومكرها. كانت الإلهة «إيزيس» الساحرة العظيمة، تود معرفة الاسم السري للإله «رع»، الأمر الذي يعطيها سلطاناً عليه، فدبرت مكيده.

كلمات الإله الذي أتى إلى الوجود بذاته، وخلق السماء والأرض والماء، ونسمة الحياة والنار، والآلهة والبشر، والقطعان والثعابين والعصافير والأسماك، ملك البشر والآلهة مجتمعين (٦١) الذي تتجاوز حدوده السنين، الذي له عدة أسماء، غير معروفة من هذا أو من ذاك.

كانت «إيزيس» امرأة نابهة، كان قلبها أكثر براعة من قلب ملايين البشر، وبصيرتها تفوق مليون إله، وسداد رأيها أفضل من مليون عقل. كانت لا تجهل شيئاً مما كان موجوداً في السماء وعلى الأرض، ومثلها مثل «رع»، الذي كان قد خلق ما يوجد على الأرض، ولكنها كانت تتشوق في قلبها إلى معرفة اسم هذا الإله المعظم.

كان «رع» يدخل يومياً على رأس موكبته ويتربع على عرش الأفقيين، كان تقدمه في السن قد جعل فمه رخواً، ومن ثم كان يترك لعبه يتساقط على الأرض أو يبصقه بإلقائه على الأرض. (وذاًت يوم) عجنت «إيزيس» بيديها لعبه بالتراب الذي سقط عليه. واعطته هيئة ثعبان مقدس وشكلته كسهم (متأهب للإنطلاق)، ولكنه لم يحرك ساكناً أمامها. واستطاعت أن تضعه عند مفترق الطرق التي اعتاد الإله المعظم أن يسلكها، في (ربوع) القطرين، حسب رغبته.

وظهر الإله خارج أبواب (القصر)، في حين كانت آلهة القصر بين حاشيته، (وذلك) ليتنزه كما تعود كل يوم، عندئذ لدغه الثعبان المقدس، فخرجت منه نار الحياة، ثم اختبأ الحيوان وسط البوص. وفتح الإله فمه وبلغ صوت جلالته (حتى) السماء. فقال تاسوعه: «ما هذا إذن؟ ما هذا إذن؟ وقالت آلهته: «ماذا إذن؟» ماذا إذن؟ ولم

يتمكن من الردّ عليها، وأرتعشت شفتاه، وانتفضت أعضاؤه، فالسم كان قد سرى في جسده، تماماً كما يجرف النيل أمامه كل شيء.

عندئذ، ثبت الإله الكبير قلبه واستدعى من كانوا ضمن حاشيته: «تعالوا إليّ، أنتم يامن جئتم إليّ الوجود خارج جسدي، (آيتها) الآلهة التي انبثقت مني، حتى أعرفكم ما أُلّمّ بي. لقد لدغني شيء مؤلم، لا يعرفه قلبي ولم تَره عيناي ولم تصنعه يداي، ولكنني لم أشعر أبداً بمثل هذا الألم. فلا شيء أكثر إيلاًماً من ذلك. وأنا عاهل ملكي، ابن عاهل ملكي، (أنا) نطفة إلهية أتت إليّ الوجود كإله. أنا العظيم، ابن العظيم، (أنا) صاحب الاسم الذي صورّه أبوه. عندي أسماء كثيرة وأشكال كثيرة. وهيئتي هي أيضاً في كل إله. أنا الذي يُدعى «أتوم» و«حورس له الحمد». لقد أخبرني أبي وأمّي باسمي، وأخفيته في جسدي (بعيداً عن متناول) أبنائي، خوفاً من أن يعطى لساحر سلطاناً عليّ. ولما كنت قد خرجت لمشاهدة ما خلقتّه، وكنت اتنزه فوق (أرض) القطرين اللذين صنعتهما، لدغني شيء ما لا أعرفه. وهو ليس بنار، وليس بماء، ولكن قلبي يحترق، وجسدي يرتعد، وأعضائي باردة. ليت أبنائي الآلهة يحضرون، بكلمات مباركة، (الآلهة) التي تعرف التعاويذ السحرية والتي تبلغ معارفها (حتى) السماء.»

عندئذ، جاء إليه أبناء الإله، وكل منهم ينتحب. وجاءت «إيزيس» بسلطانها وتعزيماتها السحرية، مالكة نسمة الحياة، (جاءت) بتعزيماتها السحرية طاردة الأمراض، وبكلماتها القادرة على إعادة الحياة إلى حنجرة تخنق. وقالت: «ما هذا إذن؟ ما هذا إذن؟ يا أباي الإلهي! أأكون أحد أبنائك قد رفع رأسه ضدك؟ عندئذ سوف أعمل على إسقاطه بفضل قدرتي السحرية الكاملة، وأعمل على طرده من مرأى أشعّتك.»

وفتح الإله العظيم فمه (قائلاً): «بالحقيقة، كنت سائراً على الطريق، واتنزه فوق (أرض) القطرين، إذ كان قلبي يتشوق إلى رؤية ما خلقتّه، فلدغني ثعبان، لم أُلحظه على الإطلاق. إنه ليس بنار، وليس بماء، ولكن أشعر أنني أكثر برودة من الماء وأكثر سخونة من النار. إن جسدي كله يتصبّب عرقاً وإنّي ارتعد. ونظرتي غير ثابتة، ولم أعد أرى. وتعمل السماء على أن يتصبّب الماء من وجهي كما (يحدث إبان) فصل الصيف.»

وأجابت «إيزيس»: «اذكر لى اسمك، يا أبى الإلهى! لأن الانسان يحيا من جديد عندما يُنادى باسمه. - «أنا الذى فطر السماء والأرض، الذى ربط الجبال، الذى خلق ما يوجد عليها. أنا الذى أوجد الماء بحيث تستطيع البقرة (التي تدعى) «محت - ورت» أن تأتى إلى الوجود. (٦٢) لقد أوجدت الثور من أجل البقرة، بحيث أتت اللذة الجنسية أيضاً إلى الوجود. أنا الذى أوجد عالم الآلهة وأسرار الأفقيين، وهناك أقمت «با»ات الآلهة. أنا الذى يستدعى النور عندما يفتح العيون، ويأتى بالظلام عندما يغمضها. ومياه النيل تتدفق بأمره، هو الذى تجهل الآلهة اسمه، أنا الذى استدعيت إلى الوجود الساعات والأيام، أنا الذى حدد توزيع أعياد السنه، والذى خلق النهر، أنا الذى أوجد نار الحياة، لأمنح الوجود لأنشطة المعبد، أنا «خبرى» فى الصباح، و«رع» عند سميت النهار، و«آتوم» فى المساء. (٦٣) - ولكن ذلك لم يوقف سريان السم ولم يتعاف الإله العظيم.

عندئذ قالت «إيزيس» لـ «رع»: «ان اسمك ليس من بين تلك (الاسماء) التى ذكرتها لى. اذكره لى إذن، وسوف يفارقك السم، فالإنسان يحيا من جديد عند النطق باسمه.»

كان السم يحرقه حرقاً، وكان أشدّ من كَيّ النار. عندئذ قال «رع»: «أعيرينى سمعك، يا ابنتى «إيزيس»، بحيث يمر اسمى من جسدى إلى جسدك، لقد أخفاه أكثر الآلهة قدسية، ليكون مقامى رجباً فى سفينة ملايين السنين، وعندما سيخرج من قلبى، اذكره لابنك «حورس»، وخذى عليه عهداً إلهياً، بوضع الإله أمام بصره.» وافشى الإله العظيم اسمه لـ «إيزيس»، «الساحرة العظيمة»

«تسرب، يا سُمّ العقرب، اخرج من «رع» ومن «عين حورس»! اخرج من الإله، أيها الملتهب، بفضل تعزيمتى! أنا تلك التى تعمل، وأنا تلك التى تطرد، إغرب عنى إلى داخل الأرض، (أيها) السم الفعال! انظر لقد افشى الإله العظيم اسمه، ان «رع» يحيا والسم قد مات! حسب كلمات «إيزيس»، الساحرة العظيمة، سيدة الآلهة، التى تعرف «رع» باسمه،

هذه الأسطورة هى أيضاً درس فى السحر يعمل به البشر، كما تشهد على ذلك

نهاية النص.

هذه الكلمات ينطق بها، على صورة لـ «أتوم» و«حورس له الحمد» بصورة لـ «إيزيس» وصورة لـ «حورس»، مرسومة على يد المريض، وعلى هذا الشخص أن يلصقها. كما يمكن عمل ذلك على ضمادة من الكتان الرقيق ثم توضع على حنجرة المريض. وهذه وسيلة لمقاومته سم العقرب. أو يمكن أيضاً عمل (نفس الشيء) مع الجعة والنبيد فيقوم الإنسان الذي لدغه عقرب بشربها. وذلك هو ما يقضى على السم. إنه فعال حقاً، لملايين المرات.

إن مصر عالم «مسحور» حيث يظل الآلهة والبشر قريبين جداً من بعضهم بعضاً رغم كل شيء.

وإذا كانت «إيزيس» تضطلع في هذه الحالة بدور جاحد إلى حد ما، فإن أسطورة أخرى تجعل منها زوجة وأماً مثالية.

٢- أسرار آلام «أوزيريس».

اتخذت الأسطورة الأوزيرية، وهي أسطورة إنسانية وشعبية، أشكالاً كثيرة، منذ العصور القديمة وحتى انتشارها في عالم حوض البحر المتوسط. إن مقوماتها المختلفة منذ عصر الأهرامات (عام ٢٨٠٠ ق.م تقريباً) وحتى بلوتارخ (٥٠-١٢٥ تقريباً) لتبرهن على استمرارية هذا المعتقد الذي انتشر في بلاد الإغريق وروما وكافة أرجاء العالم الكلاسيكي القديم. وبالفعل لقد كان «أوزيريس» بآلامه وبعثه يعلم البشر طرائق الخلود. بل إن عبادته ظلت قائمة حتى القرون الأولى للميلاد في أقطار حوض البحر المتوسط. إنها مثال آخر للقوة الراسخة للروحانية الدينية المصرية.

كان «أوزيريس»، ابن «چب» و«نوت»، هو ملك الأرض وكان ملكاً فاضل
البشر الزراعة وزراعة الكروم والفنون، وكان أخوه «ست» يحقد عليه حقداً
فتآمر عليه. فإوثق «ست» أخيه «أوزيريس»، وقتله وألقى جثته فى الماء. وت
نصوص أحدث وهو يقطع جسد أخيه إلى أربع عشرة قطعة، بعثرها فى
الأرض. وفى الحالتين، كانت الصورة الأسطورية لـ«أوزيريس» (وكان إلهاً لا
فى الأصل) تضمها شعيرة للخصوبة : سواء اتحد جسده بالماء أو نثر فى
وكأنه البذور فى فصل البذر.

عندئذ، تنتحب «إيزيس» شقيقته وزوجته و«نفتيس» شقيقته الأخرى وزوجة
وجابت «إيزيس» و«نفتيس» البلاد بحثاً عن جثمان «أوزيريس». وأنقذ هذا الاخ
التعفن بفضل أمه «نوت» التى «وصلت عظامه، وأعادت قلبه إلى مكانه فى
ووضعت رأسه من جديد فى مكانه». ثم بعث فيه «رع» الحياة وهكذا أمّن بعثه
قاطعا. وفى نسخ الأسطورة الأقل قدماً، يوفد «رع» الإله «أنوبيس» لإعادة
الجسد المقطع ليعدّ بالتالى المومياء الأولى، بينما اتخذت «إيزيس» هيئة طائر
الأنفاس إلى زوجها فأخذت ترفرف بجناحيها الكبيرين، وسوف تستكمل الـ
السحرية التى نطقت بها عملية إعادة الحياة إلى الإله. وأذ تمددت على
«أوزيريس»، حملت منه بابل، هو «حورس»، الذى ستنشئه سرّاً فى مستنقعات
لتجنبه أنتقام عمه «ست» .

إن «أسرار» بعث «أوزيريس» هى أيضاً «أسرار» الإنبات : فسوف يعود إلى
الحياة، مثل البذرة المدفونة فى التربة فى الخريف لتنبت مع حلول الربيع^(٦٤)،
«أوزيريس» ضمنته دورة الكون، إن «حورس»، الطفل المولود بعد وفاة أبيه، يره
تواصل العائلة والأخلاف، فالابن يخلف أبيه، ويشهد بأفعاله على برّ الوالدين -
فضيلة عزيزة على المصريين. وبالفعل فإن «حورس» الفتى سوف ينتقم لأب
خضم معركة مع «ست» ويستعيد الميراث الذى يستحقه. وسوف ينطق «رع» بأ
وهذه المبارزة، مظهر جديد للصراع الذى لا ينتهى بين الخير والشر، وسوف
«أوزيريس» من الآن العالم السفلى فى حين يتولى «رع» ملك السماء ولك
التوزيع للإختصاصات يحلّ محله فى الغالب الإتحاد المطلق لهذين الرمزين لا
الأبدى للحياة.

وبعد بعث «أوزيريس» حياً ، بفضل ممارسات «إيزيس» الشعائرية ومساعدتها (وعلى رأسهم «أنوبيس» المحنط) وبفضل تعزيمات زوجته الساحرة، يقدم للبشر نموذجاً للخلود. ان تكرر هذه الشعائر، وترديد كلمات الزوجة الوفية من جديد، يعنى إمكانية ضمان استمرار الحياة للجميع.

وفى المعابد، وفى معبد «أبيدوس» فى المقام الأول، وهو المكان المقدس العظيم للإله «أوزيريس»، كان القوم يكررون «أسرار» الإله على هيئة عرض تمثيلى إيمائى، ولا شك ان الكهنة كانوا يرتدون الأقنعة، ويقومون بأوار الآلهة. وكان فى وسع الشعب المحتشد على شواطئ النهر وفوق التلال أن يرى من على بعد عرض هذه الأسرار (وعلى الأقل القسم الذى يؤدى فى الخارج)، والتى تسهم قوتها الفعالة فى الحفاظ على حياة «أوزيريس»^(٦٥).

أ- مراثى «إيزيس» و«نفتيس»^(٦٦).

مشهد من «أسرار» «أوزيريس» فى «أبيدوس».

بداية المقاطع الشعرية لعيد «الشقيقتين»، المقام فى معبد «أوزيريس» الذى يرأس اهل الغرب، الإله العظيم، سيد «أبيدوس»، (العيد المقام) خلال الشهر الرابع من فصل الفيضان، من اليوم الثانى والعشرين وحتى اليوم السادس والعشرين، وسيُقَدَّس المعبد بكامله. وسيتم إحضار امرأتين طاهرتين الجسد، لم تنفتحا بعد (=عذراوين) وسيتم نزع شعر أعضائهما، وترتديان على رأسيهما شعراً مستعاراً وتحملان دفين، سيشار إلى اسميهما على كتفيهما، لتمييز «إيزيس» من «نفتيس»^(٦٧) وسترتلان المقاطع الشعرية من هذا السفر فى حضرة الإله.

وسوف تقولان (فى بداية الأمر) : «ياسيدنا أوزيريس» - أربع مرات.

كلمات يقولها «الكاهن المرتل»^(٦٨) بصفته رئيس هذا المعبد:

«يا عظيم السماء والأرض» - أربع مرات..

كلمات تقولها حاملتا الضفائر :

«أيها الفتى الجميل، عدْ إلى دارك،
فمنذ أمد طويل، منذ أمد طويل، لم نرك.
أيها اللاعب بالمصلصلة، الجميل(الطلعة)، عدْ إلى دارك،
الأول... بعد أن تكون قد ضللت بعيداً عنّا،
أيها الفتى الجميل (الذى) رحل فجأة،
الشاب الشديد البأس، الذى لا كان يومه.
الصورة المقدسة لأبيه « تنن » (٦٩)،
النطفة السرية المنبثقة من «أتوم»،
السيد، السيد الذى يتميز عن آبائه،
الأول فى بطن أمه،
عدْ إلينا فى هيئتك الأولى.
سوف نحتضنك ولن تباعد أبداً عنّا،
أيها الكائن (يا) صاحب الوجه الجميل والحب العظيم.
(يا) صورة «تنن»، أيها الذكر، (يا)سيد الأهواء.....
صاحب الجسد الثقيل، المدثر بالاشرطة،
عدْ فى سلام، ياسيدنا، لنشاهدك،
لنتحد الشقيقتان فى جسدك، الذى لا نشاط فيه إطلاقاً.....
يا رئيسنا، ولّ وجهك شطرنا.
إن كريباً عظيماً قد عمّ بين الآلهة،
لانه ليس فى وسعها أن تفهم الطريق الذى اجتزته.
أيها الصبى الصغير، الذى لا كان يومه،

اقطع السماء والأرض فى هيئتكَ الأولى،
 أنت ثور الشقيقتين،
 تعال إذن فى سلام، أيها الصبى الدائم الشباب،
 يا سيدنا لنشاهدك،
 اتحد بنا مثل الذكر،
 إن «تبها»^(٧٠) (هو بالفعل) على خشبة (الإعدام)،
 عد فى سلام، يا ابن أبيك الأول،
 أقم فى منزلك، بلا خوف،
 سوف يحميك ابنك «حورس» وينتقم لك،
 لقد انصرف (الثعبان) «نيك»^(٧١)،
 إنه فى أتون النار كل يوم،
 وقد بُتر اسمه، خارج عالم الآلهة،
 لقد مات «تبها»، وهلك،
 يمكنك أن تبقى فى منزلك، بلا خوف،
 إن «ست» (ضالع) فى كل الشر الذى اقترف،
 فقد أمر بالفوضى فى السماء،
 وتركز الفكر من أجلنا،
 وأصيبت الأرض معنا...،
 وإذ بعيوننا تبكى بسببك،
 بالمدمع الملتهب،
 ياللول ! منذ أن ابتعد سيدنا عنا،
 أيها الكائن (يا) صاحب الوجه الجميل والحب العظيم،

أيها الثور الذى يخصب الأبقار،
عُد أيها اللاعب بالمصلصلة، يا صاحب الوجه المشرق،
الوحيد الذى يدوم شبابه، ويحلو مشاهدته،
أيها السيد وسط النساء،
يا فحل الأبقار،
أيها الصبى ذو الكمال الأسمى،
ليتنا نراك من جديد فى هيئتك الأولى.

(«إيزيس»)

كذلك أتوق إلى رؤياك،
أنا أختك «إيزيس»، التى أحبها قلبك،
فحبك يلزمنى وأنت بعيد.
وأغرق هذا البلد (دموعاً) فى ذلك اليوم.

(تلاوة ثنائية)

اقترب، وسوف يقدم لك الحمد، بفضلنا،
وإذا حرمننا منك، تنقصنا حياتنا (نا)،
عُد إذن فى سلام، (يا) سيدنا، حتى نراك،
أيها الملك، عُد فى سلام.
تعال لتطرد الشر (؟) من منزلنا.
اتحدّ بنا وكأنك ذكر.

*

كلمات (أخرى) كثيرة تقولها حاملتا الضفائر:

« يا «أوزيريس»، يا ثور الغرب،

الأوحد، الدائم، الأكثر بهاء بين غيره من الآلهة،

الصبي الذي يتزوج، (٧٢)

وريش «جب» العظيم (٧٣)،

سليل الإله، من بين الآلهة.

عُدْ إلى الأرملتين !

إن آلهة التاسوع جمعا،

تصدُّ «ست»، من أجلك، عن مقاصده.

ليت من يطلق عليه اسم «الويلات» يكون خلف المحارب، في حضرة أبيه «رع»،

عندما يأمر بطرد المتمردين.

هيا ! احضر إذن إلى هنا قرب مُنشدَتَيْك،

واصرف الكآبة من بيتنا.

هيا ! احضر إذن قرب منشدتيك،

فلا يطيب لك ان تكون بمفردك.

وسيعيد سيدنا السلام إلى منزله.

إن الأقوى منه قد ضرب ذاك الذي كان وجهه ضعيفاً.

ومنذ ان انضم الشرير (٧٤) إلى أقرانه،

ونشر على الأرض مقاصده (الرهبة) ،

ساد وسط الآلهة كرب عظيم،

وآلهة التاسوع وضعت رأسها على ركبتيها، (٧٥)

نظراً لأنك الأكثر بهاءً بين الآلهة.

أين هو إذن ،من كان يمشى على الأرض، عظيماً (منذ أن كان) فى بطن (أمه)،
ومن كان يحمل الصل على جبهته؟
ذاك الذى تشكل وفقاً لارادته، متى يعود إذن؟
أيها الجسد الإلهى، ياسيد الحب،(الكائن) البهى، الوافر الحب.
أيها «دبا» الإلهى، فلتعش من جديد !
فلتتحد الشقيقتان بجسدك،
فلتقترب إذن من هنا كما فى السابق.
وتتجه إليك الأثأت بالملايين....
هيا ! احضر إذن إلى هنا قرب منشدتيك!
إن والدك «رع» يعاقب الشرير،
ان آلهة التاسوع تخدعك، ومن هم فى بطانتك يصدون «الحر».(٧٦)
اطرد الكرب العظيم عن امرأتك الكريمتين،
عندئذ سيكون منزلك فى فرح، ويكون الشرير فوق خشبة الإعدام،
ويكون المتمرّد فى أسى، نظراً لما فعل،
فقد غمر الأرض بمقاصده السيئة،
وعمل على هبوط «السماء العليا» على الأرض.
وبعد أن أطيح به، اقتيد إلى مكان تنفيذ الإعدام فيه،
اقتيد إلى الخشبة (حيث يتم إعدام) المتمردين،
إن والدك «رع» سيحمى عزمك،
وابنك «حورس» سيجيب أمامك.
فلتصل إذن إلى الأرض فى هيئتك التى أتيت (عليها) إلى الوجود،
فلتعتبر «السماء العليا» فى (أركانها) الأربعة،

فلتحط أخيراً على الأرض فى القاعة الفسيحة بالمعبد الكبير،
وسوف تقوم رفيقتاك على خدمتك،
انهض! انهض! انظر، إن «ست» موجود فى موقع تنفيذ الإعدام،
فالتمردون، لا يوجد منهم من (يتمرد) عليك،
حيا! احضر إذن إلى بيتك، يا «أوزيريس»، إلى منزلك، حيث يسعى الناس إلى
رؤيتك من جديد،
استمع نواح «حورس» وهو على يدى أمه «إيزيس».
اطرد من بعثرك فى أرجاء «القطرين»، جَمع جسدك، حتى يستطيع («حورس») أن
يتسلم ميراثك!
أيها الإله العظيم، استعد هيئتك ثانية،
ولا تبتعد أبداً عن بيتك، أيها «أوزيريس»!
عدْ فى سلام إلى منزلك، ياسيد الرعب، على تلك الهيئة التى فيها كل الجمال،
أيها النور العظيم، ياسيد الهوى،
تزاوج مع أختك «إيزيس»،
اطرد الآلام التى هى الآن فى جسدك،
ليتها تعانقك، ليتك لا تبتعد عنها أبداً،
أعد الحياة إلى صدر البقرة!
واه! أنت محمى (منذ الآن)، يا من أغرقت فى إقليم «أفروديتوبوليس» (٧٧)
لأن الشر قد (صار) وكأنه لم يوجد قط،
وتأتى أختك إليك، وتطرد النجاسات من جسدك،
أيها الإله العظيم الحى، يا صاحب الحب العظيم،
الذى يقوم على رأس الوجهين القبلى والبحرى،
تزين إذن أيها السيد بزينتك،

أيها الذكر العظيم، يا سيدّ الجمال،
 هيأ أحضر إلى أمك «نوت»، وسوف تتمدد عليك عندما تأتي إليها،
 وهكذا ستحمي جسدك من الشرّ،
 والتائه سيسير إليها،
 وسوف تطرد من جسدك الأواء كلها،
 (فتصبح) العزلة كأنها لم توجد قط،
 وإذا بالطفل، السيد المنبثق من السماء العليا
 قد أعاد تكوين هذه الأرض كما في سالف الزمان،
 السيد، الطفل الخارج من أحشاء تلك التي خصبتها الآلهة،
 والذي يفتح الغرب في موسمه،
 الطفل الذي أخذ يسير، خارج الزمان،
 سوف يحميك أبوك «رع»،
 ويشكلك ابنك «حورس»،
 ان «ست» وراء كل ما اقتُرف من شر،
 عد إذن إلى منزلك، بلا خوف،»

كلمات تقولها حاملتا الضفائر:
 «إيها اللاعب بالمصلحة، الجميل (الطلعة)، عد إلى منزلك!
 فليعل شأئك، فليعل شأئك (من أجل) عودتك إلى منزلك!
 بينما تتربع الآلهة على عروشها،

(إيزيس،)

أنا امرأة مفيدة لأخيها،

(أنا) زوجتك وشقيقتك (ك) وأمك،
 عد إذن إليّ، على جناح السرعة،
 لأنى اشتاق لمشاهدة وجهك من جديد، منذ الزمن الذى لم أتمكن من تأمله فيه،
 فالظلام يبقى لنا هنا، فى عيوننا وإن كان «رع» فى السماء،
 إن السماء والأرض متحدتان والظلام يخيم اليوم على الأرض،
 إن قلبى يحترق، لانفصاله عنك، يالليل!
 إن قلبى يحترق، لأنك أدت ظهرك إليّ!
 ومع ذلك، لا، لن تجد أبداً خطأ تلومنى عليه،
 والآن (يسود) «المنطقتين»^(٧٨) الإضطراب وتضلّ الدروب،
 بينما أسعى أنا لأراك من جديد،
 عندما أوجد فى مدينة بلا أسوار،
 فأبنى اتحسّر على حبك لى،
 عداً لاتظل وحيداً! لاتظل بعيداً!
 انظر، سيعمل ابنك «حورس» على عودة «تبها»، إلى خشبة الإعدام،
 لقد اختبأت وسط (حقول) البوص لإخفاء ابنك «حورس» لينتقم لك،
 لأنها كانت مشكلة عسيرة أن أكون بعيدة عنك، على هذا النحو،
 ولم يكن الأمر حسناً بالنسبة لجسدك (= «حورس»)،
 (أما) أنا فقد انصرفت وحيدة وأجوب (حقول) البوص،
 بينما الأعداء يتمزقون غيظاً ضد ابنك،
 وكانت امرأة تعادى هذا الغلام،
 ولكن كنت أعلم ذلك فى الحقيقة (أنا) ورئيس العدالة أيضاً،
 لقد جبت الدروب، وهمت بسبب أخى الذى هجرنا (ى)، فهو سبب تعاست (ى)،

كما تحترق أيضاً قلوب مئات الألوف،
فالآلهة مثقلة بألم شديد.

(تلاوة ثنائية)

إننا ننتحب على السيد،
فحبنا، لك لن يفارق وجهينا.
أنت (أيها) الذكر، (يا) سيد الهوى،
(يا) ملك الوجهين القبلى والبحرى، (يا) سيد الزمن الأبدى،
ارتفع حياً، يا حاكم الزمن اللانهائى،
لقد مات «ننرخ»، (٧٩)

(«إيزيس»)

ياملك الوجهين القبلى والبحرى، أيها السيد، الذى خرج صوب «الأرض
المقدسة» (٨٠) - هذا ليس فعلاً (صادراً) عنك فى وسعى أن أصدقته،
يا أخى، أيها السيد، الذى خرج صوب «أرض الصمت»، (٨٠)
عُدْ إلَى فى هَيْئَتِكَ الأولى!
عُدْ فى سلام، عُدْ فى سلام!
يا ملك الوجه البحرى، أيها الملك، هيا! عُدْ فى سلام،
فلنشاهد وجهك من جديد، كما فى سالف الزمان، وكما اشتقت أن أراه،
وساعدائى ترتفعان لحمايتك، أنت الذى أحببته،
لقد أحببت «المنطقتين»، لأنه يدور فى خلدى

أنتك تسلمت التاج فيهما. (٨١)

ترابك بخور.

أيها الزوج، (يا) أخى، (يا) سيد الحب، هيّا، عُدْ فى سلام إلى منزلك.

أيها اللاعب بالمصلحة، الجميل (الطلعة)، هيّا عُدْ إلى بيتك، فقد انقطعت عنه،
منذ زمن بعيد، منذ زمن بعيد.

أملكك سرّية، يا ثور الغرب.

إن المكان الخفىّ للحكم موجود فى معبد «سوكر» (٩) (٨٢)

تحية! باسمك كحاكم الزمن اللانهائى.

«حورس»، الجسور، قادم إليك،

إنه يطهرّ جسدك، ويجمع السوائل التى تنساب منه.

انضم إذن إلى جسدك، أيها الإله العظيم واستعد هيئتك من جديد.

(تلاوة ثنائية)

هيّا، عُدْ فى سلام، ياسيدنا، العائد إلى الحياة،

(ومن الآن) سوف يحميك ابنك «حورس».

عُدْ إلى منزلك، فمعبدك مغمور بالحب الذى تثيره.

أيها الملك الخير...

الأوحد، ذو القوة الجبارة.

إن ابناً هو الذى (فتح) جسد (أمه)،

بينما كان لـ «جب» سلطان عليها.

أيها الزين، العظيم حباً،

الذى عمل ضد الغرب، الذى يتغلب على الهياج،
ياسيد الآخرة السفلية، يا ثور الغرب، ياسليل «رع - حور - آختى».
(أيها) الطفل الجميل الطلعة،
هيا! عُد إلينا فى سلام، هيا! عُد إلينا فى سلام!
تخلص من غيظك، انبذ غضبك،
أيا سيدنا، تعال إلينا فى سلام، تعال إلينا فى سلام!

(«إيزيس»)

أيها العائد إلى الحياة، هيا! عُد إلينا فى سلام!
يا أخى،
هيا! عُد لأراك، ياملك الوجه البحرى، يا حاكم الزمن اللانهائى!
ليت قلبك لا يكون متعباً، لا يكون متعباً، ياسيدنا،
هيا! عُد إلى منزلك، بلا خوف..»

(الشعيرة) العظمى للحماية التى لا ينبغي أن تُرى أو تُسمع.
كلمات يقولها الكاهن - المرتل :
«أيها اللاعب بالمصلصلة، الجميل (الطلعة)، هيا! عُد إلى منزلك!
إن آلهة التاسوع تسعى إلى رؤيتك، أيها الطفل، أيها السيد، الذى (فتح) جسد
(أمه)،

أيها الطفل، إن الحب الذى تثيره هو عليك،
(أيها) الوريث المبارك منذ أن أتى إلى الدنيا،

(إيها) الابن الخير المنبثق من ذاك الذى يرى ويسمع.
لقد قامت «إيزيس» على رعايتك. لاتبعد عن دارك.
لقد انتزعت رؤوس (أعدائك) حباً لك،
وينتحب (الناس) من أجلك فى أسى، ورؤوسهم تلتفتت إلى الورا،
أيا «ونن نفر»، يا ممون الطعام، أيها الملك العظيم الهيبة،
أيها الإله الذى يتفوق على الآلهة (الأخرى)،
إنك تنزل إلى الماء سفينة ذاك الذى انجبك،
أنك بطل بالنسبة للآلهة.
النيل هو فيض جسدك، الذى يُحى الأشرف والشعب، على حد سواء،
ياممون الغذاء، يا حاكم النبات الأخضر،
... الكبير، شجرة الحياة التى لا تتوقف عن منح ما يرضى الآلهة،
والقرايين التى تخرج على الصوت، من أجل الموتى النورانيين،^(٨٣)
استيقظ، (وقد أصبحت) معافى ومزدهراً، أنت يا سيد المخدع،^(٨٤)
يا مالك «العين - وجات»،^(٨٥) (فما زلت) صاحب الأسرار فى الأفق،
الذى يتلأأ إذا أن الألوان،
الذى يتألق فى وقته.^(٨٦)
النور ملكك، نظراً لما يتوفر لك من أشعة،
بينما تضى فى الشرق من أجل «آتوم»،
ففى الإمكان مشاهدتك بدلاً من «رع»،
عندما تختفى^(٩) أشعتك، تصبح مومياء،
بينما يخلق «با» وك خلف «رع»،
إنك تسطع عند الفجر وتغرب فى المساء.

أنت باقر في كل يوم.
أنت موجود على يسار «أتوم» للزمن الأبدى والزمن اللانهائي، وتظهر و
«نيبد»^(٨٧) ملعون، لقد هلك في حضرة (الإله)،
فهو معروف بسبب أفعاله الخسيسة.
ها هو المتمرّد يرتدّ إليك، نظراً للمذبحة التي وقعت ضده،
ويقدم لك الكاهن^(٨٨) القرّبان،
وهو يعظّم كافة الآلهة.
والتاسوع في فرح عند قدومك،
وتقضى يوماً النهار إلى جانب «رع».
أيها المتجمّع^(٨٩) إن القوم يرونك في الشرق،
أيها المتجمّع، ان الأحياء يرونك.
إن تآلق قرص «رع» هو ملك لك،
والتاسوع بأكمله، ملك لك،
والصلّ على رأسك في سعادة،
لأن لهبه قد هاجم أعدائك.
افرح إذن بسبينا، فعظامك قد ربطت الآن،
ويتمّ حصر جسدك يومياً.
وتدخل مثل «أتوم» في زمنه، دون أن يكون من الممكن إبعادك،
وربطت عنقك من أجلك.
ومن أجلك يشق «وآب وأوات»^(٩٠) الجبال ويحطم الدفّنات،
لأن الأرض المقدسة ملكك أنت،
وملكك أيضاً الشقيقتان.

(تلاوة ثنائية)

لقد نسيت الأحزان، بفضلنا.
 إننا^(٩١) نجمع أعضائك من أجلك، وسط النواح،
 سعياً لحماية جسدك...
 هيا! إذن تعال إلينا، لينسى القوم عدوك،
 هيا! تعال في الصورة التي كنت عليها على الأرض،
 اطرده غضبك وكن حليماً من أجلنا، أيها السيد!
 استرد ميراث القطرين،
 أيها الإله الأوحده، صاحب المقاصد المباركة من أجل الآلهة.
 ولذا فإن جميع الآلهة في فرح بسببك.
 عدْ إلى منزلك، بلا خوف.
 «رع» يحبك، والسيدتان الكريمتان تحبانك.
 ابقِ إذن في دارك في سلام، للزمن اللانهائي.»

كلمات تقولها حاملتا الضفائر:
 «أيها اللاعب بالمصلحة، الجميل (الطلعة)، عدْ إلى منزلك!
 ليعلْ شأنك، ليعلْ شأنك، من أجل عودتك إلى منزلك، بينما تتربع الآلهة على
 عروشها.

واها! هيا تعال في سلام،
 ياملك الوجه البحري، هيا! تعال في سلام!
 سوف يحميك ابنك «حورس»،
 عندئذ سوف تبعد البؤس العظيم عن سيدتك الكريمتين،

وسوف يضيئنا وجهك بحبوره.
أيها الطفل، حسب اشتياق الناس إلى رؤياك،
تعال، إذن إلينا، وسوف (نؤمن) لك الحماية، كل الحماية، بدافع من حبنا.
هيا! تعال إلى منزلك، بلا خوف.
أنت يا أيتها الآلهة التي في السماء،
يا أيتها الآلهة التي في الأرض،
يا أيتها الآلهة التي في العالم السفلي،
يا أيتها الآلهة التي في (نهر) النيل،
اتبعينا إلى جوار سيدنا، سيد الحب،
أيها الأخ الذكر، يا سيد الهوى،

(«إيزيس»)

واها تعال إليّ!
السماء متحدة بالأرض،
واليوم، حلّ طيف على الأرض،
والسماء ملتصقة بالأرض،
واها تعال معي!
الرجال والنساء في المدينة يبحثون عن سيدنا،
من كانوا يسيرون على الأرض في زمنه.
تعال إليّ! السماء ملتصقة بالأرض.
ليت القوم يدفعون الإله إلى العودة إلى داره،
فلتتحد الأنفاس بأنفئه!

فليتحق السيد بقصره.
أيا «رع» احمه،
فارتكاب الشر هو لغتك،
حيث أن قلبي يشفق إلى رؤياك،
أيها الوريث، ياملك الوجه البحرى أيها الطفل الجميل،
ياسيد الحب،
تعال إلى (يا سيدى) لأشاهدك اليوم.
إن أخى عائد، فلنشاهدك،
إن ساعدى كبيران لحمايتك،
ان ساعدى عاليان، ان ساعدى عاليان لحراستك،
أيها الذكر، (يا سيد الشباب)، (أيها) الطفل - فلنحم سيدنا،
(ومع ذلك) فإننى ابنة «جب» وقد انفصلت أنت عنى،
أيها العائد إلى الحياة، الذى لم يحلّ زمن (هـ) بعد،
إنى أسير عبر الدروب بسبب حبى لك،
إنى أطفأ الأرض ولا أكلّ أبداً عن البحث،
فى داخلى حرارة بسبب حبى لك،
واه! تعال لأراك!
إنى أبكى على وحدتك،
تعال إلى، على جناح السرعة، نظراً لأننى (لا أزال) اشتاق لرؤياك،
بعد ان تمنيت (بشدة) ان أتمكن من تأمل وجهك،
واه! سوف يعم الحبور معبدك،
سوف تُحمى، تُحمى فى سلام.

(تلاوة ثنائية.)

واه! واه! إن سيدنا يعود إلى منزله،
وأقام الناس من حول معبده حماية سحرية.
إن سيدنا يعود إلى داره في سلام.
فلتستقر بثبات في منزلك، بلا خوف،
قليعلُ شأنك، قليعلُ شأنك، ياسيدنا!
انصت إلى مدى بعيد، أيها الإله العظيم،
وعُد في سلام عادل.
ارفع نفسك إلى جوار «رع» ولنتنصر على الآلهة.

(إيزيس،)

يا «هنى»، (٩٢)، عُد في سلام،
لكى أراك، أيها الطفل، بينما تستعيد هيئتك كطفل.
لقد سقط «هاى»، (٩٣)
و«حورس» هو الحاكم.
ذاك الذى كان قد (أصبح) أرفع شأناً منك (=«ست»)، لن يرتكب أبداً شيئاً
ضدك.
انهض وسط الدائرة^(٩٤) التى تشكلها شقيقتك،
يامحبيب أبيك، (يا) سيد الحبور،
أنت الذى اختارته إرادة التاسوع.

إن معبدك يتألق بجمالك،
 والتاسوع يخشى هيبتك،
 والأرض زلزلت بسبب ما تثيره من خوف،
 أنا زوجتك التى تعمل من أجلك،
 (أنا) أخت مباركة لأخيها.
 تعال لأشاهدك، ياسيد حبي!
 فليعلُ شأنك، فليعلُ شأنك، فى هيئتك المعظمة، هيّا! تعال لأشاهدك.
 (أيها) الكائن (الذى لازال) ضعيفاً، سر! أيها الطفل، واه! تعال لأشاهدك.
 الضفتان والقطران تبكى بسببك،
 والتلال تنتحب من أجلك، لاسيما وأنتك هذا الذى يستيقظ معافى مزدهراً.
 السماء والأرض تبكيان بسببك، لا سيما وأنتك هذا الذى هو أعظم من الآلهة
 (الأخرى).
 و(القوم) لم يتوقفوا عن عبادة «كا» لك،
 تعال إذن إلى منزلك بلا خوف،
 ان ابنك «حورس» ينصب فخاً فى مدار السماء.
 ويمسك التاج المزدوج بالوهق* (١٥) - فلن تخاف شيئاً
 سوف يحملك ابنك «حورس»،
 ويصرع من أجلك حلفاء «نييد».
 واه! أيها السيد الذى كان خلفى فى «چبعت» (٩)،
 إننى أراك اليوم، وعطر جسديك هو عطر «پونت» (١٦).
 وتتعبد السيدتان الكريمتان إليك، فى سلام،
 والتاسوع بأكمله فى حبور.

تعال إذن فى سلام، إلى جانب زوجتك،
 إن قلبها يخفق حباً لك،
 إنها تعانقك - فلن تتبعد عنها أبداً -
 إن قلبها فرح لمشاهدة جمالك،
 بعد أن سمحت لها بالإبتعاد عن بيت الأسرار،^(٩٧)
 إنها تطرد أوجاع بدتك،
 والجروح أيضاً، وكأنها لم توجد قط.
 أنك تضع الحياة من جديد أمام زوجتك،
 واه! أنت محمى (الآن)، أنت الذى كنت قد غرقت فى حقول
 «أفروديتوبوليس»، فى ذلك اليوم،
 كانت إساءة بالغة وعملاً خسيساً، لا مثيل له،
 إن البقرة^(٩٨) تبكى من أجلك، بصوتها،
 لأنها تحبك حتى أطراف قلبها،
 ويخفق قلبها عندما تشعر بالسرور وأنت بين أحضانها،
 فى حين تعانق جسدك بساعديها،
 تلك التى تاتى إليك مسرعة - أو: فى سلام^(٩٩) -
 فتحميك من الكائن الشرير،
 ومن أجلك تعيد الإزدهار إلى لحمك فوق عظامك،
 ومن أجلك تربط أنفك فوق وجهك،
 ومن أجلك تُجمّع عظامك، لتكون كاملاً^(١٠٠) (من جديد)،
 وإليك تاتى، أمك «نوت»، فى سلام،

(المترجم)

* الوهق : حبل فى طرفه أنشودة يطرح فى عنق الدابة وغيرها حتى تؤخذ.

فتعيد بناءك بفضل الحياة التى هى ملك جسدها .
 كن قوياً! كن قوياً! كن خالداً! كن خالداً!
 فلتكن القدرة ملكاً لك، أيها الذكر، ياسيد النساء (ياحامل) مخروط الطيب فوق
 شعرك، متجهاً إلى الأرض المقدسة.
 لقد صنّع المخروط الذى فوق شعرك من بخور يتجدد من ذاته^(١٠١).
 اخرج إذن! وتعال فى سلام! تعال فى سلام!
 يا ملك الوجه البحرى، أيها العاهل الملكى، تعال فى سلام!
 إن يدى «سيدة» (مدينة) «سايس»^(١٠٢) فوقك،
 إن قلب «شنتيت»^(١٠٣) يلتف حولك،
 لأنك إله منبتق من إله.
 يا «مكاتى»^(١٠٤)، لا يوجد شئ سواك!
 شعرك من الفيروز... بينما أنت عائد من حقول الفيروز.
 شعرك من اللزورد، فهو يخص اللزورد^(١٠٥)،
 اللزورد فوق شعرك.
 إن لون أعضائك هو لون نحاس الوجه القبلى.
 وعظامك من الفضة^(١٠٦).
 لأنك طفل جديد^(١٠٧).
 وفقراتك من الفيروز.
 أو: ^(١٠٨) إن عطر شعرك هو عطر البخور الذى يتجدد من ذاته،
 وما فوق شعرك هو من اللزورد،
 إن «جب» يحمل القرايين من أجلك،
 ويضع الإله الذى انجبه فى المقدمة.

(تلاوة ثنائ)

أيها الوريث الرئيسى، المنبتق من «رع»،
 أيها الابن الأكبر، صاحب الوجه الجميل،
 أيها لـ «با» الحى الذى تم ربطه،
 الطفل المنبتق من ذاك الذى يرى ويسمع،
 الابن الأكبر فى المحاربين، وريث «جب»،
 الذى أعطاك كل ما يحيط بقرص الشمس،
 تعال إذن إلى منزلك، يا «أوزيريس»، أيها القاضى الإلهى،
 افتح عينيك لترى،
 بدد السحاب،
 أعد النور إلى الأرض فى ظلماتها،
 تعال إلى منزلك، يا «أوزيريس» الواقف على رأس أهل الغرب، تعال إلى منزلك،
 أنت يا من خرجت من جسد (أمك - واضعاً منذ ذلك الوقت) الصلّ على جبينك،
 فلتضى عينك الأرضيين والآلهة،
 انتصب، انتصب، يا سيدنا!
 هذا الذى تمرد عليك هو الآن على خشبة الإعدام، فلن يوجد أبداً،
 كن خالداً، كن خالداً، خالد هو اسمك!
 وأعضائك هى لك، (من جديد)، أيا «ونن - نفر»، فليكن حياً، ومزدهراً وفى ص
 طيبة!
 إن بدنك هو لك (من جديد)، أنت يا من كان قلبك متعباً،
 يا «أوزيريس» إن كل ما تتفوه به كامل،
 فالإله «حو»^(١٠٩) هو الذى على فمك،

ووالدك «تائن» يرفع السماء،
 لتتمكن من التجول فيها عبر مناطقها الأربع.
 إن «با» لك لا يطير نحو الغرب،
 فأنت على صورة «رع».
 أولئك الذين في العالم السفلي يسبقونك في حبور،
 بينما يفتح «جب»^(١١٠) من أجلك على الرحب والسعة وما بداخله،
 عندئذ يحضرون إليك، في سلام.
 وأنت، اذهب في سلام إلى «بوزيريس»^(١١١)
 انتصب، انتصب في السلام!
 إن «إيزيس»، سيدة الأفق، قادمة إليك، مثلما أتت إلى العالم «بالكائن» الأوحده،
 مرشد الآلهة^(١١٢)
 سوف تحرسك،
 سوف تحميك،
 سوف تحمى «حورس»،
 هي التي جلبت ذكراً من أجل أبيه،
 سيدة الكون، المنبثقة من «عين» «حورس»،
 السيدة النبيلة (التي) أنجبها «رع»،
 والتي خرجت من إنسان عين «أتوم»،
 عندما أشرق «رع» للمرة الأولى».

(هكذا وصلنا إلى نهاية النص).

إنه نص طويل وإخراج مسرحى خُصص للمراثى والتجديد الإلهى.

يشارك فى التمثيل العديد من الأبطال: وعلى رأسهم «إيزيس» و«نفتيس»، وهما الشقيقتان الحزيتان اللتان تنشدان بمصاحبة الدف، انشاداً ثنائياً فى بعض الأحيان، ولكن إيزيس فى أغلب الأحوال تناجى بمفردها الإله المتوفى لبعثه حياً. هذه الأناشيد عبارة عن أنات حب طويلة نتيجة الفراق الذى يعتصر المرء أسى. كما تستعيد إلى الأذهان البحث الذى لا يكلّ من جانب الزوجة العاشقة فتعلن نداءً جياشاً لتجديد الحياة. ويوجد ممثل آخر، هو الكاهن المرتل، إنه الرجل الملم بالشعائر المقدسة وساحر المعابد: فالكلمات التى ينطق بها تربط الإله المتوفى بالحياة التى لا تعرف الكلل لنهر النيل وعالم النبات وتوحد هذه الكلمات بين «أوزيريس» والشمس انطلاقاً من شكل آخر من أشكال الخلود الكونى. ومن ثم، وبفضل المناجاة المزوجة القائمة على الحب البشرى وعلى الشعائر السحرية التى تسعى إلى دمج «أوزيريس» فى مجمل قوى الحياة فى الكون، سوف يبعث «أوزيريس» حياً - فى القسم الأخير من هذا النص.

وكلمة «خى» التى نترجمها بكلمة «طفل»، والتى تطلقها هذه الوثيقة فى الغالب على «أوزيريس»، فمعناها الحرفى هو «المشيى» أى «الذى ينسب إلى المشيئة» (والباء الموجودة فى نهاية كلمت «خى» هى ياء النسب وهى واحدة كما نلاحظ فى اللغتينى المصرية القديمة والعربية - المترجم). ويمر «أوزيريس» بفترة حمل جديدة، حمل تكتنفه الأسرار. وسوف يولد من جديد، خارج المشيئة - الأم، كطفل جديد، إنه طفل يرمز إلى الأرض الخصبة (وسوف يكون بلون الفيروز وهو لون عشب الحقول والقمح فى فصل الربيع). إنه كائن سماوى وشمسى ويغضى رأسه اللانزود، بلون زرقة السماء وأعضاؤه من النحاس (وهو مادة النجوم) ومن الفضة (التي تشير إلى بياض أشعة النجم وشدة تألقه). إنه كائن خالد، رائحته هى رائحة البخور، فهو نبات الحياة.

إن ميلاد «أوزيريس» الجديد وبعثه حياً بعد آلامه، هو خلق جديد، على غرار خلق الطفل «الشمس» (اسم مذكر فى المصرية القديمة - م) الذى يولد من جديد مع كل فجر عن جسد إلهة السماء. (سواء كان جسد امرأة أم جسد بقرة). إن مصير «أوزيريس» و«رع» مصير واحد بلا حدود، ولن يستطيع متمرّد، كائننا من كان، أن

يعرقله فى كلتا الحالتين، إنهما إلهان متكاملان، ويندمجان أحياناً اندماجاً تاماً، فيعملان إلى الأحياء وإلى الكائنات الميتة موتاً مؤقتاً، درساً خالداً فى الحياة، إن عمل «أوزيريس»، الإله القريب من البشر، سوف يستأنفه ابنه «حورس» أيضاً وتتواصل الأسطورة الأوزيرية فى إطار العائلة.

ب- ميلاد «حورس» (١١٣)

رعد وبرق - الآلهة خائفة، «إيزيس» ساهرة، إنها حبلى، حاملّة بذرة أخيها «أوزيريس»، وتنهض، هذه المرأة المهجورة، إن قلبها مبتهج ببذرة أخيها «أوزيريس»، وتتحدث قائلة: «أيها الإله، أنا «إيزيس»، أخت «أوزيريس»، تلك التى تذرف الدموع على أبى الآلهة، «أوزيريس»، هذا الذى كان القاضى (خلال عصر) قلائق القطرين،^(١١٤) إن بذرتة هى الآن فى جسدى، لقد جمعت هيئة إله فى داخل بيضة، مثل ابن من يقف على رأس التاسوع، سوف يحكم هذا البلد، ويخلف «جب»، ويدافع عن أبيه ويذبح «ست»، عدو أبيه «أوزيريس»، تعالى يا أيتها الآلهة! أمنى حمايته فى بطنى! اعترفى فى قلبك بأنه حقاً هو سيدك، هذا الإله الذى ما زال داخل بيضته أزرق هو مظهره، فهو سيد الآلهة، وأعظم منها وأجمل، ويهز ريشتيه (المصنوعتين) من اللازورد،^(١١٥)

- وقال «رع-آتوم»: «واه! فليكن ابنك راضياً، أيتها المرأة! ولكن من أين لك أن تعرفى بالفعل، أن الأمر يخص إلهاً، هو سيد، ووريث الآلهة الأولية، فى حين أنك تنشطين، داخل بيضة؟»

- «أنا «إيزيس» القديرة، المقدسة أكثر من سائر الآلهة، إن إلهاً موجود داخل جسدى، إنه بذرة «أوزيريس».

عندئذ قال (لها) «رع-آتوم»: «لقد حبلى فى الخفاء، بهذا الطفل الذى تحمليه، (ولكن) ستلدين بجوار الآلهة، لأنه بذرة «أوزيريس»، والكائن العدوانى الذى قتل أباه، ليته لا يحضر ليكسر البيضه فى شبابها، ليته يتخوف من الإله، العظيم قتل أباه، ليته لا يحضر ليكسر البيضه فى شبابها، ليته يتخوف من الإله، العظيم.

سحره ا

وقالت «إيزيس» استمعى إلى ذلك، أيتها الآلهة. لقد تحدث «رع-آتوم»، سيد قصر الصقور. لقد اصدر أوامره من أجلى، لحماية ابنى داخل جسدى. لقد حشد حرساً من حوله فى بطنى، فهو يعرف تمام المعرفة أن الأمر مرتبط بوريث «أوزيريس» ويتولى «رع-آتوم» سيد الآلهة، حماية الصقر الذى هو أنا.

تعال، اخرج إلى الأرض، لأهلل لك وامتدحك، ليلحق بك، رفقاء أببك «أوزيريس». سوف أثبت اسمك بعد أن تكون قد وصلت إلى الأفق، متخطياً أسوار الإله صاحب الاسم الخفى. وتخرج قوة من بدنى، بعد أن قامت قدرة وهاجمت بطنى. وتبلغ هذه القدرة أوج عنفوانها عندما يبدأ المتألق رحلته. (١١٦) لقد حدد (حورس) مقره بنفسه، فجلس على رأس الآلهة، فى مجمع «الذى تقطعت أوصاله» («أوزيريس»). «حورس» يا بنى، استقر إذن فى هذا البلد، من أجل أببك «أوزيريس»، باسم الصقر هذا الذى يخصك والموجود على أسوار قصر الإله صاحب الاسم الخفى. إنى التمس بقاىك ضمن حاشية «رع-حور أختى»، عند قيود مركب (الكائن) الأولى، للزمن الأبدى والزمن اللانهائى.

وتهبط «إيزيس» نحو «الذى تقطعت أوصاله»، مصطحبة «حورس» كى تطلب أن يبقى هو أيضاً معه، مثل صورة إلهية، للزمن الأبدى.

- تأملوا إذن «حورس»، أنت، يا أيتها الآلهة ا-

-أنا «حورس»، (أنا) الصقر العظيم الذى فى أسوار قصر الإله صاحب الاسم الخفى. لقد بلغت انطلاقتى الأفق، وابتعدت عن آلهة السماء، واتخذت مقامى فى مكان أسمى من مكان (الآلهة) الأوليه. وحتى الإله «يا أو» ليس فى وسعه أن يبلغ طلعتى الأولى. إن مكانى بعيد عن (مكان) «ست»، عدو أبى «أوزيريس». لقد غزت دروب الزمن الأبدى والنور. إنى ارتقى بفضل إنطلاقتى. وليس فى وسع إله (غيرى) أن ينجز ما انجزته. سوف أخوض حرباً ضد عدو أبى «أوزيريس»، وأضعه تحت نعلى باسمى «العنيف» هذا. فأنا «حورس»، الذى ولدته «إيزيس»، الذى أمنت حمايته منذ كان داخل البيضة. إن أنفاس فمكم المتوهجة لا تستطيع أن تجرحنى، تماماً كما لا يصيبنى ما تقولونه فى حقى. أنا «حورس»، الذى يتخذ مكاناً بعيداً عن الآلهة وعن البشر، أنا «حورس» بن «إيزيس».

يكشف هذا النص عن نزعة تلفيقية مرهفة تجمع مختلف الآلهة التي تحمل اسم «حورس»، والتي سميت على اسم هيئتها الأصلية، اسم الصقر-«حورس»، الذي كان يطلق في سابق الزمان على هذا الطائر. وفي المقام الأول نجد أن هذه النزعة التلفيقية تربط بين «حورس» بن «إيزيس» والصقر الشمسى الملقب في السماء. وجدير بنا أن نلاحظ تداخل ظروف مولدهما، وأوجه التماثل بينهما واختلاط خصائصهما، إلى جانب عداؤهما المشترك للكائنات الشريرة.

لقد ظل المصريون منذ قديم الزمان يسعون إلى مثل هذه الإتحادات الإلهية، فقد آلت أوجه الغموض المقصودة هذه، إلى شيء من الوحدة خلف مظاهر التعددية - الأمر الذي جعل الميثولوجيا المصرية واحدة من أكثر الميثولوجيات تعقيداً بالطبع، ولكنها أيضاً أكثر ميثولوجيات العالم القديم ثراء من الناحية الروحية.

ج- المعارك ضد «ست»

* المباراة مع «حورس»، ومحاكمة الآلهة. (١١٧)

الحكمة

[عندئذ انعقدت المحكمة] التي أنيط بها الفصل بين «حورس» و«ست»^(١١٨) - الإلهين صاحبي الأشكال السرية، الباسلين، وهما أعظم (الآلهة) التي وجدت على الإطلاق. غير أن صبيلاً إلهياً كان يجلس في حضرة سيد الكون، مطالباً بمنصب أبيه «أوزيريس» (الإله) صاحب الإشراقات الجميلة، ابن «تپاح»^(١١٩)، المتألق... من ضيائه. بينما كان «تحوت» يقدم العين «وچات» إلى الأمير العظيم الذي يقيم في «هليوبوليس»^(١٢٠).

عندئذ تحدث «شو» بن «رع» أمام «أتوم»، الأمير العظيم الذي يقيم في «هليوبوليس»، قائلاً: «الحقيقه والعداله هما سيدتا القوة. [اعمل بهما] قائلاً: فليعط

المنصب لـ«حورس».» وقال «تحت» للتاسوع أيضاً: «وهذا حقيقى ألف ألف مرة». . وفى الحال، أطلقت «إيزيس» صرخه مدويه، وفرحت فرحاً شديداً.. [وجاءت] إلى حضرة سيد الكون وقالت عندئذ: «سوف تتجه ريح الشمال، نحو الغرب وتلطف بالتالى قلب الملك» و«ننفر» (١٢١) - ليكون حياً ومزدهراً وفى صحة طيبة! «وتحدث «شو» بن «رع» (إلى «تحت») قائلاً: «قدّم إذن للتاسوع العين «وچات»، العادلة.»

ولكن سيد الكون تحدث قائلاً: «فما معنى إذن ان تتخذوا انتم قراراً بمفردكم؟» (١٢٢) «فاجاب التاسوع: «فليجدد» («تحت») إذن الألقاب الملكية لـ«حورس»، وليوضع التاج الأبيض على رأسه». ظل سيد الكون صامتاً لفترة طويلة. كان غاضباً على التاسوع. عندئذ، أخذ «ست» بن «نوت» الكلمة قائلاً: اطرحوه فى الخارج معى. وسوف أسعى ليتمكن القوم من مشاهدة يدى بينما تمسك يده، على مرأى من التاسوع، نظراً لعدم وجود كلمه (تستطيع) أن تحرّمه. (١٢٣) فأجاب عليه «تحت»: «ألن نسعى (أولاً) لمعرفة من أخطأ؟ وهل سنعطى وظيفة «أوزيريس» إلى «ست» بينما ابنه «حورس» موجود هنا؟» وثار «رع-حور-أختى»، ثورة جارفة، جارفة جداً، لأن قلب «رع» كان يميل إلى إعطاء المنصب لـ«ست» (إله) القوة العظمى وابن «نوت». عندئذ أطلق «أونوريس» صيحة مدوية فى حضرة التاسوع قائلاً: «ما العمل، إذن؟» وأجاب «أتوم» الأمير العظيم الذى يقيم فى «هليوبوليس»: «فلنستدع «با-نب-چدت»، (١٢٤) إله الحياة العظيم، ليحكم الشابين.»

فأتوا إذن بـ«با-نب-چدت» - الإله العظيم، المقيم فى جزيرة سهيل (١٢٥) - (فمثّل) فى حضرة «أتوم» ومعه فى نفس الوقت «پتاح-تاتن»، وقال لهما «أتوم»: «افصلا بين الشابين وضعا حدّاً لمشاجراتهما اليوميه!» ولكن (تحدث) «با-نب-چدت» إله الحياة العظيم ليرد على هذه الأقوال: «لا تسمح بأن نتخذ قراراً بسبب ما نحن عليه من جهل. ارسل (بالأحرى) خطاباً إلى «نيت» الأم الإلهية العظيمة. وما تمليه علينا، سنفعله.» ومع ذلك، قال التاسوع لـ«با-نب-چدت»، إله الحياة العظيم: «لقد سبق ان صدر حكم أولى، فى «قاعة العدل الكبرى».» وقال التاسوع عندئذ لـ«تحت»، أمام سيد الكون: «أعدّ إذن خطاباً للأم الإلهية «نيت» العظيمة، باسم سيد الكون، الثور الذى يقيم فى «هليوبوليس».» وأجاب «تحت» قائلاً: «سأعده، يقيناً، سأعده، سأعده.» وهنا جلس لتحرير هذا الخطاب، وقال: «(من قبل) ملك الوجهين القبلى والبحرى،

«رع-أتوم»، محبوب «تحتوت»، سيد القطرين، الهليوپوليتانى، القرص الذى ينير الأرضين بضياءه، النيل الفاتح العظيم، «رع-حور-أختى»، (إلى) الأم الإلهية «نيت» العظيمة، صاحبة الوجه المتألق التى تتحكم فى الحياة والصحة والشباب المتجدد. إن الـ«با» الحى لسيد الكون، الثور الذى يقيم فى «هليوپوليس»، الملك الكامل للبلد المحبوب (يكتب لك) ما يلى: خادمك^(١٢٦) هذا يظل خاملاً بسبب «أوزيريس»، فيستشير يومياً القطرين (حول هذا الموضوع) - فى حين يقيم «سوبك» للزمن الأبدى، إقامة راسخة^(١٢٧) ترى ماذا سنفعل إذن من أجل هذين الرجلين، اللذين (يقفان) منذ ثمانين عاماً أمام هذه المحكمة، وما زلنا لا نعرف كيف نفصل بينهما؟ بلغينا إذن (برسالة منك) حول، ما ينبغي عمله. ووجهت الأم الإلهية «نيت» العظيمة رسالة إلى التاسوع، قالت (فيها): «سلّموا وظيفة «أوزيريس» إلى ابنه «حورس»، لا ترتكبوا أفعالاً شنعاء ظالمة، ليس (هنا) مجالها، وإلا سوف تثور ثائرتى، فأجعل السماء تدنومن الأرض، قولوا إذن لسيد الكون، للثور الذى يقيم فى «هليوپوليس»: ضاعف أملاك «ست» واعطه ابنتيك «عنات» و«عشتار»^(١٢٨) وأقم «حورس» مكان أبيه «أوزيريس».

وصل خطاب الأم الإلهية «نيت» العظيمة إلى التاسوع، بينما كان مجتمعاً فى القاعة الفسيحة (المسماة) «حورس-هو-الذى-يتولى-أمر-الأقواس»، وسلّم الخطاب إلى يد «تحتوت»، وقام هذا الأخير بقراءته بصوت مرتفع فى حضرة سيد الكون والتاسوع بأكمله. وبعد ذلك قالت الآلهة فى فم واحد: «هذه الإلهة على حق». وعلى ذلك، فقد احتدّ سيد الكون على «حورس» قائلاً: «أنت كائن ضعيف الجسد، وأهمية هذه الوظيفة فوق قدراتك، لأنك (لا تزال) غلاماً شقيماً، تفوح من فمه رائحة (اللبن)». وثارت ثائرة «أونوريس»، لألف ألف مرة، والتاسوع بأكمله أيضاً، أى - الثلاثون^(١٢٩) ثم نهض «بابا»^(١٣٠) ليقول لـ «رع - حور - أختى»: «معبدك مهجور». وتألّم «رع - حور - أختى» من هذه الأجابة، واستلقى على ظهره، وكان قلبه حزيناً، إلى حدّ كبير. وخرجت آلهة التاسوع خارج (القاعة). وصاحت صيحة مدوية فى وجه الإله «بابا»، قائلة له: «اخرج، أنت! فقد ارتكبت جريمة شنعاء». ثم توجهت إلى مقارها. وقضى الإله العظيم يوماً وهو مستلق على ظهره، فى حجرته. وكان قلبه حزيناً إلى حدّ كبير، وكان وحيداً.

وبعد فترة طويلة، وصلت «حتحور» سيدة جَمِيْزة الجنوب.^(١٣١) وظلت واقفة في حضرة أبيها، سيد الكون، وكشفت أمامه عن أنوثتها. عندئذ، انفجر الإله العظيم ضحكاً بسبب ما فعلت. فنهض واجتمع (مجدداً) مع التاسوع العظيم. وقال لـ «حورس» و«ست»: «تحدثا إذن!»

عندئذ، قال «ست» (الإله) العظيم القوة، ابن «نوت»: «أما فيما يخصني، هأنا «ست» (الإله) العظيم القوة، في وسط التاسوع. إنى أبيد، عدو «رع»، يومياً، عندما أقف عند قيوم السفينة المقدسة للملايين السنين. فلا نعلم (بوجود) إله (آخر) في وسعه ان يفعل ذلك. فعلى إذن أن أحصل على وظيفة «أوزيريس». عندئذ، قالت الآلهة: «إن «ست» بن «نوت»، على حق.» ولكن «أونوريس» و«تحت» أطلقا معاً صيحة مدوية وقالوا: «اتعطى هذه الوظيفة لشقيق الأم، بينما يقف هنا الابن المولود من جسد هذه الأخيرة؟» وأردف «با - نب - جدت» إله الحياة العظيم قائلاً: «أتعطى هذه الوظيفة إلى هذا الغلام، بينما يقف هنا «ست»، الأخ الأكبر.» وأطلقت (أيضاً) آلهة التاسوع صيحة مدوية في وجه سيد الكون، وقالت: «ماذا تعنى هذه الكلمات التي تفوهت بها»^(١٣٢) فهي غير جديرة بأن تسمع؟

ثم تحدث «حورس» بن «أوزيريس» قائلاً: «لن يكون تصرفاً سليماً بالطبع، ان يتم تجريدي في حضرة التاسوع وأن تنتزع منى وظيفة أبى «أوزيريس».» (وبدورها استشاطت «إيزيس» غضباً على التاسوع وأقسمت بالإله أمامه (التاسوع) قائلة: «حقاً، وكما أن أسى الإلهة «نيت» تحيا، وكما أن «بتاح - تاتن»، صاحب الريشيتين الطويلتين والذي يلوى قرون الآلهة يحيا، ففي الحقيقة أيضاً، لسوف تضع هذه الكلمات أمام «آتوم»، الأمير العظيم الذي يقيم في «هليوبوليس»، ويحدث الشئ نفسه مع «خپرى»^(١٣٣) الموجود في قلب سفينته المقدسة.» ورد عليها التاسوع قائلاً: «لايسومك الأمر، فسوف يعاد الحق إلى صاحب الحق، ويكون العمل (حسب) كل ما قلته أنت.»

عندئذ ثارت ثائرة «ست» بن «نوت» على آلهة التاسوع، عندما وجهت هذه الكلمات إلى الأم الإلهية «إيزيس» العظيمة. وقال لها: «سوف أتناول صولجانى (الذى يزن) أربعة آلاف وخمسمائة «نمس»^(١٣٤) وأقتل كل يوم واحداً منكم.» ثم أقسم لسيد الكون قائلاً: «لن أظل في هذه المحكمة طالما بقيت فيها «إيزيس».» عندئذ قال «رع - حور - أختى» لآلهة التاسوع: «اركبى البحر (يا أيتها الآلهة) إلى الجزيرة الوسطى

وهناك، سوف تحاكمينهما. ولكن سوف تخبرين العبّار «عنتى»^(١٣٥) بالألا يسمح بعبور أية امرأة تشبه «إيزيس».

الجزيرة الوسطى

عندئذ (أبحر) التاسوع على (متن) القارب فى طريقه إلى الجزيرة الوسطى، وكانت الآلهة جالسة وهى تأكل الخبز.

وجاءت «إيزيس» واقتربت من العبّار «عنتى». وكان هذا الأخير جالساً على مقربة من سفينته. وكانت («إيزيس») قد تحولت إلى امرأة عجوز وتتقدم منحنية تماماً وتمسك فى يدها حلقة صغيرة من الذهب. وقالت له: «لقد حضرت إليك لالتمس منك العون لأعبر إلى الجزيرة. الوسطى لقد جئت (وانا) أحمل وعاء من الدقيق من أجل غلامى الصغير الذى مضت عليه خمسة أيام، فى الجزيرة الوسطى، وهو يحرس بعض الماشية^(١٣٦)، فلا بد انه يتضور جوعاً». وأجابها «عنتى»: «لقد أخبرونى بالألا تسمح بعبور أية امرأة» - (قالت) «إيزيس»: «أليست «إيزيس» هى المعنية بذلك؟» - قال العبّار: «ماذا ستعطينى لأساعدك على العبور إلى الجزيرة الوسطى.» - (قالت) «إيزيس»: «سأعطيك رغيفاً.» - (قال) العبّار: «ماذا أفعل برغيفك؟ فهل اصحبك فى قاربى حتى الجزيرة الوسطى فى حين أنه قد تم التنبيه علىّ بعدم السماح بعبور أية امرأة، وذلك مقابل رغيف؟» - (قالت) «إيزيس»: «سأعطيك هذه الحلقة الذهبية التى فى يدي.» - (قال) العبّار: «أعطنى هذه الحلقة الذهبية!» وعلى ذلك فقد اصطحبها فى القارب إلى الجزيرة الوسطى.

وبينما كانت تسير تحت الأشجار، تلفتت فرأت آلهة التاسوع، جالسة، وهى تأكل خبزها فى حضرة سيد الكون الذى كان يقيم فى جوسق. و«ست» الذى كان يلتفت هو أيضاً، رآها قادمة إلى هذا المكان بينما كانت لا تزال بعيدة. عندئذ تفوهت برقية سحرية فتحوّلت إلى فتاة، جسدها آية فى الجمال، لم يكن لها مثيل فى هذه البلاد بأسرها. فتحرّكت شهوة «ست» نحوها، حتى أمرضته، (مرضاً) اشتدت وطأته. فنهض بينما كان جالساً يتناول الخبز مع (غيره) من آلهة التاسوع. وسار نحوها، فى حين لم يرها أحد غيره. وظل واقفاً خلف شجرة ونادى بصوت مرتفع وقال لها:

«أودّ أن ابقى هنا معك، أيتها الفتاة الجميلة!» وأجابته: «واه! ماذا، ياسيدي العظيم، لقد كنت زوجة راعٍ، وانجبت له ابناً، ولكن مات زوجي وصار الصغير حارساً للقطعان التي كانت ملكاً لأبيه. عندئذ جاء (رجل) غريب، وأقام في حظيرتي ووجه كلامه إلى ابني الصغير على هذا النحو: سوف أضربك وأستولى على ماشية أبيك وألقى بك في الخارج. هكذا تحدث إليه، وإنني أرغب (الآن) أن تعمل لصالحه، نظراً (لما لك من) سلطان. وأجابها «ست»: «أُتَعطى الماشية (للرجل) الأجنبي، بينما الابن موجود هنا؟»

عندئذ تحولت «إيزيس» إلى حدأة، وحلقت لتحط في أعلى شجرة ونادت على «ست» بصوت مرتفع قائلة له: «فلتدرف عيناك بسببك أنت، إن فمك هو الذي تحدث، إن حكمتك هي التي أدانتك. ماذا تريد إذن بعد ذلك؟» عندئذ وقف «ست» هناك، ثم توجه إلى «رع-حور-أختي» وبكى، فقال له «رع-حور-أختي»: ماذا تريد بعد ذلك؟ فأجابه «ست»: «لقد جاءت إليّ هذه المرأة الشريرة من جديد، لتمثل على حيلة خبيثة. فتحولت في وجودي إلى فتاة جميلة وأخبرتني: كنت زوجة راعٍ ولكنه مات، وكنت قد أنجبت له ابناً، الذي أصبح حارساً لبعض الماشية التي كانت ملكاً لأبيه. وجاء رجل غريب إلى حظيرتي بصحبة ابني وأعطاه خبزاً، وبعد انقضاء عدة أيام، بعد ذلك، قال هذا الرجل لابني: سوف أضربك وأستولى على ماشية أبيك فستصبح ملكي. هكذا تحدث إلى ابني. وهكذا أخبرتنى به.» وأجاب «رع-حور-أختي»: «ماذا قلت لها إذن؟» - (قال) «ست»: «لقد أخبرتها قائلاً: «أُتَعطى الماشية (للرجل) الأجنبي، بينما الابن موجود هنا؟ هكذا تحدثت إليها. سوف يضرب وجه الدخيل بالعصا، وي طرح خارجاً ويقام الابن مكان أبيه. هذا ما قلته لها.» وأجاب «رع-حور-أختي»: «انظر إذن، لقد حكمت بنفسك على نفسك. ماذا تريد أيضاً؟» عندئذ قال «ست»: «فليتم احضار العَبَّار «عنّتي»، ولتوقع عليه عقوبة كبيرة، بقولنا: سوف يقال له: لماذا ساعدتها على العبور؟» عندئذ تم احضار العَبَّار «عنّتي» في حضرة آلهة التاسوع. وأنزلت الأجزاء الأمامية من قدميه (١٣٧) وأقسم «عنّتي» في حضور التاسوع العظيم، بخصوص الذهب، اعتباراً من هذا اليوم، (اقسم) قائلاً: «فليكن الذهب من الآن ملعوناً لمدينتي بسببي!»

الانتصار الأول لـ «حورس».

عبرت آلهة التاسوع إلى البر الغربى. وجلست على التل، فى زمن الليل. (١٣٨) وهم «رع-حور-أختى» معه «آتوم»، سيد القطرين، «الهليوبوليتانى» وأرسلا، فى آن واحد، (رسالة) إلى التاسوع يقولان فيها: «أنتم تجلسون هناك، ولكن ماذا تفعلون؟ أما عن الفتيتين، فهل تفعلون فعلكم بحيث يقضيان وقتهما فى المحكمة؟ عندما يصلكم خطابنا، (١٣٩) سوف تضعون التاج الأبيض على رأس «حورس» بن «إيزيس» ليتربع على عرش أبيه «أوزيريس».

ثارت ثائرة «ست»، إلى أن أمرضته مرضاً شديداً. ولكن تحدث التاسوع إلى «ست» قائلاً: «لم أنت ثائر؟ ألا ينبغى أن تعمل طبقاً لما قال «آتوم»، سيد القطرين، الهليوبوليتانى، (وتحدث) معه «رع-حور-أختى» فى آن واحد؟». عندئذ ثبت التاج الأبيض على رأس «حورس» بن «إيزيس» وفى هذه اللحظة صاح «ست» صيحة مدوية فى وجه التاسوع، وإذ ساءه الأمر (إساءة بالغة)، قال: «ترى أيعطى المنصب لأخى الأصغر، بينما، أنا، الابن الأكبر موجود هنا؟ واقسم قائلاً: «سوف يخلع التاج الأبيض من على رأس «حورس» بن «إيزيس» ثم يلقى به (أى «حورس») فى الماء. كما سوف أتشاجر معه بصدد هذه الوظيفة الملكية». وفعل «رع-حور-أختى» نفس الشيء. (١٤٠)

المبارزة الجديدة والصراعات السحرية

عندئذ قال «ست» لـ «حورس»: هيا، نتحول إلى فرسى نهر ثم نغص فى المياه الدافقة فى قلب «الشديدة الإخضرار» (١٤١). ومن يطفو مناً (على سطح الماء)، بعد فترة ثلاثة أشهر، لن يؤول إليه هذا المنصب، وغاص الرجلان.

وعلى ذلك جلست «إيزيس» تبكى قائلة: «إن «ست» يريد قتل ابنى «حورس». ثم انصرفت بحثاً عن كُبة خيط، وجدلت حبلاً. ثم احضرت «دبناً» (١٤٢) من النحاس وصهرته على هيئة سلاح مخصص للماء (١٤٣). وربطته بالحبل وألقت بالسلاح فى المياه، فى المكان الذى كان «حورس» و«ست» قد غاصا فيه. (١٤٤) ولكن الخطاف

النحاسى نشب فى جلالة ابنها «حورس»، فصرخ هذا الأخير صرخة مدوية قائلاً: «انجدينى يا أمى «إيزيس»، يا أماه. نادِ على خطافك النحاسى أن ينفصل عنى. فأننا «حورس» بن «إيزيس»!« عندئذ صدرت عن «إيزيس» (بدورها) صيحة مدوية وقالت لخطافها النحاسى: «أنفصل عنه. انظر، إنه ابنى «حورس»، إنه ابنى». عندئذ انفصل عنه الخطاف النحاسى. وألقت به «إيزيس» مرة ثانية فى الأمواه فنشبت فى جلالته «ست». (وبدوره) صاح هذا الأخير (متألماً) وقال «ما الذى ارتكبته فى حقك، أيا أختى «إيزيس»؟ نادِ على خطافك النحاسى ان ينفصل عنى أيا «إيزيس»، أألس، شقيقك، ونحن من بطن واحدة؟» عندئذ انتابها ألم عظيم والتفت قلبها نحوه. فناداها «ست» (من جديد): «اتبتغين البغضاء»^(١٤٥) مع شقيقك «ست» الذى أنت وهو من بطن واحدة؟» عندئذ نادى «إيزيس» على خطافها النحاسى: «انفصل عنه. انظر، فإنك تنشب فى شقيق «إيزيس» الذى أنا وهو من بطن واحدة». وانفصل الخطاف النحاسى عنه.

ولكن «حورس» بن «إيزيس» استشاط غضباً على أمه «إيزيس»، فخرج من (الماء)، ثائر الوجه كوجه فهد من الجنوب، وكان سكينه (الذى يزن) ستة عشر دبناً بيده، فقطع رأس أمه «إيزيس»، وأخذه بين يديه وحمله فوق التل، وتحولت «إيزيس» إلى تمثال من الصوان بلا رأس، وقال «رع-حور-أختى» إلى «تحوت»: «تُرى من هى إذن تلك التى أتت وهى بلا رأس؟» فردَّ «تحوت» على «رع-حور-أختى» قائلاً: «يا سيدى الكامل، إنها الام الإلهية، «إيزيس» العظيمة. فقد قطع ابنها «حورس» رأسها». عندئذ صاح «رع-حور-أختى» صيحة مدوية وقال لآلهة التاسوع: «هياً بنا نوقع عليه عقاباً صارماً!» وصعد التاسوع إلى التل بحثاً عن «حورس» بن «إيزيس». وكان «حورس» راقداً تحت شجرة فى بلد الواحة، واكتشفه «ست» فامسك به وطرحه على ظهره، عند قمة التل، ثم انتزع عينيه من مكانهما ودفنهما فوق التل، لينيرا الأرض^(١٤٦). عندئذ تحول إنسانا العين إلى برعمين، ونموا (ليصبجا) زهرتى لوتس. وعاد «ست» أدراجه ليخبر «رع-حور-أختى» هذه الفريه: «لم أعثر على «حورس»- وإن كان قد وجده فى الحقيقة.

رحلت «حتحور» سيدة جميزة الجنوب وعثر مع «حورس» فى الصحراء، (فوجدته) راقداً وهو يبكى. عندئذ اقتنصت غزاله، وحلبتها، وهى تقول له «حورس»: «افتح عينيك

لأضع فيهما هذا اللبن.» وفتح «حورس» عينيه، ووضعت («إيزيس») فيهما اللبن، وضعت منه في العين اليمنى، ووضعت منه في العين اليسرى، وقالت له (أيضاً): «افتح عينيك»، ففتحتهما، ونظرت إليهما ووجدت أنهما قد شفيتا. وانصرفت إذن لتخبر «رع-حور-أختي» قائلة: «لقد عثرت على «حورس» وكان «ست» قد سمل عينيه، ولكنى عملت اللازم لينهض من جديد. انظر، إنه قادم!»

عندئذ قال التاسوع: «فليُستدع «حورس» ومعه «ست»، في آن واحد، وليُحاكما! ومثلاً أمام آلهة التاسوع، وتحدث سيد الكون إلى «حورس» و«ست» في حضرة (التاسوع) قائلاً: «انصرفا، ولكن اسمعا (أولاً) ما أقوله لكما، فلتاكلا وتشربا، ولنعش أخيراً في سلام. توقفا عن الشجار كل يوم على هذا النحو، توقفا عن الشجار، توقفا عن الشجار، توقفا عن الشجار!» عندئذ، قال «ست» لـ«حورس»: «تعال، نقض يوماً سعيداً في منزلي»، فأجابه حورس: «سأفعل ذلك، بالتأكيد، سأفعل ذلك»، وبعد فترة المساء، نُصب لهما سرير، ورقد الرفيقان، وأثناء الليل صلب «ست» ذكره ووضعه بين فخذي «حورس». عندئذ وضع هذا الأخير يده بين فخذه وتلقى على هذا النحو نطفة «ست»، ثم توجه إلى جوار أمه «إيزيس»: «تعالى إلىّ، يا «إيزيس» يأمّاه، تعالى لترى ما فعل بى «ست»! وفتح يديه وتصرف بحيث استطاعت أن ترى نطفة «ست». عندئذ صرخت «إيزيس» صرخة مدوية وتناولت سكينها النحاسى وبترت يد «حورس» وألقت بها في الماء، ثم انتشلتها (منه) وأعادتها له^(١٤٧). ثم احضرت قليلاً من مرهم طرى ودلّكت به ذكر «حورس». وبعد أن تصلب (العضو) أدخل في وعاء وتصرف «حورس» بحيث سالت منه النطفة. وإذ حملت «إيزيس» هذه النطفة وتوجهت بها عند الفجر إلى حديقة «ست» وقالت لبستانى هذا الأخير: «ما هى الخضروات التى ياكلها «ست» معك؟» أجاب عليها البستانى (قائلاً): «إنه لا ياكل معى أى خضروات عدا الخس». عندئذ وضعت على (الخس) نطفة «حورس» فلما حضر «ست» كعاداته اليومية، أكل من الخس الذى اعتاد أن يأكله، وحمل من نطفة «حورس».

ثم أخذ «ست» يقول لـ «حورس»: «هيا، تعال لأجادلك (أيضاً) أمام المحكمة وأجابه «حورس» قائلاً: «سأفعل، حقاً، سأفعل». وتوجه الرفيقان إذن إلى المحكمة ووقفا في حضرة التاسوع العظيم. فقيل لهما آنذاك: «تكلما إذن!»

تلكم «ست» قائلاً: «تصرفوا لتعطى لى وظيفة الملك - ليكن حياً ومزدهراً فى صحة طيبة! وفى واقع الأمر، ففيما يتعلق بـ«حورس» المائل هنا، فقد تصرفت معه كذكر». عندئذ صاحت آلهة التاسوع صيحة مدوية وأخذت تتقيأ وتبصق على وجه «حورس». وضحك هذا الأخير بسببهم واقسم (باسم) الإله، قائلاً: «كل ما قاله «ست» محض افتراء. فلنناد على نطفة «ست» وسنرى من أى مكان تجيب. ثم فليناد على نطفتى وسنرى أيضاً من أى مكان تجيب». عندئذ (قام) «تحتوت»، سيد الكلمات الإلهية وكاتب التاسوع العادل ومدّ يده فوق ساعد «حورس» قائلاً: «تعالى إلى الخارج، يا نطفة «ست»! وأجابت (النطفة) من أعماق الماء، ثم مدّ «تحتوت» يده فوق ساعد «ست» قائلاً: «تعالى إلى الخارج يا نطفة «حورس»! فأجابت عليه: «من أى مكان على أن أخرج؟» قال لها «تحتوت»: اخرجى من أذنه» ولكنها اعترضت (قائلة): «هل على (حقاً) أن أخرج من أذنه، أنا السائل الإلهي؟» فأجاب «تحتوت» عليها: «بل، اخرجى من جبينه!» وخرجت على هيئة قرص ذهبى فوق رأس «ست». غضب هذا الأخير غضباً شديداً، غضباً شديداً، ومدّ يده للإمساك بالقرص الذهبى، ولكن «تحتوت» استولى عليه ووضعه على رأسه وكأنه سلاح. وأعلن التاسوع: ««حورس» مصيب و«ست» آثم». واشتد غضب هذا الأخير (من جديد)، اشتد غضبه، وأخذ يصيح غضباً عند ما قيل: «حورس مصيب وست آثم».

ثم اقسم قسماً عظيماً (باسم) الإله قائلاً: «لا ينبغي تسليمه وظيفة (الملك)، مالم يوضع معى فى الخارج. عندئذ سوف نشيد بعض السفن من حجر. ونحن، الرفيقان سوف نتنافس فى السباق، ومن يفوز على الآخر، هو الذى تسلم له وظيفة الملك-ليكن حياً ومزدهراً وفى صحة طيبة!» وهكذا شيد «حورس» لنفسه سفينة من خشب الأرز، وغطاها بالجص وأنزلها إلى الماء، عند المساء، ولم يتمكن أى من أهل هذا البلد بأسره ان يراها. ورأى «ست» سفينة «حورس» واعتقد إنها مصنوعة من حجر. وعندئذ ذهب إلى التل وقطع قمته وصنع لنفسه سفينة من حجر (طولها) مائة وثمانية وثلاثون ذراعاً. ثم نزل كل منهما فى سفينته فى حضرة التاسوع، وغرقت سفينة «ست» فى الماء، وتحول «ست» آنذاك إلى فرس نهر وسعى حتى أغرق أيضاً سفينة «حورس» الذى أمسك بخطافه النحاسى وأراد ان يطعن جلاله «ست». ولكن آلهة التاسوع قالت له: «لا تطعنه».

وساطات الآلهة والرسائل المتبادلة.

إذ ذاك أحضر «حورس» الأشياء الضرورية للإبحار ووضعها فى سفينته، وابتحر صاعداً النهر حتى مدينة «سايس»، ليلبغ الأم الإلهية «نيت» العظيمة: «اعملى بحيث يتم الفصل بينى وبين «ست»، فمنذ ثمانين سنة ونحن أمام المحكمة ولم يصل (أحد بعد) إلى كيفية الفصل فى أمرنا، ومع ذلك، لم يتوصل أحد إلى إقرار حقه ضدى، وفى المقابل، تم الإقرار يومياً ألف مرة بحقى ضده، ولكنه لا يأخذ بعين الاعتبار كل ما قاله التاسوع. لقد جادلته فى القاعة الكبرى الوحيدة للعدالة، وتم الإقرار بحقى ضده، (كما) جادلته فى القاعة الكبرى (المسماة قاعة) «حورس» الذى على رأس الأقواس^(١٤٨)، وتم الإقرار بحقى ضده.. كما جادلته أيضاً فى القاعة الكبرى لحقل البوص، وتم الإقرار (أيضاً) بحقى ضده، وجادلته فى القاعة الكبرى (المسماة قاعة) بحيرة الريف^(٩) وتم الإقرار بحقى ضده، وقال (أيضاً) التاسوع (للإله) «شو» بن «رع»: «الحقيقة والعدالة (واضحتان) فى كل ما قاله «حورس» بن «إيزيس».

(ومن جانبه) قال «تحت» لسيد الكون: «مر بإرسال خطاب إلى «أوزيريس»، ليفصل بين الفتيتين». عندئذ قال «شو» بن «رع»: «إن ما قاله «تحت» لتوه للتاسوع هو (عين) الصواب، ألف ألف مرة»، وقال سيد الكون لهذا الأخير («تحت»): «اجلس واكتب رسالة إلى «أوزيريس»، وسوف نستمع إلى ما يقوله». جلس «تحت» إذن ليصوغ خطاباً موجهاً إلى -أوزيريس»، (فكتب) يقول:

«الثور»^(١٤٩):- «الأسد الذى يخرج للصيد من أجله».

«السيدتان»:- «ذاك الذى يحمى الآلهة ويخضع القطرين».

«حورس الذهبى»:- «ذاك الذى اكتشف البشر فى المرات الأولى».

«ملك الوجهين القبلى والبحرى»:- «الثور الذى يقيم فى «هليوبوليس»، ليكون حياً ومزدهراً وفى صحة طيبة».

«ابن پتاح»:- «ذاك الذى هو مبارك للشاطئين، الذى يتجلى ضياءً كأب للتاسوع ويتغذى على الذهب ومختلف أصناف الأحجار الكريمة البراقة والرائحة، ليكون حياً

ومزدهراً وفي صحة طيبة!»،

ارسل لنا (رسالة) بشأن هذه المسألة التي تخصنا: (مسألة) معرفة، ما ينبغي عمله بشأن «حورس» و«ست». فلم نتمكن من الوصول إلى قرار ولا ندرى (ما العمل).

وفي أعقاب ذلك، بلغت رسالة الملك، ابن «رع» (ذاك الذي يخلق) الوفرة الفائقة، رب الأطعمة (وعند تسلمها)، صاح صيحة مدوية، وبعد أن قرئت الرسالة أمامه بصوت مرتفع، كتب عنها رداً على جناح السرعة، على جناح السرعة، (موجهاً هذا الرد) إلى المكان الذي يوجد فيه سيد الكون في صحبة التاسوع، (فكتب) يقول: «لماذا الإضرار بابني «حورس»؟ فأنا الذي صنعت منكم كائنات قوية. فأنا الذي خلقت الشعير والعلس لتعيش الآلهة، والماشية أيضاً في حماية الآلهة، وما كان لإله أو إلهة أن يفعل ذلك.»

وصلت رسالة «أوزيريس» هذه إلى حيث كان يقيم «رع-حور-أختي» الذي كان يجلس فس صحبة التاسوع في المرتع الأبيض الذي في مدينة «أكسويس»^(١٥٠) وقرأ (الخطاب) بصوت مرتفع في حضرته و(حضره) التاسوع. وقال «رع-حور-أختي» لـ«تحت»: «اكتب لي بسرعة رسالة موجهة إلى «أوزيريس»، وأبلغه بشأن رسالته: ولو لم تكن قد أتيت إلى الوجود، ولو لم تكن قد ولدت، لوجد الشعير والعلس رغماً عن ذلك.»

ووصلت رسالة سيد الكون إلى «أوزيريس». وقرئت أمامه. (ورداً عليها) كتب إلى «رع-حور-أختي» (رسالة) قال فيها: «كل ما خلقتة هو آية في الكمال، هو آية في الكمال، يامبدع التاسوع! ولكن كل شيء تمّ بحيث تغوص العدالة في بطن العالم السفلي.^(١٥١) خذ أنت إذن الموقف بعين الاعتبار. هذا البلد الذي أنا فيه يكتظ بحملة الرسائل ذوى الوجوه الشرسة، الذين لا يخشون إلهاً وإلهة. ولو أمرت بخروجهم، لأحضروا لي قلب كل من ارتكبوا أفعالاً خسيصة، ولكنهم يظهرون هنا في صحبتي. ولما أقض حياتي هنا، في سلام في الغرب، في حين أنكم موجودون في الخارج جميعاً، جميعاً؟ فمن منكم أقوى مني؟ ولكن انظر، لقد اخترعوا الكذب. و«بتاح» العظيم «ذاك-الذي-يوجد-جنوب-جداره»، سيد حياة القطرين، عندما خلق السماء، ألم يقل للنجوم التي كانت فيها: ستذهبون كل ليلة لتغربوا في الغرب، حيث يقيم الملك

«أوزيريس»؟ وفيما بعد فإن الآلهة والأشراف والشعب سوف يغربون أيضاً حيثما أنت - هذا ما أخبروني به.»

وفى أعقاب ذلك، وصلت رسالة «أوزيريس» إلى حيث كان يقيم سيد الكون مع التاسوع، وتناولها «تحوت» وقرأها بصوت مرتفع فى حضرة «رع-حور-أختى» وآلهة التاسوع، عندئذ قالت (الآلهة): «عادل وصادق، عادل وصادق، هو كل ما قاله سيد الوفرة وسيد الأطعمة - فليحى ويكن مزدهراً وفى صحة طيبة!»

«حورس، - ملكاً.

عندئذ قال «ست»: «فلننتقل إلى الجزيرة الوسطى، لأجاده (أيضاً)، واتجه إذن إلى الجزيرة الوسطى، وتم إنصاف «حورس» على حسابه.

وبعث «أتوم» الهليوپوليتانى: سيد القطرين (برسالة) إلى «إيزيس» قال فيها: «احضرى «ست» مربوطاً فى وتد،» عندئذ قامت «إيزيس» بإحضار «ست» مربوطاً فى وتد، (وكان) أشبه بأسير، وقال له أتوم: لماذا تعوق حكمك وتسعى إلى الإستلاء على المنصب الذى يعود إلى «حورس»؟ فأجاب عليه «ست»: «بل كلاً، يا سيدى الكامل، مُر باستدعاء «حورس» بن «إيزيس» واعطه منصب أبيه «أوزيريس».

وتم استدعاء «حورس» بن «إيزيس» ووضع التاج الأبيض فوق رأسه ونصب على عرش أبيه «أوزيريس»، وقيل له: «أنت (الآن) الملك الكامل للبلد المحبوب، أنت رب الحياة والإزدهار والصحة والكمال للأرض قاطبة، للزمن الأبدى والزمن اللانهائى، وعلى ذلك صاحت «إيزيس» جهرأ فى اتجاه ابنها، قائلة: «أنت الملك الكامل، إن قلبى فرح، لأنك تنير البلاد بضيائك.»

(وتحدث) «پتاح» العظيم «الذى-يوجد-جنوب-جداره»، رب حياة القطرين، قائلاً: «ماذا سنفعل من أجل «ست»، الآن بعد تنصيب «حورس» على عرش أبيه! فأجاب «رع-حور-أختى»: «فليعط لى «ست» بن «نوت»، فىكون مقره فى صحبتى، ويكون لى بمثابة الابن، سوف يزعم فى السماء فيخشاه الناس.»^(١٥٢) عندئذ جاعوا يخبرون «رع-حور-أختى»: «أن «حورس» بن «إيزيس» قد أشرق كملك-فليحى وليكن مزدهراً

والسما في صحة طيبة!« وابتهج «رع»، للغاية. وقال لآلهة التاسوع: «تهللوا! إذن، انحنوا حتى الأرض، حيوا «حورس» بن «إيزيس» وقالت هذه الأخيرة: لقد أشرق «حورس» كملك، فليحي وليكن مزدهراً وفي صحة طيبة! عندئذ صارت آلهة التاسوع في حبور في فرح، وتناولت أكاليل الزهور، بينما كنت تتأمل «حورس» بن «إيزيس» الذي كن قد أشرق كملك لمصر - فليحي وليكن مزدهراً وفي صحة طيبة! إن قلبها راضٍ، والبلاد بأسرها في ابتهاج، بينما ترى (الآلهة) «حورس» بن «إيزيس»، الذي نقل إليه منصب أبيه «أوزيريس»، سيد «بوزيريس». (١٥٣)

وصل ذلك (إلى نهايته) في طيبة، مقر الحقيقة، العدالة.

إنها اسطورة طويلة ذات حلقات عديدة، إن موضوع إرث «أوزيريس» هذا، والمعارك مع «ست» واعتراف الآلهة بالوريث «حورس»، كان مصدر إلهام للعديد من النصوص الأخرى، وفقاً لمقومات متنوعة، وكان يحلوا للمصريين أن يتخللوا مغامرات إلهية رائعة.

المعارك الإلهية أو عمليات المسخ الحربية قبل المحاكمة. (١٥٤)

كان «چسر تپ» (١٥٥) يراقب «ديم إيب». (١٥٦) ولكن عندما حضر هذا الأخير أثناء الليل، نجح في تجنب «چسر تپ» ونفذ إلى المغارة (حيث كان يرقد جسد «أوزيريس»). عندئذ سار «إيماو إن عنخ». (١٥٧) على رأس الآلهة التي تسهر على «أوزيريس». وألتقى بـ «ديم إيب» وقطع رأسه، بحيث تخرج تماماً بدمائه، وجاء «ست» في أعقابه، بعد أن كان قد آخذ هيئة «أنوبيس». ثم هرب بعد أن سرق عناصر (٩) الجسد الإلهي، هرب حاملاً معه، ما كان قد استولى عليه، لكن «حورس» و«أنوبيس» انطلقا يطاردانه، ولحقا به عند قمة هذا التل، ونطق «تحت» ضده من

جديد بتعزيماته، وإذ طرحه أمامهما أرضاً، كان «أنوبيس» يوثق ساعديه وساقيه، ووضعه كمقعد تحت «أوزيريس». ثم قطعته «إيزيس» إرباً إرباً، وهى تغرز أسنانها فى ظهره، بينما كان «تحت» ينطق ضده بكلماته السحرية. عندئذ قال «رع» «فليمنج هذا المقعد (للإله) الكليل! (١٥٨) كم هو ثابت (من جديد)! كم هو جميل! فليوضع «ست» تحته، مثله كمثمل مقعد، وسيبدو الأمر ممتعاً (أو عادلاً؟) بالنظر إلى ما ألحقه من أذى بجسد «أوزيريس» بأكمله». وشهد «إيسدس» (١٥٩) (ضد) «ست» بسبب ما ما اقترفه من شر. ولكن فرّ هذا الأخير إلى الصحراء فى الوادى الموجود شرقى «حوت رچو» (١٦٠). ثم تم العثور بعد ذلك على «ست» ورفاقه، وقد سقطوا على الأرض، فوق التل، وحقايبهم المصنوعة من الجلد كانت تحتمهم (وتضم أخلاط «أوزيريس»). وأجهز «إيسدس» عليهم، وبعد أن شاهد «حورس» الأخلاط (ملقاة) تحتمهم، حملها وطار محلّقاً صوب الإثاء (الذى يحتوى) على أخلاط هذا الإله العظيم. ودُفنت (الأخلاط) فى هذا التل، فى القبو الموجوده هناك، وبجوارها وضع ثعبان (يدعى) «خمت إمبيا»..... لحمايتها. ومع ذلك أمكن لـ«ست» أى يتجنبهم (١٦١) بعد أن اتخذ لنفسه هيئة فهد هذا الإقليم. ومع ذلك تمكّن «أنوبيس» منه، بينما عاد «تحت» ينطق ضده بتعويذاته السحرية. عندئذ، سقط «ست» أمامهم على الأرض، وأوثق «أنوبيس» ساقيه، واحترق «ست» فى اللهب، شرقى القاعة العظمى، من الرأس إلى القدمين، وجسده بالكامل، وبلغت رائحة شحمه حتى السماء، وأحاطت بهذا المكان المقدس، واستحسنها «رع» وآلهة التاسوع، ثم قطع «أنوبيس» جلد «ست»، وقصّبه ووضع هذا الجلد فوق ظهره، ثم دخل إلى حجرة «أوزيريس» الطاهرة، ليسكب الماء الطاهر، من أجل أبيه، قائلاً: «إن «ست» موجود هنا». ولذلك (من الآن أصبح) يطلق (اسم) «ستم» على الكاهن الطاهر لهذا الإله (١٦٢) ثم قام «أنوبيس» بعد ذلك، فوسم «ست» بعلامته بالحديد المحمّى، (١٦٣) التى ظلت باقية إلى يومنا هذا. ولهذا السبب يرتدى الكاهن «سم» (١٦٤) إلى يومنا هذا، جلد فهد، عندئذ، جاء حلفاء «ست» يبحثون عنه، وكانوا كثيرين جداً، جداً. وانتشروا فوق هذا التل الواقع جنوب «دونعاوى» (١٦٥) وانطلق «أنوبيس» يطاردهم ليلاً وأعمل فيهم ذبحاً، وقطع رؤوسهم فى حركة واحدة، ومن الآن، أصبح من غير الضرورى أبداً أن يظل اسم «ست» محبوباً. وتدفقت دماؤهم على التل، وهكذا ظهرت إلى الوجود، لهذا السبب وليومنا هذا، صخور «دونعاوى». المسماة «شسيت» (١٦٦)

ومن جديد جمع «ست» حلفاء- وتصدت لهم («إيزيس») هذه المرة، فاخترت (فى البداية) فوق التل القائم جنوب «دونعاوى»، واتخذت شكل والدتها «سخت»، عندئذ عملت على أن ينبعث لهب ضدهم جميعاً، بحيث احرقتهم ناره والتهمتهم، ولذلك يطلق عليها اسم «حتحور» سيدة الجمرتين، وهناك اتخذت لنفسها مكاناً، لتتعرف على ما ينويه «الشرير» وحلفاؤه، وأطلق على هذا المكان «بيت سيدة الجمرتين»، أما الكاهن الطاهر لهذه الإلهة، فصار (من الآن) يدعى «الملتهم العظيم»،^(١٦٧) أما «ست» فعندما رأى «إيزيس» فى هذا المكان، فقد تحول إلى ثور حتى يجرى وراءها، فاستحالت كلبة تحمل سكيناً فى أعلى ذنبها وأخذت تعدو أمامه، بحيث لم يتمكن من اللحاق بها، عندئذ أراق «ست» نطفته على الأرض فقالت هذه الإلهة: «إنه لأمر بغىض أن تقوم بإراقة نطفتك على هذا النحو، أيها الثور!» ونمت هذه النطفة فوق التل، فأنبتت النبات (الذى يدعى) «بدد-كاو»^(١٦٨) (أى البطيخ)، ودخلت الإلهة بعد ذلك إلى التل حيث استراحت، وأطلق على (هذا المكان) «قصر الراحة»، ثم اتجهت صوب شمال الإقليم، واتخذت عندئذ لنفسها شكل ثعبان ودخلت إلى التل لمراقبة حلفاء «ست»، إذا ما حضروا عند بداية الليل، فاطلقوا عليها عندئذ (اسم) «حتحور» سيدة «چحسيت»^(١٦٩) وشاهدت الإلهة حلفاء «ست» أثناء قدومهم من إقليم «أوكسيرنكوس»^(١٧٠) وبينما كانوا يعبرون البلد فى اتجاه التل الشرقى، عندئذ لدغوا جميعاً، وانفذت سمها فى أجسادهم فهلكوا جميعاً على الفور، وسالت دماؤهم على التل، وهكذا أتى الـ «پرش»* إلى الوجود فى «چحسيت».

وبعد ذلك اقترب (أعداء «أوزيريس») عند الفسق، وبالفعل، فإن «ست» كان يعرف أن «أنوبيس» فى الخارج واتخذ عندئذ هيئة «أنوبيس»، حتى لا يتعرف عليه حراس البوابة، ودخل وسرق عناصر(?) من الجسد الإلهى، فحملها وعبر بها النهر، متجهاً إلى الغرب، ولكن سرعان ما علم «أنوبيس» بالأمر، فطارده عندئذ ومعه آلهة حاشيته، ولحق به، واتخذ «ست» مظهر ثور، ومع ذلك، فقد ربط «أنوبيس» «ساعدى» وساقى هذا الأخير، وبتر ذكره وخصيتيه، وحمل على ظهره ما كان ست قد استولى عليه، وسَجَنَ «ست»، خشبة الإعدام فى انتظاره، وأعاد ما كان «ست» قد استولى عليه، إلى مكانه، ولذلك أطلق عليه اسم «باتا» فى «ساكا»،^(١٧١) وأطلق اسم «ساكا» إلى

* أكسيد الرصاص الأحمر المعروف بالسلاقون. (المترجم)

يومنا هذا على المكان الذى سجن فيه. لذلك (أيضاً) كانت توجد فى هذا البلد حظيرة للبقرات....

وبعد ذلك، ولج «أنوبيس» إلى «الحجرة الطاهرة» للوقوف على (أحوال) أبيه «أوزيريس»، وألفاه سالماً وفى صحة جيدة، وكان اللحم الإلهى متماسكاً وغضاً. واستحال صقراً ونشر جناحيه خلف أبيه «أوزيريس» وخلف الإناء الذى يضم أخلاط الإله. وأطلق عليه «دونعاوى»^(١٧٢) وبسط جناحيه، وكأنه صقر، وحلق بحثاً عن عينه هو،^(١٧٣) فأعادها سالمة إلى سيده فى هذا الإقليم. ولهذا السبب، ابتهجت الآلهة والالهات ابتهاجاً عظيماً، عظيماً جداً. وكان قلب معبودات التاسوع مفعمة بالسعادة لمشاهدة اللحم الإلهى، سالماً وقد أعيد تكوينه، وأدركوا أن الإله استعاد شباباً نشطاً. وحرق «أنوبيس» عطراً، ومُسح «أوزيريس» وزين، ودثر جسده بشرائط «رننوت»^(١٧٤) ونطق «تحوت» فى المعبد بصوت مرتفع العديد من الرقى السحرية واتم جميع الطقوس المخصصة لهذا الإله («أوزيريس»). ومن الآن، أخفى بيت الشرائط لحم «أوزيريس»، وحماه جلد الفهد،^(١٧٥) وراقبه حراس الباب، وكلفت الثعابين الحية^(١٧٦) بالسهر عليه وعلى الأخلاط الإلهية أيضاً. وهكذا جُمعت فى هذا المكان، ولم تتعد عنه أبداً، إلى يومنا هذا. وعمل «أنوبيس» بجوارها، يقدم لها القرابين يومياً، رافعاً صوته من أجلها، كما أنه يحميها. وحُفظ هذا المكان وتقُدس بسبب ما كان يضمه. عندئذ نهضت «با» آت الآلهة فى عالم الآلهة فى الغرب حية، بعد أن كان فى وسعها أن تتأمل يومياً ما كان فى هذا المكان، للزمن الأبدى وللزمن اللانهائى.^(١٧٧)

.....

إنه فى يوم التاسع عشر، من الشهر الأول، من فصل الفيضان،^(١٧٨) تم الفصل بين «حورس» و«ست» بواسطة «تحوت»، فى حضرة الآلهة. وبالفعل فقد قدم كل من «إيزيس» و«حورس» فى أن واحد عريضة إلى «رع»، يخبران (فيها) هذا الإله بكل ما افترقه «ست» من أفعال سيئة ضد «حورس» ومن ثم قال «رع» لـ «تحوت»: «افصل بين «حورس» و«ست»، وجلس «تحوت» على حصيرة. وكانت الآلهة بجواره تشكل المحمة المكلفة بالفصل بين «حورس» و«ست». وسرد «تحوت» جميع أفعال «ست» فى حضرة التاسوع، ليتم محاكمة «حورس». وخرج «حورس» منتصراً على «ست». وأقر

«تحتوت» بأن يؤول لـ «حورس» ميراث الوجه القبلى والوجه البحرى (وميراث) الأقاليم وكل ما هو كائن، وكل ما هو موجود، وكل ما تغلّه الأرض، وكتب كل ذلك، ووضع «المكس»^(١٧٩) (بكسر الميم والكاف) فى قبضته ثم وجهت رسالة إلى «رع» قيل فيها: «أعمل على أن يُعطى «حورس» مصر وعرش أبيه وأن يرسل «ست» إلى الصحراء، وأصدر «رع» الأمر إلى الجمعية العامة للآلهة.

عندئذ احتشد «ست» وحلفاؤه (لشن) معركة كبرى وهم «ست» بالزحف، على «تحتوت»... وحمل كتاباته وألقى بها فى النهر، ولكن «تحتوت» نطق رقاءه السحرية، وأعاد ما يخصه من قراطيس (البردى) إلى مكانها، بعد أن لونها بفرشاته، بحيث عادت إلى سابق عهدها... واستحال «ست» كلباً أحمر واختبأ فى دغل، وهمت الآلهة تطارده وعندما لحقت به، رشقت حرابها فى عنقه، وكل من رآه يصيح: «إنه هنا! إنه هنا!» فأجهزت عليه بأنفاسها وقتلته بـ (الأسلحة) التى كانت بيدها.

عندئذ أشرق «حورس» على عرش أبيه «أوزيريس» بصفته ملك القطرين، وكان «تحتوت» ضمن حاشيته، كإله يعمل من أجله بصفته وزيراً، والتفت من حوله جميع الآلهة وجميع الآلهات، وانتظمت كرفاق له، وبعد أن أوقف المعركة وذبح المتمردين، صرع «حورس» «ست» بأبواب حلفاءه، ودمر مدنه وأقاليمه، وأبطل اسمه فى هذا البلد، وهشم تماثيله فى جميع الأقاليم، وبتر ساعده، ثم سحبه إلى كبد السماء، حيث سيتكفل الجن بحراسته (من الآن): «إنه الدب الكبير فى السماء الشمالية، وأمست به «أنثى الخنزير الكبرى»، بحيث لن يستطيع أبداً أن يركب البحر وسط الآلهة، وخصص «تحتوت» الشقاء لمن اقتترفه، فى السماء والمدن والأقاليم، «سداداً» لما فعله فيها. لهذا السبب يقتل كلب أحمر، فى يوم عيد «تحتوت»، ليظل العاهل الملكى والأحياء على دراية (بهذه الأحداث) وذلك إلى يومنا هذا.^(١٨٠)

ألف سنة تفصل بين النصين اللذين ترجمناها فيما تقدم، ويتعلق كلاهما بالمعارك التى احتدمت بين «حورس» و«ست»، من أجل وراثته «أوزيريس» ويعبر الأول عن الفكر المصرى العميق الذى يرى أن «ست» ليس إله المعارك الظالمة والشر فحسب (كما كان الإغريق يعتقدون فادمجوه فى الهمم «تيفون»). بل إنه يعاون أيضاً فى الملاحاة الشمسية وهو بالتالى صديق «رع»، وعند إجراء القسمة مع «حورس»، سيظل

هو فى السماء إلى جانب «الشمس»، كإله للعواصف والزوابع، وهما عنصران طبيعيان.

أما النص الثانى فيعرض - ربما تحت تأثير الإغريق - لفكر أسطورى «جامع»، أقل إنسانية، وفيه يجسد «ست» الشر، فقط، والذي يظل من نصيبه إلى الأبد. كما تشير عناصر هذا النص، بصيغها المختلفة إلى الصراع العتيق مع أبناء الضعف، متمردي الأرض. وظلت هذه الخرافات لآلاف السنين لتتصهر فى فكر زمن متأخر، أكثر ثراء وأكثر غموضاً.

كما ظهرت علاقات روحية بين عالم الآلهة الأسطورى وعالم البشر الطبيعى. ومن ثم كانت المحكمة التى كان يناط بها محاكمة «حورس» و«ست»، تنعقد فى تاريخ محدد، مع بداية فصل الفيضان بعد أن تخصب الأرض بطمى فيضان النيل، فتعود إلى الحياة. وتؤتى حصاداً جديداً، وفى نفس الوقت يولد «حورس» كملك جديد، يخلف أباه.

وجدير بالملاحظة أيضاً الإهتمام بتفسير عناصر الكون بالكلمات، وتنسب فى الغالب اشتقاقات أسطورية إلى الكلمات الدالة على الأماكن والصخور والنباتات والأشياء.

إن الأسطورة الأوزيرية وهى أسطورة شعبية وإنسانية، تعيد تجميع أعداداً ضخمة من صور الخيال الدينى فى مصر القديمة .

٣- البعث وحب الحياة.

١- الاب والابن. (١٨١)

تحية من «حورس» إلى أبيه، عندما يدخل لمشاهدة أبيه «أوزيريس» وعندما يخرج من «الحجرة الطاهرة» الكبيرة ليراه «رع» بصفته «ونن نفر»، سيد الأرض المقدسة، عندئذ يعانق أحدهما الآخر، ليكون كائن نوراني في الجبابة.

التعبّد لـ «أوزيريس» الذي يقف على رأس أهل الغرب، الإله العظيم، سيد «أبيدوس»، ملك الزمن الأبدى، حاكم الزمن اللانهائى، المعبود المقدس فى «رو-ستاو». (١٨٢)

كلمات قالها ابنك «حورس»: «إنى أجزل لك المديح والتهليل، يا سيد الآلهة، أيها المعبود الأوحد الذى يحيا على الحقيقة والعدالة. إنى قادم إلى جانبك لأحميك. إنى أحضر لك «ماعت» (١٨٣)، إلى حيث يقيم تاسوعك. اسمح لى أن أتواجد معه، ضمن حاشيتك، للقضاء على أعدائك. لقد حدّدت بشكل قاطع أرغبة قرابينك على الأرض، للزمن اللانهائى، للزمن اللانهائى.

يا «أوزيريس»، أنا ابنك «حورس»، إنى قادم لحماية أبى «أوزيريس».

يا «أوزيريس»، أنا ابنك «حورس»، إنى قادم للأجهاز على جميع أعدائك.

يا «أوزيريس»، أنا ابنك «حورس»، إنى قادم لأطرد كل ما علق بك من شر.

يا «أوزيريس»، أنا ابنك «حورس»، إنى قادم لأقضى من أجلك، على ألامك.

يا «أوزيريس»، أنا ابنك «حورس»، إنى قادم لأصد أعداءك.

يا «أوزيريس»، أنا ابنك «حورس»، إنى قادم وقد جئت بحلفاء «ست» مكبلين فى أصفادهم.

يا «أوزيريس»، أنا ابنك «حورس»، إنى قادم لأحضر لك الوجه القبلى الذى ربطته من أجلك بالوجه البحرى.

يا «أوزيريس»، أنا ابنك «حورس»، إني قادم لأحدد بصفة دائمة، من أجلك القرايين
الإلهية في الوجه القبلى وفي الوجه البحرى.

يا «أوزيريس»، أنا ابنك «حورس»، إني قادم لأزرع حقولك.

يا «أوزيريس»، أنا ابنك «حورس»، إني قادم لأروى شطآنك من أجلك.

يا «أوزيريس»، أنا ابنك «حورس»، إني قادم لحرث أراضيك لصالحك.

يا «أوزيريس»، أنا ابنك «حورس»، إني قادم لأشق القنوات من أجلك.

يا «أوزيريس»، أنا ابنك «حورس»، إني قادم لأحفر الآبار من أجلك.

يا «أوزيريس»، أنا ابنك «حورس»، إني قادم للقيام بمذبحة بين الذين تمردوا عليك.

يا «أوزيريس»، أنا ابنك «حورس»، إني قادم للتضحية بالأغنام التى يتألف منها
أعداؤك.

يا «أوزيريس»، أنا ابنك «حورس»، إني قادم لأمون هياكلك.

يا «أوزيريس»، أنا ابنك «حورس»، إني قادم لأحضر لك....

يا «أوزيريس»، أنا ابنك «حورس»، إني قادم لأذبح لك...

يا «أوزيريس»، أنا ابنك «حورس»، إني قادم لأكرس لك القطيع الداجن، (١٨٤)

يا «أوزيريس»، أنا ابنك «حورس»، إني قادم لأذبح لك الأوز والطيور.

يا «أوزيريس»، أنا ابنك «حورس»، إني قادم لوَهق أعدائك، لصالحك.

يا «أوزيريس»، أنا ابنك «حورس»، إني قادم للإمساك من أجلك بأعدائك بواسطة
شبيكة صيد.

يا «أوزيريس»، أنا ابنك «حورس»، إني قادم لأحضر لك الماء الطاهر المتدفق من
الفتنتين (١٨٥) ليرطب قلبك.

يا «أوزيريس»، أنا ابنك «حورس»، إني قادم لأحضر لك شتى النباتات الحديثة
النضرة.

يا «أوزيريس»، أنا ابنك «حورس»، إني قادم لأحدد على الأرض بصفه دائمه ارغفه

القرابين أسوة بـ«رع».

يا «أوزيريس»، أنا ابنك «حورس»، إني قادم لأعدّ في مدينة «دپ»، أرغفتك المصنوعة من العلس الأحمر.

يا «أوزيريس»، أنا ابنك «حورس»، إني قادم لأعدّ في مدينة «دپ» (١٨٦) ما يخصك من الجعة المصنوعة من الحبوب البيضاء.

يا «أوزيريس»، أنا ابنك «حورس»، إني قادم لأفلح من أجلك الشعير والعلس في «حقل البوص».

يا «أوزيريس»، أنا ابنك «حورس»، إني قادم لأحصدها، هناك، لصالحك.

يا «أوزيريس»، أنا ابنك «حورس»، إني قادم لأمجدك.

يا «أوزيريس»، أنا ابنك «حورس»، إني قادم لأعيد لك قدرتك.

يا «أوزيريس»، أنا ابنك «حورس»، إني قادم لأعيد لك قوتك.

يا «أوزيريس»، أنا ابنك «حورس»، إني قادم لأعيد لك.....

يا «أوزيريس»، أنا ابنك «حورس»، إني قادم لأعيد لك.....

يا «أوزيريس»، أنا ابنك «حورس»، إني قادم لأعيد لك هيبتك.

يا «أوزيريس»، أنا ابنك «حورس»، إني قادم لأعيد لك ما تثيره من رعب.

يا «أوزيريس»، أنا ابنك «حورس»، إني قادم لأعيد لك عينيك، والريشتين اللتين فوق رأسك.

يا «أوزيريس»، أنا ابنك «حورس»، إني قادم لأعطيك «إيزيس» و «نفتيس» اللتين ستنصبانك بثبات.

يا «أوزيريس»، أنا ابنك «حورس»، إني قادم لأملا بالطيب عين «حورس» لصالحك (١٨٧).

يا «أوزيريس»، أنا ابنك «حورس»، إني قادم لأحضر لك عين «حورس» لينعم بها وجهك.

إنها ترنمة طويلة تعدد النعم، وتنهال الجمل «الرتيبة» من جديد على جسد

«أوزيريس» وكأنها قدر مماثل من الإفتتان السحري فتستحثه على البعث وتقف شاهداً على البر بالوالدين الذي يحرك «حورس».

وبفضل هذه المنادة يعيد هذا الأخير الحياة لأبيه الذي تم حفظ جسده- ويشرف على حمايته ويؤمن وجوده. ويهب له الأطعمة الضرورية. ويخوض المعارك ضد أعدائه وينتصر عليهم. و«يعيد» له المقومات المتأصلة في كل كائن، المعنوية فيها والمادية. ويستدعى إلى جانبه مساعدتيه، اللتين تلعبان دوراً بارزاً في عملية البعث: وهما «إيزيس» و«نفتيس». وحتى يكتمل هذا العمل الباعث للحياة، يقدم «عينه» إلى أبيه، وهى العين التى كان قد اقتلعها «ست» (١٨٨) والتي ستصبح بعد أن أعيدت إلى مكانها- عربون الروابط الجسدية والحسية التى تربط الابن بأبيه. فكل شيء يفضى لامحالة إلى البعث: وهو على صورة بعث مياه النيل وبعث النبات الجديد- الصورة ذات المعنى الرمزي العميق التى يهديها «حورس» أيضاً إلى «أوزيريس».

ب- القدرات الجديدة

«يقول» أوزيريس: «مرحباً يا بنى «حورس»! انظر إلى بتيجانى العظيمة» آتف» (١٨٩) التى وهبني إياها (الإله) «رع»، ووضعها «أتوم» من أجلى. التأسوعان راضيان بسببها، انظر إلى، يا بنى «حورس»، الجالس أمام الهيكلين (١٩٠). وصلّى (بكسر الصاد) على جبيني، وصولجاني فى يدي يوسفى فى قبضتى. إن «ماعت» التى تخصنى هى بجانبى والأذى تحت قدمي. لقد حددت الشارات بشكل دائم وعملت على النهوض بمقار الوظائف، وسوف أذكر العدو الذى يقترب منى. إنى حاكم الأرض وملكها. لقد صُنع أعدائى خوفاً، عندما شاهدونى ممجداً، بتيجانى العظيمة» آتف» التى فى «هرقليوبوليس» (١٩١).

إنى والدك، يا وريثى على الأرض. حدد شاراتي بشكل دائم، اعمل على النهوض بسلطاني... اذبح وعاقب أعدائك وأعدائى.»

- وقال «آتوم»: «أيا» تحوت» توجه من أجلا إلى «جزيرة التوهج». (١٩٢) وشاهد «أوزيريس» من أجلا، سوف تلتقى في «هرقليوبوليس». لقد أعدت الخوف الذى يثيره، إلى سابق عهده، لقد (أعدت) خلق هيبته. وحتى يرضى قلبى،، ستجدد تاجه الأبيض العظيم- لأنك أعظم الحماة الإلهيين لـ «أوزيريس».

ويقول «تحوت» لـ «أوزيريس»: «انظر، لقد أتيت. لقد احضرت من أجلك» ماعت» والسعادة، واحضرت لك أيضاً «حو» (١٩٣) والنصر لكى تحقق النصر على أعدائك. إن حب (الناس) لك هو فى قارب الأعضاء، والذكرى الطيبة التى يكنها لك الناس باقية فى القصر. كما أعطيك مدة حياة «رع». إنى أضع هيبتك فى «هرقليوبوليس»، على صورة (هيبه) «رع» الذى يقيم فى هذه المدينة، وأمنح القرابين من أجلك فى «منف»، وأجدد أعيادك فى «هليوبوليس». ومن أجلك أيضاً أفتح دروب الجبانه. وأقيم الخوف منك فى «بوزيريس»، واجدد تاجك الأبيض فى «أبيدوس»، كما (أجدد) تاج «رع» الأبيض فى الإقليم الثينى (١٩٤). (من الآن سيكون لـ «أوزيريس» اليد العليا على أعدائه المحتملين على الأرض وفى السماء وفى جهات الأرض الأربع):

«هذا الذى قد يأتى ضدك فى السماء، سوف يهاجمه تاجك،

«هذا الذى قد يأتى ضدك فى الأرض، سوف تقضى عليه هيبتك.

«هذا الذى قد يأتى ضدك فى الجنوب، سوف يدحره... إن «ساتيس» سيدة إلفنتين، هى التى ستضرب على الأعداء سهامها الرهيبه التى ستقضى عليهم.

«هذا الذى قد يأتى ضدك فى الشمال، سوف يصبح لـ - «ياكس»..... و«حچ».

«هذا الذى قد يأتى ضدك وسط أهل الشرق، سوف يصبح الإله، رب الشرق بالنسبه لـ «سود» ويطردهم وسكاكينك مرشوقه فيهم.

«هذا الذى قد يأتى ضدك وسط أهل الغرب، سوف يصبح رب الغرب بالنسبة لـ «حا». وهذا الأخير، سوف يصد أيضاً الأعداء عند وصول «آتوم» مع طلعاته فى الأفق.

هكذا اكبل أعدائك بالأغلال والعقرب بالأصفاة»-(هذا ما قاله) «تحوت» لـ «أوزيريس». «إنى أقدم لك «ماعت»، وبذلك أدخل السرور إلى قلبك من خلال ما تحبه. من أجلك، ضربت، من أجلك صرعت، من أجلك قلبت أعدائك، لقد طردت

خصوك من أجلك، فذبحتهم ذبْحاً وتسببت فى هلاكهم. وجددت فى مواجعتكم تجليك المجيد. أعطيتك النصر فى الهيكلين والسرور مع التاسوعين. لقد اودعت فى القصر ذكراك الطيبة ووضعت ما تثيره من حب، فى جزيرة التوهج - وفقاً لما أمر به «رع». هكذا تحدث «تحت» (١٩٥).

* إني قادم إلى جوارك، يا ابن «نوت» يا «أوزيريس»، يا حاكم الزمن اللانهائى. إني ضمن حاشية «تحت» أو أسعد بكل ما صنعه. لقد جاء من أجلك بالنسمات العلية لأجل انك، والحياة والقوة من أجل وجهك الجميل، إن ريح الشمال المنبثقة من أتوم هى من أجل أنفك، يا سيد الأرض المقدسة، لقد عمل على تألق نور الفجر (من جديد) على صدرك، فمن أجلك أثار طريق الظلمات، ومن أجلك طرد الشر العالق بجسدك، بفضل التعويذات السحرية التى ينطق بها فمه. لقد هدأ الشقيقتين «حورس» و«حورس» (١٩٦) من أجلك، واستبعد النزاع والجلبة. وأعاد البهجة إلى الرفيقتين، الشقيقتين (١٩٧) فهما (من الآن) إلى جوارك فى راحة وسلام، لأنه، من أجلك استبعد السخط من قلبيهما وتتأخيان (من جديد) الواحدة مع الأخرى. لقد انتصر ابنك «حورس» فى حضرة التاسوع بأكمله. وهبت له الملكية على الأرض، إذ كان صله فى أرجاء البلاد. وخصص له عرش «جب» و«وظيفة» «أتوم» الخيرة - وهى (الوظيفة) التى تأسست كتابة فى (نص) الميراث الذى نقش على كتلة من الكوارتزيت، بمقتضى أمر من أبيك «بتاح - تن»، المتريع على العرش العظيم. (١٩٨). وسمح (بإقامة) شقيقه («ست») فوق ما رفعه «شو» (السما)، رافعاً الماء فوق التلال (١٩٩)، ليعمل على أنبات ما ينبت فيها، فضلاً عن الحبوب التى تنبت فى التربة. كما أنه («حورس») يوزع المنتجات على الماء على الأرض. إن ابنك «حورس» قد أثار آلهة السماء وآلهة الأرض، إنها تتبعه حتى منزله وتنفذ فى الحال كل ما أمر به (٢٠٠).

إن قلبك سعيداً قلبك، يا سيد الآلهة، الذى تكون بجواره كل السعادة. مصر والصحراء هما فى سلام (٢٠١) إنهما يخدمان صلك، والمحاريث راسخة فى مكانها، والمدن والأقاليم قد أقيمت حسب أسمائها وتأتى لتمنحك هباتها الإلهية، فقدم باسمك القرايين للزمن اللانهائى، ومن أجل اسمك يترنم القوم بالمدائح. وتقدم لك «كا» سكببة من الماء الرطب (وتقدم) القرايين الجنائزية للأبرار الذين فى حاشيتك. (كما)

يراق الماء فوق أرغفة القرابين المخصصة للموتى الذين فى هذه الأرض، وتظل جميع مقاصدك مباركة، حسب عادات سالف الزمن.

أنك تظهر متألّفاً، يا ابن «نوت»، مثل سيد الكون فى إشراقاته. أنت تحيا وتدوم وتستعيد شبابك وتتجدد. لقد جعل أبوك «رع» جسدك سالماً ومزدهراً. إن تاسوعك يجزل لك المديح والتهليل. إن «إيزيس» معك، ولن تفارقك أبداً. ولن يحتاج الأمر إلى الإجهاد على أعداء (يثورون) عليك، جميع البلدان تعبد جمالك، الشبيهة بجمال «رع» عندما يشرق مع تباشير الفجر. إنك تظهر متألّفاً، شامخاً فوق حاملك ويعلو شأن جمالك وينتشر.

أنت ذاك الذى أعطى له ملك والدك «جب» الذى خلق كمالك. أمك هى التى أتت بجسدك إلى الوجود، (أمك) «نوت» التى ولدت الآلهة. لقد ولدتك بصفتك الأخ البكر (لأشقاءك) الخمسة، (٢٠٢)، الذى نُصّب والتاج الأبيض على رأسه، بينما (كانت) قبضتك تمسك بالصولجان والسوط بينما كنت لا تزال فى بطنها ولم تكن قد خرجت بعد إلى الأرض.

إنك تظهر متألّفاً، يا سيد الشاطئين وعلى جبهتك التاج «أتف» الخاص بـ «رع». وتأتى إليك الآلهة، منحنية، بسبب ما تثيره فيها من خوف، (الخوف) الذى يسرى فى أجسادها، عندما تراك بهيبة «رع»، إذ تستقر فى قلوبها الرهبة التى يشعر بها (الجميع) فى حضرة جلالتك. الحياة معك. والقرابين تلحق بك. وتقدم «ماعت» هبةً لوجهك. (٢٠٣)

٤- إتحاد «رع» و«أوزيريس»

من أجل

درس «فريد» في الخلود.

* تُسمع في «هرقليوبوليس» أصوات تهليل، فالفرح (يَعْم) «نارف» (٢٠٤). لقد ظهر «أوزيريس» (على هيئة) «رع»، لقد ورث عرشه و(الآن) فإنه يحكم الشاطئين متحدين. كان التاسوع راضياً بذلك، ولكن «ست» كان يندب حاله. ويقول «أوزيريس»: «يا سيد الكل، ليت «ست» يخشاني، بعد أن يشاهد هيئتي الشبيهة بهيئتك، ليت كل الناس وكل الأشراف وكل الشعب وكل البشريه، (ليتهم) يأتون إليّ وقد انحنوا عند مشاهدتي، لأنك أوجدت الخوف مني وخلقته هيئتي». وانجز «رع» من أجل «أوزيريس» كل ما سبق وقاله.

عندئذ جاء «ست»، خافضاً وجهه، حتى لامس الأرض، بعد أن رأى، ما فعله «رع» من أجل «أوزيريس». وسال الدم من أنفه، ودفن «رع» في «هرقليوبوليس» الدم الذي كان قد انبعث.

ثم عانى «أوزيريس» من صداع بسبب حرارة التاج «أتف» الذي كان قد وضع على (رأسه) لتهابه الآلهة، وبينما كان «رع» عائداً في سلام إلى «هرقليوبوليس» ليرى «أوزيريس» ألفاه جالساً في منزله، منتفخ الرأس بسبب التاج، ففصد «رع» هذا الدم وأخلط الخراج، فصارت بركة. وقال «رع» لـ «أوزيريس»: انظر، لقد صنعت بركة من الدماء والأخلاق التي سالت من رأسك. فكان ذلك هو أصل هذه البركة المقدسة في «هرقليوبوليس».

عندئذ قال «أوزيريس» لـ «رع»: «ما أحسن أحوالي ما أنصع وجهي! ما أعظم راحتى!...» وقال «رع» لـ «أوزيريس»: «فليبق وجهك صارماً، أرفع صدرك! كم هو شديد ما تثيره من رهبة، (وكم هي) قيّمة (بتشديد الياء) هيبتك. لقد خرج اسمك

من فمى من أجلك. انظر، لقد تحدد (من الآن) لملايين السنين.» وهكذا جاء إلى الوجود اسم «حرى شاف»^(٢٠٥) الاسم الرفيع المقام فى «هرقليو پوليس».

إن التاج العظيم «أتف» فوق رأسه. ويقدمون له الأرغفة والجعة والثيران والطيور، ويقدم له كل ما هو جميل وطيب وطاهر بالملايين، ومئات الآلاف وعشرات الآلاف والآلاف، بالإضافة إلى نطفة «كا»^{٢٠٦}. ويقف أمامه، فالقدرة الإنجابية هى التى تجلب له جميع القرابين.

وقال له «رع»: «كم هو كامل ما انجزته فلم يحدث أبداً، أن صنع شئ مماثل.» وأجاب «أوزيريس»: «لقد صنعتُه بفضل الكلمة الصادرة عن فمى. فكم هو كامل الملك الذى توجد الكلمة فى فمه.»^(٢٠٦)

* تحية لك، يا من يقف على رأس أهل الغرب، يا «ون نفري»، يا رب الأرض المقدسة، إنك تتجلى وضئاً، أسوة بـ«رع». ولكن انظر، فقد جاء ليشاهدك، مسروراً إذ يتأمل جمالك.

إن قرصه الشمسى هو قرصك الشمسى، وأشعته هى أشعتك، وتاجه العظيم هو تاجك العظيم. وعظمته هى عظمتك، وإشراقاته الوضئاءة هى إشراقتك الوضئاءة. وجماله هو جمالك. وهيئته هى هيئتك. وعبيره هو عبيرك. وأمتداده هو إمتدادك. ومقر إقامته هو مقر إقامتك. وعرشه هو عرشك. وميراثه هو ميراثك. وحليته هو حليتك. وسيطرته هى سيطرتك. ومنطقته الخفية هى منطقتك الخفية. وممتلكاته هى ممتلكاتك. وحكمته هى حكمك، وقدرته على التمييز هى قدرتك على التمييز.

من يحميه يحميك، وبالعكس. ولن يموت (كما) أنك لن تموت. لا حاجة به لأن ينتصر على أعدائه، ولا حاجة بك لأن تنتصر على أعدائك^(٢٠٧) لا يمكن أن يحدث له مكروه، ولا يمكن أن يحدث لك مكروه - للزمن اللانهائى وللزمن الأبدى.

تحية لك، يا «أوزيريس» يا ابن «نوت»، يا صاحب القرنين^(٢٠٨)، وصاحب (التاج) «أتف» العالى، والذى أعطى لك (أيضاً) التاج الأبيض^(٢٠٩) والصولجان فى حضرة التاسوع، الذى خلق له «آتوم» المهابة فى قلب البشر، والآلهة والأبرار والموتى، الذى

سَلَّمَ له أيضاً الصولجان في «هليوپوليس»، (الإله) صاحب الصور العظيمة في «بوزيريس»، سيد الرهبة في المنطقتين، الذي يبلغ ما يثيره من زعر في «رو - ستاو»، حداً كبيراً، (الإله) صاحب الذكرى الحميدة في القصر، الذي تبرز تجلياته الوضأة في «أبيدوس»، الذي وهب النصر في حضرة التاسوع، (الكائن) الذي بسببه ينتاب الرعب القوى العظمى، بالنظر إلى مدى انتشار الخوف منه، في ربوع الأرض، الذي من أجله يقف العظماء فوق حُصُرهم، ملك معبودات العالم السفلى، القوة العظمى في السماء، حاكم الأحياء، ملك الموتى، الذي يمجده الآلاف في «خر-عما»^(٢١٠)، الذي من أجله يعمّ الفرح البشرية، مالك اللحوم المنتقاة في المساكن العلوية، الذي من أجله، أُعدَّت في «منف»، عراقيب الأبقار، الذي من أجله يُعدّ في «ليتوپوليس» طعام المساء^(٢١١)، فهو الصورة العظمى، ذات القدرة الرفيعة.

ابنك «حورس» هو حاميك، إنه يصدّ كل ما يخصك من شرور، هكذا رَبطَتْ لحمك، وأعدت تشكيل أعضائك، لقد جمّعت عظامك، وأحضرت.... انهض إذن، يا «أوزيريس»! إني أعيد لك ساعدك، إني أسعى لكى تنهض حياً، للزمن اللانهائى، «جب» يمسح فمك، وآلهة التاسوع العظيم تحييكَ... بينما تتقدم معك نحو مدخل العالم السفلى، وتضع أمك «نوت» ساعديها خلفك، إنها تحميك وتجدد (بلا هوادة) حمايتها لك، حتى تكون ولاداتك الجديدة مهيبة، وتأتى شقيقتك، «إيزيس» و«نفتيس» وتنضمّان إليك، فى الحياة والإزدهار والصحة، وبجوارهما، يسعد قلبك، وهما تبتهجان بسبب ما تكنه لهما من حب، إنهما من أجلك، تضعان كل شئ بين ساعديك، جامعتين من أجلك جميع الآلهة وال«كا»ات، إنهما تتعبدان لك، للزمن اللانهائى.

ما أجملك، يا «أوزيريس»! إنك تشرق وضاًءً، قوياً ونورانياً، لقد ثبتت صورك بشكل دائم، أن وجهك هو وجه «أنوبيس»، إن «رع» هو بسببك فى حبور ويتحد بكمالك، لقد تربعت على عرشه الطاهر الذى خلقه «جب» الذى ما فتىء يحبك، إنك تتلقى «رع» فى الغرب على ساعديك، عندما يبحر يوماً عبر السماء، ومعه تتقدم نحو أمه «نوت» عندما يغرب يوماً فى الغرب، فى قاربه المقدس، فى صحبة «حورس» الذى ما فتىء يحبك، إن حماية «رع» هى وقايتك السحرية، إن رُقَى «تحت» تتعبوك،

و«إيزيس» تعيد الإزدهار إلى جسدك. (٢١٢)

تتداخل الأساطير والخرافات لتخلق وحدة إلهية عظمى لصالح البشر الذين
سيسيرونها على مدى هذا الدرس الجوهري في الخلود، من خلال تكرار الحركات
الخالقة وترديد أعمال السحر المختصة. (بتشديد اللام).

شروح وهوامش الفصل الثالث من الباب الأول

- (١) مستودع القدرات السحرية.
- (٢) «خلط» متعمد مع «أوزيريس»، الإله الذى قطعت أوصاله. راجع فى هذا الفصل «مراشى إيزيس ونفتيس»
- (٣) BUDGE, Book of the Dead, II, p. 173-174, 1.2-8.
(Chap. 133-pap. de Nou)
- (٤) إلهة الحقيقة والعدالة- وهما صفتان أخلاقيتان لا تنفصلان وتتجسدان فى نفس الإلهة. إن «ماعت» هى الشرط الضرورى لنظام العالم. وكان «قربان ماعت» من اللحظات الهامة فى الشعائر الدينية التى كانت تقام يومياً فى معابد مصر.
- (٥) BUDGE, Book of the Dead, II, p. 165, 1.2-4.
(Chap. 13-pap. de Nou)
- (٦) مادة ذات إشعاع أقل من إشعاع الذهب وهى تشكل لحم السماء ولكنها تلون العديد من العناصر المضيئة فى السماء العليا وتشكل جسم النجوم.
- (٧) يعادل الذراع ٥٢ سم.
- (٨) BUDGE, op cit, II, pp. 270-271, 1.1-5.
(Chap. 149-pap. de Nou)
- (٩) من تسميات الأفق الغربى.
- (١٠) حول اتحاد «رع» و«أوزيريس» فى العالم السفلى راجع فى هذا الفصل: «اتحاد «رع» و«أوزيريس»، من أجل درس فريد فى الخلود».
- (١١) إن لحظة مرور النور هى لحظة عابرة.
- (١٢) اسم الآخرة السفلية، آنذاك.
- (١٣) لسحب قارب الشمس من على الشاطئ.
- (١٤) BUDGE, op cit, I, pp. 49-50, 1.13-24.
(Chap. 15. pap. de Dublin.)
- (١٥) العقيق الأحمر (٩).
- (١٦) لا شك أنها إشارة إلى الإحتقان الذى تسببه لدغة الثعبان.
- (١٧) إله عنيف مزيج الرمزية: انه يخوض معركة عادلة فى مقدمة قارب «رع» ولكنه أيضاً قاتل أخيه «أوزيريس».

(١٨) الثعابين جن الأرض

BUDGE, op cit, II, pp. 89-91, 1.2-14 (١٩).

(Chap. 108. pap. de Nou).

(٢٠) بردية برمنر- ريند Bremner-Rhind (المتحف البريطاني no 10188)

R.O. FAULKNER, the papyrus Bremner-Rhind, النص المصري؛

Bruxelles, 1933, pp.42-93. (Bibliotheca Aegyptica, vol. III.)

(٢١) من أسماء «أوزيريس» ومعناه: «ذاك الذى يبقى كاملاً على الدوام». والاسم داخل خرطوش، نظراً إلى أن «أوزيريس» كان ملك الأرض، بعد «رع» وأبنائه، حسب التصور الهليوبوليتانى-وأول ملوك الأرض حسب الأسطورة الأوزيرية.

(٢٢) إن فرعون القريب من «رع»، يناضل إلى جانب قوى الخير. ويميل النص إلى دمج شخصيتى الإله والملك.

(٢٣) يمكن أن نتخيل الكهنة فى غيبش معبد الكرنك بملابسهم الكتانية وهم يرتلون الكلمات التى ستحافظ على نظام الكون ضد قوى الفوضى.

(٢٤) وهو الصقر الشمسى، فى هذا المقام. ويوجد «تجانس» روحى بينه وبين الإله «حورس» بن «أوزيريس»، الذى يمسك أيضاً بحريته لمعاينة «ست»، هذا النص على قدر كبير من التلقيفية.

(٢٥) المعبودات.

(٢٦) فى هذا النص تتتابع على ما يبدو الجمل، التى تستعرض ما يقام من شعائر (نذكر على سبيل المثال فرعون وهو يشعل النار فى جسد ثعبان- وكان فى وسع الكاهن أن يقوم بهذا الدور فى هذا المسرح) الإيمائى كما تتتابع الكلمات (وهى ضرب من الترانيم) التى يتلوها الكهنة كمجموعة واحدة فى الغالب أو بالتناوب بين مجموعات تخاطب الشمس أو الملك مباشرة.

(٢٧) مع التردد بلا كلل للكلمات التى تعلن الإنتصار على الشرير، كان كهنة المعبد على هذا النحو، وبفعل قوة الكلمة، يقدمون العون والحماية لرحلة الشمس- فى نفس الوقت الذى كانوا يساندون فرعون وهو «صورة» الإله على الأرض.

(٢٨) شعيرة مهمة، حيث كان من الضرورى من الناحية العلمية، أن يُحرق تمثال صغير يمثل «أپوفيس»، وذلك فى كل ساعة من ساعات الليل والنهار، وأن تتلى فى ذات الوقت الكلمات السحرية التى تحول دون ولادته من جديد.

(٢٩) تختلط الإرشادات الشعائرية والرقى.

(٣٠) العاصفة ذاتها، واللون الأحمر هو لون القوة المعادية، وهى إشارة إلى الرمال القانية للصحراء القاحلة، إن الغيوم والعواصف والأمطار، إذ تهدد رحلة الشمس وبالتالي نظام العالم، فإنها تصور هنا كمظاهر متنوعة لـ «أپوفيس»- الذى يتم قهره بالضرورة عن طريق الممارسات الشعائرية.

- (٣١) يخلط الكاتب الناسخ ملحوظاته الخاصة بالشعائر.
- (٣٢) كان النص السابق يشتمل على التعاويذ التمهيدية ويصف الإستعدادات الشعائرية.
- (٣٣) بخصوص عين الشمس، راجع الفصل الثاني من هذا الباب: «الإله رع: رحمته وضعف همته»
- (٣٤) «إيزيس» الساحرة العظيمة. راجع أسطورة «رع وإيزيس»، كما وردت في هذا الفصل. وهنا ستفوض الآلهة بأجمعها المعركة ضد الثعبان الشرير.
- (٣٥) إنه عنصر مجنح من عناصر الكائن.
- (٣٦) «الدبا» «الظل» (وله أهمية في بلاد الشمس الساطعة) هما عنصران من عناصر الشخصية الإنسانية، وانفصالهما هو واحد من بين العديد من الأساليب التي تدل على الوفاة.
- (٣٧) من المقومات الأخرى - الأساسية - لكل كائن.
- (٣٨) راجع الفصل الثاني من هذا الباب: «الإله رع: رحمته وضعف همته». أن هذا المقطع المخصص لشعائر «أپوفيس»، يشير بأكمله إلى تمرد البشر.
- (٣٩) الإلهة - اللبؤة، المحاربة، المرعبة الجانب، ويتكون اسمها الذي يعنى «القديرة» من الجذر «سخم» أى «لها القدرة على».
- (٤٠) إشارة محتملة إلى النار التي تعمل على تفسخ الأجساد وكأنها «تنتفخ».
- (٤١) تقارب بين الجذر «سج» أى «يحطم» والكلمة «سجت» أى اللهب. إن مجمل هذا النص هو في الحقيقة، نداء موجه إلى النار. ويكفي «النظر» إلى النص المصرى: فكل كلمة من الكلمات يلحق بها «مخصص على صورة المجرمة الملتهبة، الذى يسبغ على كل كلمة معنى خاص، فيسهل أحياناً كما في هذه الحالة أن نفهم أصل هذه التسمية أو تلك.
- (٤٢) تتساقط الكلمات على المتمردين وكأنها سيل من اللعنات، فلن يستطيع المتمردون الإفلات من هذا الجحيم الكلامى.
- (٤٣) من الواضح أنه «رع».
- (٤٤) مثال آخر على السعى وراء التوافق الصوتى، وإن كان شكلياً محضاً في هذه الحالة، ويدور حول الجذر «مرى» أى «يرغب».
- (٤٥) يفترض أن الكهنة كانوا يقولون هذه التعويذة التي تتكرر أربع مرات، وهم يولون وجوههم شطر كل جهة من الجهات الأصلية الأربع.
- (٤٦) راجع الهامش رقم «٢» من الفصل الأول من الباب الأول.
- (٤٧) إلهة محلية.
- (٤٨) من مدن الوجه القبلى.
- (٤٩) «حورس»، و«بحدت» هو الاسم المصرى لمدينة إدفو.
- (٥٠) من مدن مصر الوسطى.

- (٥١) إله إقليم أقصى شرق الدلتا.
- (٥٢) من مدن الوجه القبلى.
- (٥٣) من مدن الوجه القبلى.
- (٥٤) المكان المقدس (لأوزيريس) فى الوجه البحرى - مدينة «بوتو».
- (٥٥) راجع ص ٣٥
- (٥٦) حرفياً: «القديرة» - إلهة منطقة طيبة، وهى مندمجة هنا مع اللهب.
- (٥٧) الإله الشمسى فى مدينة ليتوپوليس.
- (٥٨) يتعين أن تبقى عناصر جسده مبعثرة ولا ترتبط بعضها ببعض كما هو الحال بالنسبة لجميع الكائنات الحية.
- (٥٩) فى الغرب وفى الشرق، على حد سواء، فالمقصود به هما صورتان للإله «رع».
- Alan Gardiner, Hieratic Papyri, I, p.59 (٦٠) النص المصرى:
- ويرجع النص إلى الأسرة التاسعة عشرة (حوالى عام ١٢٥٠ ق.م.)
- (٦١) إشارة إلى التعايش الأول على سطح الأرض، حيث كان «رع» يقيم فى قصره.
- (٦٢) تقوم المقابلة هنا بين الماء و«محت-رت» التى قد يعنى اسمها «الأمواه العظمى الدافقة».
- (٦٣) تصور قديم، سبق أن ورد فى متون الأهرام الملكية، حول عام ٢٤٠٠ ق.م.
- (٦٤) لقد ورد الدليل على هذه النزعة التثيفية، فى شعيرة كان يقيمها المصريون على نهاية فصل الفيضان، فى النصف الثانى من شهر أكتوبر، خلال موسم البذر فى التربة التى خصبها طمى النيل، وعلى لوح خشبى أو على قطعة من النسيج، كانت ترسم صورة ظليلة (سيلويت) لجسد «أوزيريس» ممدداً، ثم تغطى بطبقة رقيقة من الطمى، وتنتثر فوقها الحبوب، وفى موسم الإنبات، تظهر صورة ظليلة خضراء «أوزيريس» كرمز لتجديد الطبيعة وبعث الحياة. كما كانت المعابد وكهنتها تلعب دوراً نشطاً فى هذا البعث للحياة.
- (٦٥) نصوص مقدسة ونصوص دنيوية، الجزء الأول من ص ٢٣٨ - ٢٣٩
- (٦٦) نص محفوظ مع بردية برمنز - ريند Bremner-Rhind (المتحف البريطانى 10188 no)
- ويرجع إلى القرن الرابع ق.م.
- R.O. FAULKNER, the Bremner-Rhind, (Papyrus, p. 1-32) النص المصرى:
- (Bibliotheca Aegyptica)
- إن تقسيم المقاطع الشعرية إلى أبيات يرجع إلى المخطوط ذاته.
- (٦٧) هذا النص هو إذن جزء من «أسرار أوزيريس» التى كانت تمثل فى معبد «أبيدوس»، وفى البداية يتم إعداد اثنين من المعتمدين الرئيسيين.
- (٦٨) كاهن يشغل رتبة رفيعة فى التسلسل الهرمى للكهنة. ويعنى اسمه المصرى «ذاك الذى يحمل

- القرطاس»- وهى البردية التى نونت عليها التعاويذ والشعائر التى يلم بها.
- (٦٩) («بتاح»)-«ثان».
- (٧٠) من الراجع إنه أحد أسماء «ست».
- (٧١) من الأسماء المعتادة للثعبان، عدو الشمس. ويتم تدمير أو إبعاد جميع القوى الشريرة.
- (٧٢) أى:«الذى كان يتزاوج وهو لا يزال صبيّاً».
- (٧٣) أو:«البكر بين ورثة جب».
- (٧٤) أحد أسماء «ست».
- (٧٥) تعبير جسدى عن الأسى.
- (٧٦) الأعداء.
- (٧٧) مدينة فى الوجه القبلى.
- (٧٨) من أسماء مصر.
- (٧٩) كما تدل هذه التسمية(حرفياً: «الجاهل») على ثعبان عدائى.
- (٨٠) تسميتان لعالم الموتى.
- (٨١) حرفياً: «حلى الرأس».
- (٨٢) إله - صقر فى الجبانة المنفية.
- (٨٣) ربما الموتى الذين تحولوا إلى نجوم.
- إن نطق الكلمات» الواردة فى قائمة القرابين، بصوت مرتفع، كان يعنى تجسيد هذه القائمة.
- (٨٤) إشارة إلى موميا «أوزيريس»«المسجاة على سرير.
- (٨٥) انها العين «السليمة» التى قدمها «حورس» لوالده عربوناً للبر بالوالدين. راجع أسطورة «القدرات الجديدة» فى هذا الفصل.
- (٨٦) اندماج «أوزيريس» و«رع». راجع أسطورة «اتحاد رع» و«أوزيريس»- فى هذا الفصل.
- (٨٧) ثعبان يرمز للشر.
- (٨٨) الكاهن «إيمى سحتى»(٩) اسم أحد كهنة «أوزيريس».
- (٨٩) بعد قطع أوصاله على يد «ست».
- (٩٠) الإله ابن أوى لمدينة أسيوط، ذو الصلاحيات الجنائزية.
- (٩١) الجملة هى فى سياق النص جملة وصفية: «إنها تجمع..»
- (٩٢) صفة من صفات «أوزيريس». ربما تعنى هذه الكلمة:«الصندوقى» نسبة إلى الصندوق الذى حبس فيه«ست»«أخيه»«أوزيريس»، قبل أن يلقيه فى نهر النيل.
- (٩٣) من أسماء «ست». حرفياً «ذاك الذى يسقط».

- (٩٤) الدائرة الحامية المشكلة من سواعدها.
- (٩٥) سوف يصبح من الممكن أن يتسلم «أوزيريس» الكون إلى جانب شارات السلطة.
- (٩٦) من بلاد الصومال، ومنه يجلب شجر البخور. راجع قصة الفريق: الفصل الأول من الباب الثاني.
- (٩٧) المقبرة على الأرجح.
- (٩٨) «إيزيس»، بقرة السماء.
- (٩٩) تغيير في النص تحت تصرف الممثلين.
- (١٠٠) بعد تقطيع الأوصال.
- (١٠١) البخور هو نبات الحياة. راجع قصة الفريق: الفصل الأول من الباب الثاني.
- (١٠٢) الإلهة «ثيت».
- (١٠٣) اسم الإلهة - البقرة المندمجة في «إيزيس».
- (١٠٤) أحد أسماء «أوزيريس»، «الحامي» (٩).
- (١٠٥) رمزية شمسية. غالباً ما تشبه السماء باللزورد، وحقول الأرض بالفيروز وضئ الشمس بالفضة أما النجوم فهي من النحاس، وهي طريقة أسطورية وغنية بالإستعارات لدمج «أوزيريس» في «رع» من جديد.
- (١٠٦) راجع الفصل الثاني من هذا الباب: «الإله رع: رحمته وضعف همته».
- (١٠٧) إشارة جديدة إلى الأسطورة الشمسية.
- (١٠٨) تغيير جديد في النص تحت تصرف الممثلين.
- (١٠٩) الإله الذي يرمز إلى الفعل المنطوق.
- (١١٠) بصفته إله الأرض.
- (١١١) حرفياً: «مقر أوزيريس». لا شك انه المكان الذي ينحدر منه الإله.
- (١١٢) الشمس. ينظر هنا إلى «إيزيس» على أنها إلهة السماء، في هيئتها كبقرة بفضلها يولد هذا النجم مع مطلع كل نهار.
- (١١٣) النص المصري: Textes des Sarcophages, 148
- (١١٤) إشارة إلى تمرد البشر ضد الشمس (٩).
- (١١٥) خلط مقصود مع حورس الشمسي.
- (١١٦) يولد «حورس» عند الفجر في نفس الوقت الذي يولد فيه «الطفل الشمسي». انه انبعاث مختلف قوى الحياة مع كل صباح.
- (١١٧) النص محفوظ على بردية شستر بيتي رقم 1 Chester Beatty ويرجع إلى عصر رعمسيس الخامس (الأسرة العشرين - حوالى عام ١١٦٠ ق.م).
- (٦٠) النص المصري: Alan H. GARDINER, Late Egyptian Stories, II. Brux-

elles, pp.37-60 (Bibliotheca Aegyptica, VOL. I.)

(١١٨) إذ كان يطالب كلاهما بميراث «أوزيريس».

(١١٩) ترتبط هذه الرواية بالتقليد المنفى.

(١٢٠) «أتوم». «العين-سجات» هي عين «حورس» التي أنتزعتها منه «ست» في خضم معركة شرسة. وبعد أن قام الإله الشاب باستعادتها سلمها إلى والده عربوناً للبر بالوالدين. وبما تهدف هذه العين هنا أن تكون رمزاً لإنتماء «حورس» على «ست»، وبالتالي حقه البين في الميراث. ويرى «جوستاف ليفير» (G.LEFEBVRE, Contes et Romans, p184, note17)

أن العبارة قد تكون أيضاً «مرادفاً لتاج مصر».

(١٢١) المعنى المضمّر: «عند إبلاغه هذا النبأ السعيد»

(١٢٢) يبدو «أتوم» كتوماً ومتحفلاً جداً. كما يظهر في أول الأمر عدم رغبته في إصدار حكم لصالح «حورس».

(١٢٣) ينوى «ست» استخدام القوة في معركة فريدة، لأنه رغم أن «أتوم» كان مؤيداً له، فقد كان حكم الآلهة جمعاً لصالح «حورس».

(١٢٤) حرفياً: «الكبش سيد مندس» - إله الإنجاب.

(١٢٥) جزيرة الجنّد الأول، حيث عبادة «خنوم»، وهو إله كبش «آخر». هنا تندمج الآلهة ذات المظهر الواحد، لتعطى مزيداً من الفاعلية لما يتخذ من قرار. وهكذا يتوفر التمثيل لقسمي مصر، الوجه البحري (من خلال مندس) والجنوب.

(١٢٦) مجرد تعبير شائع، الغرض منه المجاملة والتوقير.

(١٢٧) طبقاً لبعض المفاهيم، يظهر «سوبك» في صورة ابن الإلهة «نيت». وحسب أقوال «رع-أتوم»، كان اهتمام هذه الأخيرة بذريعتها أقل منه هو شخصياً.

(١٢٨) يرجع تأليف هذا النص إلى عصر الرعامسة، عندما أصبحت النزعة التليفقية مع الآلهة الأجنبية («عنات» و«عشتور» لهما أصول فينيقية) لا تملئها أهداف روحية فحسب، بل أيضاً ضرورة سياسية: ضرورة ربط أقطار الإمبراطورية المصرية الشاسعة من خلال وحدة العبادات، من ناحية أخرى فإن «عنات» و«عشتور» وهما إلهتان محاربتان تتفان وأغراض «ست».

(١٢٩) هنا يتحد التأسوع والمحكمة التقليدية المصرية الكبرى، المكونة من ثلاثين عضواً.

(١٣٠) هامش: G.LEFEBVRE (Contes et Romans, p1187): «كان «بابا» من الكائنات المربعة التي تحيط بـ «أوزيريس» قاضي الموت، وقد شاع أنه يلتهم قلب المذنبين. ويطلق عليه بلوطارخ اسم «ببيون» وجعل منه صديقاً لـ «ست-تيفون» (De Iside, Chap 49) بل إن مانتون قد بلغ به الأمر إلى حد أنه دمج في «ست».

(١٣١) شجرة مقدسة، وملوى الإلهة، على ما كان يعتقد.

(١٣٢) لا شك أن الكاتب الناسخ قد أغفل بضعة سطور أو صيحة تعجب صدرت عن «رع-أتوم».

- (١٣٣) «الإله-الجعران» وهو صورة الشمس عند الفجر.
- (١٣٤) قد تعنى هذه الكلمة وحدة الموازين، إنه يتناول «صولجاناً» لتأكيد حقه فى الملكية التى كـ
«أوزيريس».
- (١٣٥) حرفياً: «نو المخالب»-الإله الصقر للإقليم الثانى عشر من أقاليم الوجه القبلى،
(١٣٦) تتطوى هذه الجملة على إشارات محببة لأى مصرى: فمن ناحية، تريد الأم أن ترى «غـ
الصغير»، ومن ناحية أخرى يوجد «تلاعب» بالألفاظ بين كلمة «ياوت» أى «قطيع» وكلمة،
أى وظيفة (والفارق بين كتاباة الكلمتين، ينحصر فى المخصص* المضاف إلى كل منهما)-
وظيفة «أوزيريس» هى موضوع الصراع بين العم وابن أخيه.
(*)المخصص: علامة تصويرية تضاف إلى نهاية الكلمة، ليس لها أى قيمة صوتية بـ
تحدد معنى الكلمة فحسب- المترجم)
- (١٣٧) بعد انتزاع أصابع القدمين ستحل المخالب محلها. هكذا تسعى الأساطير إلى إيجاد تفسير
الآلهة.
- (١٣٨) يشكل الغرب والليل من الآن جزءاً من مملكة «أوزيريس». هذه «اللحظة» هى إذن لحظة مم
«حورس».
- (١٣٩) إن «رع-حور أختى» وآتوم» هما صورتان واسمان لإله واحد: الشمس، وهو ما يفسر اسـ
المفرد فى خطاب(ى)، الأمر الذى يؤكد على وحدانية الشخصية الإلهية رغم ما يبدو مم
مظاهرها واسمائها.
- (١٤٠) يتراجع إذن عن قراره السابق.
- (١٤١) اسم البحر بصفة عامة (سواء أكان البحر المتوسط أم البحر الأحمر) إن أمواج البحر
متجددة، مثل الزرع والنبات.
- (١٤٢) وهو وزن يعادل ٩٢ جراماً تقريباً.
- (١٤٣) وهكذا صنعت خطأفاً.
- (١٤٤) أنها وسيلة شاع استخدامها لصيد فرس النهر، والشاهد على ذلك نقوش ورسومات المقابر
(١٤٥) تصحيح فى النص قام بإضافته LEBEVRE, Op. cit. p 194, Note 69؛
- (١٤٦) إشارة إلى عيني الصقر الشمسى-الشمس والقمر-اللوتين تثيران الأرض، إنها محاولة
لإيجاد تطابقات تلفيقية، وبالفعل، يطلق على العيثن «وجات» وهما اسم العين «السليم
سيعثر عليها «حورس» ليقدمها إلى إبيه، وتتداخل الأسطورة الشمسية والأسطورة الأوزير
(١٤٧) ربما بعد ان تطهرت،
- (١٤٨) الأراضى الأجنبية.
- (١٤٩) يبدأ الخطاب بالانقلاب أسوةً بالرسائل الملكية، إن لقب سيد الكون جدير بالملاحظة؛ از

- الأول-اسم «الثور» يحل محل اسم «حورس»-والإسم الخامس وهو اسم «إبن رع» فى الألقاب الملكية يصبح «ابن پتاح»، الأمر الذى يكشف عن الأصول المنفية لهذا النص.
- (١٥٠) من مدن الدلتا.
- (١٥١) إشارة إلى محكمة «أوزيريس» التى تتعقد فى العالم السفلى.
- (١٥٢) إله العواصف والزوايا وتقلبات العالم.
- (١٥٣) حرفياً: «مدينة أوزيريس»-مدينه فى الدلتا ومنها انحدرت عبادة هذا الإله.
- (١٥٤) نص بردية «جوميلاك»، المحفوظة فى الوقت الراهن فى متحف اللوفر ويرجع تاريخها على الأكثر إلى نهاية العصر البطلمى (القرن الأول قبل الميلاد). راجع Vandier, Papyrus Jumilhac, Paris, S.d
- (١٥٥) حرفياً: «صاحب الرأس المقدس»- جن مكلف بحماية جسد «أوزيريس».
- (١٥٦) حرفياً: «ذاك الذى يقطع القلب»- رئيس حلفاء «ست».
- (١٥٧) حرفياً «ليت المبجل يكون حياً» - حامى «أوزيريس».
- (١٥٨) «أوزيريس».
- (١٥٩) كنية «تحت» أو «أنوبيس».
- (١٦٠) حرفياً: «قصر الأخلاط (الإلهية)»- اسم أسطورى مرتبط بتقطيع أوصال «أوزيريس»(٩).
- (١٦١) «إيسدس» وحلفاؤه.
- (١٦٢) كلمات اشتقاقية ناجمة عن تجانس صوتى معقد- بين «الحجرة الطاهرة» و«الكاهن الطاهر»، وبين الكلمة «ستم» والجملة المصرية التى تعنى «ست هو هنا» («ستش إيم»).
- (١٦٣) وهو ما كان يصنع للماشية، لتحديد مالكها.
- (١٦٤) «سم» و«ستم» هما تسميتان لنفس المولف.
- (١٦٥) حرفياً: «هذا الذى ينشر جناحيه»- إشارة إلى «حورس»، الإله الصقر وهو مكان أسطورى آخر(٩).
- (١٦٦) هامش لعالم المصريات الفرنسى «فاندييه» VANDIER, Op Cit P148: من صخور النوبة، وكان يستخدم فى الطب، وأحد أنواع هذه الصخور كان لونه أخضر على ما يبدو، وتستنتج من هذا النص انه كان يوجد نوع لونه أحمر بما يسمح بمقارنته بدماء الأعداء.
- (١٦٧) إشارة إلى الذهب «الذى يلتهم».
- (١٦٨) حرفياً: «إبغاض الثور» يقول فاندييه فى هامشه: VANDIER, op cit p148 «لا شك ان الإسم الحديث «بطيخة» مشتق من الإسم القديم».
- (١٦٩) مكان أسطورى- ولكن يبدو انه كان له وجود حقيقى فى الإقليم الثامن عشر القديم فى الوجه القبلى

- (١٧٠) من مدن مصر الوسطى.
- (١٧١) «باتا: اى» «البا الذى يأخذ» - «ساكا»: اى «ظهر الثور» (؟).
- (١٧٢) راجع الهامش ١٦٥.
- (١٧٣) أندماج «أنوبيس» و«حورس».
- (١٧٤) إلهة مرتبطة بالزراعة، ولها أيضا خصائص جنائزية.
- (١٧٥) جلد فهد ويستخدم كرداء للكهنة.
- (١٧٦) وفقاً لرمزية الثعبان جالب الخير، راجع من ص ٢٢٥ - ٢٢٦
- (١٧٧) النص المصرى: VANDIER, Op Cit Pl. I-IV.
- (١٧٨) قرب نهاية شهر يوليو.
- (١٧٩) من مقومات العاهل الملكى.
- (١٨٠) VANDIER, Op Cit Pl. xvi-xvii
- (١٨١) نص الفصل ١٧٩ من «كتاب الموتى».
- النص المصرى: Budge, Book Of the Dead, III, PP 61-67
- (١٨٢) حرفياً: «فم الكهوف»، ويشير إلى مدخل الجبانة المنفية.
- (١٨٣) الإلهة التى تجسد الحقيقة والعدالة، كان قربان «ماعت» لحظة هامة تتضمنها الشعائر اليومية فى المعابد.
- (١٨٤) حرفياً: «العجول المروضة» - خلافاً للقطيع الذى يجسد الأعداء، فى السطور السابقة.
- (١٨٥) حيث منابع النيل، فى تصور المصريين.
- (١٨٦) «به» و«دب»: مكانان مرموقان للعبادة الأوزيرية فى مدينة «بوتو»، فى الوجه البحرى.
- (١٨٧) رمز البر بالوالدين.
- (١٨٨) راجع من ١٣٠
- (١٨٩) أحد الرموز الأوزيرية.
- (١٩٠) مكانان مقدسان يرمزان للوجهين القبلى والبحرى.
- (١٩١) تقع هذه المدينة عند مدخل الفيوم.
- (١٩٢) جزيرة أسطورية.
- (١٩٣) الإله الذى يجسد الكلمة المنطوقة.
- (١٩٤) الإقليم الذى توجد فيه أبيدوس، هكذا يمكن المقارنة من جديد- كما حدث فى فقرة سابقة - بين قدرات «أوزيريس» وقدرات «رع».
- (١٩٥) هذا النص مدون على تابوت فى الاسرة الثانية عشرة (حوالى عام ٢٠٠٠ ق.م).

النص المصري: Textes des Sarcophages, B5C

- (١٩٦) «حورس» و«ست». وهى طريقة تصويرية وشفهية لإبراز تفوق «حورس» على «ست».
- (١٩٧) «إيزيس» و«نفتيس».
- (١٩٨) ربما كان ذلك إشارة إلى النص الكبير كنموذج أيضاً للموت المنفى. راجع الفصل الأول من الباب الأول

- (١٩٩) «ست» فى دوره كإله الزواجع والعواصف.
- (٢٠٠) «حورس»، ملك الأرض، فى أعقاب أبيه، وهكذا فإن حورس ملك الأرض وأسوة بأبيه، سيصبح سيد الإنبات والنباتات الغذائية- بمساعدة «ست» صانع المطر. إنه توزيع متوازن للسلطات.
- (٢٠١) «القطر الأسود والأرض الحمراء» وهما يرمزان إلى «حورس» و«ست»، وإلى الخصوبة والقحط.
- وهى شهادة أخرى على التصالع والتوازن الجديد للعالم.

(٢٠٢) راجع ص ٣١ وما يليها.

(٢٠٣) نص الفصل ١٨٣ من «كتاب الموتى»

النص المصري: Budge, Book Of the Dead, III, PP 105-108

- (٢٠٤) مكان «أوزيريس» المقدس.
- (٢٠٥) الإله الكبش فى هرقليلوبوليس. تجانس صوتى بين الإسم «حرى» (شف) والكلمات التى نطق بها «رع» للتو «حر» أى وجه و«شفيت» أى هيبة).
- (٢٠٦) نص الفصل ١٧٥ من كتاب الموتى.

النص المصري

Budge, Book of the Dead, III, PP 75-77

P.Barguet, PP 261-262 .

راجع أيضا ترجمة پول بارجييه

- (٢٠٧) لأنه لم يعد للأعداء وجود
- (٢٠٨) قرنا الكبش اللذان يكتنفان التاج «أتف».
- (٢٠٩) تاج الوجه القبلى.
- (٢١٠) حى يقع شمال هليوبوليس.
- (٢١١) مدينة تقع عند رأس الدلتا على الشاطئ الأيسر من النيل. (أوسيم-حاليأم).
- (٢١٢) نص الفصل ١٨١ من كتاب الموتى.

النص المصري: Budge, Book Of the Dead, III, P99-101

الفصل الرابع

الشعر المقدس والترانيم إلى الآلهة.

من الصعب أن نحدد على وجه الدقة كيف كان الشعر المصري، الذي كان يقوم، شأنه شأن، شعر الشعوب السامية، على الجمع بين الجناس والسجع، فتطرب له الأذن، الأمر الذي تعجز الترجمة عن التعبير عنه تعبيراً مرضياً. وهو شعر إيقاعي في المقام الأول. ونعلم بفضل علم العروض القبطي على وجه التحديد، الذي نشأ من علم العروض المصري مباشرة، أن هذا الأخير لم يعرف على ما يرجح توزيعاً دقيقاً للأوزان الصوتية لمقاطع الكلمة، بل إنه اعتمد على تكرار النبرات الإيقاعية. أما عن التركيبات المحددة فإننا لا ندرى عنها شيئاً فنظراً لأن كتابة كلمات اللغة المصرية كانت تهمل الحركات، فإننا نجهل نطقها الصحيح.

ومع ذلك فإننا نجد أن القيمة الشاعرية لهذه النصوص لها وقعها في قلوبنا. إننا ندرك «جرس الكلمات»، ونستشعر إيقاعها، وإضافة إلى ذلك فإن الشعر المصري غنى بالصور، التي تؤثر على المشاعر وعلى العقل، على حد سواء.

وتصنف النصوص الشعرية بمعنى الكلمة إلى نوعين: الترانيم إلى الآلهة، وهي بأعداد لا تحصى وتشكل شعراً مقدساً ضخماً موغلاً في القدم - وأناشيد الحب وهي شعر دنيوي^(١) أخذ يزدهر على نطاق واسع في الألف الثانية قبل الميلاد وصار فيما بعد مصدر إلهام عظيم للكلاسيكيين القدماء وسليمان الحكيم الذي سيقوم في أناشيده بالإشادة بمفاتيح «الشولية»* على الطريقة المصرية.

*الإشارة هنا إلى سفر «نشيد الانشاد» من العهد القديم من الكتاب المقدس وإلى الفصل السابع منه على وجه التحديد. (المترجم).

١- الترانيم الكبرى إلى الشمس.

١- من عصر أمنحوتب الثانى. (٢)

التعبد لـ «أمون - رع».

الثور فى قلب هليوبوليس، رئيس الآلهة جمعاء،

الإله الكامل والمحبوب،

الذى يهب الحياة لكل لهب وكل ماشية، على السواء.

تحية لك، يا «أمون - رع»، يا سيد عرشى القطرين،

الذى يتزعم الكرنك، ثور أمه^(٣) الذى يهيمن على حقوله،

(الإله) صاحب الخطوة الواسعة الذى يتزعم مصر العليا،

سيد «المجايو»^(٤) وأمير بلاد «بونت».

إله السماء العظيم، أول الأولين فى الأرض،

سيد ما هو كائن، وسند الأشياء كلها،

إنه الواحد الأحد، فلا يوجد سواه بين الآلهة.

إنه الثور الكامل للتاسوع وزعيم الآلهة جمعاء،

إنه سيد الحقيقة والعدالة، ووالد الآلهة،

فهو الذى شكل البشر وخلق الأغنام.

سيد ما هو موجود وخالق نباتات الحياة،
 (إنه) فاطر المراعى التى تُحى القطعان،
 (إنه) القدرة الإلهية التى خلقها «بتاح»،
 (إنه) الفتى الجميل والمحبيب
 الذى لا تنفك الآلهة تهلل له،
 فاطر العالم السفلى والعالم العلوى على السواء، مضيئاً بنوره القطرين
 بينما يعبر السماء فى سلام،
 الملك «رع»، (ملك) الوجهين القبلى والبحرى صاحب القول الصادق، زعيم
 الأرضين،
 صاحب البسالة العظيمة، سيد المقام الرفيع ،
 الكائن المرموق الذى صنع الأرض بأكملها،
 الذى تميزت مقاصده عن (مقاصد) الآلهة الأخرى،
 والآلهة فى فرح عظيم بسبب جماله،
 فلا تنفك تغتبط من أجله، فى الـ«پر-ور»،
 بينما أخذ فى الظهور فى الـ«پرنسر»^(٥)،
 إنها تحب عطره،
 عند عودته من «پونت»،
 هو، حاكم الشذا الذى يهبط إلى بلاد «المچايو»،
 الإله ذو الوجه الجميل الذى قفل عائداً من الأرض الإلهية^(٦)،
 إنها تسرع عند أقدامه،
 فقد اعترفت بجلالته سيداً عليها:
 أيا رب الرهبة الذى يثير رعباً شديداً،

رفيع هو مجدك، قوية هي اشراقاتك،
 (الإله) الذى «يعيد الإخضرار» إلى القرايين ويخلق الطعام.
 فليتهل القوم من أجلك، أنت الذى خلقت الأرباب الإلهية،
 ورفعت السماء بعد أن أبعدت الأرض.
 أيا «مين - آمون»، اليقظ المزدهر،
 (يا) سيد الزمن الأبدى، وباعث الزمن اللانهائى،
 (يا) صاحب المدائح والتهليل، الذى يتزعم فى الكرنك،
 قرناك قويان وجميلة هي وجوهك.
 (يا) التاج العظيم ذى الريشتين العاليتين،
 جميلة هي أكاليك، وعال هو تاجك الأبيض،
 على جبهته الثعبان «محن» والصلان،
 ولك «پشننت» وال«نمس» والخوذة «خبرش».
 (الإله) صاحب الوجه الجميل الذى يستولى على التاج «أتف» محبوب تاج الجنوب
 وتاج الشمال
 رب ال«پشننت» الذى يمسك الصولجان «أميس»،
 سيد الصولجان «معكس» والسوط،
 الحاكم الجميل الذى يتجلى متألقاً لابساً التاج الأبيض،
 رب الأشعة التى تجلب النور ،
 ولا تنفك الآلهة تقدم له المديح،
 بينما يمد يديه نحو من يحبه،
 مُجهزاً على عدوه النوبى، بواسطة اللهب،
 بينما تجهز عينه على المتمردين.

تحية لك، يا «رع»، (يا) سيد الحقيقة والعدالة
 وصاحب المحراب السرى، أيا سيد الآلهة،
 يا «خبرى»، فى قلب القارب المقدس
 الذى أتى بالآلهة إلى الوجود بواسطة الكلمات التى يتفوه بها.
 يا «أتوم»، يا خالق البشر،
 الذى يختار أشكالهم ويعطيهم الحياة،
 مميزاً بشرة أحدهم عن بشرة الآخر^(٧)
 (الإله) المستجيب لصلاة من ألت به الشدائد،
 والقلب الرحوم مع من يبتهل إليه،
 فيخلص الخائف من من الوقح،
 ويصد الفواجع عن المحزون
 مالك المعرفة على فم من تكون له «الكلمة».
 و(نهر) النيل ينساب حسبما يريد،
 هو، سيد الوداعة، الذى يثير الحب كل الحب،
 الذى يهم راجعاً ليعيد الحياة للبشر،
 ولا ينفك يمنح لكل كائن حرية الإنصراف.
 وإذا ينشط فى «النوو»،
 فقد جاء إلى الوجود بنعم النور.
 وتبتهج الآلهة بجماله،
 وتحيا القلوب عندما تراه،
 يا «رع»، (أيها) المبجل فى الكرنك،

صاحب الإشراقات العظمى فى قصر الـ«بن بن»^(٨)

«الهليوپوليتانى»، سيد أعياد غرة الهلال،

فمن أجلك أيضاً تقام احتفالات الأيام الستة لعيد الربع الأخير.

أيها العاهل الملكى، يا سيد الآلهة جمعاء،

الذى يمكن للناس أن تتأمله فى قلب الأفق،

يا زعيم البشر.

إن اسمه مستور، أكثر من ولاداته بكثير،

باسمه «أمون»^(٩).

تحية لك، (أنت) الذى يقيم فى السلام،

يا سيد الفرح، صاحب التجليات القوية،

يا سيد التاج العظيم ذى الريشتين العاليتين،

يا صاحب الإكليل الجميل، والتاج الأبيض العالى.

إنه يحول للآلهة أن تتأملك،

بينما الـ«پشنت» ثابت فوق جبينك.

عندما ينتشر حبك عبر الأرضين

تضىء أشعتك العيون، فهى السعادة للبشر.

عندما تتألق، تفرح الأغنام فرحاً شديداً.

وعندما تسطع، يكون حبك فى سماء الجنوب ورقتك فى سماء الشمال.

إن جمالك يأخذ بمجامع القلوب،

والحب الذى يخصصك يجعل السواعد واهنة،

وهيئتك الكاملة الجميلة تشل الأيدي،

وتسهو العقول عندما تراك.

«أيتها الهيئة الوحيدة» التي خلقت كل ما هو كائن،
الواحد الأحد بين الأحاد، الذي شكل كل ما هو موجود،
فمن عينيه انبثق البشر،^(١٠)

وعلى فمه أتت الآلهة إلى الوجود.
أيّا(أنت)، يا فاطر المراعى التي تحيا عليها الحيوانات،
يا(خالق) نبات الحياة الذي هيأته للبشر،
أنت الذي تسهر على حياة أسماك النهر
أسوة بالعصافير التي تحلق في السماء،
إنك تمنح النسمة لمن لايزال في البيضة،
فتُحرر العصافير والكائنات التي تطير،
والثعابين والحشرات أيضاً،
وتمدّ الفئران في جحورها بما تحتاج إليه،
وتعطى الحياة للحشرات على كل غصن.

تحية لك، (يا) من صنعت ذلك في إكتماله،
أيها الواحد الأحد بين الأحاد، صاحب السواعد المتعددة - الساهر على جميع
البشر النائمين،

ويقضى وقته في السعى وراء ما يمكن أن يفيد قطيعه.
يا «أمون» يا مثبت الأشياء كلها،
يا «آتوم»، «حور-أختي»،
الجميع يهللون له :

الثناء عليك لانك أرهقت بسببنا !
السجود من أجلك، لأنك خلقتنا !
إن قطيعك بالكامل يحييك،
وكل منطقة أجنبية تسبح لك،
إلى عنان السماء وعلى اتساع الأرض،
وحتى أعماق «الشديدة الإخضرار»،
لقد حضرت الآلهة منحنية بسبب جلالتك
فتشيد بامجاد خالقها،
فرحة باقتراب ذاك الذي انجبتها.
وتقول لك (الآلهة): مرحباً أفى سلام !
يا أبا الآباء، للآلهة جمعاء،
الذي رفع السماء وابتعد الأرض،
الذي صنع ما هو كائن، وشكل ما هو موجود،
أيها الملك، يا زعيم الآلهة،
اننا نعبد مجدك، لأنك خلقتنا،
لقد أبديت نشاطاً لتأتى بنا إلى الدنيا
إننا نغدق عليك الثناء، لانك أرهقت بسببنا.

تحية لك، يا فاطر جميع الأشياء،
يا سيد الحقيقة والعدالة، يا أبا الآلهة،
يا صانع البشر، وخالق جميع القطعان،
يا سيد الحبوب، (يَا) من يُحى أيضاً حيوانات الفياض.

يا «أمون»، أيها الثور ذو الوجه الجميل،
 المحبوب فى الكرنك،
 (الإله) صاحب الإشراقات المتألقة فى «بن بن»،
 الذى تتجدد أكاليله فى هليوبوليس،
 القاضى (الذى يفصل) بين الخصمين^(١١) فى قاعة (العدل) الكبرى،
 يا أنت الذى يتزعم التاسوع الأعظم، «الواحد الأحد بين الأحاد» الذى ليس كمثل
 أحد،

الذى يهيمن على الكرنك،
 الهليوبوليتانى على رأس التاسوع الأعظم
 الذى يحيا يومياً من الحقيقة والعدالة،
 إله الأفقين، حورس الشرق،
 أنت الذى خلقت الصحراء والفضة والذهب واللزورد الحر، بإرادتك.
 وحبّات البخور وفيرة فى بلاد «المجاو»
 وراتنج التريبتين المنعش، هو لفتحتى أنفك،
 أيها (الآله) ذو الوجه الجميل الذى يذهب إلى «المجاو».
 إن «أمون-رع» سيد عرشى القطرين،
 على رأس الكارنك،
 «الهليوبوليتانى»، على رأس حريمه،
 الملك الأوحى بين الآلهة،
 أسماؤه متعددة، وتفوق الحصر.
 طالعاً فى الأفق الشرقى غارباً فى (أفق) الغرب،
 ويتم الإجهاز على أعدائه عند مطلع فجر الميلاد اليومى.

وينشط «تحت» عينيه .
وعندما يركن فى نوره إلى الراحة، فإن الآلهة تهلل فرحاً بسبب جماله،
ومن هم فى حاشيتة مقتبطون.
أيا سيد سفينة الليل وسفينة النهار،
اللّتين تعبران الـ«نور»، من أجلك، فى سلام ،
وبحارتك هم فى فرح وبهجة،
عندما يتأملون سقوط المتمرّد،
إن أعضائه تنفذ إليها السكين،
واللهب يلتهمه،
وينفصل «با»ؤه عن جسده،
وتمحى آثار خطوات الثعبان «نيك»،
عندئذ تغدو الآلهة فرحة،
وبحارة «رع» مسرورة،
و«هليوبوليس» مقتبطة،
عندما يتم الإجهاز على أعداء أتوم.
إن الكرنك فى سلام.
ويهدأ قلب سيدة الحياة (الحيّة-الصل)،
لأن أعداء سيدهم قد أجهز عليهم.
واللهة «خر عحا» مقتبطة،
ومن هم فى هياكلها يسجدون،
عندما يشاهدونه قوياً، فى قدرته.

أيا أقوى الآلهة،
ان «ماعت»هى سيدة الكرنك،
بهذا الاسم الخاص بك(اسم)خالق الحقيقة والعدالة.
أيا سيد الأطعمة،
يا ثور القرايين،
بهذا الاسم الخاص بك(اسم) ثور أمه.
يا خالق البشر،
جالباً إلى الوجود شكل كل شىء،
بهذا الاسم الخاص بك(اسم) «توم خيرى».
أيها الصقر العظيم، (يا) مقيم الأعياد للصدر،
(الإله) ذو الوجه الجميل، مانحاً الغبطة(للطفل الممسك)بالثدى، يا صاحب
الأشكال اللطيفة
إن قلوب البشر تنطلق نحوه،
وإليه تلتفت البشرية.
أنت يا من يقيم الأعياد فى الأرضين عند تجلياتك،
تحية لك، أيا آمون-رع،(يا)رب عرشى القطرين.
ان مدينته تحبه عندما يشرق.

وتظهر تقوى دينية حميمة إزاء الشمس، وهو الشخصية الالهية المنفردة، ذات
الاسماء والأشكال المتنوعة. وتعلن وحدانية الإله فى جو من التسامح، ويتم الإشادة
بعالمية ملكه وإنعاماته التى تصل إلى جميع المخلوقات، بل أقلها شأنًا. وينتهى المؤمن
فى أعماق إيمانه، إلى حالة من الوجد والنشوة الروحية. إننا نقف هنا أمام صور

ومواضيع تعود إلى أزمنة موزعة في القدم، بل إننا نصادف بعضها في النصوص التي نقشت في الحجرات والجنازير، داخل الأهرامات الملكية حوالي عام ٢٥٠٠ ق.م. إن الخرافة التي تلقى رواجاً شعبياً، في الوقت الراهن، على نطاق واسع، والتي تقول أن «أمنحوتب» الرابع (الذي عاش بعد ما يقرب من قرن من الزمن على تأليف النص الذي سبق أن ترجمناه لتونا) قد استشرق التوحيد، فكان وراء «ثورة» دينية، سارت في هذا الاتجاه، إن هذه الخرافة لا تصمد على الإطلاق وتتهافت، عند قراءة الوثائق المصرية ذاتها، بعيداً عن الشروح الحديثة. لقد كان كل إله، منذ الأزمنة الغابرة، هو الإله الأوحد، في قلب وعقل كل من يؤمن به، الأمر الذي لا يستبعد احتمال اللجوء إلى غيره من الآلهة، بهدف الحصول على مزيد من الفاعلية السحرية. وإن يتجسد جوهر إلهي أسمى في أماكن مختلفة، داخل أشكال متنوعة، فيمثل كل شكل منها تفرداً نسبياً، ولكنه يندمج في الكائن «نثر» أي «الإله». إنه التوحيد من خلال التسامح - تلك هي الدلالة الأصلية للديانة المصرية على مرّ العصور. وحوالي عام ١٦٥٠ ق.م، كتب «أنى» في «حكمه» قائلاً: «في استطاعة الإله أن يجعل قدرته تحل في مليون شكل»، ولا يمكن أن ينطبق على هذا التصور، أي من التعريفات الحديثة - وهي سطحية في الغالب - التي تحاول أن تصنف فكر العالم القديم، فتتحدث عن الوحدانية Monotheism و تعدد الآلهة Polytheism، لا بل تتحدث عن أحدث المصطلحات عن إله فوق الآلهة Henotheism إن الوجود الإلهي الرحب المنتشر في أرجاء الكون كان يتجسد في شتى أشكال الخلق ويتخذ حسب المكان، أسماءً متنوعة.

ب - ترنيمة من عصر أمنحوتب الرابع (١٢)

التعبد لـ«رع-حور-آختي» الذي يبتهج في الأفق باسمه النور الذي يوجد في القرص (آتون) ^(١٣)، الحى للزمن اللانهائي والزمن الأبدي. (التعبد) لـ«آتون» الحى العظيم (الملك) ^(١٤) في أعياد يوبيله، سيد كل ما يحيط به القرص، رب السماء، ورب الأرض، سيد معبد «آتون» في «أخت آتون» ^(١٥)، ملك الوجهين القبلى والبحرى الذي يحيا في الحقيقة والعدالة، رب القطرين «جميلة - هي - صيرورات - رع - انه -

الوحيد - الذى - ينسب - إلى - رع»، ابن رع الذى يحيا فى الحقيقة والعدالة، سيد التجليات المتألقة «اخناتون»^(١٦) صاحب الحياة المديدة.

(التعبد) للزوجة الملكية العظمى، محبوبته، سيدة القطرين «جميل-هو-جمال آتون-نفرتيتى»، فلتحى وتزدهر فى شباب دائم للزمن اللانهائى والزمن الأبدى !
حامل المروحة عن يمين الملك، المسئول عن كافة جياد جلالتة، الذى يرضى البلاد بأسرها، أثير الإله الكامل، الأب الإلهى «أى» - إنه يقول :

«إنك تشرق برفق فى أفق السماء، أيها القرص الحى الذى يدبر الحياة. وبينما تتجلى فى الأفق الشرقى، بعد أن ملأت بكمالك البلاد بأسرها، فأنت جميل وعظيم ومتألق، وعلى فوق الأرض فى جميع أرجائها. إن أشعتك تحيط البلاد حتى حدود كل ما خلقتة. إنك «رع»، وتقرب بين أطرافها، وتربطها. من أجل ابنك المحبوب. إنك قصى، ولكن أشعتك على الأرض. إنك فى النظرات ويمكن للمرء أن يتأمل رحلتك، ولكن حين تغيب فى أفق الغرب، (تبيت) البلاد فى ظلام وكأنها ميتة. والناس ممددون فى حجراتهم، تكسوهم أغطية، وكل عين لا ترى حتى رفيقها. ولو تم الإستلاء على كل ثروتهم وإن وضعت تحت رؤسهم، لما تنبهوا إلى ذلك. كل أسد يخرج من عرينه، والشعابين كلها تلدغ، لأن الليل هو (بالنسبة لها) زمن النور. والأرض (يعمها) السكون، لأن خالقها موجود فى أفقه.

وعندما تبيض الأرض (من جديد)، عند ظهورك متألقاً فى الأفق، فإنك تتألقين^(١٧) (هكذا ! فى المؤنت-م.)، أيا «أتون»، مثل النهار. إنك تطردن الليل، وتهبين أشعتك، والقطران يهللون فرحاً. (ومن كانوا نائمين) يستيقظون، وينتصبون على أقدامهم، إنك تساعدهم على النهوض. ويفسلون أجسادهم ويتناولون ثيابهم، فى حين يقدمون بأيديهم الثناء والتهلل لتجليك الساطع. والبلاد بأسرها تنجز أعمالها. والحيوانات من شتى الأنواع ترقد فوق كالأها. والأشجار والنبات تعود إليها النضرة. والعصافير تطير هنا وهناك فى أعشاشها، فى حين تبسط أجنحتها ثناءً وتهليلاً لـ «كا»ك. والأغنام تقفز على أقدامها. وكل ما يطير ويحيط يحيا عندما تتجلى متألقاً. والسفن تصعد (ضد) التيار وتهبط معه أيضاً، وكل طريق يفتح عندما تتجلى. وأسماك النهر تقفز صوب وجهك. وتنفذ أشعتك إلى أعماق «الشديدة الأخضرار». إنك تجعل النساء ولودة وتخلق النطفة فى الرجال، فتُحى الابن فى أحشاء أمه،

وتسكن من روعه، وتجفف دموعه، (فأنت) مرضعه وهو لا يزال فى بطن (المرأة)، واهباً الهواء لتحيا المخلوقات كلها. عندما ينزل (الطفل) من بطن أمه، يوم ميلاده، فإنك تفتح فمه وترزقه باحتياجاته، الفرخ فى العش يزقزق داخل غلاف بيضته، لأنك تعطيه النسيمات لتنشطه. وتشكل هيئته بالكامل، بحيث يتمكن من كسر البيضة. وعند خروجه معها يزقزق رزقة قوية ويسير على قدميه.

ما أكثر أعمالك ! (إنك) تتوارى (أحياناً) عن الأنظار، أيها الإله الأوحده، فلا وجود بجوارك لآخر سواك^(١٨). لقد جلبت الأرض حسب رغبتك - فى حين كنت بفردك والبشر أيضاً والأنعام كلها من ماشية وأغنام، وكل ما يمشى على الأرض وكل ما يحلق فيطير بأجنحته، وبلاد سوريا وبلاد كوش^(١٩) ومصر. وتعطى كل إنسان مكانته، وترزقه باحتياجاته. هكذا (ينال) كل امرئ قوته، ويقدر له زمن حياته. ولغات (البشر) متعددة، وأشكالهم أيضاً، وألوان (بشرتهم) مختلفة، لأنك ميزت الأجانب^(٢٠).

وتخلق النيل فى العالم السفلى للعالم الآخر، وتأتى به، حسبما ترغب، لتحى الناس فى مصر كل الحماية، كما أنك صنعت هؤلاء من أجلك. إنك سيدهم أجمعين، فتعبت بسببهم، (أنت) سيد البلد الذى يسطع من أجلهم، يا «أتون» النهار، صاحب الهيبة العظمى، كما تحى أيضاً أبعد البلدان الأجنبية، لأنك تعطىها «نيلاً» يهبط إليها من السماء^(٢١)، محدثاً أمواجاً فوق الجبال على غرار (أمواج) «الشديدة الإخضرار» ويفيض على حقولها فى مدنها^(٢٢)، فما أروع مقاصدك، يا سيد الزمن الأبدى !

النيل فى السماء، هو من أجل الأجانب، وسائر حيوانات كل بلد أجنبى، (الحيوانات) التى تسير على أقدامها. النيل القادم من العالم السفلى ينتمى إلى البلد المحبوب، ولكن أشعته هى مرضعه جميع الحقول، فالحياة تعود إليها حينما تشرق، وهى خصبة بفضلك، لقد وضعت فصول (السنة) ليوجد كل ما خلقت: ففصل الإنبات^(٢٣) لتلطيف الجو والجو الحار، حتى يمكن التمتع بك، لقد فطرت السماء البعيدة لتسطع فيها ولشاهدة جميع الخلائق، أنت الواحد الأحد، بينما تتألق فى أشكالك (المتنوعة) مثل الـ «أتون» الحى، الذى يتجلى متألّفاً، الذى ينير، الذى يبتعد ثم يقترب (من جديد). إنك تصنع ملايين الأشكال الصادرة عنك وحدك، (تصنع) مدناً وقرى وحقولاً ودروباً وأنهاراً. كل عين تشاهدك أمامها. أنت «أتون» النهار، الأسمى. إنك ترحل^(٢٤) لضمان وجود كل (كائن) من الكائنات التى خلقتها، أنت الذى فوقها

ولا تنفك ترى غبطتها.

أنت فى قلبى، ولا يعرفك أحد سوى ابنك: «كاملة - هى - صيرورات - رع - إنه - الوحيد - الذى - ينتمى - إلى - رع»^(٢٥) وقد أذنت أن يدرك مقاصدك ومقدرتك، على يدك أتت الأرض إلى الوجود، كما أنك صنعت البشر. وحالماتشرق يحيون من جديد ولكنهم يموتون عندما تغرب. أنت أمد النهار بسبب جسدك ذاته، وبك يحيا الناس. وتظل العيون تمعن النظر فى جمالك إلى أن تختفى، وعندما تستريح فى الغرب، يهجر الناس الأعمال، وجميع من يسعون على أقدامهم، منذ أن أسست الأرض، فإنك ترتقى بهم من أجل ابنك، المولود منصلبك، ملك الوجهين القبلى والبحرى... ابن رع... «أخناثون» المديد الحياة، ومن أجل زوجته الملكية العظمى، محبوبته، سيدة القطرين...، نفرتيتى ..»

ج - ترنيمة من عصر رعمسيس الثانى (٢٦)

الفصل السادس

كل منطقة تعاني من الرعب الذى تثيره،
وسكانها يحنون بسبب هيبتك،
إن اسمك رفيع الشأن وقوى،
والمحيط العظيم والدائرة العظمى،^(٢٧) ينحيان تحت وطأة خوف منك...
والمناطق الجبلية تهبط إليك، فى انبهار،
ولكن [البلدان المتمرده] يتولاها الرعب،
وأهل «بونت» يتقدمون نحوك،
لأن البلد الإلهى يخضر ثانية من أجلك، بسبب الحب الذى تبعثه (فى النفوس)،
وتبحر [السفن صوبك] بحمولتها من الراتنج،

فبعبيرها المبهج، تنتشر الغبطة بين شعبك
بينما الأشجار تترك البخور ينساب،
إنك تستمتع بعطرها (٩) عندما يتحد بأنفك...
فمن أجلك تنمو شجرة الأرز،
التي منها بُنى قاربك المقدس، «ذو القيدوم القوي»، (٢٨)
فمن أجلك أنت تنتج الجبال الأحجار بوفرة،
لتشاد أبواب [معبدك].
وتتقدم السفن فوق الماء وعلى امتداد الشطآن،
تنوء بما تحمله، مبحرة نحوك،
والنهر ينساب في اتجاه الشمال، ونسيم الشمال يهب في اتجاه الجنوب،
من أجل أن تقدم لـ «كا» لك كل ما يوجد من أشياء...

الفصل التاسع

التاسع الإلهي المنبثق من الـ«نوو»،
يتجمع عندما يشاهدك، (أنت الإله) العظيم في هيئته،
رب الأرباب، الذي شكل ذاته بذاته،
سيد المخلوقات، تلك التي كانت في ظلمة (الليل)، فإنه يسطع فجأة من أجلها،
مضيئاً وجوها بصيرورة أخرى.

إن عينيه تتألقان وأذنيه مفتوحتان،
 وجميع الأجساد ترتدى (الذهب) عندما ينتشر نوره.
 السماء من ذهب، والد «نوو» من لازورد،
 والأرض تُصاب بسهام من فيروز عندما يشرق فيها،
 والإلهة تستعيد نظرها، وتُفتح معابدها،
 وبوسع البشر بفضلُه أن يروا ثانية ويتأملوا،
 والأشجار ترتعش عند مشاهدته،
 وتلتفت إلى «الواحد الأحد»، بينما تنبسط أوراقها،
 والأسماك في الماء تثب وثبات،
 وهي تقفز في بحيراتها في الهواء، حباً له،
 وعند رؤيته، ترقص الماشية وتلوح العصافير بأجنحتها،
 لأنها تعرفه في لحظته السعيدة
 وتحيا إذ تراه طوال النهار،
 جميع الكائنات هي فوق يده التي تحتويها كلها،
 ولا يوجد إله سواه، في وسعه أن يمنحها حرية الوجود،^(٢٩) اللهم إلا جلالته
 («أمون»)،
 فلا شيء يمكن أن يحدث بدونه،
 (هو) الإله العظيم، حياة التاسوع.

الفصل العشرون.

أيا «حور-أختي»، إنك تبجر،
 منجزاً على امتداد النهار، (نفس) مهمة الأمس.

إنك تخلق فصول (السنة) وتصل بين الشهور، (٣٠)
والأيام والليالي والساعات تسير على خطاك.
إنك تتجدد اليوم أكثر من الأمس.
وإذ تنفذ إلى الليل تصبح (منذ الآن) تابعاً للنهار،
أيها الساهر الأوحده، الذي لا يطيق النوم،
البشر هم راقدون ولكن عينيك تظنان ساهرتين،
أنت الذي تُظهر ملايين الكائنات بفضل وجهك الجميل،
لا يوجد طريق واحد على الأرض بدونك أنت،
إنك النجم السريع الخطى وسط كوكبة النجوم،
فتجتاز الأرض في لحظة، بلا صعوبة
وتبحر في السماء، وتبعد الآخرة السفلى،
النور الإلهي فوق كل درب، فيروح ويغدو فوق الوجوه،
لأن جميع البشر يلتفتون إليه،
والبشر والآلهة يقولون: مرحباً! مرحباً!

الفصل الثلاثون

الحرية النحاسية استقرت في الثعبان «نيك»، (٣١) فليسقط ومعه رأس (الحرية).
المتوردون مآلهم الذبح، فيفرمون فرماً....
إن «أمون-رع» يقطعهم تقطيعاً،
وكان همه توقيع العقوبة على الكائنات الخسيسة، وهو مسرور القلب، وتشهد
المحارب على قدرته أثناء عيد الشمس،
وعلى صوته، لم يعد للأعداء وجود،

والقارب المقدس، يبحر برفق لملايين السنين.
والبحارة مغتبطون وقلوبهم فرحة،
لأن عدو سيد الكون قد سقط.
ولم يعد للمتمردين موجود في السماء أو على الأرض.
إن السماء وطيبة وهليوبوليس والآخرة السفلية
والذين يقيمون فيها يهللون فرحاً من أجل سيدهم،
عندما يتاح لهم ان يتأملوه قوياً في تجلياته المتألقة،
موفور البسالة والقوة، متسيداً على أشكاله.
إنك تنتصر، يا «أمون-رع»!
لقد قهرت حربتك الكائن الفاسد القلب.

الفصل الأربعون.

(أيها الإله) الذى شكل ذاته بذاته ودون ان يتمكن أحد من معرفة اشكاله!
اللون الكامل، الآتى الى الوجود كانبثاق من «الكائن» المقدس!
(الإله) الذى شاد صوره وخلق ذاته بذاته!
القوة الإلهية الجميلة، (الإله) الذى جعل قلبه وروحه كاملين،
الذى ربط نطقته بجسده،
ليصنع بيضة فى أحشائه.
الشكل السرى، ذو الولادات الجديدة الجميلة!...

الفصل الخمسون

[لك التسبيح!] [التعبد من أجل هيبتك!]

إن أشعة القرص السماوى هى ملك الوجهك.
والنيل يتفجر من المغارة من أجل الآلهة الأولية التى خلقتها.
والأرض تأسست من أجل صورتك (الانسان).
ولك أنت وحدك ما ينميه «جب».
إن أسماك عظيم ومجدك له وزنه.
وحتى الجبال ليس فى امكانها أن تعرف آياتك...وقوتك.
أيها الصقر الإلهى الباسط جناحيه،
الذى ينقض على من يهاجمه ويمسك به فى ظرف لحظة.
أيها الأسد المحاط بالأسرار، (يا) صاحب الزئير القوى،
القابض بشدة على ما يقع بين مخالبه.
(إنك) لثور أمام مدينته، وأسد أمام رعاياه،
ضارباً (الأرض) بذيله فى مواجهة من يهاجمه.
الأرض ترتعد عندما يدوى صوته،
وكل ما هو موجود يهاب مقامه.
(الإله) ذو القوة العظيمة، ودونه لا يوجد أحد سواه!
القدرة الإلهية ذات الولادات الجديدة الجميلة التى هى جزء من التاسوع!

الفصل الستون.

الوجهان القبلى والبحرى كانا راضيين،
عندما امسك بهما، الإله «الأوحد»، بواسطة قوته.
قديرة كانت حدوده عندما كان يقيم على الأرض،

منتشراً (فى طول الأرض) وعرضها وحتى أعلى السماء.
 وكانت الآلهة تلتهم منه قوامها.*
 انه هو الذى كان يعطيهم ما فى حوزته من أطعمة،
 هو سيد الحقول والشيطان والأراضى الجديدة،
 ومرضياً كان الإشراف على القنوات،
 بأكملها،
 وكان صلاته الإلهيان يحددان البلاد كلها...
 هو الذى كان قد أسس القطرين على قواعدهما والمعابد والمحاريب (أيضاً).
 واستقرت كل مدينة فى ظلاله،
 وكان قلبه يروح ويغدو إلى المكان الذى يعشقه،
 ويسبج له فى كل محراب،
 وكل ناحية إدارية تحددت تحديداً قاطعاً، مغمورة بما يبعثه من حب،
 فمن أجله تصنع الجعة، يوم العيد،
 والظلام يمتد إلى قلب الليل،
 ولكن اسمه ينتشر إلى قمم الأماكن المقدسة،
 والمغنى يتباطأ فى ظلمة الليل،
 وتتسلم الآلهة الطعام الوارد من «كا»^١،
 أيها الإله القدير الذى يؤمن كفايته، (من الطعام).

الفصل السابعون

(وهو) يحلّ الشرور، ويطرد الهموم،
 (إنه) الطبيب الذى يبعد الإبصار إلى العين بلا دواء،

* القوام: بكسر القاف، هو ما يقيم الإنسان من القوات. (المترجم).

وفتح العيون ويعبد الأمراض...
 معيناً من يريد حتى فى العالم الآخر،
 مخلصاً (أى شخص) من مصيره حسب رغبته.
 وله عيان وأذنان،
 ووجه على جميع الدروب، لمن يحبه.
 يستجيب لابتهالات من يناديه،
 ويحضر من بعيد فى لحظة، إلى جانب من يتضرع إليه.
 وفى وسعه أن يمدد زمن الحياة أو ينقصه،
 ويعطى لمن يعبد أكثر من قدره (يفتح الدال).
 ان اسم «آمون» هو افتتان سحرى فوق أمواه الـ «نوو»،
 والتمساح ذاته لا سلطان له عليه عندما ينطق به،
 وتُصدّ الرياح (ألعائية) وتراجع الريح الشديدة،
 وديع هو وجه الكائن الذى يتذكره،
 مبارك هو اسمه فى زمن النزاعات،
 انه نسيم عليل لمن يتضرع إليه،
 انه ينجى الإنسان المجهد،
 الإله الرحيم صاحب المقاصد المباركة.
 إنه يخلص الإنسان الذى ينحن أمامه، فى زمنه (المشئوم).
 إنه أكثر نفعاً من الملايين لمن يضعه فى قلبه،
 وبسبب اسمه، فإن إنساناً واحداً هو أقوى من مئات الآلاف.
 حقاً إنه الحامى الكامل،
 مبارك هو فى أفعاله فهو الذى لا يمكن صدّه.

الفصل الثمانون.

جاءت الآلهة الثمانية إلى الوجود بوصفها شكك الأول،^(٣٢)
لتنقودها وحيداً، إلى غايتها.
وجسدك وسط الآلهة العظمى تكتنفه الأسرار،
أيا «أمون»، الخفى، على رأس الآلهة.
لقد تحولت إلى «تاتن»،^(٣٣)
لتنجب الآلهة الأولية، فى زمك الأول.
ويتم الإشادة بجمالك، أنت، (يا) ثور أمه.
أنت بعيد، أيها المقيم فى السماء، الثابت الراسخ أيها «الشمس»^{*}
مرحباً بك، (أيها) الآب الذى انجب الأبناء،
الذى أعد ورثة مباركين، جاءوا من نسلك،
لقد بدأت فى الظهور، عندما كان لا يوجد شئ بعد،
ولكن الأرض لم تُحرم منك، عند «المرّة الأولى»،
عندما أتت جماعة الآلهة فى صحبتك إلى الوجود.
... إن آلهة التاسوع بأسره هى أعضاؤك.
إن كل إله متحد بجسدك يشكل صورتك.
لقد انبعثت الأول، لقد بدأت البداية،
يا «أمون»، الذى يخفى اسمه عن الآلهة (الأخرى)،
يا عظيم الأولين، المتميز عن هذه (الآلهة)،
«تاتن» الذى شكّل هيئته بنفسه ليكون «پتاح».
إن أصابع جسده هى «الثمانية».

وإذ يشرق كشمس فى الـ «نوو»،
 قانه يجدد شبابه...
 فيظهر متألقاً على عرشه، حسب رغبة قلبه.
 إنه يحكم كل ما هو موجود، بفضل [قدرته].
 ويربط ملكية (بفتح الميم واللام) الزمن الأزلئ اللانهائئ، (فهو) السيد الأوحد.
 إن هيئته تفيض نوراً، منذ المرة الأولى
 ويلتزم كل ما هو موجود الصمت بسبب هيئته،
 وينقُ بصوته، فإنه «النقاق الأعظم»،^(٣٤) فى مكان خلقه المنعزل،
 عندما بدأ يتكلم فى قلب السكون.
 إنه يفتح عيون البشر ويمكنهم من الإبصار.
 وبدأ يصيح وسط صمت الأرض،
 وتطوف زمجرته (بالكون)، فهو الإله الذى لا مثيل له،
 والذى ينجب الكائنات ويحييها.
 ويسمح لكل إنسان أن يتعرف على الطريق الذى عليه أن يسلكه،
 وتعود قلوبهما إلى الحياة عندما يرونه.
 وإليه ينتمى «النورانيون»، المقدسون والمرموقون.

الفصل المائة.

إذ استهل وجوده فى المرة الأصلية،
 كان «أمون» هو أول من أتى إلى الوجود، دون أن يعرف أحد سواه هيئته المنبتقة.

*نذكر ان كلمة «شمس» مذكرة فى اللغة المصرية القديمة. (المترجم).

فمن قبله لم يوجد إله سواه.
 لم يوجد معه أى إله فى استطاعته أن يخبرنا عن شكله.
 لم تُعرف له أم ليتحدد اسمه من أجلها.
 لم يُعرف له أب انجبه فيقول «ها أنا»
 (الاله) الذى شكل بيضته بنفسه،
 القدرة الإلهية ذات الولادات السحرية، صانع كماله،
 الإله الربانى، الذى اتى بنفسه إلى الوجود،
 وقد ظهرت الآلهة الأخرى بعد أن بدأ هو فى الوجود.

الفصل المائتان.

(الكائن) صاحب الصيغرات السحرية، والأشكال المتناقلة،
 إله الأعاجيب، المتعدد الوجود،
 جميع المعبودات تمتدحه،
 لتعلى هى ذاتها من شأنها فى كماله، حسبما يكون إلهياً.
 لقد اتحد «رع» ذاته بجسده،
 إنه «الكبير» المقيم فى «هليوبوليس»،
 هذا الذى يطلق عليه (أيضاً) «تاتن»،
 «أمون» المنبثق من «نوو»،
 الذى يرشد البشرية،
 و«الثامون» هو (أيضاً) من أشكاله الأخرى،
 أيا منجب الآلهة الأولية، الذى ولد «رع»

ثم اكتمل فى هيئة «أتوم»^(٣٥) وهو أحد أعضاؤه.
 إنه سيد الكون، وبداية ما يوجد.
 إن «با»^{٣٦}، حسبما يقال، هو الذى فى عالم الآلهة.
 انه هو الموجود فى الآخرة السفلية، ويولى وجهه شطر الشرق.
 وبأؤه فى السماء، وجسده فى الغرب،
 وصورته فى هليوبوليس الجنوب^(٣٦) لتذكر تجلياته المتألفة.
 «الواحد الأحد» هو «أمون»، (الإله) الذى يختفى بعيدا عنها،^(٣٧)
 ويتوارى عن (انظار) الآلهة، حتى لايتعرف الناس على كيانه.^(٣٨)
 الذى يبتعد إلى عالم الآلهة، إذ تُحرم منه الآخرة السفلية.
 لا يوجد إله واحد يعرف شكله الحقيقى،
 ولا تكشف الكتب عن صورته،
 ولا يمكن أن يشهد أحد...
 إنه أعمق سراً من أن يكشف النقاب عن هيئته،
 وأعظم من أن يُسأل، وأكبر سلطاناً من أن يُعرف.
 سوف يلحق الموت فى الحال، الموت (الذى هو فى المعتاد من نصيب) المقاتل،
 (سوف يلحق) بمن يتفوه باسمه المحاط بالأسرار، (اسمه) الذى لا يمكن معرفته.
 (بل) إنه لا يوجد إله واحد فى وسعه أن يتعرف عليه بهذه الوسيلة.
 أيها الكائن المجيد، الذى يخفى اسمه، لأنه سرّ.

الفصل الثلاثمائة .

ثلاثة هى جميع الآلهة،

«أمون» و«رع» و«پتاح»: (وهى آلهة) ليس لها مثيل. (٣٩)

إن اسمه خفى بوصفه «أمون»،

ان وجهه هو (وجه) «رع»، وجسده هو (جسد) «پتاح».

لقد تأسست مدنهم على الأرض للزمن الأبدى،

طيبة و«هليوپوليس» ومنف (هى) للزمن اللانهائى.

إذا وجهت رسالة من السماء، فتسمع فى «هليوپوليس».

وتتردد فى منف صاحبة الإله ذى الوجه الجميل،

ثم يُعد خطاب بعلامات «تحت» (العلامات الهيروغليفية)

من أجل مدينة «أمون» التى تتولى شئونهما.

وفى المقابل توجه نصيحة قادمة من طيبة.

فيقال «اصعد، فهو ينتمى من الآن إلى التاسوع».

جميع الأوامر تصدر عن «أمون».

والآلهة راسخة بفضلها، حسبما يأمر به.

والرسالة التى يوجهها فى وسعها ان تقتل أو تعيد الحياة.

الحياة والموت لجميع الكائنات رهن به،

وبدونه (لا يوجد شئ)، «فأمون» هو فى صحبة «رع»،

[وپتاح...]- سوياً: ثلاثة.

الفصل الأربعمائه

أربعاً كانت إلهات «المرة الأولى».
 إذ تُفرح [أمون] في [هيئته] كثور كبير،
 ثور إناث العجول الأسود...
 ... حتى يكتمل التأسوع،
 وإن خلق الفرج وأتى إلى الوجود بعضو التذكير،
 فكان أول من جامع إناث العجول،
 مخصباً ما وسعه أن يمسك به، بينما لم يكن الفرج قد وجد.
 وإن يشرق متألقاً في الـ «نوو»، خالقا كل شيء،
 أبو الآباء وأم الأمهات،
 ثور هذه الأمهات الأربع.

الفصل الخمسمائة.

لقد تم دحر من كانوا يتمرّدون عليه (وسقطوا) على وجوههم.
 لا يستطيع أحد أن يلحق به.
 والأرض مزودة بالسلاح مع اقتراب أعدائه،
 ولا وجود أمامها أبداً لأولئك الذين كانوا يتآمرون عليه.
 الأسد المتوحش ذو المخالب الضارية،
 يبتلع في ظرف لحظة، قوة ودماء من هاجمه.
 إنه الثور ذو الظهر القوى والحوافر الثقيلة
 على رقاب أعدائه، بينما يمزق صدورهم.

والتمساح الذى يقفز^(٤٠) ويمسك بمن يلحق به،

فيعرف كيف يفصل لحمه عن عظامه.

عندما يخوض المعركة بـ (كل) قواه، فترتعد الجبال من تحته فى زمن غضبه، وتترنج الأرض عندما يثور. وكل ما يوجد يُضمَر الخوف، مما يثيره من فزع. وكل من تصدوا له يأتون بسببه، بعد أن أوذوا من قرنيه، لأنه فاعل (أيضا) بفضل قرنيه.

الفصل الستمئة.

قلبه هو المعرفة. شفتاه هما الكلمة. ان «كا» وكل ما هو موجود يضمها فمه. عندما يدخل، يكون الكهفان^(٤١) تحت قدميه والنيل يتفجر من المغارة التى تحت نعليه. إن «با» هو (الإله) «شو»، صدره هو (الإلهة) «تفنوت»، إنه «حور أختى»، مندوب عالم الآلهة. عينه اليمنى هى النهار وعينه اليسرى هى الليل. انه المرشد عبر جميع الدروب. وجسده هو الـ «نوو». ما بداخله هو النيل، منجباً كل الأشياء وواهباً الحياة لما يوجد. انه يوجه النسمة إلى كل أنف. ان القدر و(الإلهة) «رننوت»^(٤٢) هما بجواره من أجل جميع البشر. زوجته هى الأرض الزراعية، فيخصبها. إن نطفته هى نبتة الحياة، وأخلاطه هى الحبوب... الإله العظيم الذى انجب الآلهة الأولية... ان وجوه جميع البشر تتجه إليه ويقول البشر والآلهة: «إنه هو المعرفة...»^(٤٣)

٢- ترنيمة إلى «تحت»^(٤٤)

التعبد لـ «تحت»، ابن «رع»، القمر، صاحب الإشراقات الجميلة، رب التجليات الساطعة، نور الآلهة - من الشريف، الأمير، حامل المروحة عن يمين الملك، القائد العظيم فى الجيش، الكاتب الملكى، «حور محب» - «الصادق القول»^(٤٥). إنه يتحدث قائلاً:

«تحية لك، (أيه) القمر، (يا) «تحت»، الثور فى «هرموبوليس»، الذى يقيم فى

«حرس»^(٤٦) الذى يفتح قصور الآلهة، الذى على علم بالأسرار ويحدد عباراتها، الذى (يعرف كيف) يميز بين خطاب ونظيره، إنه الحاكم على كل منّا، الإله صاحب النظرة الثاقبة فى قارب ملايين (السنين)، (رسول) البشرية السريع، الذى يعرف المرء من كلمته، الذى يدفع بالعمل (السئ) إلى الوقوف ضد صاحبه، الذى يُرضى «رع»، ويرفعك إلى جوار الرب الأوحد ويعينه على التعرف على الأحداث كلها، وعندما تبيض الأرض، فهو ينادى فى السماء: أنه لا يهمل تقرير الغد.

(الإله) الذى يحافظ على ازدهار «سفينة» الليل والذى يهدئ «سفينة» النهار، وقد بسط ساعديه، ضد قيود «السفينة» المقدسة. (الإله) صاحب الوجه الطاهر الذى يمسك حبل كوئل (السفينة). عندئذ تفرح سفينة النهار، كما تفرح سفينة الليل، فى عيد عبور السماء. (الإله) الذى يجهز على المتمرّد، ويفصل الأفق عن الغرب.

إن آلهة التاسوع فى قلب سفينة الليل تمتدح «تحت» وتهلل له، قائلة له: «الثناء لك... المبارك من «رع»، وتجزل لك الآلهة من التهليل: وسوف تجدد ما انفك «كا» وك يشهيه، لانك تفتح الطريق (الضرورى) لمكان السفينة المقدسة وتنشط ضد «المتمرّد»

الشهير.^(٤٧) تقطع رأسه، وتهشم «با»ه، وتمسك بجسده، وللنار تسلّمه، فانت الإله الذى أتم ذبحه. لاشئ يحدث بدوك، أيها العظيم، (يا) ابن العظيمة،^(٤٨) المنبثق من جسدها، يا حامى «حور أختى»، الصديق الحكيم فى «هليوبوليس»، الذى يخلق مقامات الآلهة الرسمية، المطلع على الأسرار، الذى يفك عباراتها.

فلنسبح ونهلل لتحت، المظمار العادل فى قلب الميزان، الذى يبعد الشر ويستقبل الإنسان الذى لا يتحمل ارتكاب الأفعال (الخشيسة)، الوزير^(٤٩) الذى يزن الكلمات، الذى يهدئ العواصف و(يوفر) السلام، كاتب الحصىرة^(٥٠) الذى يثبت قرطاس البردى، الذى يعاقب الجريمة، الذى يستقبل الإنسان المطيع،^(٥١) (الإله) صاحب الساعد المزدهر، الحكيم فى قلب التاسوع، الذى يعمل على إعادة انبعاث ما وقع فى طى النسيان، مستشار الإنسان الشارد، الذى يتذكر اللحظة العابرة، الذى يروى ساعات الليل، الذى تدوم كلماته فى الزمن اللانهائى، انه يدخل إلى الآخرة أسفل الأرض عارفاً بما يوجد فيها فيضمه إلى قائمته.»

٣- التزينة إلى النيل. (٥٢)

فليحي الإله الكامل، محبوب «نوو»، «حعبي»، (٥٣) والد الآلهة وآلهة التاسوع الكائنة في الأمواه، غذاء مصر وزادها ومخزونها من الطعام، الذى يوفر الحياة لكل شخص بفضل «كا»ه. الوفرة فى طريقه، والطعام فوق أصابعه. وعندما يعود، يعمّ الفرح البشر أجمعين.

أنت «الواحد الأحد»، الذى خلق ذاته بذاته. ليس فى وسع أحد ان يعرف كل ما بداخلك. ويوم تتدفق من مغارتك، لا تفارق البهجة أى منّا.

أنت رب الأسماك، (أنت) غنى (أيضاً) بالحبوب، (أنت) الذى يوفر لمصر صيد الماء. وآلهة التاسوع لا تعرف (كل) ما بداخلك، ولكن أنت حياتها، فعندما تعود تتضاعف قرايينها، وتتوفر الأطعمة لذابحها. إنها تهلل فرحاً عندما تظهر، لأنك تعيدها إلى الحياة بلا إنقطاع.

إنك تبحث عن الوسائل التى يحيا بها البشر، على غرار «رع» عندما كان يحكم هذا البلد. إنك تهدئ «نوو»، وتعيده فى سلام. إن جماعة آلهة الجنوب مفتبطة. لقد أرادت أن يقوم «حعبي» الأب، بأعمال خيرة فى طول البلد المحبوب وعرضه، فتجعلها أعمالاً من قلبه. إنه قوى ويقظ، ساع إلى إطعام الأحياء، مستكثر من الحبوب كالرمال، لتفيض بها الأهراء.

كان يريد جلالته أن ينجز أشياء مفيدة ومرضية من أجل والد جميع الآلهة وجماعة آلهة الجنوب التى تتحكم فى أمواه (الفيضان). كان قلبه متعلقاً، مثل (قلب) «تحت»، يفكر فى الخيرات التى قد يهواها. ومنذ زمن «رع» لم تعرف البلاد ملكاً، تصرف على هذا النحو.

عندئذ قال جلالته ما يلى: «إن «حعبي» هو الذى يُحيى القطرين. وتأتى الأطعمة والأغذية إلى الوجود بعد أن تفيض (مياهاه)، ويمثل له البشر أجمعون. والناس يصبحون أثرياء، إذا ما أمر هو بذلك. إنى أعرف ما يوجد فى غرفة المدونات (٥٤) وما

تم إيداعه فى «بيت الكتب»، ويتفجر «حعوى» من المغارتين، لإمداد خبز الآلهة، وعندما تكون المياه طاهرة فى منطقة السلسلة، وهى بالطبع مكانه المقدس، يتم مضاعفة القرايين من أجله.

٤- ترنيمة إلى «حور - ور» و«سوبك»^(٥٥)

أيا كل رجل (من الرجال)، كل «پعت»، كل «رخيت»، كل «حنممت»،^(٥٦) (أيا كل) الرمايا، اعبدوا «حور - ور» الذى يتسيد على الـ«وچات» الإثنتين، مجبوا هذا الإله، فهو أعظم من الآلهة (الأخرى). إنه الـ«كا» الملكى الحى، ابن «رع» البكر، الصورة الجميلة لسيد الكون، نسمة الحياة لأنف جميع الكائنات، عندما يبتعد يحلّ موتها، إنه الإله صاحب النعم، الذى يرقد فى سلام مع ابنه، الوريث المتحد مع خالقه، إنه أيضاً شاب جميل، لا مثيل له، إن «چدت» هى معه فى صحبة «حات»،^(٥٧) إنهما هنا يذبحان الأعداء الخائزين، ويصدان من يسعى إلى الإضرار بمعبدهما، الآلهة فى السماء فرحة، الآلهة على الأرض مغتبطة، آلهة الآخرة السفلية فى عيد، عندما تراهما راقدين معاً فى سلام.

أيها الأحياء، (يا) أهل الأرض، فلنأت مهللين، سبحوا ربكم جميعكم فى آن واحد، بجّلوا صورته، لانه نسمة الحياة، إنه يجعلكم تحيون بـ «كا» «اتكم، قدموا التسبيح لـ «ذاك-الذى-ترقد-أرجله» («سوبك») إنه خالق الأرض، إنه يشكل الكائنات، إنه يجعلكم راسخين فوق ظهره (أنتم) وممتلكاتكم وقبر(كم) ووريث(كم)، بصفته سيد الـ«كا» «ات.

عسى ان يخصا لك الوجهين القبلى والبحرى، الحاكم المطلق بكل اعمالهما دفعة واحدة، حيث انه سيبحث، صباحاً ومساءً، فى معبدكما، دون هوادة، عما يفيد.

٥- ترانيم إلى «خنوم» (٥٨)

* التهليل لك،

أيها (الإله) الذى زُود بأربعة وجوه فوق عنق واحد،
 (الإله) ذو الصوت القوى، ولكن ليس فى استطاعت أحد أن يراه،
 صاحب المجد العظيم، والهيبة الرفيعة،
 يارب عجلة (الفخارى) الذى يشكل على هواه،
 «خنوم» الذى صنع أربعة «خنوم»،
 (إله) القدر، (الإله) العائل،
 الذى تتحقق أوامره،
 و«كا» لها منزلة تفوق تلك التى تتمتع بها الآلهة والآلهات (الأخرى).

أنت «خنوم».

الوحيد الأحد، الوحيد الأحد،
 ومن عمله تخرج كل يوم ملايين الكائنات،
 أنت «خنوم».

التجلى المحسوس للنسيم،
 المحاط بالأسرار، الذى من عنفه تتولد الرياح الأربع، (٥٩)
 ويخرج كل منها من المكان الذى اختاره،
 واحدة من الجنوب،
 وأخرى من الشمال،

وغيرها، كل يوم، من الغرب ومن الشرق.

أنت «خنوم».

وتزدهر القرايين الإلهية التي تخص الآلهة والبشر،

بفضل الأمواه الدافقة التي تنبعث من عموده الفقى،

بحيث يُقال «خنوم».(٦٠)

لأن الرياح «تتحد» بالماء لتغمر البلاد بخيراتها، بهذا الاسم «كناف»، الذى هو اسمه،

إله العجلة، أوزيريس ذو القرنين،

أنت «خنوم».

الذكر الكثير النكاح

الذى يخصب النساء،

ويقطع الحيض فى الوقت المحدد.

أنت «خنوم».

الذى يعطى ابناً لمن يتوسل إليه،

وزوجة لمن يتضرع إليه.

هادياً خطاهم فى طريق الظلمات،

مانحاً النسمة للمرأة الحامل ليخفف عبثها،

حافظاً نمو الطفل وسلامته فى بطنها،

باسمه كـ«أمون، ياملك الـ«ماميزى»».(٦١)

أنت «خنوم».

الذى يصنع النور فى الطريق المعتم،

ليعطى به الحياة للفرخ فى بيضته،

الذى يجعل النسيم العليل يرتفع إلى حجرة المكتئب
والذى بعينه ينير للجميع فى الأماكن المظلمة.
إن البشر والماشية والطيور والزواحف والقاطنين فى الماء، على السواء،
تجعلهم يتحركون فى جميع أجساد (الأمهات)،
ليأتى إلى الوجود كل (مخلوق) من خلاقتك، خارجاً من بطن (أمه).

ولذا، فالبلد المحبوب مغتبط بسببك،
حقاً، أنت سيده،
والكون بأسره يخضع لمقاصد جلالتك،
لأن روحك ونسمتك تختلطان بلحم (البشر).
ولو ابتعدت صورتك عنهم ولوللحظة،
ضمروا وانزوا فى الحال.
إنك تشكل على عجلتك فى السماء،
وعلى الأرض، فأنت الفخارى الذى يُحى الأطفال الصغار فى بطن (أمهاتهم)
إن قوة (حياتهم) تأتي من ساعدك،
لا وجود لمن هو أعظم منك
لا وجود لمن ظهر قبلك، من يستطيع أن يقصى ما خلقته بنفسك، للزمن اللانهائى.
وتتكاثر الأجيال الجديدة، التابعة لمسكنك...
المكان الجميل لإقامة هذا الذى أنجب الآلهة، باسمه «خنوم»...
إن المقصورة الخاصة بـ «با»ته،
مكان إقامة جلالته، المتألق، فمنه يومياً تهبّ النسيمات.

أنت «خنوم».

الذى يدوم عمله.

وبواسطة اسمه خلقت جميع الأقاليم وسائر المدن،^(٦٢)

إنه يتألق، إنه يتألق!

رب الكون، ابن رب الكون،

كما تتألق العينان عند خروجها من الـ «نوو»،

لينفذ بأشعته إلى الآلهة والآلهات،

باسمه «خنوم-النور».

إنه يتألق، إنه يتألق!

بكر «رع»، الذى بصقه و«أتوم»،

والذى سوف يجدد الولادات (من الآن).

إنه يتألق، إنه يتألق!

ابن «رع» المحبوب،

الذى يأتى فى معيته، ليتسلم وظيفته.

الكبش صاحب السرِّ الأعظم، ذو الحب العظيم،

هو الكاسر الجبار الذى يقطع السماء (طولُ) عرضاً.

إنه يتألق، إنه يتألق!

الكبش العظيم الذى يزواج «حريشف»^(٦٣) المهيب ،

الذكر الناكح الذى يربط النطف.

إنه يتألق، إنه يتألق!

(قرص) «الشمس الذى يكرر ولاداته، (الشمس) اسم مذكر فى المصرية

القديمة).

والذى يتألق بصفته عين آتوم اليسرى،
إنه يتألق، إنه يتألق!

(قرص) «الشمس» الذى يجدد شبابه،
الإبن المقدس المنبثق من «نوو»،
فأمه هى البقرة، العظيمة، «إحت».

إنه يتألق، إنه يتألق!
السلاب العظيم، التمساح المقدس الذى سطم فى الـ «نوو»،
فأضاء الأرض عند ظهوره.

إنه يتألق، إنه يتألق!
التمساح المحاط بالأسرار
الكبش الذى أتى فى البدء إلى الوجود بنفسه،
والذى فتح الدروب فى الـ «نوو».

إنه يتألق، إنه يتألق!
(قرص) الشمس الذى ينير الأرضين،
الشكل المقدس المنبثق من الـ «نوو».

إنه يتألق، إنه يتألق!
الأسد الذى يأسر الألباب بزئيره
الذى يتجول فى الجبال فى قوة،
الذى تتسارع مشيته لذبح أعدائه.

إنه يتألق، إنه يتألق!
الكبش المقدس، العظيمة هيئته،
الثور الذى يصيب الثيران (الأخرى)،
اللهب الذى يحرق أعداءه.

إنه يتألق، إنه يتألق!

الكبش المقاتل الذى ينبج شكله
النور الإلهى، القوى الساعد، الثابت الكتفين،
الذى قدم أعداءه ذبيحة.

إنه يتألق، إنه يتألق!

الابن الذى يصل القلوب والأرواح من جديد،
أنك، «حورس» الذكر المبارك، حامى أبيه.

إنه يتألق، إنه يتألق!

الهليوبوليتانى الذى يتزعم الآلهة،
الذى استهل الوجود،
الذى شكل الآلهة والبشر وسائر الحيوانات فى (أكمل) صحة،
وخلق الحياة من أجل كل ما انبثق منه.

إنه يتألق، إنه يتألق!

(قرص) الشمس، رب الشموس،
سيد الكون وأبو الآلهة.
الذى أتت فى أعقابه إلى الدنيا جميع أشكال الوجود.

إنه يتألق، إنه يتألق!

القرص المجنح المقدس، القادم إلى الوجود فى القصر العظيم.

.....

إنه يتألق، إنه يتألق!

(طائر) العنقاء المقدس الذى جال فى بلاد بونت،
الذى يستولى على القصر العظيم، ليرى والده.

إنه يتألق، إنه يتألق!

الصقر ذو الريش المبرقش

ويترأس جماعات الوجهين القبلى والبحرى.

أيها الإله العظيم، المنبثق من «نيت»، تحية لك (أنت) الذى يتألق كل يوم، (أنت) الابن المقدس، المولود (فى العالم) عندما تم النطق (باسمه)، الصبى المهيّب، جالب الخير لأبيه. لك التسبيح والتهليل، أيا «خنوم»، (يا) سيد الآلهة والبشر. ولّ وجهك الجميل شطر «انطونان-المحمى»، ملك الوجهين القبلى والبحرى. اعطه البلاد بأسرها، وقد انحنت بسبب قدرته، و(اعطه) هيئته تغطى كل ما تضيئه الشمس.^(٦٤)

هذه الترانيم هى ترانيم تلفيقية، تجمع فى شخص الإله «خنوم» شتى الأشكال الشمسية وعناصر من الأسطورة الأوزيرية. إن قراءة هذه النصوص تؤكد من جديد الإستمرارية الروحية للأساطير والمعتقدات المصرية على امتداد ما يقرب من أربعة آلاف سنة، بل إلى ما بعد ظهور المسيحية بقرنين، أيضاً.

٦- ترنيمة إلى «نيت».^(٦٥)

السماء مبهجة،

الأرض فرحة،

المعابد غمرتها الغبطة،

السموات تصيح، الإلهات تهلل،

والبشر يتعبدون لوجهها.

المعابد غمرتها الغبطة،
السماوات تصيح، الإلهات تهلل،
والبشر يتعبدون لوجهها،
إن «نيت» العظيمة، السامية، التي خلقت ما هو موجود،
تحيط مدينتها بفرحة الحياة،
فى حين تشرق فى قصرها، ولها الحياة والبقاء والقوة كلها،
«نيت» العظيمة، تطرد العاصفة وتصد الأمطار،
عندئذ تسطع السماء والأرض تضاء،
ومن فوقها، تنتصب «نوت» كالقبة.

ويُقام العيد، مرة ثانية،
يوم عيد «رفع السماء»،
و«تائن» يظهر مرة ثانية،
ويطلقون اسم «الزمن اللانهائى» على جلالتها («نيت») و«تائن»،
إن ثلثى شخصها («نيت») ذكر،
والثلث أنثى،
إنها تخلق الأشعة المضيئة المتجددة،
فتطرد الظلمات،
ويتسربل قرص الشمس بسطوعها الخاص،^(٦٦)
وتخفيه فى حبة عينها،
وعندما تشرق، فإنها تظهر نورها،

فتتيح لكل واحد أن يتعرف على رفيقه،
وعندما تظهر فى هيئتها كقمر،
فإنها تبعد (أيضاً) الظلام.
إنها «نوت»، التى يشرق فيها إله الأفق ويغرب. (٦٧)
ولا حدود لها فى الفضاء، ولا يعرف أحد نهاياتها فى الزمان.
إنها تشرق كشمس، ثم تظهر فى هيئة قمر، فتشع على الشيطان بجمالها.
لقد صنعت ما هو كائن، فخلقت الكائنات، وانجبت كل ما هو حى،
ويطلقون على جلالتها: «السماء».
لقد دشنت الأرض حسب مقاصدها،
لقد صنعت كل شئ فخلقته من قلبها.
عندما تقطع السماء على هواها، فإن ابنها «رع» يهلل أمامها فرحاً،
وساعده تسبحان لسيده الآلهة وتهللان لها متعبدتين، لأمه المقتدرة.
طفلاً فى الصباح، فإن «رع» ذاته يهلل فرحاً لصالح «كا»ها.
وصيباً فى شرح الشباب، إذ اجتاز مدة زمنية، فهو «رع-حور-أختى» الذى يكرم
جمالها (من الآن).
ورجلاً طاعناً فى السن، إنه «آتوم»، الذى يسجد (بعد ذلك) أمام وجهها.
الآلهة والآلهات تجزل التسبيح!
الآلهة والآلهات تجزل التهليل!
وأوائل القادمين إلى الوجود ينحنون أمام مجدها،
والتاسوع الكبير بأسره والتاسوع الصغير، يطأطئون الرأس،
ولا سحب على الإطلاق فى الأفق الكبير،

إن سيدة الرهبة قد أضاعت الأرضين.
 وآلهة الجنوب منحنية وتلك (التي فى) الشمال تطأطئ الرأس،
 وآلهة الغرب تعبدها وتلك (التي فى) الشرق تهلل لها،
 آلهة الأفق تعبد جمالها وأرواح الشرق تصيح: «الأرض محمية!»
 والآلهة العظمى مجتمعة ككل تتأمل أمها، الإله والإلهة فى ذات الوقت،
 وكل واحد يقول لرفيقه:
 فلنرفع التسابيح للملكة الآلهة،
 فلنعظم من هى عظيمة هيبتها،
 فلنقم شعيرة التهليل فرحاً من أجل سيدة الحب،
 فلنرض «الفائقة القدرة» فى قمرتها،^(٦٨)
 فلنحى البقرة «أحت»،
 فلنرفع من قدر قلب تلك التى تحكم السماء والأرض،
 فلنلب رغبة أم رع الإلهية،
 فلنسجد من أجل سيدة الجنوب والشمال،
 فلنقدس التربة من أجل الإلهة المعظمة والقديرة، عندما تهل قادمة من أفق
 السماء،
 هى التى يفوح عطرها ابتداء من «بونت» ورائحتها هى رائحة الكندر،
 «الإلهة-الشمس»، الساطعة منذ ظهورها المتألق.
 إن مساحيق التجميل التى تزينها هى أكثر لمعناً^(٦٩) من مساحيق الجنوب
 والشمال أو تلك (التي تتزين بها) السماء عندما يعود نورها فى أعقاب أمطار
 غزيرة،^(٧٠)

فليس كمثلها شئ...
هى التى تنير السماء بضياء عينيها،
وتضىء الصحراء ببصرها.
قاربها من الذهب الخالص يتألق بزخارفه وشتى أنواع الأحجار الكريمة الحرة.
كل إله يتولى هنا عمله.
وطاقم قاربها يتהלل فرحاً، وقمرته المقدسة فى فرح،
بينما يتم سحب سيدته.
والآلهة المقيمة فيها مغتبطة
والآلهات الموسيقيات فى الجنوب والشمال تجزل التسبيح
والآلهات الموسيقيات فى الجنوب وفى الشمال تجزل التهليل.
إن أرواح «يه» و«نخن»^(٧١) تهلل فرحاً بسبب مجدها.
ويبحر قاربها دون صعوبة، مصعداً أو هابطاً، فى قصر «نيت».
إن البلد المحبوب بأسره فى عيد،
لأن سيدته، الإلهة والإلهة، تسطع فوقه،
وفى استطاعة جميع العيون أن تبصر بفضل أشعتها،
والبلاد بأسرها تتألق بضياءها.
إن مقصورتها تضىء أيضاً للذين يقيمون فى الآخرة السفلية،
وسكان الجبانة يهللون فرحاً لرؤيتها.

٧- أغنية رياح السماء الأربع^(٧٢)

حتى يكون (للمرء) سلطان على رياح السماء الأربع،
لقد مُنحت لى هذه الرياح الأربع من قبل هذه الفتيات^(٧٣) ها هى رياح الشمال
التي تنتشر عند الـ «حاونبوت»^(٧٤) التي تبسط ساعديها حتى حدود الأرضين، ثم
تتألم بعد أن تكون قد حققت، كل يوم أمنية محبوبها. لأن رياح الشمال هى رياح
الحياة. لقد منحت لى لأعيش منها.

لقد مُنحت لى هذه الرياح الأربع من قبل هذه الفتيات. ها هى رياح الشرق، التي
تفتح باب السماء، وتطلق نسيمات الشرق، وتعد طريقاً صالحاً من أجل «رع» عندما
يخرج هذا الأخير ضمن صحبتته. فليمسك «رع» بيدي، ويضعنى فوق «حقل البوص»
الشهير الخاص به، حتى أجد فيه غذائى- وفقاً لعادة الثور «أبيس»، لأن رياح الشرق
هى رياح الحياة. لقد منحت لى لأعيش منها.

لقد مُنحت لى هذه الرياح الأربع من قبل هذه الفتيات. ها هى رياح الغرب، شقيقة
«حا»^(٧٥) ابنة «ياوو» الذي كان يعيش فى جسد الإلهة الوحيدة، فتأخى فى هذا البلد
(مع الرياح الأخرى) رياح الجنوب ورياح الشمال، رياح الغرب ورياح الشرق. لقد منحت
لى لأعيش منها.

لقد مُنحت لى هذه الرياح الأربع من قبل هذه الفتيات. ها هى رياح الجنوب، التي
تهب مثلها مثل زنجى الظهيرة، الذي يحضر الماء ويساعد على تنمية الحياة. لأن رياح
الجنوب هى رياح الحياة. لقد منحت لى لأعيش منها.

تحية لك، (أيتها) الرياح السماوية الأربع، (يا) ثيران السماء! إننى أخبرك باسمك،
واسم من أقامها بجوارى وانجبنى فى الدنيا. لقد أتى اسمك إلى الوجود قبل أن
يولد البشر، قبل أن توجد الآلهة، قبل أن تقع العصافير فى الشرك، وقبل اقتناص
الأبقار بالوهق* وقبل أن ينضمّ فخذا «ماترت»، الإلهة ابنة الإله العظيم، وقبل
اشباع رغبة أول الأقدمين، سيد السماء وسيد الأرض.

(المترجم)

*الوهق: حبل فى طرفه أنشودة يُطرح فى عنق الدابة وغيرها حتى تؤخذ.

لقد سبق أن طلبتها من رب القدرة، فهو الذى منحنى إياها. هيا إذن لترحلى
معى. سأريك سفينتى، وسوف تهبطين إليها، وتبحرين بها.

إنها ترنيمات تسبيح واعتراف بالجميل، وترنيمات وصفية، وسلسلة طويلة من
النعوت، ترنيمات للكلمة الفاعلة، وهى تشهد جميعها على ورع المصريين فى الزمن
التلبد، واستمرارية الصور الميثولوجية التى تتطور وتتداخل وعلى ثبات مقومات
الإيمان.

شروح وهوامش الفصل الرابع من الباب الاول

- (١) راجع الفصل الرابع من الباب الثانى.
- (٢) هذه الترنيمية مدونة على بردية يحتفظ بها متحف القاهرة وترجع إلى عام ١٣٤٠ ق.م. تقريباً.
- النص المصرى:** GREBAUT, Hymne a Ammon-RA, Paris, 1874
- (٣) إشارة إلى أسطورة الشمس (اسم مذكر فى اللغة المصرية القديمة م.) «الذى» يخصب أمه، فى سميت السماء، حتى تلد الشمس «الجديد» مع كل فجر.
- (٤) قبائل ترجع أصولها إلى السهوب النوبية التى كثيراً ما جند أهلها فى قوات الشرطة المصرية.
- (٥) اسم محرابى التطهير فى الوجهين القبلى والبحرى.
- (٦) «بونت» - بلد منتج للبخور وهو النبات «الذى يجعل (الكائن) إلهياً».
- (٧) ان عبارة «تحية لك»، هى ابتهاج موجه إلى ثالث مقدس، الإله الواحد على هيئة أشكال ثلاثة وأسماء ثلاثة.
- (٨) محراب شمسى، الـ «بن بن» هو اسم المسلة، الحجر المقدس، الذى كان يتلقى اشعة الشمس الأولى عند الفجر.
- (٩) الجذر «إمن» يعنى «يكون خفياً»، وهو الأصل الإشتقاقى للاسم الإلهى.
- (١٠) راجع الفصل الأول من الباب الأول: «بزوغ الشمس فى فجر البداية الأولى»
- (١١) «حورس» و«ست».
- (١٢) نص هذه «الترنيمية العظيمة» مدون فى مقبرة «آى» فى تل العمارنة، حوالى عام ١٣٦٥ ق.م.
- النص المصرى:** DAVIES, Amarna, VI, Pl. XXVII =
- SANDAM, Texts From the time of Akhenaten, PP. 93-96.
- (١٣) كلمة «آتون»، كانت فى الأصل هى الإسم الذى يدل على قرص الشمس.
- (١٤) كان امنحوتب الرابع يعتبر نفسه أحد أقنانيم الشمس، وشكلاً للإله الحى على الأرض. والامير الشاب الصوفى النزعة كان أيضاً يعانى من جنون العظمة.
- (١٥) حرفياً: «أفق آتون» - وهو اسم العاصمة العابرة التى حاول امنحوتب الرابع إقامتها على بعد ٣٢٥ كم إلى الشمال من طيبة - وهى تل العمارنة حالياً.
- (١٦) حرفياً: «ذلك الذى يكون مفيداً لاتون». من أسماء امنحوتب الرابع، الأخرى.

(١٧) الضمير المستخدم هنا هو ضمير المؤنث - للتأكيد على ان «الشمس» يعتبر ابا وأم الخليفة بأسرها.

(نذكر مجدداً ان الشمس اسم مذكر فى المصرية القديمة، المترجم)

(١٨) تستخدم هذه الصيغة مع آلهة أخرى من قبل المؤمنين بها.

(١٩) منطقة تابعة للسودان فى الوقت الراهن وتقع بين الجندل الثانى والجندل الرابع من نهر النيل.

(٢٠) يظل الكبرياء المصرى العتيق باقياً.

(٢١) إشارة إلى أمطار بلدان آسيا التى تساعد على خصوبة التربة - على غرار نهر النيل المصرى، الذى خلقه الإله تحت الأرض ليتفجر من بين صخور جزيرة إلفنتين فيجلب الحياة للبلاد.

(٢٢) تندرج هذه الفقرة فى التطور التاريخى للحظة الأنثى. لقد فتح أسلاف أمنحوتب الرابع قبل قرنين من الزمن إمبراطورية شاسعة امتدت من الجندل الرابع على نهر النيل وحتى نهر الغرات. وكانت طيبة العاصمة مركز عالمياً واسعاً متعدد الأجناس. ولكن أمنحوتب الرابع بنزعته كأمر متصوف أهمل الشئون السياسية هو وخلفاؤه الضعاف، وتخلّى عن هذه الإمبراطورية التى كانت مصدر ثراء لمصر. فتفتت هذه الإمبراطورية إلى أن جاء الملوك الرعامسة المظفرين.

(٢٣) من ١٩ نوفمبر إلى ١٩ مارس.

(٢٤) ظلت الأساطير القديمة دون تغيير.

(٢٥) كبرياء الملك الذى يعانى من جنون العظمة. وتعبّر بقية النص عن نفس هذا الشعور.

(٢٦) نص مدون على بردية محفوظة فى الوقت الراهن فى متحف مدينة ليدن (Pap.I,350) والتى تحتوى على عدد من الترانيم الموجهة إلى الإله آمون، حوالى عام ١٢٨٠ ق.م.

النص المصرى: J.ZANDEE, De hymnen aan Amon Van

papyrus Leiden I,350. Leiden, 1948,pl.I- vI

وللاسف فقد أصاب التلف البردية فى بعض الأجزاء. وسنكتفى هنا بترجمة نص الترانيم الكاملة أو شبه الكاملة.

(٢٧) المياه التى تلتف حول العالم وهى من مخلفات المحيط الأزلّى، الذى طرد بعد عملية الخلق إلى أطراف الكون.

(٢٨) حرفياً: «ذات القيدوم القوى»، اسم القارب المقدس لأمون.

(٢٩) حرفياً: «يفتحها».

- (٢٠) اثنا عشر شهراً، وثلاثون يوماً لكل شهر.
- (٣١) منافس الشعبان «أبوقيس».
- (٣٢) إشارة إلى لاهوت «هرموپوليس». راجع الفصل الأول من الباب الأول.
- (٣٣) إشارة إلى اللاهوت المنفى. راجع الفصل الأول من الباب الأول. هذه الترنيمة هي عن قصد ترنيمة تليفقية، فتستنبط جميع الأشكال الإلهية من أشكال آمون.
- (٣٤) الأوزة إحدى صور آمون.
- (٣٥) التأكيد على الموازنة بين الجذر «تم» أي «يكون كاملاً أو مكتملاً» والجذر «إتم» أي «بلغ ممتهاً».
- (٣٦) اسم مدينة «هرموننتيس» وكانت قبل طيبة عاصمة الإقليم الرابع من أقاليم الوجه القبلي.
- (٣٧) تلاعب بالألفاظ بالجذر «إمن» أي «يكون خفياً».
- (٣٨) الكائن الإلهي السرى الذي تحتويه الشمس.
- (٣٩) الثالوث المقدس لعصر الرعامسة وما زال في وسعنا أن نشاهد تماثيلها المكنونة في أعماق معبد «أبو» سمنبل: «أمون-رع» «رع-حور-أختي» (وهي صورة أخرى من صور الإله الشمسي) و«بتاح».
- (٤٠) الفعل المستخدم هنا هو فعل «يطير». وربما كانت تشير هذه الكلمة إلى وثبة التمساح خارج الماء لاختطاف عنقه(٩).
- (٤١) وهما في الفتنتين، ومنهما كان يتفجر نهر النيل على ما يفترض.
- (٤٢) إلهة الحصاد.
- (٤٣) ترنيمة تأخذ بمذهب وحدة الوجود Panthe'iste [القائل بوحدة الله والكائنات-المترجم] الذي يمزج جسد آمون بجميع العناصر الخيرة والحيوية في الكون: الـ «نور» والنيل والتربة الخصبة والشمس. كما يمتزج الإله أيضاً بالعناصر الأساسية التي تقود العالم: المعرفة والكلمة.
- أن «أمون» الوحيد الأوحد، هو هنا مختصر الخليقة الخيرة.
- (٤٤) نص منقوش على تمثال حور محب جالساً على هيئة كاتب، ويحتفظ به حالياً متحف المتروبوليتان Metropolitan Museum في نيويورك. وقد نوتت الترنيمة على قرطاس البردي المفرد على ركبتي حور محب. ويتكون من ٢٢ عاموداً من النصوص.
- Urk. IV, 2091-2094
- النص المصري:**
- (٤٥) المقصود به هنا هو القائد «حور محب»، قائد الجيش في ظل الملكين الضعيفين «توت.عنخ.أمون» و «أى»- والذي سيصبح فرعون مصر عند وفاة الملك أى. راجع «نصوص مقدسة ونصوص دنيوية،

الجزء الأول ص 44-81

- (٤٦) إحدى مدن الوجه القبلى ومكان مقدس لتحت.
 (٤٧) الثعبان «أبوفيس»، وعدو «رع». راجع الفصل الثالث، من الباب الأول: «مأثر «أبوفيس» أو الهزيمة اليومية للشر».
 (٤٨) البقرة السماوية، وأم «رع» وزوجته.
 (٤٩) «حورس».
 (٥٠) الحصيرة التى يجلس عليها.
 (٥١) حرفياً: «ذاك الذى تحت الكوع».

(٥٢) ترنيمة نقشها على التوالى كل من سبتى الأول ورعمسيس الثانى ومرنپتاح ورعمسيس الثالث. - فى ميكلين متجاورين فى جبل السلسلة بالنسبة لرعمسيس الثانى ومرنپتاح وعلى لوحين حجرين مستقتلين بالنسبة لسبتى الأول ورعمسيس الثالث، كانت هذه الترنيمة من كلاسيكيات عصر الرعامسة اعتباراً من ١٣١٠ ق.م تقريباً.

النص المصري: Kitchen, Ramesside Inscriptions, I, pp.85-

89

- (٥٣) اسم النيل باللغة المصرية القديمة.
 (٥٤) مكتب المحفوظات (الأرشيف).
 (٥٥) فى كوم أمبو كان يعبد الإله الصقر «حور-ور» (حرفياً: حورس الكبير) الذى صفه الإغريق إلى «هارويريس»، إلى جانب الإله التمساح «سوبك». وكانت شعائرها شعائر مشتركة ومتكاملة.
 ويرجع النص إلى العصر البطلمى.. A.Gutbub, Kom Ombo, P.287.

- (٥٦) طبقات المجتمع المصرى.
 (٥٧) إلهتان: «چدت»، وهو «عمود «چد» الأنثى» - و«حكات» - التى كان ينظر إليها أحياناً على إنها زوجة «چب».
 (٥٨) هذه الترانيم المنقوشة فى معبد إسنا، كانت تنشذ نون شك خلال عروض مسرحية لأسرار الولادة الإلهية، وترجع إلى القرن الثانى الميلادى.
 (٥٩) حورس الشمسى.
 (٦٠) حرفياً: «ذاك الذى يوحد».
 (٦١) مبنى ملحق بالمعبد حيث كانت تدور اسرار الولادة الإلهية.

- (٦٢) النص المصري: S.SAUNERON, Esna, III, PP.347-349 (DOC.377.)
- (٦٣) «حرى-إش-إف» (حرفياً: ذاك الذى فوق بحيرته)، وقد صحفه الإغريق إلى Harsaphes، وهو إسم الكباش الذى كان يعبد عند مدخل الفيوم ويندمج هنا مع «خنوم».
- (٦٤) النص المصري: S.SAUNERON, Esna, III, PP.158-160 (DOC.262.)
- (٦٥) كانت تنشئ هذه الترنيمة فى معبد إسنا، فى أعقاب شعبية الإتحاد مع القرص.
- النص المصري S.SAUNERON, Esna, III, PP.263-265 (DOC.331.)
- (٦٦) سطوع «نيت».
- (٦٧) نوت، إلهة السماء.
- (٦٨) قمره القارب المقدس.
- (٦٩) حرفياً «أمم».
- (٧٠) حرفياً «جعلته صحيحاً».
- (٧١) مكانان مقدسان فى الوجهين البحرى والقبلى.
- (٧٢) نص كلاسيكى قديم، رسم على التوابيت اعتباراً من ٢٠٠ ق.م.
- النص المصري: Textes des Sarcophages, 162.
- (٧٣) كان النشيد يصاحب عرضاً مسرحياً تومى به أربع فتيات.
- راجع. Drioton, in Revue du The'âtre, 1954, PP. 42 SQ.
- (٧٤) سكان جزر إيجيه أو بلدان الشرق الأدنى الشمالى.
- (٧٥) إله الغرب.

الباب الثانى

البشر والمغامرات.

قصص وروايات وقصائد.

ظل سكان وادى النيل - سواء كانوا مشاهير أم مغمورين، أثرياء أم فقراء، يعشقون على الدوام الحكايات وقصص المغامرات الجميلة. كانوا مفرمين بالصور، يحبون نقل المشاهد اليومية إلى عوالم الكون المجهولة التى تغذيها الأساطير الكبرى للفكر الدينى، فكانت «حكاياتهم» فى الغالب إنعكاساً «حياً» وإنسانياً للأفكار العميقة للوعى المصرى الحق، وفى حركة روحية معاكسة للحركة السابقة، كان هؤلاء الرجال ينقلون بعد ذلك المشهد الأسطورى الذى خلقوه إلى قصص ذات مواقف إنسانية، ولكن دلالتها الخفية دلالة عميقة. إن الآلهة والبشر، بعد أن توحدوا كما فى الأزمنة الأولى للعالم، يحيون معاً مغامرات خيالية.

كذلك شهدت مصر «طلوع صبح السحرة». فعلى امتداد ثلاثة آلاف سنة، ظل نسيج العديد من القصص موشى بأعمال السحر الأسود والشعوذة وطرد الأرواح الشريرة، التى تتجاوز بمختلف مظاهرها حدود الواقع والمعقول، ومنذ الألف الثالثة، قبل الميلاد، كانت هذه القصص تروّج عن نفس الملك خوفو فى قصره. وفى وقت لاحق، كان الناس يندبون المصائر الثلاثة التى كتبتها الحتحورات السبع على ابن الملك عند ولادته، ويتابعون بشغف مغامرات التمثال الإلهى الذى غادر الكرنك إلى «بكتريان»(?) لطرد الروح الشريرة من أميرة أجنبية بعد أن تملكها شيطان ماکر. وفى وقت لاحق أيضاً، احتفظت برديتان من العصر البطلمى والرومانى حتى أيامنا هذه، بقصة المحن العديدة والمذهلة التى مرّ بها الساحر المدعو «ستنى خع إم واس»، وهو الوجه الممسوخ، الذى ظهر بعد زمن طويل لأمير من بيت ملك، هو الابن الأثير

لـ «رعسيس» الثانى.

لا يفتقر الأدب المصرى إلى روايات أبطالها من المتشردين أو إلى قصص الرحلات الطويلة التى تزخر بالمغامرات، سواء على اليابسة أو فى عرض البحر. كان القصص المصرى لا يقتصر على وصف الأفعال الأسطورية والإشارة إلى براعة أشهر السحرة، ولكن كان يحلو له أيضاً أن يسترسل فى سرد الحلقات الطويلة المتعددة للرحلات البعيدة.

كانت القصص فى الأزمنة الغابرة عنصراً هاماً فى الإتصال بين البشر المنتمين إلى حضارات مختلفة. فبينما كان التجار وقواد القوافل والبحارة ينقلون سلعهم، كانوا يتبادلون أيضاً عبر العالم الأساطير الخاصة ببلادهم. وبدءاً من عام ١٥٨٠ ق.م، تشعبت العلاقات الدولية، الأمر الذى زاد أيضاً من ازدهار هذا الوعاء الأسطورى الضخم، فينهل منه كل شعب حسب ميوله الخاصة. وعندما نطالع الحكايات المصرية فى الوقت الراهن، نندهش فى الغالب، للتناظر الروحى الواضح الذى تكشف عنه هذه الحكايات، عندما نقارنها بعوالم أخرى: العالم الإفريقى وعالم ما بين النهرين والعالم العبرى، فيما بعد، واليونانى والرومانى أخيراً، فقد أثرت فيها تأثيراً بالغاً. وهكذا، فبوسعنا أن نعود إلى مصادر الأفكار ومنابعها أو أن نتبع مسارها. وسوف نبذل ما فى وسعنا للوصول إلى جذور هذا الوعاء الأسطورى الضخم.

كانت القصص إذن، هى وسيلة الإنفلات الوحيدة المتاحة للعقل، وكانت فى الغالب، محملة بالأحلام. إن قراءة قصة مغامرات أو حكاية أسطورية، تعيننا على التعرف بشكل أفضل على البشر الذين عاشوا قبل خمسة آلاف سنة.

والمرأة هى واحدة من أهم مغامرات الإنسان فى حياته اليومية. وإن تمهد قصائد الحب المصرية لأناشيد الملك سليمان الدنيوية، فهى من أكثر القصائد حرارة وأجملها، بفضل ما تزخر به من صور غنية بالإستعارات، وواقعية شديدة، فى أغلب الأحوال، وشاعرى مؤثرة، وحيوية ظاهرة، وإيقاع يدفع خطواتها.

إن قراءة القصص والروايات والقصائد المصرية، هى بالنسبة للعقل من أكثر المغامرات الغابرة ثراءً.

الفصل الأول

القصص الأسطورية أو البشر في مدرسة الآلهة.

الغريق في الجزيرة. (١)

عندئذ قال الزميل الماهر: (٢) «ليطمئن قلبك، (أيها) الأمير. انظر، لقد وصلنا إلى المقر (الملكي)، بل وأمسك البعض بالمطربة، ودقوا وتد الرسو، فاستقر حبل القيدوم على اليابسة. إن التساييح تُرفع، والإله يُعبد، وكل امرئ يعانق رفيقه. ان بحارتنا يعودون، سالمين معافين، دون أن تتكبد بعثتنا خسائر. لقد وصلنا إلى بلاد «واوات»، (٣) وتجاوزنا جزيرة «سنموت» (٤) وإذا بنا نعود بسلام، فنحط الرجال في وطننا. اصغ إلى إذن، (أيها) الأمير، لأنني إنسان أخلو من المبالغة. طهر نفسك واسكب الماء على أصابعك، وأجب عندما تُسأل، تحدث إلى الملك، مع بقاء قلبك معك، (٥) وأجب دون أن ترتعش. في وسع فم الإنسان ان ينقذه، في وسع كلامه أن يجعل (الناس) يترفقون به. (٦) وأخيراً، تصرف كما ترى، فقد أصبح التحدث إليك أمراً مضيئاً. ومع ذلك، فسأروى لك مغامرة شبيهة وقد حدثت لى شخصياً.

كنت قد خرجت في حملة إلى «مناجم الأمير» (٧) هابطاً عبر «الشديدة الإخضرار» (٨) في سفينة تبلغ ١٢٠ ذراعاً طولاً (٩) و ٤٠ ذراعاً عرضاً، وعلى متنها ١٢٠ بحاراً، (١٠) تم اختيارهم من بين صفوة مصر. وسواء شاهدوا السماء (فقط) أم كانت الأرض في مرمى بصرهم، فإن قلبهم كان أكثر تصميماً من قلب الأسد. كان في وسعهم ان يتنبؤوا بالعواصف قبل وقوعها، أو بالزوابع قبل ظهورها. وتصادف أن هبت عاصفة، بينما كنا فوق «الشديدة الإخضرار»، ولم نكن بعد قد وصلنا إلى

اليابسة. كان علينا ان نتحمل هجمات الرياح التى ضاعفت من هيجانها، فرفعت الأمواج إلى ثمانية أذرع. وأصيبت السارية بدلاً منى. (١١) ثم غرقت السفينة، ولم يبق أحد (على قيد الحياة) من الذين كانوا فيها. أما أنا فقد قذفتنى موجة من (موجات) «الشديدة الإخضرار» فوق جزيرة، وقضيت هناك بمفردى ثلاثة أيام، فكان قلبى هو رفيقى (الوحيد). استلقيت تحت شجرة محتماً بها، محتضناً الفى، ثم نهضت بحثاً عن طعام. فاكشفت هناك تيناً وعباً وخضروات ناضرة من شتى الأصناف وثمار الجميز وخياراً شبيهاً بذلك الذى نزرعه، كما أن الأسماك والطيور الداجنة كانت متوفرة أيضاً. فما من طعام إلا وكان موجوداً فى هذه الجزيرة، فاستطعت أن أشبع - ثم وضعت على الأرض (جانباً من) الكثير الذى كان يثقل ساعدى، وتناولت زناداً، وأوقدت ناراً وضحيّت على المحرقة بذبيحة للآلهة.

وفجأة سمعت قصف الرعد، فظننت أنها موجة من (موجات) «الشديدة الإخضرار»، ولكن الأشجار بدأت تهتز، والأرض تتزلزل، وعندما كشفت وجهى، لاحظت أن ثعباناً يتقدم نحوى، كان طوله ٣٠ ذراعاً، ولحيته تتجاوز الذراعين، وجسده مغشى بالذهب، وحاجباه من اللآلئ. (١٢) كان يلتف حول نفسه بينما يتقدم، عندئذ، فتح فمه فى اتجاهى، أنا الذى كنت ساجداً على بطنى، فى حضرتة. وقال لى: «من أتى بك (إلى هذا المكان)؟ من أتى بك أيها الرجل الصغير؟ من أتى بك إذن؟ ولو تأخرت فى الكشف عمن أتى بك إلى هذه الجزيرة، سوف أعلل على أن تعود إلى وعيك بذاتك، بينما تتحول أنت إلى رماد، فتصبح كشخص لم يعرفه أحد من قبل.» (فأجبته): «إنك تحدثنى، ولكن ليس فى وسعى أن اسمع كلماتك، لأننى أغيب فى حضرتك عن الوعى.» عندئذ حملنى فى فمه واصطحبنى إلى جحره، ووضعنى على الأرض، دون أن يُصيبنى بسوء، ووجدت نفسى سالماً معافى، دون ينتزع منى شيئاً.

ومن جديد فتح فمه فى اتجاهى، بينما كنت أسجد فى حضرتة. وقال لى أيضاً: «من أتى بك؟ من أتى بك، أيها الرجل الصغير؟ من أتى بك إلى جزيرة «الشديدة الإخضرار» هذه، بشاطئها اللذين تغمرهما المياه الدافقة؟» فأجبته وساعدى مثنيان أمامه، قائلاً: «كنت قد خرجت فى حملة إلى «مناجم الأمير» فى سفينة تبلغ ١٢٠ ذراعاً طولاً و ٤٠ ذراعاً عرضاً، بعد أن كلفنى العاهل الملكى بمهمة، وكان على

متنها ١٢٠ بحاراً تم اختيارهم من بين صفوة مصر. وسواء كانوا يشاهدون السماء (فقط) أو كانت اليابسة فى مرمى بصرهم، كان قلوبهم (على الدوام) أكثر تصميماً من قلب الأسد. كان فى وسعهم أن يتنبؤوا بالعواصف قبل وقوعها أو بالزوابع قبل ظهورها. وكان قلب كل واحد منهم، أكثر بسالة من (قلب) زميله وساعده أقوى (من ساعده). لم يكن بينهم عاجز. وتصادف ان هبت عاصفة، بينما كنا فوق «الشديدة الإخضرار»، ولم نكن بعد قد وصلنا إلى اليابسة. كان علينا أن نتحمل هجمات الرياح التى ضاعفت من هيجانها، فرفعت الأمواج إلى ثمانية أذرع. وأصيبت السارية بدلاً منى - ثم غرقت السفينة، ولم يبق أحد (على قيد الحياة) من الذين كانوا فيها، سوى... انظر، فأنا الآن بجوارك، بعد أن دفعتنى إلى هذه الجزيرة موجة من «الشديدة الإخضرار». عندئذ قال لى: «لا تخف، لا تخف، أيها الرجل الصغير! ولا تجعل وجهك يضطرب! لقد جئت إلى والإله هو الذى سمح بأن تظل على قيد الحياة، فقادك إلى جزيرة الـ «كا» هذه،^(١٣) التى لا يوجد شئ إلا وهو متوفر فيها فهى تفيض بكل ما لذ وطاب. (هكذا) ستقضى شهراً بعد شهر، لتتم شهورك الأربعة فى هذه الجزيرة. عندئذ ستصل سفينة، قادمة من المقر (الملكى). فتتعرف على الطاقم الذى على متنها، وتعود إلى المقر فى صحبة هؤلاء البحارة. (وفى وقت لاحق) سوف تقضى نحبك فى مدينتك، بالسعادة الرجل الذى فى امكانه أن يروى ما ألمّ به، بعد ان تكون المأسى قد ولّت وانقضت.

ولكنى سأروى لك، قصة مماثلة حدثت لى فى هذه الجزيرة. كنت أعيش هنا مع أشقائى ومن بينهم فتیان، كنا ٧٥ ثعباناً، هم أبنائى وأشقائى، آنذاك، دون أن أشير إلى فتاة صغيرة، قادها إلى القدر. وتصادف آنذاك، أن نزل نجم (من السماء)،^(١٤) وبسببه، ارتفع جميعهم فى اللهب. حدث لهم ما حدث، فى لحظة كنت فيها بعيداً عنهم، فاحترقوا دون أن أكون فى صحبتهم. أصبت بالشلل عندما عثرت عليهم (جميعاً)، فى كومة واحدة من الجثث (المتفحمة).

لو أن لك شجاعة، فسوف ينشط قلبك. وسوف تضم ابناءك بين ذراعيك (من جديد)، وتعانق زوجتك، وترى منزلك، هذا أفضل من أى شئ. وسوف تلحق بالمقر (الملكى) حيث كنت تعيش وسط أشقائك».

وهكذا وُجِدَت (من جديد)، فسجدت حتى لامست الأرض أمامه، وتحدثت إليه قائلاً: «سوف أخبر العاهل الملكى بقوتك المجيدة، سوف اعمل ليكون على دراية بعظمتك. وأوفر لك الـ «لادانوم»^(١٥) والعطر «حكنو» وشذا «يودينب»^(١٦) والقرفة وراتنج التربينتين التى تخص المعابد والتى يرضى بها كل إله. سوف أروى ما حدث لى، وما مسته من سلطانك. سوف يُعبد الإله فى المدينة من أجلك، فى حضرة أعيان البلاد بأسرها. ومن أجلك سوف أقطع الثيران وأحرق ذبيحة، ومن أجلك أيضاً، سوف اقسم رقبة الطيور، واعملى على ان تصل إليك السفن المحملة بخيرات مصر كلها.^(١٧) هذا ما يصنعه الناس من أجل إله، موجود فى بلد قصى، يُحب البشر، ولا زال هؤلاء يجهلونه» عندئذ، أخذ يضحك منى، لما قلته، فقد كان سخفاً فى نظره. وعلى هذا تحدثت إلى قائلاً: «إنك لا تمتلك من البخور الكثير، بينما أتيت إلى الوجود، وأنت تملك راتنج التربينتين.^(١٨) وأنا فى الواقع حاكم لبلاد «پونت»،^(١٩) والبخور ملكى. أما العطر «حكنو» الذى قلت للتو أنك ستجلبه إلى، فهو من أهم منتجات هذه الجزيرة. وبعد أن تحل اللحظة التى تغادر فيها هذا المكان، فلن ترى أبداً هذه الجزيرة التى ستفوص فى المياه الدافقة.»

ثم وصلت سفينة ما كما تنبأ هو بذلك. وذهبت (إلى الشاطئ)، وأخذت مكانى فوق شجرة باسقة، فتعرفت على من كانوا على متنها. وفى الحال ذهبت لأبلغه بالخبر، فوجدت انه كان يعلم به. وقال لى: «ليتك تعود إلى بيتك سالماً، معافى، أيها الرجل الصغير وتلتقى بأبنائك. اعمل على أن تكون لى سمعة محمودة فى مدينتك. فتلك هى المهمة التى اكلفك بها.» وسجدت من جديد، فى حضرته، وساعداى مثنيان. ومنحنى شحنة بخور وعطر «حكنو» وشذا «يودينب» وقرفة و«تى شبسس»^(٢٠) وكحل^(٢١) وذبول زرافات، وكمية كبيرة من راتنج الترابنتين، وسن الفيل وكلاب سلوقى، وقرود ونسانيس، وكل ما لذ وطاب من المنتجات التى حملت بها السفينة.

وحلّت اللحظة التى سجدت فيها أخيراً، متعبداً للإله لصالحه. وقال لى أيضاً: «انظر، سوف تصل - إلى المقر الملكى فى ظرف شهرين، فتعانق أبنائك» (وفى وقت لاحق) ستسترد شبابك وحيويتك، داخل تابوتك». ونزلت إلى الشاطئ، على مقربة من السفينة وناديت البحارة. وعلى الشاطئ أيضاً أجزلت التسبيح لرب هذه الجزيرة. ومن كانوا على سفينة فعلوا الشيء نفسه. عندئذ سافرنا بحراً لمدة شهرين وفقاً لكل

ماقاله.(وجاء اليوم الذى) مثلت فيه أمام العاهل الملكى. وقدمت له هذه الهدايا التى جلبتها معى من هذه الجزيرة. وهنا، تعبد الملك للإله من أجل^(٢٢)، فى حضرة أعيان البلاد بأسرها. ورقيت إلى منصب «زميل» وأنعم على بالخدم الذين خصصوا لهذا اللقب^(٢٣).

والآن، تطلع إلى، بعد أن وصلت إلى البلد، وبعد أن تمتعت فى تجربتى. انصت إلى، لأنه من المفيد ان يُنصت البشر. عندئذ اردف الأمير قائلاً: «لا تلعب يا صديقى، دور الرجل الحاذق، الذى يقدم عند الفجر ماءً لطائر ليذبح فى الصباح؟»^(٢٤)

على هذا النحو، وصلنا هذا النص، من بدايته إلى نهايته، مطابقاً لما وجد فى مخطوط الكاتب ذى الأنامل البارعة^(٢٥) «أمن عا» بن «أمينى» - فليحى ويزدهر ويظل فى صحة طيبة ا

هذه القصة هى مجرد حكاية أسطورية. وهى تبرز بالطبع أوجه شبه شكلية مع غيرها من النصوص التى ستظهر بعد زمن طويل: ونذكر فى هذا الصدد حادثة «الغرق» فى «الأوديسا»، ووصول «أوليسيوس» عند «الفاكيين»، كما نذكر أيضاً مغامرات السندباد البحرى، ولكن يبدو أن العبرة الروحية التى يمكن استخلاصها منها هى أعمق، وتقربها بدرجة أكبر على ما يبدو من ملحمة «جلجاميش». وثلتقى بأهم مواضيعها الدالة فى فكر شعوب حوض البحر المتوسط أو الشعوب الإفريقية.

إن موضوع الجزيرة، كمكان يقع بعيداً عن البشر، وموقع مأمون حيث يحيا إله أو كائن متميز، هو الناجى الوحيد من دمار شامل (فهى جزيرة الحكيم «أوبانافستيم» التى أراد الإله أن يحميها من الطوفان الذى سخره للقضاء على البشرية، وهى تجربة مماثلة لتلك التى عاشها «نوح» وإن سبقتها بفترة طويلة). أما الجزيرة التى كانت بديلاً إلهياً مؤقتاً، فسوف تختفى بعد رحيل «جلجاميش»، شأنها

شأن جزيرة الـ «كا» أو جزيرة «شريا».

أما موضوع نبات الحياة: فهو موضوع المساعي التي قام بها «جلجاميش» إلى جانب «أوبانافستيم». وتزخر جزيرة الـ «كا» (التي يوحى اسمها بوجود مخزون من الطاقة الحيوية) بالبخور، وهو النبات الذي لا غنى عنه لاستمرار حياة الآلهة ذاتها. موضوع الثعبان: إنه رمز الخلود بالنسبة للقديما والأفارقة، على السواء، ويبدو في الواقع - أن الثعبان يعود إلى الحياة بعد كل مرة يغير فيه جلده ويتغذى من باطن الأرض على عصارة النباتات التي تتجدد خصوصيتها على الدوام، فيشاركها بالتالي طبيعتها. والتزاماً منه بهذا الدور، فإن ثعبان جزيرة الـ «كا» هو مالك البخور. أما الثعبان الذي يصادفه للأسف «جلجاميش»، فسوف يبتلع نبات الحياة، بعد أن انتزعه خلسة من البطل النصف إله.

ويرجح، أن قصة «الغريق» هي في الأصل قصة بحارة سواحل البحر الأحمر، الذين يرتبطون بعلاقات متعددة بسكان بلاد ما بين النهرين الذين كانوا يصلونها من خلال القوافل، إنه نص مكتوب في لغة كلاسيكية رصينة، تلتقى فيه الأساطير المتنوعة، ويكشف بوضوح عن التيارات الروحية التي امتزجت في الألف الثانية قبل الميلاد على أرض الشرق.

مبارزة «الصدق» و «الكذب» (٢٦)

في بداية النص - المفقودة - وإن وردت فيما بعد إشارات إلى وقائعها، يطالب «الكذب» شقيقه «الصدق» بأن يسترد منه سكيناً أعجوبة كان قد أعاره أياه، ولما كان «الصدق» قد فقده، رأى «الكذب» أن يحتكم إلى محكمة التاسوع الإلهي، لينال حقه.

..... قال «الكذب» لتاسوع الآلهة: «فليتّم إحضار «الصدق» (إلى هنا)، فلتُعم عيناها ويصبح من الآن بواب منزلي». وتصرف التاسوع وفقاً لكل ما قاله. وبعد ذلك بعدة أيام، إذا بـ «الكذب» يرفع عينيه ليرى، فلاحظ سمات شقيقه «الصدق». حينئذ

قال لاثنيين من خدم «الصدق»: «امسكا سيدكما، والقيأ به إلى اسد مفترس وعديد من اللبؤات...». وإذ ذاك أمسكا به، ولكن بينما كانا يرفعانه [قال لهما] «الصدق»: «لا، لا تمسكا بى...وا بحثاً عن شخص آخر ليحل محلى....[من الراجح على ما يبدو أنه تم استبدال آخر به، وقد أصاب النص تلف بالغ.]

بعد أن انقضت عدة أيام أيضاً، خرجت امرأة من دارها [مع خادمت] فشاهدت هذه (الخادمت) «الصدق» طريحاً (على الأرض) عند سفح تل. لم يكن فى البلاد بأسرها من فى مثل جماله. (٢٧) فذهبن إلى حيث توجد المرأة وقتلن لها: «هيا إذن احضرى معنا لمشاهدة (ضريز) ملقى عند سفح التل، فلنحضره ليصبح بواب منزلنا»، وعلى هذا قالت المرأة: «هيا إذن احضرنه لأراه». وانطلقت خادمة واحضرته. وعندما شاهدته (المرأة)، تحرقت شوقاً إليه، إذ لا حظت مدى (جمال) جسده كله. وضاجعها ليلاً. وعرفها كما فى وسع أى رجل ذكر ان يعرف (امرأة). وفى هذه الليلة ذاتها حملت (منه) فى طفل صغير.

وبعد ذلك بعدة أيام، وضعت ابناً لم يكن له مثيل فى البلاد بأسرها. كان طويل (القامة). له أسلوب وهيئة إله. وأدخل المدرسة. وهناك تعلم الكتابة على أحسن وجه ومارس جميع تمارين الذكور، حتى تفوق على زملائه الأكبر منه سناً، والذين كانوا معه فى نفس المدرسة. وذات يوم قال له هؤلاء: «ابن من أنت؟ فلا نعرف لك أباً» وكانوا يوقعونه فى الشقاء ويؤولونه: «نحن لا نعرف لك أباً» ومن ثم تحدث إلى أمه قائلاً: «ما اسم أبى إذن؟ أود أن أخبر به زملائى الذين يتحدثون إلى على النحو التالى: «أين أبوك؟ لأن هذه الكلمات تعذبني». فقالت له أمه: «أترى هذا الضريز الجالس على مقربة من الباب. هذا هو أبوك». قالت ذلك وهى توجه إليه الحديث، عندئذ صاح قائلاً: «علينا أن نطلب (بعقد) إجتماع لأفراد العائلة ونستدعى أيضاً تمساحاً» (٢٨)

ذهب الصبى وأحضر أباه، وأجلسه على مقعد، ووضع موطناً لقدميه. ووضع أمامه خبزاً، ليستطيع أن يأك، وساعده أيضاً على أن يرتوى. ثم تحدث إلى أبيه على النحو التالى: «من الذى أعماك، لأتولى أنا الرد عليه؟» فأجابه والده: «إن أخى الأصفر هو الذى أعمانى» - وروى على مسامع ابنه كل ما ألم به. عندئذ انطلق (الابن) لينتقم لأبيه.

حمل معه عشرة أرغفة وعصاً ونعلين وقربة وسيفاً. كما اصطحب معه ثوراً جميلاً المظهر. ورحل إلى حيث يوجد حارس قطيع «الكذب»، وقال للراعي: «تقبل منى هذه الأرغفة العشرة، ومعها هذه العصا وهذه القربة وهذا السيف وهذين النعلين. وحافظ على هذا الثور من أجلى لحين عودتى من المدينة.» وبعد انقضاء عدة أيام أيضاً، كان ثور (ابن «الصدق») قد امضى عدة أشهر مع راعي «الكذب»، وحضر هذا الأخير إلى الحقول لتفقد قطيع ثيرانه، فشاهد الثور (الذى تركه) الصبى، وهو ثور مظهره جميل، جميل جداً. وقال لراعيه: «أعطني هذا الثور لأكله.» ولكن قال له الراعي: «إنى لا أملكه، فليس فى وسعى إذن أن أعطيك إياه.» عندئذ قال «الكذب»: «انظر، إن جميع ثيرانى، فى حوزتك، فاعط أحدها لمالك هذا (الثور). ونما إلى علم الشاب أن «الكذب» قد استولى على ثوره، فحضر على الفور إلى المكان الذى يمكث فيه الراعي وقال له: «أين ثورى؟ لم أعد أراه وسط ما لك (من ثيران).» فأجابه الراعي: «جميع الثيران، هى لك، جميعها. فلك أن تأخذ الثور الذى ترغبه.» (وأردف) الشاب (قائلاً): «أوجد ثور بضخامة ثورى؟ فعندما كان يقف فى «جزيرة آمون»^(٢٩) («پايوآمن») كانت خصلة شعر ذيله، تستقر وسط نبات بردى، وبينما كان أحد قرنيه فوق تل الغرب، كان الآخر فوق تل الشرق، وكان النيل فى زمن الفيضان مكاناً لراحته،^(٣٠) لمن أجله يولد يومياً سبعون عجلاً.» قال له الراعي: «أوجد ثور بضخامة هذا الذى نتحدث عنه؟» عندئذ، أمسك به الشاب واقتاده إلى مكان إقامة «الكذب»، ثم اصطحب هذا الأخير إلى المحكمة فى حضرة التاسوع الإلهى. وقالت الآلهة للشاب: «لا يمكن أن يكون ذلك هو الحقيقة، فإننا لم نر أبداً ثوراً فى مثل حجم ذاك الذى نتحدث عنه.» وأجاب الصبى «ولكن أوجد سكين بطول (السكين) الذى نحن بصدد؟ سكين تشكل ربوة «إيار»^(٩) نصله، وأشجار «كوبتوس» مقبضه، وتكون مقبرة الإله غمده، وماشية «كاروى»^(٣١) هى الزئثار.» وأردف قائلاً التاسوع الإلهى: «افصلوا (بحكمكم بين) «الصدق» و «الكذب». فأنا ابن «الصدق» وقد جئت طلباً للانتقام.

عندئذ أقسم «الكذب» للملك - فليحى ويكن مزدهراً وفى صحة طيبة - (أقسم) قائلاً: «حقاً، وبقدر ما لـ «آمون» البقاء، حقاً، وبقدر ما للحاكم الملكى البقاء، ليتنا نعثر على «الصدق» حياً.» - ولكن سوف تُسمل عيننا «الكذب» ويعين بواباً فى منزل

«الصدق»^(٣٢) ويدوره أقسم الشاب للملك - فليحيَ ويكن مزدهراً وفي صحة طيبة - (أقسم) قائلاً: «حقاً، وبقدر مال «أمون» البقاء، حقاً وبقدر ما للحاكم الملكى البقاء، ليتنا نعثر على «الصدق» حياً...»^(٣٣) وسوف يضرب الكذب مائة ضربة، (يُجرح) خمسة جروح. وتُسمل عيناه ويعين بواباً فى منزل «الصدق»^(٣٤) وهكذا انتقم الابن لأبيه وحُسم النزاع بين «الصدق» و«الكذب»....

يُعلى هذا النص من شأن فضيلتين أساسيتين فى نظر المصرى: البرّ بالوالدين وحب الحقيقة، تبدو هذه القصة على نحو خاص، كنسخة ممسوخة، بمقياس البشر، للأسطورة الأوزيرية، إنها انعكاس فى وعى البشر للمبارزة المقدسة العظمى التى دارت بين «حورس» و«ست»^(٣٥) كما إنها تقدم حكاية ذات مغزى أخلاقى، فهى خرافة فى وسعها ان تصور حكمة الشعوب السامية: العين بالعين، والسن بالسن. كما يوضح حقيقة انه من الصعب أحياناً التمييز بين الصدق والكذب، وإن الصدق هو الذى ينتصر فى نهاية المطاف، والشئ الجدير بالملاحظة هو إحلال الكائنات الواقعية بدلاً من المجاز. إنه حقاً، أمر نادر جداً فى الأدب المصرى.

حكاية الاخوين «أنوب» و«باتا»^(٣٦)

زوجة «أنوب».

كان يا ما كان، على ما يقال، أخوان مولودان من نفس الأب ومن نفس الأم. اكبرهما يدعى «أنوب»^(٣٧) والأصغر «باتا». كان «أنوب» مسئولاً عن بيت وعن زوجة. وكان أخوه الصغير يعيش معه وكان فى منزلة ابنه، فكان هو الذى يعد الملابس للأخ الأكبر ويتجول فى الحقول خلف البهائم. وهو الذى يحرث الأرض ويحصد لأخيه

ويتولى كل أعمال الحقل. حقاً لقد كان هذا الأخ الأصغر رجلاً جميلاً، ليس له مثيل في البلاد بأسرها، وفيه قوة إله.

ومرّت أيام وأيام. والأخ الأصغر (لايزال) خلف بهائم، حسب عاداته اليومية. وبحلول المساء كان يتوقف عن العمل ويتوجه إلى داره حاملاً مختلف أنواع النباتات الحقلية واللبن والأغصان وكل منتجات الحقول الطيبة. كان يضعها أمام أخيه الأكبر، الجالس في صحبة زوجته. ثم يطفئ ظمأه ويتناول شيئاً من الطعام... ثم [يذهب ليرقد] في حظيرته، بين البهائم. وبعد أن تبيض الأرض^(٣٨) من جديد ويطلع نهار آخر، كان يعدّ [الطعام] الذي يضعه أمام أخيه الأكبر. ويعطيه هذا الأخير خبزاً ليحمله معه إلى الحقل، ويسوق إليه «باتا» أبقاره، لتأكل هي (بدورها). وفيما كان يسير خلفها، كانت تقول له: «إن العشب طيب في المكان كذا». وكان ينصت إلى كل ما تقوله، فيسوقها إلى حيث المرعى الخصب حيث كانت ترغب أن تذهب. وعليه فقد أصبحت الأبقار المسنولة منه، على قدر كبير من الجمال وكانت تضاعف مرات ولادتها وكانت في أحسن حال.

وإذ جاء فصل الحرث^(٣٩) قال له أخوه الأكبر: جهز ثورين^(٤٠) للحرث، لأن الحقول بدأت تبرز (خارج الماء) وصار الوقت مناسباً للحرث. وفي نفس الوقت، احضر إلى الحقل ومعك البذور وغداً سوف نقوم بالحرث. تحدث على هذا النحو، وانجز الأخ الأصغر جميع الأعمال التي كلفه بها أخوه الأكبر. وبعد أن ابيضت الأرض وحل يوم آخر، ذهباً (سويّاً) إلى الحقل ومعهما البذور وأخذاً يحرثان (الأرض). وكان قلبهما منعماً بسعادة عارمة، وهما يؤديان عملهما، وذلك منذ أن بدءا نشاطهما.

وبعد ذلك بعدة أيام، بينما كانا في الحقل، حدث أن نقصت البذور. عندئذ أوفد الأخ الأكبر أخاه الأصغر بسرعة قائلاً: «اذهب إلى القرية واحضر بذوراً...» ووجد هذا الأخير زوجة أخيه الأكبر جالسة تمشط شعرها، وقال لها: «انهض واعطني بذوراً لأحملها إلى الحقل حيث ينتظر أخى عودتي. هيا! بلا إبطاء...» وقالت له: «اذهب (أنت بنفسك)، وافتح مخزن الغلال وخذ منه ما تريد، حتى لا اضطر أن أترك تصفيف شعري أثناء تزيينه». عندئذ، دخل الشاب إلى مخزن الغلال واحضر جرة كبرى، لأنه أراد نقل كمية كبيرة من البذور وحمل الشعر والعسل. وخرج حاملاً كل ذلك. فقالت له المرأة: «ما وزن ما تحمله على كتفك؟» فأجابها: «(زنته) ثلاثة أكياس من العسل

وكيسان من الشعير، فيكون المجموع خمسة (أكياس) أحملها على كتفى.» هكذا تكلم (الشاب). [كما وجهت إليه الكلام] قائلة: «لك قوة عظيمة، فإننى ألاحظ حيوتك كل يوم». فاشتتهت أن تعرفه معرفة المرأة لذكورة الرجل. فنهضت وأمسكت به قائلة: «هيا! فلنمض ساعة مضطجعين (معاً). سوف يفيدك الأمر. وسوف أنسج لك ثياباً جميلة.» عندئذ تحول الصبى إلى ما يشبه فهد الجنوب الهائج، بسبب الأحاديث الشريرة التى قالتها بشأته. فقتلها آنذاك رعب شديد، فيما كان هو يتحدث على النحو التالى: «انظرى اذن، فأنت بمنزلة الأم لى وزوجك بمنزلة الأب لى. فهو أخى الأكبر الذى ربّانى وقد يكون ما حدثينى عنه جريمة شنعاء. فلا تكرريه. وأنا، لن أخبر أحداً وسأحول دون أن يصدر شئ من فمى بشأته، لكائن من كان.» ثم رفع حمله وانصرف إلى الحقل. وانضم إلى أخيه الأكبر وواصل عملهما.

ولما أرخى الليل سدوله، توقف الابن الأكبر (عن العمل) واتجه إلى بيته. كان الابن الأصغر خلف بهائم، محملاً بشتى أنواع المنتجات الحقلية، ويسوق أمامه القطيع عائداً به إلى القرية ليقضى الليل فى الحظيرة. غير أن زوجة الأخ الأكبر كانت خائفة بسبب الكلام الذى قالتة، فأحضرت دهنًا وشحمًا، لتبدو بالباطل كشخص ضرب ضرباً مبرحاً، إذ كان فى نيته أن تقول لزوجها: «إن أخاك الأصغر هو الذى أوسعنى ضرباً» وهكذا عندما عاد زوجها إلى منزله مع حلول المساء بعد أن ترك عمله حسب عادته اليومية، وجد زوجته راقدة، تدعى المرض. ولم تصب الماء على يديه كما تعودت ولم (يتم اشعال) النور لاستقباله، فكان منزله فى ظلام. كانت راقدة، تتقيأ. قال لها زوجها: «من تحدث إليك؟» فاردفت قائلة: «لم يحدثنى أحد، عدا أخاك الأصغر فعندما أتى لإحضار ما تريده من بذور، وجدنى جالسة بمفردى فقال لى: هيا، فلنمض ساعة مضطجعين (معاً). فى هذه اللحظة، كنت انتهى من زينة شعرى. كان يوجه لى الحديث، ولكن أبى أن أعيره أى اهتمام فقلت له: «ألست أمك؟ وأخوك الأكبر ليس فى منزلة أبيك؟» وخاف عندئذ وضربنى ليمنعنى من إخبارك بذلك. ولكن إذا سمحت له من الآن أن يحيا، فسوف أقتل نفسى. انظر، فعند عودته... لاننى أخشى أن يفتري حديثاً دنيئاً حول ما أراد أن يقترفة لتوه.» حينئذ تحول الرجل إلى ما يشبه فهد الجنوب. وشحذ حربته، وامسكها فى يده، وظل واقفاً خلف باب الحظيرة ليقتل أخاه الأصغر عند عودته، مع حلول المساء، وهو يقوم

بإدخال بهائمهم. وقام هذا الأخير، كعادته اليومية، عند غروب الشمس، فعاد محملاً بمختلف أنواع النباتات الحقلية. ولكن عندما دخلت البقرة التي كانت تتقدم القطيع إلى الحظيرة قالت للراعى: «التزم جانب الحذر! إن أخاك الأكبر واقف هنا، أمامك، حاملاً حربته ليقنتك. اهرب بعيداً عن متناوله.» فهم الرجل هذه الكلمات. وعندما دخلت البقرة الأخرى (بدورها) إلى الحظيرة وجهت إليه نفس الكلام، عندئذ نظر أسفل الباب، فلمح قدمي أخيه الأكبر، واقفاً خلف هذا الباب والحرية في يده. فوضع على الأرض الحمل الذي كان يحمله، وانطلق يعدو هارباً. أما أخوه الأكبر، وإن كانت الحرية لاتزال في يده فقد انطلق يطارده.

عندئذ، استغاث الابن الأصغر بعدالة الإله «رع-حور أختي»،^(٤١) قائلاً: «أيها الرب الكامل، أنت تصدر الأحكام، فتفرق بين المجرم وصاحب الحق.» سمع «رع-حور أختي» هذا التوسل، وأظهر «رع» إلى الوجود مُسطحاً شاسعاً من الماء، ليفصل بينه وبين أخيه الأكبر، وكان الماء يعج بالتماسيح. كان كل منهما موجوداً إذن، على هذا الجانب أو ذاك من المسطح، وضرب الأخ الأكبر يده مرتين (من شدة الغيظ) لأنه لم يتمكن من قتل أخيه الأصغر، كما كان يريد. ثم ناداه الشاب من على الشاطئ قائلاً: «ابق في هذا المكان حتى تبيض الأرض. وعندما ينبلج نور قرص الشمس، سوف أمثل أنا للمحاكمة، في حضرته، وتكون أنت في صحبتي. وسوف يتولى هو تسليم المجرم لصاحب الحق. فمن الآن لن أعيش معك أبداً، لن أعيش حيثما تكون. وسوف اتوجه إلى «وادي شجرة الصنوبر».^(٤٢)

وفي اليوم التالي، وعندما أضيئت الأرض، وتآلق «رع-حور أختي» كان في وسع كل منهما أن يرى الآخر. فقال الأخ الأصغر لأخيه الأكبر: «لماذا طارتني لتقتلني غدرًا، دون أن تستمع مجرد (الاستماع) إلى ما قد يقوله لك فمي؟ فأنا أيضاً أخوك الأصغر. وكنت لى في منزلة الأب، وزوجتك (في منزلة) الأم. أليس كل ذلك «قصة مختلفة»؟ فعندما أرسلتني لاحضار البذور (اللزامة) لأعمالنا، حدثتني زوجتك قائلة: «هيا! فلنقض ساعة مضطجعين (معاً)! لاحظ ما يلى، فقد صورت لك الوقائع بعد أن قلبتها رأساً على عقب». ثم أحاط أخاه علماً بكل ما حدث مع زوجته. وأقسم بـ«رع-حور أختي»، قائلاً (بالتحديد): «كنت تريد أن تقتلني غدرًا، وقد تسلحت بحربة، مدفوعاً من عاهرة.» وذهب واحضر غصناً بتاراً وقطع عضو تذكيره. وألقى به

فى الماء فابتلعتة سمكة الشَّال^(٤٣) وأصابه الوهن وصار بائساً. وكان قلب أخيه الأكبر يعتصره الألم (من جراء كل ذلك)، يعتصره عصراً، وأخذ يبكى بكاءً مرأً. ولكن لم يعرف كيف يعبر إلى جوار أخيه الأصغر، خوفاً من أن تمسك به التماسيح. وناداه الشاب قائلاً: «لماذا ذهبت ظنونك إلى عمل سئ (ارتكبتة)؟ ألم يكن فى وسعك أن تتذكر شيئاً طيباً أو أحد الأشياء التى صنعتها من أجلك؟ سوف تعود إلى، منزل، ومن الآن، ستتولى أنت العناية بالبهائم. ولن أوجد أبداً حيثما تكون. سوف اتوجه إلى «وادي شجرة الصنوبر»، والشئ الذى ما زال فى وسعك أن تفعله من أجلى، هو أن تهبّ لنجدتى إذا علمت أن مكروهاً نزل بى، فهناك، سأنتزع قلبى، واضعه فى أعلى زهرة الصنوبر. وإذا قُطعت شجرة الصنوبر طُرح قلبى، أرضاً، (فعليك) أنت، أن تأتى للبحث عنه، وأن قضيت فى ذلك سنوات سبع، وعلى قلبك ألاّ يضيق ذرعاً (بهذا البحث)، وإذا عثرت عليه، ضعه فى إناء ماء رطب، وعلى هذا، سأحيا من جديد، وأنتقم ممن أساء إلىّ، وستعلم أن مكروهاً نزل بى، متى وضعت قدحاً من الجعة فى يدك، ففاض، وإذا ما حدث ذلك فلا تبقي هنا أبداً». عندئذ، توجه إلى «وادي شجرة الصنوبر»، بينما توجه أخوه الأكبر إلى منزله. وكان يضع يده على رأسه ويغطيه التراب^(٤٤). وعندما رحل إلى منزله، قتل زوجته وألقى بها للكلاب، ثم جلس، ينوح على أخيه الصغير.

الخوارق الأسطورية من أجل «باتا».

مرت أيام عديدة، والشاب موجود فى «وادي شجرة الصنوبر» يقضى يومه وحيداً فى صيد حيوانات البرية. ثم يعود ليرقد طوال الليل تحت شجرة الصنوبر، بينما قلبه فى أعلى زهرة الشجرة.

وبعد أن انقضت أيام أخرى أيضاً، شيد لنفسه، بيديه قصرأ فى «وادي شجرة الصنوبر» هذا، قصرأ سرعان، ما امتلأ بشئى أصناف ما هو جميل وطيب، لانه أراد تأسيس بيت خاص به. وفى ذات يوم، بينما كان يهيم بالخروج من القصر، وجد نفسه فى حضرة التاسوع الإلهى الذى كان مسافراً لتفقد شئون البلاد بأسرها. وتبادلت الآلهة فى البداية أطراف الحديث فيما بينها، ثم قالت لـ «باتا»: «إيه، يا

«باتا»، يا ثور التاسوع الإلهى، فانت هنا فى الحقيقة، وحيد بعد ان تركت المدينة، بعيد عن زوجة «أنوب»، أخيك الأكبر. انظر، لقد قتل (أخوك) الآن هذه (الزوجة) وبالتالي فقد تم الإنتقام لك ممن أساء إليك.» كان قلب الالهة يتألم ألماً شديداً بسبب «باتا». وعلى هذا قال «رع-حور أختى» لـ «خنوم»: (٤٥) «شكل امرأة من أجل «باتا» وهكذا لن يبقى وحيداً.» وصنع له «خنوم» رفيقة، كانت جميلة الجسد، أكثر من أى امرأة أخرى فى انحاء البلاد، فكان فيها جزء صغير (٩) من كل إله. وجاءت التحورات السبع (٤٦) لمشاهدتها وقلن بغم واحد: «سوف تموت بالسكين». واشتهاها «باتا» شهوة بلا حدود، وكانت تبقى فى بيتها، فى حين يمضى هو يومه فى صيد حيوانات البرية، ثم يعود بعد ذلك (بغنائمه) ويضعها أمامها، ويقول لها: «لاتبارحى منزلنا فتبتعدى عنه، حتى لا يختطفك «يعم» (٤٧) فلن أتمكن عندئذ من أنقاذك منه، فأنا أيضاً أشبه «بامرأة». إن قلبى موضوع فى أعلى زهرة شجرة الصنوبر. ولكن إذا وجده شخص آخر فسوف أقاتله.» وفتح لها قلبه تماماً. (٤٨)

وبعد فترة قصيرة من ذلك، ذهب «باتا» ليصطاد، كعادته اليومية بينما، خرجت المرأة الشابة لتتنزه تحت شجرة الصنوبر، بجوار منزلها. ولحت فجأة «يعم» الذى كان يدفع مياهه الدافقة لتطاردها، فاخذت تجرى أمامه حتى دخلت بيتها. وهنا نادى «يعم» على شجرة الصنوبر قائلاً: «اختطفوها.» ولكن لم تأخذ شجرة الصنوبر سوى خصلة من شعرها. وحملها «يعم» إلى مصر ووضعها حيثما يوجد الغسالون (التابعون) لفرعون- ليكون حياً ومزدهراً وفى صحة طيبة! وكان «أحدهم» (٤٩) يتشاجر مع الغسالين (التابعين) لفرعون- ليكون حياً ومزدهراً وفى صحة طيبة! قائلاً: «ان ملابس فرعون- ليكون حياً ومزدهراً وفى صحة طيبة- (تفوح منها) رائحة الطيب». وتواصلت يومياً المشاجرات على هذا النحو، دون أن يدري كل منهم كيف يتصرف، وتوجه ذات يوم رئيس الغسالين (التابعين) لفرعون - ليكون حياً ومزدهراً وفى صحة طيبة - إلى شاطئ النهر، وبالفعل فقد كان قلبه تسوء أحواله (شيئاً فشيئاً)، بسبب المشاجرات التى التى تنشب يومياً. ووقف هنا، على الرمال، فوجد نفسه بالضبط أمام خصلة الشعر الملقاة فى الماء فكلف شخصاً بالنزول (إلى النهر) لاحتضارها. وإذا وجد أن رائحتها عطرة إلى حد كبير، سلمها بعد ذلك لفرعون- فليكن حياً ومزدهراً وفى صحة طيبة! ثم تم استدعاء كتبة وحكام (٥٠) لفرعون- ليكون حياً

ومزدهراً وفي صحة طيبة! -وقال هؤلاء: «هذه الخصلة هي خصلة ابنة لـ»رع-حور أختي»، وبها نطفة إلهية. حقاً إنها هبة أتت إليك من بلد أجنبي. أوفد إذن الرسل إلى كل بلد من هذه البلدان بحثاً عنها. ولكن راعٍ ان يرافق الذين سيتجهون إلى «وادي شجرة الصنوبر» جمع غفير ليتمكن من اعادةاتها. وتحدث جلالته-ليكن حياً ومزدهراً وفي صحة طيبة! قائلاً: «التوفيق، كل التوفيق فيما أخبرتموني به»، ورحل الرسل.

ومضت عدة أيام على ذلك وعاد القوم الذين أوفدوا إلى البلدان الأجنبية ليقدموا تقاريرهم إلى جلالته- ليكن حياً ومزدهراً وفي صحة طيبة!- اما الذين أوفدوا إلى «وادي شجرة الصنوبر» فلم يعودوا، لأن «باتا» قتلهم، وأبقى على حياة أحدهم، ليروي الأحداث على مسامع جلالته- ليكن حياً ومزدهراً وفي صحة طيبة! وفي هذه المرة أوفد هذا الأخير قوة ضخمة، بالإضافة إلى جنود المركبات^(٥١) فكان عليهم أن يحضروا (المرأة) عند عودتهم، وعلى كل حال انضمت امرأة إلى هذه البعثة، وسلموها حلياً لزيينة المرأة، (حلياً) جميلة ومن مختلف الأنواع. وعادت هذه المرأة إلى مصر وهي تسهر على شريكة حياة «باتا». وبسببها عمت البهجة في ربوع البلاد. وأحبها- ليكن حياً ومزدهراً وفي صحة طيبة. (أحبها) حباً لحدود له. ونُصِّبَت «سيدة عظيمة».

وحملوها على الكلام لتتحدث (عن حقيقة) أحوال زوجها. وعلى هذا قالت لجلالته- ليكن حياً ومزدهراً وفي صحة طيبة!-: «مُرْ بقطع شجرة الصنوبر، حتى يتم تدميره». وأرسلت قوة معها آلات نحاسية لقطع شجرة الصنوبر. وعندما وصلت على مقربة منها، قطعوا الزهرة التي استقر فيها قلب «باتا». عندئذ، وفي لحظة قصيرة سقط هذا الأخير ميتاً.

ولما ابيضت الأرض من جديد، وحلَّ يوم آخر، وبعد أن كانت شجرة الصنوبر قد قطعت، دخل «آنوب» شقيق «باتا» الأكبر، إلى منزله وجلس ليصب ماءً على يديه. ولكن إذ قدم له أحدهم قدحاً من الجعة، فاض (القدح)، وقدم له أحدهم قدحاً مملوءاً بالنبيذ، فصار (النبيذ) عكراً. وعلى هذا، حمل «آنوب» عصاه ونعليه وثيابه أيضاً وأسلحته. ورحل إلى «وادي شجرة الصنوبر». فدخل قصر أخيه الأصغر، فوجده

ممدداً على سريريه وقد فارق الحياة. عندئذ ولما رأى أخاه مسجياً بلا حياة، أخذ يبكى. وذهب يبحث عن قلب أخيه الأصغر، تحت شجرة الصنوبر، وهى شجرة الصنوبر التى اعتاد «باتا» أن يرقد تحتها أثناء النهار. وبعد بحث استمر ثلاث سنوات لم يتمكن «أنوپ» من العثور على قلب أخيه. ولما بدأت السنة الرابعة، شعر فجأة برغبة شديدة فى العودة إلى مصر. وقال: «سوف أرحل غداً». هكذا تحدث فى قلبه.

وعندما ابيضت الأرض من جديد، ومع حلول يوم آخر،^(٥٢) واصل سيره تحت شجرة الصنوبر، وقضى اليوم فى هذا البحث. وفى المساء، عندما أراد أن يتوقف، ظل مع ذلك يواصل البحث. وإذا به يعثر على حبة، فتوقف آنذاك وحملها، فقد كانت قلب أخيه الأصغر. وأحضر قصعة ماء رطب ووضعه فيها وجلس كعادته اليومية.

وبعد أن أرخى الليل سدوله وبعد أن تشرب القلب بالماء، أخذ «باتا» ينتفض بكل جسده. وحدث آنذاك، انه تمكن من مشاهدة أخيه الأكبر، بينما كان قلبه لا يزال فى القصعة. وتناول «أنوپ» قصعة الماء البارد التى استقر فيها قلب أخيه الأصغر، وساعده على أن يشربه، فأخذ القلب مكانه (من جديد). وعاد «باتا» كما كان، وضم كل منهما الآخر بين ذراعيه وتحدث إلى رفيقه.

وعلى هذا فقد قال «باتا» لأخيه الأكبر: «انظر، سوف اتحول إلى ثور ضخ، له ألوان جميلة من مختلف الأنواع،^(٥٣) لم ير أحد حتى الآن ثوراً فى شكله. أما أنت فستجلس على ظهري، إلى أن يتألق النور الإلهي. وعندما نصبح فى المكان الذى توجد فيه زوجتى، سوف أنتقم، ثم سوف تصطحبنى إلى حيث يقيم «أحدهم»، فتكافأ بشتى الأشياء الجميلة الطيبة. سوف تقدم لك الفضة والذهب، لأنك اصطحبتنى حتى فرعون- ليكن حياً ومزدهراً وفى صحة طيبة! وستعمّ البهجة الناس بسببى، فى أنحاء البلاد. أما أنت فستعود إلى قريتك.»

وبعد أن ابيضت الأرض من جديد، وبحلول يوم آخر، كان «باتا» قد اتخذ الشكل الذى أخبر به أخاه الأكبر. وجلس «أنوپ» فوق ظهره إلى أن ابيضت الأرض (من جديد). وعندما وصلا إلى مكان وجود «أحدهم»، تم فى الحال ابلاغ جلالته- ليكن حياً ومزدهراً وفى صحة طيبة!- بوجوده. وعندما رآه هذا الأخير، فرح فرحاً عظيماً. وقدم من أجله قرابين وفيرة،^(٥٤) قائلاً: «لقد حدثت لنا أعجوبة عظيمة.» وعمّت البهجة

بسببه أنحاء البلاد. وأحضر له «أحدهم» ذهباً وفضة لأخيه الأكبر الذى (عاد) ليقم في قريته. ووهبه «أحدهم» أناساً كثيرين والعديد من الخيرات لان جلالته - ليكون حياً ومزدهراً وفي صحة طيبة! - كان يحبه حباً لا حدود له، وأكثر من أى شخص آخر، في أنحاء البلاد.

وبعد عدة أيام، دخل إلى الأجنحة الخاصة ووقف بجوار «السيدة العظيمة» (زوجته السابقة) فحدثها قائلاً: «انظرى، فما زالت حياً». قالت له: «فمن أنت، إذن؟» أجابها: «أنا، «باتا». وإنى أعرف تماماً أنه عندما سعت لتقطعى شجرة الصنوبر باسم فرعون - ليكون حياً ومزدهراً وفي صحة طيبة! - كان ذلك (فى واقع الأمر) بسببى، لانك كنت تريدين حرمانى من الحياة، حسناً انظرى، فما زلت أحياء، وأنا ثور».

وتولى «السيدة العظيمة» رعب شديد بعد ما قاله زوجها على مسامعها، وغادرت الأجنحة الخاصة، عندئذ استراح جلالته - ليكون حياً ومزدهراً وفي صحة طيبة! - وأمضى معها يوماً سعيداً، (وهو) بجوارها، فقالت له: «عاهدنى بمايلى: كل ما تقولينه، سأوافق عليه»، وعلى هذا فقد استمع إلى كل ما قالت له: «فليسمح لى بأن أكل كبش هذا الثور، لأنه لن يفعل (من الآن) أدنى شئ» - هكذا تحدثت إليه. وتولى «أحدهم» حزن شديد من جراء هذا الكلام وتألم قلب فرعون - ليكون حياً ومزدهراً وفي صحة طيبة - تألم) ألماً شديداً بسبب هذا الثور.

وبعد أن ابيضت الأرض من جديد، وبحلول يوم آخر، أعلن عن إقامة احتفال كبير للقرايين، مع التضحية بالثور وأرسل «أحدهم» رئيس قصابى جلالته - ليكون حياً ومزدهراً وفي صحة طيبة! - ليذبح الثور، وهذا ما حدث.

ولكن بينما كان لا يزال فوق اكتاف الناس، ضربه القصاب فى عنقه. فتدفقت نقطتا دم (سقطتا) على جانبى دعامتى أبواب جلالته، وهكذا فقد استقرت إحداها على أحد جانبى باب فرعون الكبير ليكون حياً ومزدهراً وفي صحة طيبة! - والأخرى على الجانب الآخر، وإذا بالنشاط يدب فيهما على هيئة شجرة برساء، فكانتا أجمل شجرتى برساء، وذهب من يخبر جلالته - ليكون حياً ومزدهراً وفي صحة طيبة! - (٥٥) قائلاً: «لقد نبتت شجرتا برساء خلال الليل بجوار الباب الكبير لجلالته - ليكون حياً ومزدهراً وفي صحة طيبة - فقد (صنعت) من أجله معجزة كبرى» وكانت البلاد بأسرها مبتهجة بسببهما وقدم لهما «أحدهم» قرباناً.

وبعد مرور عدة أيام على ذلك، ظهر جلالته- ليكن حياً ومزدهراً وفي صحة طيبة- ممجداً في نافذة اجتماعات (القصر)، وهي نافذة من اللازورد، وقد أحاط بعنقه إكليل من الزهور متنوع العبير. ثم ركب مركبته (المصنوعة) من الذهب الخالص وخرج من القصر الملكي- ليكن حياً ومزدهراً وفي صحة طيبة- ليشاهد شجرتي البرساء. وخرجت «السيدة العظيمة» أيضاً في مركبتها، في صحبة فرعون. وجلس جلالته تحت إحدى شجرتي البرساء التي تحدثت عندئذ إلى زوجته قائلة: «واهاً ايتها المرأة الكاذبة، أنا «باتا»، فما زلت حياً رغم أنك حاولت القضاء عليّ. واعرف تمام المعرفة أنه إذا كانت شجرة الصنوبر قد قطعت بأمر من فرعون- ليكن حياً ومزدهراً وفي صحة طيبة- فقد كان ذلك (في الواقع) بسببي. عندئذ تحولت أنا إلى ثور ففعلت ما فعلت حتى تم ذبحه.»

وبعد مرور عدة أيام أيضاً، كانت «السيدة» واقفة تصب شراباً لفرعون- ليكن حياً ومزدهراً وفي صحة طيبة! كان «أحدهم» سعيداً معها. وقالت لجلالته: «عاهدني بمايلي: كل ماتقولينه، سأوافق عليه». وانصت إلى ما قالت: فلتقطع شجرتا البرساء ومر أن يصنع منهما أثاث جميل. وانصت أيضاً إلى كل ما قالت. وبعد برهة قصيرة، استدعى جلالته- ليكن حياً ومزدهراً وفي صحة طيبة- (استدعى) حرفيين حاذقين وقطعت شجرتا البرساء اللتان لفرعون- ليكن حياً ومزدهراً وفي صحة طيبة. وكانت الزوجة الملكية، «السيدة العظيمة» تشاهد ذلك، عندما تطايرت شظية. ودخلت في فمها، فابتلعتها. وهكذا، وخلال لحظة قصيرة صارت حبلى وصنّع من الشجرتين كل ما أرادته.

وبعد عدة أيام على ذلك، وضعت طفلاً. وأبلغ جلالته- ليكن حياً ومزدهراً وفي صحة طيبة!-: «لقد رزقت ابناً». وأحضر هذا (الإبن) وخصصت له مرضعة وخادمات. وعمت البهجة ربوع البلاد. وجلس «أحدهم» وأمضى يوماً سعيداً، وكان «أحدهم» يطعم (الطفل)، لأن جلالته أحبه في الحال حباً لا حدود له. ونصّب «أحدهم» ابناً ملكياً في «كوش». (٥٦)

وفيما بعد، وبعد عدة أيام، أقامه جلالته- ليكن حياً ومزدهراً وفي صحة طيبة!- بصفتة ولياً للعهد على البلاد بأسرها.

ثم بعد عدة أيام أيضاً، وبعد أن قضى هذا الأخير سنوات عديدة كوريث للعرش، ارتفع جلالته- ليكن حياً ومزدهراً وفي صحة طيبة- إلى السماء. (٥٧) حينئذ قال «أحدهم»: (٥٨) «ليمثل أمامي الأعيان التابعون لجلالته- ليكن حياً ومزدهراً وفي صحة

طيبة! - لاحيطهم علما بكل المغامرات التى وقعت لى.»

ثم احضروا له زوجته. وحاكمها أمام البلاط، ونال موافقتهم. كما قَدِمَ إليه أيضاً أخوه الأكبر الذى أقيم كولى للعهد على البلاد بأسرها. وهكذا قضى «باتا» ثلاثين سنة كملك على مصر، ثم «ابحر» إلى الحياة.^(٥٩) واشرق أخوه على العرش، فى نفس يوم النزول إلى الشاطئ.^(٦٠)

لقد بلغ هذا النص نهايته السعيدة فى سلام، تحت اشراف كاتب الخزينة «كاجابو» التابع لـ خزينة فرعون- ليكون حياً ومزدهراً وفى صحة طيبة!- والكاتب «حورى» والكاتب «مريميت»، لقد سطره الكاتب «أينانا»^(٦١) صاحب قرطاس البردى هذا. ومن سيتكلم فى حقه، كائننا من كان، يصير «تحت» عدواً له.

إذا كان الموضوع الرئيسى للقسم الأول من هذه القصة يتطابق مع حكاية سيدنا يوسف وفوطيفار*، وقد اوضحت من الكلاسيكيات أو «فيدرا» و«هيپوليت»*، فإن القسم الثانى من القصة يختلف كل الاختلاف، لأنه يعتمد على الأساطير المصرية الكبرى عن الحياة والموت والبعث، ونسج من حولها.

والثور والشجرة هما الشكلان اللذان اتخذهما الإلهان العظيمان فى عالم الأساطير المصرية. إنهما نموذجان لحياة لها استمرارية مضمونة: «رع» (النجم الذى يولد على الدوام مع كل فجر جديد) و«أوزيريس» (المتحد مع القوة المتجددة على الدوام، قوى الإنبات ومياه النيل الخصبة التى تعود بصفة دورية كل عام فى منتصف شهر يوليو).

وفى وسع قلب «باتا» أن يحيا إذا وضع داخل كأس زهرة: وهو وضع «الابن-الشمس»، فى زهرة اللوتس قبل مولده.^(٦٢) كما يجد نفسه هكذا على علاقة بقوى الإنبات وحيويتها المتجددة دائماً. وإذا حدث وانفصل عنها، فإن الماء وحده وهو

(الترجم)

* راجع سفر التكوين الأصحاح : ٣٩

** جاء فى الأساطير اليونانية القديمة أن «فيدرا» وقعت فى غرام «هيپوليت» ابن زوجها. ولما لم يستجب لمحاولاتها اتهمته أنه راودها عن نفسها. ثم مات فى حادث بعد أن طرده والده. وتكشف الحقيقة وتنتحر «فيدرا» وتعيد الآلهة الحياة إلى «هيپوليت».

(الترجم)

عنصر الإخصاب (الأوزيرى) يستطيع أن يعيد إليه الحياة، ويتعين فى هذه اللحظة، ان يتدخل «أنوب» (وهو الاسم المصرى الذى صفحه الإغريق إلى «أنوبيس» الذى يعرف كيف يعيد الحياة إلى جسد أخيه، مثلما فعل سَمِيه الإلهى مع «أوزيريس»، واخيراً سيعود «باتا» إلى الحياة من تلقاء ذاته أو بأعماله الخاصة، كما ان شمس كل فجر جديد تنجبها شمس اليوم السابق.

تتكون الحياة الأبدية من سلسلة من الأشكال المترابطة، إنها مجموعة من التحولات المتتالية. انها امتلاك الإنسان لأشكال الكون، فبعد ان تحرر الإنسان من القيود الأرضية، يعود ليحيا فى عالم الصيرورات الحرة والسحرية. ويكشف التحليل أيضاً عن جوانب أسطورية أكثر عمقاً. إن المرأة ذات الجمال الأخاذ، هى انبة الالهة، التى تطلق العنان لكل الشرور، إنها تعيد إلى أذهاننا اسطورة «بندورا».*

ان الحياة الإلهية الأبدية والذى يرمز إليها القلب، فى وسعها ان تنعزل عن حياة الجسد اليومية وان تستقل عنه، ويحضرنا فى هذا المقام، بعض المواضيع الفيثاغورية.

ونص هذه القصة على قدر كبير من الثراء، سواء من ناحية المضمون أو من ناحية الدروس الروحية التى ينطوى عليها.

* من الأساطير اليونانية : «بندورا» هى أول امرأة خلقتها الالهة، وكان لها مواهب متعددة. واهدتها الالهة علبة، ولما تزوجها الرجل الأول دفعه فضوله إلى فتح هذه العلبة، فخرجت منها ألوان الخير والشرولم يبق فى العلبة سوى الأمل. (المترجم)

شروح وهوامش الفصل الأول من الباب الثانى

(١) هذا النص مدون على مخطوط واحد فقط: البردية رقم pap 1115 المحفوظة فى متحف الإرميتاج L'Ermitage فى سان بطرسبرج (ليننجراد) ويرجع تاريخها على مايعتقد إلى الأسرة الثانية عشرة (٩٠٠ ق.م).

النص المصري A.M.BLACKMAN; Middle-Egyptian Stories, Bruxelles, 1932, PP.41-43. (Bibliotheca Aegyptiaca, VOI. II.)

(٢) بداية القصة يكتنفها شيئاً من الغموض، ويبدو كما لو أن متحاورين يواجهان بعضهما البعض: أحدهما كان عائدًا من رحلة، وكان يلوم نفسه على ما يظن على بعض الأخطاء التى ارتكبها وكان «أميراً»، أى من كبار الموظفين. أما الآخر فهو «الزميل» (وهو من ألقاب البلاط الملكى وكان يمنح أيضاً إلى الشخصيات البارزة) وكان يطيب خاطر الشخص الأول، فيروى له مغامراته - والتى تشكل صلب القصة.

(٣) منطقة نوبية تمتد من الجندل الأول وحتى الجندل الثانى على نهر النيل وكانت خاضعة للإدارة المصرية.

(٤) اسم جزيرة بيجه، الواقعة أمام جزيرة فيله.

(٥) أى دون أن تفقد الوعى بذاتك - تحت تأثير الخوف.

(٦) يرتبط الأمر بالإعتقاد فى السحر الخلاق الفعال للكلمة - وهو اعتقاد عام شمل العالم القديم الأفريقى والسامى على حد سواء.

(٧) من الراجح أنها مناجم النحاس فى سيناء.

(٨) يطلق هذا الإسم على البحر ولأن مياهه وأمواجه على غرار النبات تتجدد بلا انقطاع وإلى الأبد. والمقصود به هنا، هو البحر الأحمر.

(٩) يعادل الذراع ٥٢ سم.

(١٠) ليس فى وسعنا فى هذا المقام ان نغفل تسجيل بعض أوجه الشبه - وإن كانت مادية تماماً - مع قصة جلجاميش السومرية (ثم البابلية). إن السفينة التى سمحت للحكيم «أوبا ناهستيم» ان ينجو من الطوفان الذى أرسلته الآلهة على الأرض كان يبلغ طولها ١٢٠ ذراعاً. والسفينة التى أبحر على متنها جلجاميش لينضم إلى الحكيم فى الجزيرة كانت مصنوعة من ١٢٠ جذع شجرة. كما ستظهر أيضاً أوجه شبه عميقة وأسطورية - بين الروايتين.

(١١) حرفياً: «ان الخشب (من المحتمل أنها السارية أو قطعة خشب من السفينة المتصدعة) هو الذى ضربها من أعلى».

- (١٢) إن رمزية هذا الحيوان الإلهى هى بالتأكيد رمزية شمسية، فحسب المعتقدات المصرية كانت الشمس من ذهب والسماء من اللزورد، والحية هى لحية مستعارة إلهية أو ملكية.
- (١٣) المدكا» من العناصر المكونة لكل فرد، انه القوة المحركة، الطاقة الحيوية للكائن.
- (١٤) إشارة إلى الشهب، الكثيرة العدد فى سماء مصر.
- (١٥) نوع من البخور، كان يستخدم فى القرايين المعطرة مصدرها السواحل الشرقية للبحر المتوسط وجزيرة كريت وقبرص واليونان.
- (١٦) مادة عطرية مصدرها الساحل الأفريقى من البحر الأحمر، على نحو خاص.
- (١٧) يعبر هذا الخطاب الحماسى عن فرحة الإنسان العارف بالجميل بعد نجاته من الموت.
- (١٨) ان مصر هى بالطبع المعنية هنا، فهى مسقط رأس «الفريق» .
- (١٩) منطقة صومالية منتجة لأشجار البخور.
- (٢٠) منتج عطرى ناتج من ريزومات عشب الأكورس.
- (٢١) مسحوق تجميل اسود يستخدم كفسول للعين .
- (٢٢) يمكن أن تقام شعيرة التعبد لإله، لصالح شخص آخر خلاف المصلّى ذاته، كعرفان بالجميل لهذا الشخص.
- (٢٣) هنا تنتهى قصة مغامرة الزميل - الذى يواصل حديثه مع الأمير الذى بدأه فى مستهل النص .
- (٢٤) كلمات متشائمة لانسان يخشى القدر الذى ينتظره رغم تشجيع صديقه.
- (٢٥) صيغة يستخدمها النساخ وهى ان صح التعبير بمثابة التوقيع على عملهم.

(٢٦) النص مسطور على بردية يحتفظ بها المتحف البريطانى British Museum (رقم 10682) :
بردية شيستر بيتى رقم ٢ Chester Beatty noII . والصفحات الاولى مليئة بالفجوات، ويرجع تاريخ البردية إلى الأسرة التاسعة عشرة، (١٢٠٠ ق.م. تقريباً)

النص المصري : Alan H. Gardiner, Late Egyptian stories, I, Bruxelles, 1931, PP. 30-36
(Bibliotheca. Aegyptiaca, Vol. I.)

- (٢٧) حرفياً : «شكلها».
- (٢٨) لمعاقبة هذه المرأة بالإعدام.
- (٢٩) عاصمة الإقليم السابع عشر من أقاليم الوجه البحرى، البلون، حالياً.
- (٣٠) طبقاً لهذا الوصف المهيّب : قد تكون مؤخرة الثور فى الدلتا، وجسمه هو محور وادى النيل، وبشكل قرناه همزة الوصل بين سلسلة جبال الصحراء الشرقية وسلسلة جبال الصحراء الغربية، وإذا يتجه

- إلى الجنوب، فهو يعتبر صورة لمصر، بطولها وعرضها.
- (٣١) منطقة فى التوبة تقع إلى الشمال من الجندل الثالث.
- (٣٢) لاشك إنه الحكم الصادر عن المحكمة الإلهية، والنص المصرى غير واضح.
- (٣٣) تعويذة سحرية للقسم - تربط بفضل فاعلية الكلمة، أبدية وجود آمون والملك بحياة الإنسان.
- (٣٤) نهاية النص (سطر واحد ونصف السطر) مليئة بالفجوات.
- (٣٥) راجع الفصل الثالث من الباب الأول : «المعارك ضد «ست»».
- (٣٦) النص مدون على بردية «أوربينى» Orbiney، ويحتفظ بها فى الوقت الراهن المتحف البريطانى British Museum (رقم 10183) ويرجع تاريخ البردية إلى نهاية الأسرة التاسعة عشرة (حوالى عام ١٢١٠ ق.م).
- النص المصرى : Alan H. Gardiner, late Egyptian stories, I, Bruxelles, 1931, PP. 9-30 (Bibliotheca Aegyptiaca, Vol. I.)
- (٣٧) اسم مصرى، صحفه الإغريقية إلى «أنوبيس».
- (٣٨) الأبيض هو لون نور الشمس.
- (٣٩) فى زمن انحسار الفيضان عندما تنسحب مياه النيل من التربة التى خصبها الطمى، أى قرب نهاية شهر أكتوبر.
- (٤٠) كان المحراث تجره بقرتان يتولى الفلاح توجيههما من الخلف.
- (٤١) إله شمسى - «رع حورس الأفقين».
- (٤٢) كان ساحل فينقيا يضم بلدة تحمل هذا الاسم.
- (٤٣) نقل موضوع من مواضيع الأسطورة الأوزينية.
- (٤٤) هذان العنصران هما من علامات الحداد، وهو الوضع الذى تتخذه النوائح المصاحبات للتأبوت إلى «دار الأبدية».
- (٤٥) «إله - كبش» كان يعتبر فى إسنا، بصعيد مصر، بمثابة خالق العالم؛ راجع : الفصل الأول من الباب الأول، وهو أيضاً الذى يشكل جسد البشر على عجلة الفخارى الخاص به.
- (٤٦) الربيات التى تتحكم فى مصير المولود الجديد.
- (٤٧) إله البحر وينحدر من أصول فينقية .
- (٤٨) يكشف النقاب عن سرّه ومغامراته.
- (٤٩) لما كان الضمير المبهم Pronom indéfini قد جاء مقترناً بالمخصص الدال على الإنكار الملكية والإلهية، لذلك فإنه يشير فى هذه الحالة إلى الملك ذاته لتجنب ذكر اسمه بشكل مباشر على الدوام،

- وهو أسلوب لم يكن قاصراً على اللغة المصرية، وسوف نكتب هذه الكلمة في ترجمتنا (الفرنسية) بحرف كبير On . (ونترجمها إلى العربية بكلمة «أحدهم» م.).
- (٥٠) حرفياً : «أولئك الذين يعرفون الأشياء»
- (٥١) هؤلاء الجنود هم صفوة الجيش المصرى ومدربون على المعارك الصدامية.
- (٥٢) اليوم اللاحق لليوم الذى تروى فيها الأحداث هو دائماً عند المصريين اليوم «الثانى»
- (٥٣) مثل الثيران المقدسة، فالثور هو الحيوان الشمسى بالدرجة الأولى.
- (٥٤) وكأنه يقدمها لكائن الهى، كان فرعون قد تعرف فى الحال على طبيعته المقدسة.
- (٥٥) إن تكرار هذه التمنيات دون كلل قد يبدو لنا أمراً رتيباً، ولكنهم كانوا يتوقعون ان يكون مؤثراً من خلال السحر الفعال للكلمة المنطوقة، انها سلسلة طلبات لك «محافظة» على الحياة.
- (٥٦) من الألقاب الشائعة لنواب الملك فى النوبة، بدءاً من عصر تحوتمس الرابع، انه منصب شرفى بالطبع، ان الأحداث الواردة فى هذه القصة تهدف إلى التأكيد على سطوة مصر على الاراضى المجاورة أو علاقاتها الوثيقة معها. الاراضى التى تمتد من سواحل فينيقيا (حيث يوجد «وادي شجرة الصنوبر»، على ما يرجح، وحتى قلب إفريقيا («كوش» هو الاسم الذى أطلق على الاراضى الواقعة، بين الجندلين الثانى والرابع على وجه التحديد)، وهى أيضاً قصة «إمبراطورية»، وتشهد على التوسع العظيم لامبراطورية الرعامسة.
- (٥٧) اى انه لحق «بأخوته الآلهة»، بعد وفاته على الأرض.
- (٥٨) الملك الجديد – «باتا» ذاته.
- (٥٩) الحياة الأبدية – بعد الوفاة على الأرض.
- (٦٠) شواطئ الأبدية.
- (٦١) هامش جورج ليفيغر :
- «إن كاتب هذا المخطوط هو الكاتب «إيثانا» الذى كان يعيش فى عهد مرينتاح سبيتاح» وفى عهد «سيتى» الثانى، وإلى جانب هذه النسخة، فهو أيضاً كاتب برديات «انستاسى» Anastasi IVA و Anastasi VI (وهى مجموعة خطابات) وAnastasi VII وساليية، Sallier II (أعمال أدبية)، لقد انجز عمله بناء على أوامر سيده كاتب الخزينة الملكية، «كاجابو» وتحت إشرافه، وإلى جانب هذا الاسم المحترم، أضاف «إيثانا» إسمى كاتبين من زملائه تكريماً لهما وهما «حورى» و«مريميت» (الذان لم يشتركا حقيقة فى اى عمل، (Contes et Romans, P158, note 88)).
- (٦٢) راجع الفصل الأول من الباب الأول : «الآلهة الثمانية فوق التل فى هرمبوليس».

الفصل الثانى

قصص الخوارق وعالم السحر.

١- الترفيه عن الملك خوفاً.

تضم بردية وحيدة، قصصاً عديدة، (البردية رقم 3033 فى متحف برلين، المعروفة ببردية «وستكار» Westcar) وهى للأسف مهشمة فى بعض أجزائها. وإذا كانت بداية البردية مفقودة فإن سياق النص يسمح لنا بفهم الحبكة التى تربط بين مختلف الحكايات التى تُروى لنا.

ذات يوم كان الملك يحاصر الملك «خوفو» فى قصره، فطلب من أبنائه وكان عددهم تسعة، بلا شك-أن يمثلوا بين يديه ليرووا له بعض القصص. نفس ما فعلته شهرزاد فى زمن لاحق مع السلطان شهريار على امتداد ألف ليلة وليلة. إن ضجر الملوك والترفيه عنهم هو موضوع شرقى وفرصة سانحة للاستماع إلى قصص جميلة فيها العجب العجائب، والمخطوط الذى وصلنا يعود تاريخه، كما هو واضح إلى الأسرة الخامسة عشرة، عام ١٧٠٠ ق.م-تقريباً، أى بعد مرور حوالى ألف سنة على الأحداث التى يرويها-الأمر الذى يبرز مدى استمرارية هذه الخرافات. إن القصص التى وصلت نصوصها كاملة، أو شبه كاملة، هى التى التزمنا فقط بترجمتها^(١)

١- المرأة الزانية

(القصة الثانية) (٢)

عندئذ نهض «خعفر» ابن الملك ليتحدث [قائلاً: «سوف أروى على مسامع جلالتك] قصة فيها العجب العجائب، حدثت في زمن أبيك الملك «نب كا» - «الصادق القول» (٣) - بينما كان ذاهباً، ذات يوم - إلى معبد «بتاح» في «عنخ تاوى» (٤) وكان من عادة جلالته عندما يتوجه إلى هذا المكان، أن يصطحب معه «وياونر» (٥) رئيس الكهنة المرتلين (٦) غير أن زوجة هذا الأخير... [اختفى سطران، من الراجح انهما كانا يصفان كيف أن رجلاً خسيساً أخذ يراودها عن نفسها]، وطلبت أن يُقدم (لهذا الرجل) صندوق ملئ بالملابس... فهم وجاء بصحبة الخادمة، وبعد انقضاء عدة أيام، ونظراً لأنه كان [فى حديقة] «وياونر» جوسق (للترويح) قال «الخسيس» لزوجته هذا الأخير: «ألا يوجد جوسق؟... هيا! إذن نقض فيه لحظة»، فتحدثت المرأة إلى مدير البيت المكلف بالإشراف على الحديقة (قائلة): «مرّ بتجهيز جوسق الترويح». ثم توجهت إليه حيث أمضت يوماً تشرب... وبعد ذلك نزل الرجل الخسيس إلى البركة... (٧)

وبعد أن أضيئت الأرض من جديد، ومع حلول يوم ثان... [فقرة جديدة مهمشة إلى حد كبير، ويفهم أن مدير البيت قد أخطر سيده «وياونر» بما حدث]، [وقال له] هذا الأخير: «احضر لى صندوقى الصغير المصنوع من خشب الأبنوس ومن الذهب»، و[شكل] تمساحاً [من الشمع] طوله سبع بوصات (٨) وقرأ [عليه تعويذة سحرية] (قائلاً): «كل من سيأتى ليستحم فى بركتى، [أمسك به... وعلى وجه التحديد] هذا الرجل الخسيس». ثم أعطاه للخادم قائلاً: «بعد أن ينزل هذا الرجل الحقيقير إلى البركة، حسب عاداته اليومية ألقِ التمساح خلفه». وقفل الخادم عائداً، حاملاً معه التمساح (المصنوع) من الشمع.

(ثم كان أن) قالت زوجة «وياونر» لمدير المنزل المكلف بالإشراف على الحديقة: «مرّ بتجهيز جوسق الترويح المجاور للبركة، فإننى أنوى الذهاب لأستريح فيه». ومن ثم تم تزويد الجوسق بكل الأشياء الجميلة والطيبة، وذهب «كلاهما» إليه وأمضيا فيه يوماً

سعيداً - وذلك فى صحبة الرجل الخسيس . وعندما أقبل الليل، عمل هذا الأخير ما اعتاد عليه (ونزل إلى البركة). عندئذ ألقى الخادم خلفه فى الماء التمساح الشمع. وفجأة صار الحيوان تمساحاً (طوله) سبعة أذرع،^(٩) فأمسك بالخسيس.

ظل «وياونر» مع جلالة ملك الوجهين القبلى والبحرى، «نب كا» [صادق - القول] سبعة أيام، بينما الخسيس فى أعماق [البركة لا يستطيع] أن يتنفس، وبعد هذه الأيام السبعة رحل ملك الوجهين القبلى والبحرى «نب كا»، «صادق القول»... وأخذ رئيس الكهنة المرتلين مكانه أمامه وقال له : «فليحضر لمشاهدة أعجوبة حدثت فى زمانها!» (وذهب الملك مع) «وياونر». فنادى هذا الأخير على التمساح قائلاً : «احضر الخسيس (أمامى)... عندئذ قال جلالة ملك الوجهين القبلى والبحرى «صادق - القول» : «طبعاً، إن هذا التمساح (حيوان) مربع»، وانحنى «وياونر» ، وامسك بالحيوان الذى صار فى يده من جديد تمساحاً من شمع. عندئذ قصّ رئيس الكهنة المرتلين على ملك الوجهين القبلى والبحرى «نب كا» - «صادق - القول» ما اقترفته هذا الرجل الخسيس مع زوجته فى منزله الخاص، وقال جلالتة للتمساح : «اذهب بما أصبح ملكك (من الآن) !» عاد التمساح إلى اعماق البركة، ولم يعرف ابداً أين ذهب بمغنمه.

ثم أن جلالة ملك الوجهين القبلى والبحرى «نب كا» - «صادق - القول» أمر بالقبض على زوجة «وياونر»، التى اقتيدت إلى أرض تقع إلى الشمال من المقر الملكى . وتم إحراقها وألقى رمادها فى النهر.

انظر، هذه هى حكاية فيها العجب العجيب حدثت فى عصر والدك، «نب كا» ملك الوجهين القبلى والبحرى وقد وقت لرئيس الكهنة المرتلين، «وياونر».

عندئذ قال جلالة ملك الوجهين القبلى والبحرى، «خوفو» - «صادق - القول» : «فلتقدم قرابين من ألف رغيف ومائة إبريق جعة وعجل ومكيالى بخور ملك الوجهين القبلى والبحرى «نب كا» «صادق - القول»، وليقدم فى نفس الوقت، رغيف وإبريق جعة وقطعة لحم ومكيال بخور لرئيس الكهنة المرتلين «وياونر»، لأننى استطعت أن أقف على مثال معرفته (السحرية) .» وتم تنفيذ كل ما أمر به جلالتة.

ب- قرط المرأة التي تقوم بالتجديف.

(القصة الثالثة) (١٠)

عندئذ نهض «ياو - إف - رع» ليتحدث قائلاً : «سأعمل لإطلاع جلالتك على حكاية (أخرى) فيها العجب العجيب، حدثت في زمن أبائك الملك «سنفرو» - «الصادق - القول» ووقعت لرئيس الكهنة المرتلين «چاچا إم عنخ»^(١١)، وهو أمر لم يسبق أن حدث قط ...

ذات يوم ، (كان الملك «سنفرو» يطوف) في مختلف حجرات قصره الملكي، بحثاً عن شيء يروّج به عن نفسه^(١٢) فلا يجد شيئاً. عندئذ قال : «هيا احضروا رئيس الكهنة المرتلين، ناسخ الأسفار (المقدسة)، «چاچا إم عنخ»، ليمثل (أمامي)، فأحضروه له في الحال. وقال له جلالته آنذاك : «لقد طفت بمختلف حجرات القصر الملكي - فليحي ويزدهر ويكن في صحة طيبة»^(١٣) - بحثاً عن بعض الترفيه فلم أجده. (هنا) أردف «چاچا إم عنخ» قائلاً «فليتجه جلالته إلى بركة القصر الملكي»^(١٤) وهناك، سيجهّز من أجلك قارب بجميع الفتيات الجميلات من الأجنحة الخاصة في قصرك، عندئذ، لن يتوقف قلب جلالتك عن الترويح عن نفسه، فيما أنت تتأملهن وهنّ يجدفن، من هنا لهنّك، كما سيكون في وسعك أن ترى هناء الأعشاش التي تضمها بركتك، وترى الحقول التي تحف بها وأجامها السعيدة. وستروح عن قلبك بكل ذلك» - (الملك) : «إني أنوى بالتاكيد أن أنظم لنفسى رحلة (على متن) مركب، احضروا لى عشرين مجدافاً مصنوعة من خشب الأبنوس ومغشاة بالذهب، ومقابضها من خشب الصندل المغشى بالذهب الخالص أيضاً. احضروا لى أيضاً عشرين امرأة تكون أجسادهن هي الأجل، وتكون نهودهن أيضاً جميلة ، وشعرهن مجدولاً حندلاً حسناً، نساء لم يفتضضهن الإنجاب بعد، وليعطين في نفس الوقت عشرين شبكة، بعد أن يخلعن ملابسهن ، وتم تنفيذ كل الأوامر التي أصدرها جلالته.

ها هن إذن يجدفن، من هنا لهنّك، وقلب جلالته مفعم بالسعادة لمشاهدتهن على هذا النحو : وفجأة، أخذت إحداهن في مؤخرة المركب تجدل جديلتها، وسقط (منها) في الماء قرط من الفيروز الجديد على هيئة سمكة، عندئذ لم تعد الفتاة تتحرك، بل إنها توقفت عن التجديف، وزميلاتها في ذات الصف^(١٥)، فعلمن نفس الشيء، وقال

جلالته : « لم لا تجدفن؟ » قلن : « لأن «قائدتنا» توقفت.» عندئذ قال جلالته لهذه الأخيرة : « لم لا تريدين أن تجدفى؟ » فأجابت : « إن قرطى المصنوع من الفيروز الجديد سقط فى الماء ... » (قال) جلالته : « سأعطيك بدلاً منه. » (قالت) الفتاة : « إنى أحب هذا وليس شبيهه. » عندئذ قال جلالته : « فليحضر أمامى رئيس الكهنة المرتلين «چاچا إم عنخ.» ومثل فى الحال بين يديه. فقال له جلالته : « يا أخى^(١٦) چاچا إم عنخ، » لقد تصرفت حسب كلامك، وتم ترويح قلب جلالتي وأنا أتأمل هؤلاء المجذفات.. ولكن قرط الفيروز الجديد الذى يخص «القائدة» سقط فى الماء. وعندئذ، توقفت هذه الأخيرة، لا تريد التجديف، وأصاب الإضطراب زميلاتها فى نفس الصنف، وقلت لها : « لماذ لا تريدين التجديف؟ » فأجابتنى قائلة : « لأن قرطى المصنوع من الفيروز الجديد قد سقط فى الماء » فقلت لها «جدفى إذن، وسوف أعطيك بدلاً منه» لكنها أخبرتنى بأنها تفضل هذا القرط على (آخر) شبيه به.

عندئذ نطق رئيس الكهنة المرتلين «چاچا إم عنخ» بالتعاويذ السحرية التى كان على علم بها^(١٧)، فصار فى وسعه ان يضع نصف ماء البركة فوق النصف الآخر، فعثر على القرط موضوعاً فوق قطعة صخر، وتناوله وأعادته إلى صاحبتة. أما ماء البركة الذى كان يبلغ عمقه (أصلاً) إثنى عشر ذراعاً عند مركزها^(١٨)، فقد أصبح عمقه أربعة وعشرين ذراعاً بعد قلبه. (ووضع نصفه فوق النصف الآخر). ثم نطق «چاچا إم عنخ» من جديد بالتعاويذ السحرية التى كان على علم بها وأعاد ماء البركة إلى وضعه (السابق).

ثم قضى جلالته يوماً سعيداً فى صحبة البيت الملكى كله - ليحى ويزدهر ويكن فى صحة طيبة - وكافاً رئيس الكهنة المرتلين «چاچا إم عنخ»، بكل الأشياء الجميلة والطيبة.

انظر، هذه هى حكاية فيها العجب العجاب وقد حدثت فى زمن أبيك، «سنفرو» - «الصادق - القول» - ملك الوجهين القبلى والبحرى، وقد وقعت لرئيس الكهنة المرتلين محرر الأسفار (المقدسة)، «چاچا إم عنخ».

عندئذ تحدث جلالة ملك الوجهين القبلى والبحرى «خوفو» - «الصادق - القول» قائلاً: فلتقدم قرايين لجلالة ملك الوجهين القبلى والبحرى «سنفرو» - «الصادق - القول»، (قرايين) من ألف رغيف، ومائة إبريق جعة وعجل ومكيالى بخور، وفى نفس

الوقت فليقدم لرئيس الكهنة المرتلين، محرر الأسفار (المقدسة) «چاچا إم عنخ»، رغيف وإبريق جعة ومكيال بخور، لأننى استطعت أن أقف على مثال لمعرفة (السحرية).» وتم تنفيذ كل ما أمر به جلالته.

ج- الساحر «جدى».

(القصة الرابعة) (١٩)

عندئذ نهض «چدف حور» ابن الملك ليتحدث قائلاً: «(لقد) استمعت لنماذج لما كان فى وسع من ينتمون (الآن) إلى الماضى، أن يفعلوه بفضل معارفهم، ولا يمكن أن يميز فيها المرء الحق من الباطل. ولكن فى عهد جلالته، فى زمك أنت ، رجل لا تعرفه [وأن كان ساحراً غزير العلم].» قال جلالته :«من هو إذن، يا «چدف حور»، يابنى ؟». فأجاب «چدف حور» ابن الملك : «يوجد عجوز^(٢٠) اسمه «جدى» يقيم فى (مدينته) «چد سنفرو»^(٢١) - «سنفرو» - «صادق - القول»، إنه عجوز بلغ من العمر مائة وعشر سنوات، ومازال إلى يومنا هذا يأكل خمسمائة رغيف وطعامه من اللحم نصف عجل ويشرب فى نفس الوقت مائة إبريق جعة. ويعرف كيف يعيد رأساً إلى مكانه بعد قطعه، ويعرف أيضاً كيف يجعل أسداً يسير خلفه، ورسنه ملقى على الأرض، ويعرف أسرار معبد «تحوت»، غير أن «خوفو» - «الصادق - القول» - ملك الوجهين القبلى والبحرى، كان يقضى أيامه يبحث لنفسه عن أسرار معبد «تحوت»، ليأمر بأن يصنع شئ مماثل لأفقه.^(٢٢)

عندئذ قال جلالته : «هيا اذهب بنفسك لاحضار هذا الرجل، يابنى «چدف حور».» جُهِزَت سفن لابن الملك، «چدف حور» وصعد هذا الأخير النيل^(٢٣) فى اتجاه «چد سنفرو» - «سنفرو» الصادق القول. وبعد أن رست هذه السفن عند الشاطئ، واصل الأمير (الرحلة) عبر الطريق، بعد أن جلس على كرسي من خشب الأبنوس محمول

(على الأكتاف)، محفة من خشب «سيسينم»^(٢٤) المغشى بالذهب. وعندما وصل على مقربة من «جدى» أنزل (الحمالون) المحفة ونهض الأمير ليتحدث إلى الرجل. ووجد «جدى» راقدًا على حصيرة، أمام عتبة منزله. وكان خادم ممسكاً برأسه، يدلكها بدهون الطيب. وكان آخر يدلك قدميه وساقيه. عندئذ قال «جدف حور» ابن الملك : «إن حالك هو حال رجل يحيا قبل ان تحل به الشيوخة بزمان طويل» - فالشيخوخة هي زمن «الرسو» زمن الوضع فى التابوت، زمن الدفن - أما أنت فأنت تستريح، فى انتظار اليوم، بلا آلام وبلا نوبة سعال. وهكذا تقدم التحية لرجل مبجل.

لقد حضرت إلى هنا مناشدًا إياك، ومعنى رسالة من إبنى، الملك «خوفو» - «الصادق - القول»، سوف يكون فى وسعك أن تأكل أطعمة فاخرة، من تلك التى يقدمها الملك، والغذاء المخصص لمن فى حاشيته. وسوف يعمل على ان تنتقل فى الأيام الهنية، إلى ابائك الذين فى الجبانة». وتحدث «جدى» على النحو التالى : السلام عليك ! السلام عليك ! (أيا) «جدف حور»، يا ابن الملك، المحبوب من أبيه. فليئن عليك أبوك، الملك «خوفو» - «الصادق - القول» ! فليجعل وظيفتك مرموقة بين الأقدمين، فليطرد «كا» وك الأفعال (الشريرة) التى يدبرها لك عدوك ! ليت «با»^(٢٥) يتعرف على الدروب التى تقود الى الباب الذى يحرسه «حبس باج»^(٢٦). وهكذا تؤدى التحية لابن الملك! عندئذ إليه الأمير الملكى «جدف حور» ساعديه وساعده على النهوض. ثم اتجه معه عندئذ مدّ إليه إلى الشاطئ وقد أخذ بيده. وتحدث «جدى» قائلاً : «امدونى بمركب، لتنقل معى أولادى وكتبى»^(٢٧). وأعطى قاربين وطاقمهما، وانصرف «جدى»، هابطاً النهر، فى نفس القارب الذى كان على متنه «جدف حور»، ابن الملك.

وبعد أن وصل الأمير «جدف حور» إلى المقر الملكى، دخل لإبلاغ النبأ لصاحب الجلالة «خوفو» - «الصادق - القول»، ملك الوجهين القبلى والبحرى. وقال : «أيها العاهل الملكى - ليحى وزدهر ويكن فى صحة طيبة! - ياسيدى، لقد حضرت «جدى». فأردف جلالته قائلاً : «هيا احضره أمامى». ودلف إلى قاعة إستقبال «البيت الكبير» - ليحى وزدهر ويكن فى صحة طيبة! عندئذ مثل «جدى» بين يديه، فقال له جلالته : «لما إذا يا «جدى» لم يتيسر لى حتى الآن أن أراك؟» فأردف هذا الأخير قائلاً : «أيها العاهل الملكى - ليحى ويدهر ويكن فى صحة طيبة ! فإن من

يُستدعى هو الذى يحضر، فحضرت عندما استدعيت.» - جلالتة: «أيقال عنك الحقيقة، بمعنى أنك تعرف كيف تعيد الرأس المقطوع؟» «جدى»: «نعم، إنى أعرف ذلك، ياسيدى، أيها العاهل الملكى- ليحى ويزدهر ويكن فى صحة طيبة ! - جلالتة : «على هنا بالمسجون الذى فى زنزانته، بعد أن يقطع رأسه.» عندئذ تحدث «جدى»: «لا (فلا يمكن) فى الحقيقة (أن نفعل ذلك) بكائن بشرى، يا سيدى، أيها العاهل الملكى- ليحى ويزدهر ويكن فى صحة طيبة - انظر لا يسعنا أن نأمر بعمل مثل هذه الأمور فى قطيع الإله المقدس^(٢٨)». عندئذ احضروا له أوزة، كانت قد قطعت رأسها، ووضعت هذه الأوزة فى الجانب الغربى من قاعة الإستقبال، فى حين وضع رأسها فى الجانب الشرقى. ونطق «جدى» التعاويذ السحرية التى يعرفها، فانتصبت الأوزة وهى تتمايل ورأسها أيضاً. وبعد أن التقت الأولى بالآخر، وبعد أن وقفت الأوزة أخذت تصيح، وأمر «جدى» بإحضار أوزة (أخرى) (معروفة باسم) «الخشب الكبير» وفعل بها نفس الشئ. ثم أمر جلالتة بإحضار عجل (وسرعان)، سقط رأسه على الأرض. (ومن جديد) نطق «جدى» التعاويذ السحرية التى يعرفها، فانتصب العجل... (فجوة، وفى وسعنا أن نفترض أن العملية ذاتها قد تمت مع أسد^(٢٩)). وأخذ الأسد يمشى خلفه بينما رسنه يتجرجر على الأرض.

عندئذ نطق [جلالة] الملك «خوفو» - «الصادق القول» - هذه الكلمات: «أتعرف عدد أسرار معبد «تحت»؟ «فأجاب «جدى»: «ياصاحب الحمدا! إنى لا أعرف عددها، ياسيدى، أيها العاهل الملكى - ليحى ويزدهر ويكن فى صحة طيبة! ولكنى أعرف مكان وجودها.» - جلالتة: «فأين هى؟» - «جدى»: «يوجد صندوق من الصوان، فى حجرة تعرف بـ«حجرة الجرد» فى «هليوبوليس»^(٣٠) هناك تجد (الإجابة).»

- جلالتة: «أذهب وعلى به». ولكن «جدى» أردف قائلاً: «أيها العاهل الملكى ليحى ويزدهر ويكن فى صحة طيبة ! - انظر، ياسيدى، لن أتولى أنا إحضاره.» - جلالتة: «من إذن يحضره لى؟» - «جدى»: «إن أكبر الأطفال الثلاثة الذين فى بطن «ردچدت»، هو الذى سيحضره لك.» - جلالتة: «أرجو ذلك بكل تأكيد. ولكن أخبرنى بصد ما قلت، فمن هى هذه (المدعوة) «ردچدت»؟» - «جدى»: «إنها زوجة كاهن «وعب»^(٣١) (فى خدمة) «رع»، سيد «ساخبو»^(٣٢). إنها حامل من «رع». سيد

«ساخبو» بثلاثة أطفال. وقد قال بصددهم إنهم سيشغلون هذه الوظيفة المرموقة المباركة فى ربوع البلاد^(٣٣)، كما سيصبح أكبرهم «كبير الرائين»^(٣٤) فى «هيلوبوليس». أدرك الحزن عندئذ قلب جلالته^(٣٥)، بسبب ذلك. ولكن «جدى» تحدث قائلاً : «ما هو إذن هذا المزاج، ياسيدى، أيها العاهل الملكى - ليحى ويزدهر ويكن فى صحة طيبة! أمرّد ذلك إلى ما قلته لتوّى؟ ولكن ابنك، ثم ابن هذا الأخير ثم أحد أبناء «ردجدت»؟ - (سوف يتولون العرش على التوالى).» قال جلالته : « فى أى وقت ستضع «ردجدت»؟ جدى : «سوف تضع فى اليوم الخامس عشر من الشهر الأول من فصل الإنبات»^(٣٦) - جلالته : «سيحدث ذلك إذن فى الأيام التى تجف فيها الشطوط الرملية «لقناة السمكتين»، وإلا لكنت قد عبرتها لأشاهد معبد «رع»، سيد «ساخبو»، - «جدى» : «سأعمل بحيث تظهر أربعة أذرع من الماء فوق الشطوط الرملية «لقناة السمكتين»».

عندئذ توجه جلالته إلى قصره وقال : «فليؤمر «جدى» بأن يذهب إلى منزل الابن الملكى، «چدف حور»، ليقم من الآن فى صحبتة، ولتحدد أنصبته فى المأكل وهى كما يلى : ألف رغيف ومائة إبريق جعة، وعجل ومائة حزمة خضار». وتم تنفيذ كل ما أمر به جلالته.

لقد قدمنا سلسلة من القصص المتنوعة والبارعة، خصصت للترويح عن نفس الملك. وتظهر فيها الروح المصرية مولعة بالأعاجيب وعلى درجة كبيرة من الإنسانية، وحريصة أيضاً على إنصاف كل حياة.

إن السحر الذى يلعب دوراً كبيراً فى الفكر المصرى، يحتل مكانة بارزة فى هذه القصص التى تتداخل فيها الأعيب السحرة وبراعتهم. وتسخر القصة الأولى السحر الأسود أو الشعوذة لأغراض شخصية. وإذا كانت حبكة ثانى هذه القصص هزيلة إلى حد ما، فإن نهايتها جديرة بالملاحظة: إن «براعة» چاچا إم عنخ تلح علينا لتذكرنا بالطريقة التى لجأ إليها موسى ليتمكن من عبور البحر الأحمر*. ولكن موسى الذى حصل على تنشئة فى بلاط مصر، وهى التنشئة التى جاد بها كرم

* راجع سفر الخروج - ١٤ : ١٥ - ٣١. (المترجم)

فرعون، كان على دراية بهذه القصص الحافلة بالعجب العجائب و«بمهارة» الكهنة السحرة الذين فى خدمة فرعون. وكان «جدى» أكثرهم علماً، فيعرف كيف يعيد صياغة عمل الخالق بعد أن تقوض بصفة مؤقتة، بل فى وسعه أن يعدل من إيقاع فصول السنة المتحكمة فى الكون - وكان أيضاً أكثرهم إنسانية فهو يأبى أن يضحي «بإنسان»، إرضاءً لفضول الملك، وإن كان هذا الإنسان مسجوناً.

٢- الأمير وأقدراه الثلاثة المكتوبة (٣٧)

كان ويا ما كان، على ما يحكى أن ملكاً (من ملوك مصر) لم يكن قد رزق مولوداً ذكراً... عندئذ، تضرع إلى الآلهة من حوله لترزقه ابناً. فقضت هذه الأخيرة بأن يولد له (ولد). وخلال هذه الليلة ذاتها، حملت زوجته منه، بينما كان يباشرها. وبعد أن أتمت عدة الشهور اللازمة للولادة، وضعت مولوداً ذكراً. وهمت آنذاك، التحورات السبع (٣٨) بالحضور لابلغ قدره المكتوب قائلة: «سيلقى حتفه على يد تمساح أو ثعبان أو كلب أيضاً...» سمع (هذا الكلام) من كانوا بجوار الطفل فنقلوه إلى جلالته - فليحي ويزدهر ويكن فى صحة طيبة! عندئذ تملك الحزن قلب جلالته، بما يفوق كل تعبير. فأمر جلالته - فليحي ويزدهر ويكن فى صحة طيبة! - بأن يشيد للطفل منزل من حجر فى الصحراء. وجُهِزَ بطاقم من الخدم وكل الأشياء الجميلة والطيبة، الخاصة بالقصر الملكى - فليحي ويزدهر ويكن فى صحة طيبة!... ولكن كان على الطفل ألا يبارح المنزل.

ولما شب وترعرع، صعد ذات يوم إلى السطح، فشاهد كلباً يسير على الطريق وهو يتعقب رجلاً. وقال لل خادم الواقف بجواره «ما هذا الذى يسير إذن خلف هذا الرجل الذى يتقدم على الطريق؟» فأجابه: «إنه كلب». عندئذ قال له الصبى: «مر بإعطائى كلباً مماثلاً». وذهب الخادم إلى جلالته - فليحي ويزدهر ويكن فى صحة طيبة! - ليخبره بذلك، فقال جلالته: «احضروا له إذن جرواً يقفز ويتفجر حياة،

فتتبدد أحزان قلبه.» وأحضر الكلب للأمير الصغير.

وبعد أن مرت الأيام واشتد عود الطفل، أوفد (رسولاً) إلى أبيه ليقول له : « ترى ماذا سيحدث لو مكثت على هذا النحو؟ أنظر أنا أسير قدرى. اسمح إذن أن أتمكن من التصرف كما يهواه قلبى. وما سيفعله الإله إنما هى مشيئته» وهكذا، أعدت له مركبة، جهزت بمختلف أنواع أسلحة الحرب وخصص خادم ليتبعه كرفيق، وتم نقله إلى البر الشرقى (من النهر). وقيل له : « واصل الآن طريقك حسب هواك.» وكان كلبه معه، ورحل فى اتجاه الشمال، فى الصحراء، حسبما كان يريد. وكان يأكل من أفضل صيد الصحراء.

ووصل ذات يوم عند أمير «نهارينا»^(٣٩). ولم يكن هذا الأمير قد رزق أولاداً ما عدا فتاة واحدة. ومن أجل هذه الأخيرة، شيد منزلاً كانت نافذته تبعد عن الأرض سبعين ذراعاً^(٤٠) وكان أمير «نهارينا» قد عمل على أن يحضر جميع أبناء كافة زعماء البلاد السورية وَاخبرهم قائلاً: « من منكم (إذا قفز) وصل إلى نافذة ابنتى (فهو الذى) سيتزوجها.»

وبعد أن مرت، أيام عديدة، وبينما كان يمارس هؤلاء تمرينهم اليومى^(٤١) مرّ بهم الأمير. فاصطحبوه حتى منزلهم وساعده على الإغتسال، وقدموا الطعام لفرسيه^(٤٢)، وصنعوا من أجله كل ما هو طيب: مسحوه بالطيب، وضمدوا قدميه، وقدموا لرفيقه الطعام، ثم قالوا له وهم يتبادلون أطراف الحديث: «من أين جئت أيها الفتى الجميل؟» فأجاب : «أنا ابن ضابط من أرض مصر^(٤٣) ولما توفيت والدتى، تزوج أبى من امرأة أخرى، صارت زوجة أبى، وأخذت تكرهنى شيئاً فشيئاً ، فرحلت هرباً منها.» عندئذ احتضنوه وقبلوه على جسده كله.

وبعد أيام عديدة أخرى، قال للفتية: «ولكن ماذا تفعلون إذن؟ (فأردفوا قائلين) : «منذ ما يقرب من ثلاثة أشهر ونحن نمضى وقتنا كل يوم فى القفز.^(٤٤) لأن من منّا سيجعل إلى نافذة ابنة أمير «نهارينا»، ستوهب هذه الأميرة زوجة له.» قال لهم : «آها! لو كانت قدماى لا تؤلمانى، لذهبت أنا أيضاً لأقفز معكم.» وهنا انصرفوا ليقفزوا حسبما اعتادوا عليه كل يوم، بينما كان الأمير الشاب، يقف بعيداً وينظر إليهم. عندئذ، ولت ابنة أمير «نهارينا» وجهها نحوه.

وبعد زمن قصير، همّ الأمير الشاب وجاء ليقفز مع أبناء الأمراء، وقفز إذن،

ووصل إلى نافذة ابنة أمير «نهارينا». فقَبَلته وعانقت جسده كله. وعلى ذلك، ذهب بعضهم ليخبروا والدها قائلين : «لقد وصل أحد الشبان إلى نافذة ابنتك». واستفسر الأمير على النحو التالي : «ابن مَنْ مِنَ الزعماء هو؟» فأجابوه قائلين : «إنه ابن ضابط، وقد جاء من أرض مصر، هرباً من زوجة أبيه». عندئذ استشاط أمير «نهارينا» غضباً شديداً وقال : «وَهَلْ أَهَبْ ابنتي لهذا الطريد المصري؟ اعملوا على أن يعود أدراجه». فذهبوا ليخبروا هذا الأمير قائلين : «عُدْ إذن من حيث أتيت». ولكن الفتاة أمسكت به، وأقسمت باسم الإله قائلة : «حقاً وكما أن الدوام هو - «رع - حور - أختي» (٤٥)، فلو أنتزع (هذا الشاب) بعيداً عني، فلن أكل أبداً، ولن أشرب أبداً، حتى أموت لساعتي». وانصرف الرسول ليلبغ أباهما بكل الكلمات التي نطقت بها. عندئذ أرسل هذا الأخير (الأب) البعض ليقتلوا الصبي، في مكان إقامته. ولكن الفتاة قالت : «حقاً، وكما أن الدوام هو - «رع»، فلو أن البعض قتلوه، لسوف أموت مع غروب النور الإلهي. (٤٦) فلن تمر على ساعة واحدة، من بعده، وأنا على قيد الحياة، (لن تمر ساعة واحدة). وذهبوا ليلبغوا هذه الأقوال لأبيها. فأمر هذا الأخير، عندئذ، بأن يمثل الصبي بين يديه (هو) وابنته معاً... وكان لكرامة الشاب وقع في قلب الأمير (٤٧). فاحتضنه هذا الأخير بين ساعديه وقبله في جسده كله وقال له : «حدثني عن ظروفك، لأنه كما ترى، فأنت من الآن في منزلة الابن بالنسبة لي». فأجابه الصبي : «أنا ابن ضابط في أرض مصر، ولما توفيت والدتي، تزوج أبي من امرأة أخرى، صارت زوجة أبي. وأخذت تكرهني شيئاً فشيئاً، فرحلت هرباً منها». عندئذ، وهبه الأمير ابنته. وأعطاه منزلاً وأراضى منزوعة، (كما أعطاه) في نفس الوقت، ماشية وكل ما هو جميل وطيب.

وبعد ذلك بفترة، قال الشاب لزوجته : «لقد كتبت على أقدار ثلاثة : التمساح والثعبان والكلب». فقالت له (على الفور) : «مُرْ بقتل الكلب الذي يتبعك». ولكنه أجاب قائلاً : «قد يكون ذلك (تصرفاً) أرعن فلن أسمح بقتل كلبى، الذي ربيته منذ أن كان جرواً». وعلى ذلك، فقد اشتدت، إلى حد بعيد، يقطتها على زوجها. وكانت لا تسمح له بأن يخرج بمفرده وأن يبتعد. (٤٨).

غير أنه، كان قد حدث في ذلك اليوم الذي جاء فيه الصبي من أراضى مصر.

هائماً على وجهه^(٤٩)، أن التمساح الذى كتبه القدر عليه.. [كان يتعقبه؟] لقد حلّ فى المدينة التى كان يقيم فيها الشاب قبل (وصوله) فقط ... وظل باقياً فى الماء. بيد أن روحاً إلهية، شديدة البأس، كانت موجودة فى هذه المياه. فلا تسمح للتمساح بالخروج منها، ولا يسمح التمساح للروح الإلهية، الشديدة البأس، أن تخرج للتنزه. (وعند الفجر) وبينما النور الإلهى يتألق، كان الغريمان، ينهضان منذ ثلاثة أشهر، كل يوم للقتال،^(٥٠).

ثم بعد ذلك بفترة، حدث ذات يوم، أن جلس الشاب فى منزله ليقضى نهراً سعيداً. وبعد أن (هبت) نسمة الليل العلية، رقد فوق مخدعه وغلب النعاس جسمه. وملاّت زوجته قصعة [بالنبيد] وأخرى بالجة. عندئذ خرج شعبان من جحره، وكان هدفه أن يلدغ الشاب. كانت زوجة (الشاب) جالسة بجواره ولكنها لم تكن نائمة. وجذبت القصعتان الشعبان الذى شرب فذبّ فيه الشراب وأثمله. ثم تمدد، وبطنه إلى أعلى. عندئذ، أمرت الزوجة أن يقطع ببلطتها، إرباً إرباً. وأيقظ البعض زوجها... وقالت له : «انظر، لقد وضع إلهك قدراً من أقدارك فى يدك. وسوف يسهر أيضاً عليك...» وأخذ من الآن يقدم القرابين لـ «رع»، متعبداً له، مسبحاً لمجده، كل يوم، وعلى مدار (اليوم).

خرج الشاب بعد ذلك بعدة أيام ليتنزه ويروح عن نفسه فى وسط أملاكه. ولم تخرج [معه زوجته] ولكن كان كلبه يرافقه. عندئذ أخذ هذا الأخير يتحدث [قائلاً: «إنى قدرك»^(٥١)]. وعلى ذلك، فقد أخذ الشاب يجرى أمامه، حتى وصل إلى الماء وقفز فيه... فامسك به التمساح (وحمله) حتى المكان الذى (اعتادت) أن تتواجد فيه الروح الإلهية، الشديدة البأس. [ولكن هذه الأخيرة لم تكن موجودة هناك]. فقال التمساح للشاب : «أنا قدرك الذى تعقبك (إلى هنا). وطوال الأشهر الثلاثة الماضية، وحتى اليوم، حاربت الروح الإلهية الشديدة البأس. ولكننى مستعد مع ذلك، أن أطلق سراحك، حتى إذا [حضرت] هذه الروح لمحاربتى، مددت لى يد العون وقتلتها...» وعندما ابيضت الأرض، ومع حلول يوم ثان همت [الروح الإلهية، الشديدة البأس] عائدة...

(هنا يتوقف المخطوط)

والأمر المؤسف بالطبع، أن نهاية المخطوط ليست فى حوزتنا، وهكذا، لا نستطيع معرفة ما إذا كان الرجل الذى بدا تحت رحمة، لعبة الأقدار، فى وسعه ان يردها بعون من الإله والتعضيد الخير من زوجته ساهرة، على غرار «إيزيس». وهذا أمر محتمل جداً، لأن «مخزون» الخوارق والسحر مع مخزون لا ينضب النسبة للروح المصرية - ولأن الإنسان يظل فى الفكر القديم ملاصقاً للآلهة التى تعايش معها خلال الأزمنة الأولى للكون^(٥٢). وفى هذا العالم المسحور، تمتزج الخوارق والأساطير فيصبح فى وسع جميع المخلوقات ان تتصل بعضها ببعض من خلال الكلمة، وهى هبة جوهرية وفاعلة. اننا نعيش فى عالم مسحور: فكان لابد ان يتعرف الأمير على أساليب السحر ليستطيع أن يقفز حتى نافذة الجميلة الموعودة. ويقارن «چوستاف ليفيغر»^(٥٣) بين هذه الواقعة وأحداث أخرى مماثلة تذكر فى قصص حديثة «روسية وبولندية وفنلندية وهندية: إذ يتعين أن يقفز البطل حتى الدور الثالث من القصر الذى تقيم فيه ابنة الملك. وفى قصة من إقليم «التيرويل»^{*}، على البطل أن يخطف زهرة من يد الفتاة الصغيرة الجالسة فوق عامود، وفى قصة من منطقة «أفارييس» فى القوقاز، عليه ان يقفز فوق برج». ومن المحتمل أنه قد حدث خلال تحركات الشعوب فى الألف الثانى قبل الميلاد، وهى شعوب قدمت فى قسم منها من مناطق قوقازية واستقرت فى اسيا الصغرى وفى أعالي وادى دجلة ووادى الفرات - من الراجح ان بعضها قد واصل زحفه جنوباً - وربما نقل بعض «المهاجرين» والتجار والجنود شيئاً من هذه الخرافات، إن مصر التى كان أهلها يحبون القصص حباً شديداً، مصر التى لم تكن أبداً بلداً معزولاً ولكنها كانت على الدوام مفتوحة على مصراعيها لمختلف الأفكار، ربما اضحت مستودعاً وصدىً لألوان «السحر» المختلفة والغابرة. كما ان مصر هى أيضاً بلد إفريقى، بلد نموذجى للسحرة.

* يقع هذا الإقليم فى وسط أوروبا ويتبع جزء منه إيطاليا والآخر النمسا. (المترجم)

٣- الاميرة القصية

المصابة بمس من الشيطان (٥٤)

«حورس» :- (٥٥) الثور الشديد البأس، العطرة إشراقاته المجيدة.
 «السيدتان» :- ذلك الذى ملكه على غرار (ملك) الإله «آتوم»
 «حورس الذهبى» :- ذو الحسام القوى عندما يصد الأقواس التسعة.
 ملك الوجهين القبلى والبحرى» :- سيد القطرين، «أوسر، ماعت . رع-
 ستپ، إن رع»، (٥٦)
 «ابن رع» :- الذى ينتسب إلى جسده، «رعسيس - محبوب - آمون» (٥٧)

محبوب «آمون - رع» ، رب عروش القطرين وتاسوع الآلهة سادة طيبة. الإله
 الكامل، ابن «آمون»، سليل «رع - حور أختى»، نطفة رب الكون النورانية، الذى
 انجبه «كاموت إف» (٥٨)، ملك مصر، حاكم الصحراء، العاهل الملكى الذى يستولى
 على الأقواس التسعة. (٥٩) ذلك الذى من أجله أعلنت الإنتصارات، وهو لا يزال فى
 بطن أمه، ذلك الذى اختص بالبطولة، وهو لا يزال فى البيضة، الثور الثابت القلب
 عندما يضرب أرض الحلبة، الملك الإلهى الذى يخرج يوم النصر، مثل «مونتو» (٦٠)،
 بقوة بأسه، مثل ابن «نوت»، (٦١) كان جلالته موجوداً فى بلاد «نهارينا» (٦٢)، كعادته
 كل سنة. (٦٣) وكان زعماء سائر البلدان الأجنبية، يأتون إليه وهم ينحنون، فى سلام،
 بسبب مجد جلالته الذى يمتد بعيداً، بُعد منطقة المستنقعات (٦٤)، كانوا يحملون على
 ظهورهم جزيتهم، ذهباً وفضة ولازوردا وفيروزاً، وشتى أنواع العطور الطيبة الوافدة
 من «أرض الإله»، (٦٥) كان كل (زعيم) يسعى إلى التفوق على جاره، وأمر أيضاً أمير
 «بختان» (٦٦) باحضار الهدايا التى انتقاها، ووضع ابنته الكبرى على رأسها. وكان
 يبغي بذلك ان يكرم جلالته، فيلتمس الحياة بجواره . بدت الفتاة لقلب جلالته، آيه فى
 الجمال، (بل) أجمل من أى شئ، (وهكذا) تحدت ألقابها : «الزوجة الملكية العظمى،
 «نفرو رع»، (٦٧). ولما وصلت جلالته إلى مصر، اضطلعت آنذاك، بكل ما يناط بزوجة
 ملكية.

فى العام الخامس عشر من (سنوات) الحكم، وفى اليوم الثانى والعشرين، من الشهر الثانى، من فصل الجفاف^(٦٨)، بينما كان جلالتة فى طيبة، أم المدائن، وقد إنصرف يقيم مراسم الشعائر الخاصة بأبيه، «أمون - رع»، رب عرشى القطرين فى عيده الجميل (عيد) «الأوبت»^(٦٩)، (وطيبة) هى مكانه المختار عند «المرّة الأولى»^(٧٠) - حدث أن جاء من يقول لجلالتة : «يقف هناك، رسول من لدن أمير «بختان»، محمل بالهدايا للزوجة الملكية .» وأدخل الرسول ليمثل فى حضرة العاهل الملكى ومعه هداياه، وقال وهو يقدم الإجلال للملك : «التسبيح لك ، يا شمس الأقواس التسعة»^(٧١)، أعطنا الحياة التى هى من صنعك.» وقال أيضاً وهو يخرّ ساجداً أمام جلالتة، مردداً هذه الكلمات : «لقد حضرت إليك، أيها العاهل الملكى، ياسيدى، بشأن «بنتريش»، الشقيقة الصغرى للزوجة الملكية «نفرو رع»، لقد تغفل المرض فى أعضائها، فليأمر جلالتك بأن يحضر عالم (من العلماء) لزيارتها.» فأجاب جلالتة: «فلتمثل أمامى هيئة موظفى «بيت الحياة»^(٧٢) وموظفو مجلس المقر الملكى.» ودخلوا فى الحال ليمثلوا بين يديه : «انظروا، لقد استدعيتم لتستمعوا لهذا الخطاب، على إذن برجل فطن، (ماهر) الأنامل فى (فن) الكتابة، رجل (مختار) من بينكم.» عندئذ جاء الكاتب «جحوتى إم حب»^(٧٣) ليقف أمام جلالتة الذى أصدر الأوامر بأن يسافر إلى أرض «بختان» فى صحبة الرسول.

هكذا وصل رجل العلم إلى أرض «بختان»، ووجد (أن حالة) «بنتريش» هى حالة شخص مسّته روح، وأدرك أن هذه (الروح) هى عدوينبغى محاربتها. عندئذ كثر أمير «بختان» رسالته إلى جلالتة قائلاً : «أيها العاهل الملكى، يا سيدى، ليت جلالتك يأمر باحضار إله»^(٧٤) [إلى «بختان»...] ووصلت [الرسالة] إلى جلالتة فى العام السادس والعشرين من (سنوات) حكمه^(٧٥) فى الشهر الأول، من فصل الجفاف، أثناء عيد «أمون»، بينما كان جلالتة فى طيبة.

عندئذ وجه جلالتة هذه الكلمات إلى «خونسو - فى طيبة - نفروحتوب»^(٧٦)، قائلاً: «ياسيدى الكامل، اتضرع إليك، بشأن ابنة أمير «بختان»، ثم نقل «خونسو - فى - طيبة - نفروحتوب» إلى «خونسو - المستشار»، الإله العظيم، طارد الشياطين الجواله. وعلى هذا، قال جلالتة، فى حضرة «خونسو فى طيبة - نفروحتوب» : «ياسيدى الكامل، إذا وليت وجهك شطر «خونسو - المستشار»، الإله العظيم طارد

الشياطين الجواله، لكان ذلك يعنى أنك تسمح بذهابه إلى أرض بختان» بكل وضوح، حتى الإله رأسه مرتين وقال جلالتة : «راع أن يكون سيالك السحرى معه. وعلى هذا ، سوف أعمل على إرسال «خونسو - المستشار»، إلى «بختان» ، ليشفى ابنة الأمير. وبكل وضوح ، حتى «خونسو - فى طيبة - نفرحوتب» رأسه، (من جديد)، ثم ، نقل السيال السحرى، أربع مرات، إلى «خونسو - المستشار- فى - طيبة».

وأمر جلالتة بمصاحبة «خونسو - المستشار - فى طيبة»، إلى القارب المقدس (الذى سترافقه) خمس سفن نقل كبيرة والمركبات والعديد من الجياد، يميناً ويساراً. ووصل هذا الإله أرض «بختان»^(٧٧) فى نهاية (رحلة استغرقت) سنة وخمسة أشهر. عندئذ تقدم أمير «بختان» مع جنوده وأعيانه، أمام «خونسو - المستشار» وخرّ ساجداً قائلاً : « لقد أتيت إلينا، معلناً رحمتك علينا، حسب أوامر ملك الوجهين القبلى والبحرى «أوسر ماعت رع - ستب إن رع».

عندئذ توجه الإله إلى حيث كانت تقيم «بنتريش»، وقام بنقل السيال السحرى إلى ابنة الأمير، وفى الحال أصبحت على ما يرام. وتحدثت الروح التى كانت قد مستّها إلى «خونسو - المستشار - فى - طيبة» قائلة : مرحباً بك، فى سلام، أيها الإله العظيم، يا طارد الشياطين الجواله لقد أصبحت «بختان» من الآن، مدينتك، وأهلها هم خدمك، وأنا أيضاً خادمك، وسوف أعود الآن، من حيث أتيت ، لأتيح بالتالى لقلبك أن يهدأ بشأن ما دفعك إلى القيام بهذه الرحلة، وليأمر جلالتك (الإلهى) بقضاء يوم سعيد فى صحبتى و(صحبة) أمير أرض «بختان». عندئذ أحنى هذا الإله رأسه ناحية كاهنه وقال: «وليُقدم أمير «بختان» قرباناً عظيماً من أجل هذه الروح». وفى غضون هذه الوقائع (التى كانت تدور بين) «خونسو-المستشار-فى-طيبة» والروح، كان أمير أرض «بختان» يقف هناك مع جنوده، وقد تولاه رعب شديد. عندئذ، قدم قرباناً عظيماً أمام «خونسو-المستشار-فى-طيبة»، وأمام الروح، ثم قضى أمير «بختان» يوماً سعيداً فى حضرتهم وبعد ذلك، انصرفت الروح فى سلام إلى مكان الذى اختارته، تنفيذاً لأوامر «خونسو-المستشار-فى-طيبة». وكان أمير «بختان» مبهتجاً إلى حد كبير، وكذلك جميع الأهالى المقيمين فى هذا البلد.

ثم أخذ يفكر فى صحبة قلبه^(٧٨) وجال فى خاطره: «سوف أسعى ليتجلى هذا

الإله هنا من الآن، لصالح أرض بختان، ولن أسمع بعودته إلى مصر». وبقي إذن هذا الإله في بختان لمدة ثلاث سنوات وتسعة أشهر.

ولكن، بينما كان الأمير راقداً، ذات يوم، فوق سريره، رأى (فى المنام) هذا الإله الذى كان قد غادر هيكله. وقد أصبح صقراً ذهبياً^(٧٩) وانطلق محلّقاً فى السماء متجهاً إلى مصر. واستيقظ وهو فى غاية الإضطراب. عندئذ تحدث الكاهن «خونسو-المستشار-فى-طيبة» قائلاً: «ما زال هذا الإله يقيم هنا معنا، ولكن عليه أن يعود الآن إلى مصر. لذا اعمل على عودة مركبته إلى هذا البلد.» وسمح أمير «بختان» بأن ينتقل هذا الإله إلى مصر. ووهبه هدايا كثيرة جداً، كل ما هو جميل وطيب، وجنوداً وحياداً بأعداد كبيرة.

وهكذا، وصلوا فى سلام إلى طيبة. وتوجه «خونسو-المستشار-فى-طيبة» إلى معبد «خونسو-فى-طيبة-نفرحوتب»، ليسلمه الهدايا التى وهبه أمير «بختان»، كل ما هو جميل وطيب، فى حضرة «خونسو-فى-طيبة-نفرحوتب»، دون أن يحتجز منها شيئاً لمعبده الخاص. ثم انضم «خونسو-المستشار-فى-طيبة» إلى محرابه فى سلام-فى اليوم التاسع عشر، من الشهر الثانى، من فصل الإنبات،^(٨٠) من العام الثالث والثلاثين (من حكم) الملك «أوسرماعت رع-ستب إن رع»، فليعمل موهوب الحياة، مثل «رع» للزمن اللانهائى.

تلك هى سلسلة من المغامرات الساحرة، حيث ينتهى الأمر إلى تفاهم الآلهة والأفراد والشياطين الذين أصابوا البشر بمسّ منهم، فيتعايشون تعايشاً سلمياً-ونشاهد الأقدار التى تحدت عند الميلاد وقد أصبحت مصدر مناقشات يحتدم بينهم وحلول وسط محتملة. ولكن هذه القصة هى أيضاً حكاية تصور الشياطين على خلفية تاريخية، فتعيد إلى الأذهان هيمنة مصر على الأراضى الآسيوية القصية. إنها قصة خرافية، تولدت بلا شك فى المخيلة الشعبية فى أعقاب حدث تاريخى معروف: ألا وهو زواج رع-مسيس الثانى، فى العام الرابع والثلاثين من حكمه من أميرة حيثية-وهو القران الذى استهدف تدعيم الميثاق السياسى الذى أبرم بين القوتين العظميين فى الشرق القديم. فأسوة، بـ «نفرورع» ولكنها قبلها بفترة طويلة كانت «ما أت-حور-نفرورع»^(٨١) قد وصلت إلى بلاط مصر قادمة من شمال

آسيا الصغرى، قاطعة رحلتها التى استمرت عاماً كاملاً عبر الجبال والصحارى
لتتزوج من خطيبها الألعى وتصبح هكذا الزوجة الملكية الكبرى فى طيبة.
إن الخرافات تغالب الأيام وتدوم، وثلثى بأحدث الوجوه المسوخة لقصة هذه
الفتاة القصية التى جاءت لتتزوج فرعون، ثلثى بها فى فرنسا، عند الشعراء
«البرناسيين»* *Poètes Parnassiens* فى القرن التاسع عشر، فنرى الشاعر
الفرنسى «ليكونت دى ليل» *Leconte de Lisle* يهذى إحدى قصائد ديوانه «القصائد
الهمجية» *Poèmes barbares* إلى «نفرو رع» التى جعل منها ابنة لـ«رعمسيس»
الثانى، ويتناول مختلف الروايات التى نسجت حبكة هذا الموضوع ليدمجها دمجاً
غريباً، يقول الشاعر الفرنسى:

بالأمس كانت «نفرو رع» تجرى وسط الورود،
ووجنتها وجبهتها صافيتان وناعمتان كالذهب الخالص،
كان قلبها لا يزال وادعاً وهى تبسم
لمشاهدة أبى منجل الوردى اللون محلقاً فى السماء الزرقاء.

وإن بها تبكى فى حلم متوهج،
مُر، تكتنفه الأسرار، يحترق كالحياة!
فأى شيطان مسّها أو أى إله دعاها؟
أيتها الزهرة النورانية، أتموتين عشقاً؟

*الشعراء البرناسيون : هم مجموعة من الشعراء الذين ظهروا فى فرنسا فى منتصف القرن التاسع
عشر كرد فعل للإغراق فى الرومانسية، واهتموا بتجويد الأسلوب وتنميقه.
(المترجم)

٤- النوازل السحرية

التي حلت بـ «ستنى- خع - إم - واس»^(٨٢)
وابنه «سا - أوزير».

أ - القصة الأولى: البحث عن كتاب السحر الأعظم.

بداية القصة مفقودة، وبالنسبة لنا تبدأ القصة مع السطر الأول من المخطوط كما عثر عليه. ولكن فى وسعنا تصور هذه البداية استناداً إلى تسلسل الوقائع التى نعرفها .

كان الأمير «ستنى-خع-إم-واس» ابن «رعسيس» الثانى رجلاً علامة، على دراية ثاقبة بأمور السحر، ويمضى وقته فى جبانة «منف» فى قراءة النصوص المقدسة المدونة فى الكتب، وعلى اللوحات الحجرية أو على جدران المعابد. وعلم ذات يوم، بينما كان يتبادل أطراف الحديث مع أحد الأشخاص فى باحة معبد الإله «پتاح»^(٨٣) عن وجود كتاب فى السحر كتبه الإله «تحوت» ذاته ومحفوظ فى مقبرة «نا-نفر-كا-پتاح»، الذى عاش فى الماضى وكان مدفوناً فى مكان ما فى الجبانة المنفية. وبعد بحث استغرق ثلاثة أيام، تعرّف «ستنى-خع-إم-واس» و«إيناروس» شقيقه بالرضاعة على مقبرة، «نا-نفر-كا-پتاح» وبينما كانا ينفذان إلى داخل المقبرة، أبصرا الكتاب، وهو يشع نوراً. ولكن عندما أرادا الإمساك به، اعترضهما «نا-نفر-كا-پتاح» وزوجته «أحورع» وابنه «مير إيب». وفى الحقيقة كان «أحورع» و«مير إيب» قد دفنا فى مدينة «كوبتوس» حيث فارقا الحياة، ولكن «كا» سيهما كانا قد لحقا بـ «نا-نفر-كا-پتاح»، فى «منف».

وتروى «أحورع» قصتها على مسامع «ستنى-خع-إم-واس». فهى ابنة الملك «مير نب پتاح»، وكانت شقيقة «نا-نفر-كا-پتاح». وكانا يتبادلان الحب ويودان أن يتزوجا .

ورغم تدخل والدتهما، كان فرعون يرغب فى أن يُزوج ابنه ابنة أحد القواد
العسكريين ويزوج ابنته ابن أحد القواد العسكريين.

«.... إنك تقلقينى. فلو كان لى ابنان فقط، فهل من الصواب أن أزوجهما معاً؟
سوف أزوج «نا-نفر-كا-پتاح»، ابنة قائد عسكري و(أزوج) «أحورع»، ابن قائد
عسكري آخر. وهكذا سوف تتسع عائلتنا.»

ومع حلول ميعاد العيد أمام فرعون، جاء من يبحث عنى^(٨٤) ويصطحبنى إلى هذا
العيد. ولكن قلبى كان حزيناً، فى غاية الحزن. ولم أعد كسابق عهدي، فقال لى
فرعون: «يا «أحورع»، أنت حقاً التى أوفدت إلى (رسولاً)، (ليبلغنى) بهذه الكلمات
الرعاء: اسمح لى أن أتزوج أخى الأكبر «نا-نفر-كا-پتاح»؟ فكان ردى عليه: هيا
إذن، فلأتزوج، ابن قائد عسكري وليتزوج «نا-نفر-كا-پتاح» ابنة قائد عسكري
آخر، وهكذا سوف تتسع عائلتنا» عندئذ انفجرت ضحكاً، وضحك فرعون أيضاً.
[وعندما وصل رئيس حجاب القصر] وقال له: «يارئس الحجاب، فليتم احضار
«أحورع» هذه الليلة إلى منزل «نا-نفر-كا-پتاح»، واحضروا معها كل أنواع الأشياء
الجميلة والطيبة.» وهكذا اصطحبونى كزوجة [فى هذه الليلة] إلى منزل
«نا-نفر-كا-پتاح»، وأرسل لى [فرعون] هدية من فضة وذهب، وجميع أفراد البيت
الملكى قدموا لى الهدايا. عندئذ أمضى «نا-نفر-كا-پتاح» معى يوماً سعيداً،
واستقبل جميع أفراد البيت الملكى، ثم ضاجعنى، ليلاً ووجدنى... أيضاً وأيضاً،
وتبادلنا الحب.

وعندما جاء وقت تطهرى،^(٨٥) لم أكن فى حاجة إلى تطهر. وتمّ ابلاغ فرعون
بذلك، وغمرت قلبه سعادة فائقة. واقتطع فرعون شتى الأشياء من [خيرات خزينة
العاهل الملكى] وأرسل لى هدايا، آية فى الجمال، فضة وذهباً وأرق انواع الكتان.
وأن أوان الوضع، وانجبت طفلاً هو أمامك (الآن)، واسميناه «مير إيب» وقيد فى
سجلات «بيت الحياة».^(٨٦)

[وبعد انقضاء أيام طويلة]، كان يبدو أن أخى «نا-نفر-كا-پتاح» لا يشغله سوى
التجول فى جبانة «منف»، فيقرأ المدونات التى كانت (منحوتة) فى مقابر الفراعنة، أو
على اللوحات الحجرية لكتبة «بيت الحياة»، والمدونات المسطورة على [العمائر

[الأخرى] لأنه كان يهتم اهتماماً كبيراً بكل ما كان مكتوباً.

وبعد ذلك نظم موكباً دينياً تكريماً للإله «پتاح»، وولج «نا-نفر-كا-پتاح» إلى المعبد ليعبد (الإله). ولكن بينما كان يتقدم خلف الموكب، وهو يقرأ المدونات (المنحوتة) على هياكل الآلهة، شاهد [كاهن مسن] (ما كان يفعله) فانفجر ضحكاً. قال له «نا-نفر-كا-پتاح»: «لم تسخر منى؟» فأجاب الكاهن: «أنا لا أسخر منك، أنا أضحك لأنك تقرأ نصوصاً ليست على [جانب كبير من الأهمية]. إذا أردت حقاً أن تقرأ نصوصاً (مثيرة للإهتمام)، هيا معى، وسوف أصطحبك إلى حيث يوجد كتاب كتبه «تحت» بذات يده، عندما أتى إلى هذه الدنيا، فى صحبة الآلهة الأخرى. (٨٧) وقد دُوت فيه كتابة تعويذتان، فإذا [تلوت الأولى] سوف تسحر السماء والأرض والعالم الآخر والجبال والمياه، وتفهم ما تقوله كافة طيور السماء والزواحف، وترى الأسماك فى أعماق البحار [وإن كان فوقها واحد وعشرون ذراعاً إلهياً] (٨٨) من المياه، وإذا تلوت التعويذة الثانية، ولو كنت فى المقبرة، فسوف تستعيد صورتك، كما كانت عليها على الأرض، سوف تبصر الشمس وهى تشرق فى السماء، مع تاسوع آلهتها (وترى) القمر فى الشكل الذى يتخذه عند ظهوره.»

[قال «نا-نفر-كا-پتاح» للكاهن]: «حقاً وكما ان الملك يحيا، اخبرنى، بشئ سعيد، ترغبه، فافعله من أجلك، وتصطحبنى حتى المكان الذى يوجد فيه هذا الكتاب.» ورد الكاهن على «نا-نفر-كا-پتاح» (قائلاً): «إذا أردت أن أصطحبك إلى المكان الذى يوجد فيه هذا الكتاب، فعليك إذن أن تعطينى مائة «دين» (٨٩) من فضة من أجل دفنتى، وسوف تمنحنى أيضاً تابوتين نفيسين، من أجل كاهن.» واستدعى «نا-نفر-كا-پتاح» خادماً وعمل على أن يعطى الكاهن المائة «دين» فضة، وأضاف إليها التابوتين النفيسين، اللذين انعم عليه بهما. عندئذ، قال الكاهن لـ«نا-نفر-كا-پتاح»: إن الكتاب المعنى موجود وسط مياه «كوپتوس»، فى صندوق من حديد، وداخل هذا الصندوق الحديدى يوجد صندوق [من النحاس] وداخل الصندوق النحاسى يوجد صندوق من خشب شجر القرفة، وداخل هذا الصندوق المصنوع من خشب القرفة يوجد صندوق من العاج والأبنوس، وداخل هذا الصندوق المصنوع من العاج والأبنوس يوجد صندوق من الفضة، وداخل هذا الصندوق الفضى يوجد صندوق من الذهب يحتوى على الكتاب، وحول هذا الصندوق الذى يحتوى على

الكتاب، ثلاثة «إيتير»^(٩٠) من الثعابين والعقارب والزواحف من مختلف الأنواع ويلتف حول (نفس) هذا الصندوق ثعبان أبدي.

وعندما ختم الكاهن كلامه هذا إلى «نا-نفر-كا-پتاح»، لم يدر هذا الأخير فى أى مكان على سطح الأرض، كان يقف، فخرج من المعبد، وقصّ على [مغامراته بالكامل] قائلاً: «سوف أذهب إلى «كوپتوس»، وأعود منها بهذا الكتاب، قاصداً الشمال (شمال مصر)^(٩١) على وجه السرعة.» عندئذ احتددت على الكاهن قائلاً: «فليعاقبك الإله «أمون»، بسبب هذه الأمور الرهيبة التى كشفت النقاب عنها. لأنك هكذا كنت لى سبب خصام، وجلبت لى أيضاً الشقاء. وأرى من الآن أن أرض طيبة مليئة بالفظائع.»^(٩٢) ولا مست يد «نا-نفر-كا-پتاح»، وحاولت منعه من التوجه إلى «كوپتوس». ولكنه لم يصنع إلى. ومثل بين يدي فرعون ونقل إليه كل الكلام الذى قاله الكاهن. فردّ عليه فرعون قائلاً: «ماذا تبغى؟» - (قال) «نا-نفر-كا-پتاح»: «فلتوضع تحت تصرفى السفينة التى يسافر الملك على متنها، ومجهزة بطاقمها؛ وسوف أخطب معى إلى الجنوب «أحورع» وابنها «مير إيب»، لأخرج، على الفور للبحث عن هذا الكتاب.»

وأعطى السفينة الملكية بطاقمها، وصعدنا على متنها وأبحرنا ورسونا عند «كوپتوس». ولما تمّ إبلاغ كهنة «إيزيس» فى «كوپتوس» وكبير الكهنة (بقدومنا)، همّوا لاستقبالنا، وفى الحال، تقدموا للترحيب بـ «نا-نفر-كا-پتاح» وجاءت زوجاتهم للترحيب بى، وانتقلنا إلى الشاطئ وتوجهنا إلى معبد «إيزيس» و«حورس-الطفل». وأمر «نا-نفر-كا-پتاح» بإحضار عجل وأوزة ونبيداً، وقدم قرباناً وسكب ماءً طهوراً أمام «إيزيس» فى «كوپتوس» و«حورس-الطفل». ثم اصطحبونا إلى منزل آية فى الجمال، تتوفر فيه كافة أصناف الأشياء الجميلة والطيبة، ومضى «نا-نفر-كا-پتاح» أربعة أيام مبتهجاً وهو فى صحبة كهنة «إيزيس» (إلهة) «كوپتوس»، فى حين فعلت معى زوجاتهم الشئ نفسه. وعندما طلع فجر اليوم التالى، أمر «نا-نفر-كا-پتاح» بإحضار كمية كبيرة من الشمع النقى: «ثم (بهذا الشمع) صنع قارباً مجهزاً بطاقمه من المجدفين والبحارة، وتلا عليهم تعويذة (سحرية وهكذا أعطاهم الحياة، كما أعطاهم النسمة، ثم ألقى بهم فى الماء. وملأ سفينة فرعون بالرمال^(٩٣) وأخيراً إستأذن منى فى الإنصراف وصعد على متن (السفينة). وجلست على شاطئ مياه

«كوبتوس» وجال فى خاطرى: «هكذا، سأعلم ما يحدث له».

قال «نا-نفر-كا-پتاح» للمجدفين: «اصطحبونى إلى حيث يوجد هذا الكتاب!» فظلوا يجدفون له دون هواده، ليل نهار، ووصلوا فى ظرف ثلاثة أيام إلى المكان الذى يبحث عنه.^(٩٤) وألقى أمامه رملاً، فظهرت حفرة فى النهر وعثر فى بداية الأمر على ثلاثة «إيتر»ات من الثعابين والعقارب والزواحف من مختلف الأنواع حول الصندوق (الذى فيه الكتاب)، ثم التقى بثعبان أبدى حول هذا الصندوق ذاته، عندئذ، تلا تعويذة سحرية على الثعابين والعقارب والزواحف من شتى الأنواع، فمنعها بالتالى من النهوض، ثم توجه إلى حيث يوجد الثعبان الأبدى: ونازله فصرعه. ولكن عاد الحيوان إلى الحياة واسترد هيئته من جديد ونازله للمرة الثانية وصرعه. وعاد أيضاً الحيوان إلى الحياة. ونازله «نا-نفر-كا-پتاح» للمرة الثالثة، وبتره إلى نصفين، ووضع بينهما رملاً. وهنا مات الثعبان لانه لم يتمكن من استعادة شكله القديم. وهكذا وصل «نا-نفر-كا-پتاح» إلى المكان الذى يرقد فيه الصندوق واكتشف ان الصندوق المعنى هو صندوق من الحديد، فتحه فوجد صندوقاً من النحاس. وفتح هذا الأخير فوجد صندوقاً من خشب القرفة، وفتحه فوجد صندوقاً من العاج وخشب الأبنوس، وفتح هذا الأخير فوجد صندوقاً من الفضة، وفتحه فوجد صندوقاً من الذهب. وعندما فتح هذا الأخير وجد الكتاب، فأخرجه من صندوقه الذهبى وتلا تعويذة كانت مدونة فيه: فسحر [السماء والأرض والعالم الآخر] والجبال والمياه، وفهم ما كانت تقوله طيور السماء وأسماك الأعماق وحيوانات البرية، وتلا تعويذة أخرى، عندئذ رأى «رع» يشرق فى السماء مع تأسوعه من الآلهة، ورأى أيضاً شروق القمر و(شروق جميع) نجوم السماء بأشكالها. فشاهد الأسماك فى أعماق البحار وإن كان فوقها واحد وعشرون ذراعاً إلهياً من المياه، وتلا أيضاً تعويذة فوق الماء فاستعاد شكله الأول.

وصعد «نا-نفر-كا-پتاح» إلى متن السفينة وقال للمجدفين: «أعيدونى من حيث أتيت.» (ومن جديد) ظلوا يجدفون، دون هواده، ليل نهار، وهكذا عاد إلى المكان الذى كنت أقف فيه، فوجدنى جالسة عند (شاطئ) مياه «كوبتوس»، لم أكن قد شربت ولا أكلت، إذ لم أفعل شيئاً على الأرض، كنت أشبه بأحد الذين وصلوا إلى «البيت الحسن».^(٩٥) وقلت لـ «نا-نفر-كا-پتاح»: «أرجوك، دعنى أشاهد هذا الكتاب بين

يدى، وتلوت تعويذة كانت مدونة فيه: فسحرت السماء والأرض والعالم الآخر، والجبال والمياه، وفهمت ما كانت تقوله طيور السماء وأسماك الأعماق والحيوانات، وتلوت التعويذة الأخرى: عندئذ رأيت «رع» يشرق فى السماء مع تأسوعه من الآلهة، ورأيت أيضاً شروق القمر (وشروق) جميع نجوم السماء بأشكالها، وشاهدت الأسماك فى أعماق البحار وإن كان فوقها واحد وعشرون ذراعاً إلهياً من المياه.

كنت لا أعرف الكتابة وإنى أقول ذلك إذا قارنت نفسى بشقيقى الأكبر «نا-نفر-كا-پتاح» الذى كان كاتباً ذا موهبة فذة وإنساناً موقور العلم، عندئذ أمر بإحضار ورقة بردى بيضاء، وسطر على سطحها جميع الكلمات التى يضمها الكتاب، وبلّغها بالجة وأذابها فى الماء، ثم شرب (السائل الذى حصل عليه) وعرف كل ما كان يحتويه الكتاب. (٩٦)

وصلنا إلى «كوپتوس» فى نفس اليوم، واحتفلنا بالعيد أمام «إيزيس» (إلهة) «كوپتوس» و«حورس-الطفل»، ثم صعدنا على متن (السفينة) مبحرين شمالاً، وهكذا وصلنا إلى مكان يقع على بعد «إيتر» واحد (من المدينة)، وفى غضون ذلك، كان الإله «تحتوت» قد اكتشف كل ما حدث لـ «نا-نفر-كا-پتاح» بشأن الكتاب، وهم ليخبر «رع» بالأمر قائلاً: «سَلِّمْ بحقى وبعدالة الشجار (الذى يترتب على ذلك) من أجلى مع «نا-نفر-كا-پتاح»، ابن الفرعون «ميرنب پتاح»، لقد نفذ إلى خبيثتى وسطاً عليها، واستولى على صندوقى والوثيقة التى يحتويها، لقد قتل الحارس الذى أقمته والذى كان يحرسها وقيل له: «إنه ملك لك هو وكل فرد من ذويه أيضاً»، وأنزلت من السماء قوة إلهية، وقيل: «لاتسمحوا لـ «نا-نفر-كا-پتاح» أو لأى فرد من ذويه أن يصل سالماً إلى «منف»، وفى نفس هذه اللحظة، خرج الطفل «مير إيب» من خيمة السفينة الملكية وسقط فى النهر، لتحقيق مشيئة «رع»، أخذ جميع من كانوا على متن السفينة يصرخون، وخرج «نا-نفر-كا-پتاح» من قمرة، وتلا تعويذة على الطفل فرفعه (إلى السفينة) رغم أن واحداً وعشرين ذراعاً إلهياً من المياه كانت تغمره، ثم تلا تعويذة (أخرى) على جسد الطفل وفعل ما يجعل هذا الأخير يحكى له كل ما حدث (ولاسيما) طبيعة الإتهام الذى وجهه «تحتوت» (إليه) فى حضرة «رع».

وعدنا معه إلى «كوپتوس»، وأمرنا أن يُسَلِّمَ إلى «البيت الحسن»، كما أمرنا بالسهر عليه وأن يحنط كما (لو كان) أميراً أو شخصية عظيمة، ثم وضعناه داخل

تابوته فى جبانته «كوپتوس». حينئذ أخبرنى شقيقى «نا-نفر-كا-پتاح» قائلاً: «فلنبحر شمالاً، بلا تأخير، حتى لا يحاط فرعون علماً (قبل وصولنا) بما حدث وحتى لا يتكبر قلبه فى هذا الصدد». وصعدنا إلى السفينة وأقلعنا فى اتجاه الشمال.

وعلى بعد «إيتر» واحد من مدينة «كوپتوس» فى (نفس) المكان الذى كان الطفل قد سقط فيه فى النهر، خرجت خارج السفينة الملكية، وهويت فى النهر، فتحققت إرادة «رع». وأخذ جميع من كانوا على متن السفينة يصرخون وأخبروا «نا-نفر-كا-پتاح» بذلك. خرج هذا الأخير من قمرة السفينة الملكية، وتلا على تعويذة وهكذا رفعنى (إلى السفينة) رغم أن واحداً وعشرين ذراعاً إلهياً من المياه كانت تغمرنى. وبعد أن رفعنى على هذا النحو، تلا على تعويذة (أخرى) وفعل بحيث استطيع أن أحكى له ما كان قد حدث (ولاسيما) طبيعية الإتهام الذى وجهه (إليه) «تحت» فى حضرة «رع». وعاد معى إلى «كوپتوس» وأمر بتوصيلى إلى «البيت الحسن». كما أمر بالسهر على وأن أحنط كما (لو كنت) أمير(ة) أو شخصية عظيمة. ثم وضعنى داخل المقبرة حيث كان يرقد من قبل الطفل «مير إيب». (ومن جديد) ركب السفينة وأقلع بلا تأخير فى اتجاه الشمال.

وعندما وصل إلى مسافة «إيتر» واحد من مدينة «كوپتوس» وفى المكان الذى كنا قد سقطنا فيه فى النهر تحدث مع قلبه قائلاً: «ألا ينبغى أن أعود إلى «كوپتوس» لأستقر فيها؟ فلو عدت الآن إلى «منف»، فترى ماذا أقول لو أن فرعون سألنى عن مصير أبنائه. وهل فى وسعى أن أقوله له: «لقد اصطحبت أبنائك إلى أرض طيبة وقتلتهم. ومازلت أنا باقياً على قيد الحياة، فهل أعود أنا إذن إلى مدينة «منف» ومازلت حياً؟» عندئذ أمر «نا-نفر-كا-پتاح» باحضار قطعة نسيج من الكتان الملكى الرقيق الذى يخصه، وجعلها حزاماً ربط فيه الكتاب الذى وضعه على جسده وثبته تماماً. ثم خرج من خيمة السفينة الملكية وهوى فى الماء وهكذا حقق مشيئة «رع». وأخذ جميع من كانوا على متن السفينة يصيحون، قائلين: «يا لشدة الأسى بالقسوة أرحل عنا الكاتب الفائق الكمال، رجل العلم الذى ليس له مثيل؟» وواصلت سفينة فرعون رحلتها ناحية الشمال، دون أن يعلم أحد على وجه الأرض أين كان «نا-نفر-كا-پتاح» موجوداً.

وعندما وصل القوم إلى «منف»، أحيط فرعون علماً، وجاء هذا الأخير لاستقبال

السفينة، مرتدياً ملابس الحداد. وجميع شعب المدينة كان يرتدى أيضاً ملابس الحداد، وكهنة «پتاح» أيضاً وكبير كهنة الإله، وكبار الموظفين وبلاط العاهل الملكى. عندئذ شاهدوا «نا-نفر-كا-پتاح» مربوطاً فى مجدافى دفة السفينة الملكية - وذلك بفضل معارفه السحرية ككاتب فائق الكمال. فأخرجوه حينئذ من الماء ورأوا عندئذ الكتاب الذى كان مستقراً على جسده. قال فرعون: «هذا الكتاب الذى على جسده ينبغي أن يظل سراً». ثم تحدث كبار الموظفين وكهنة «پتاح» وكبير كهنة الإله فى أن واحد (تحدثوا) على النحو التالى فى حضرة العاهل الملكى (قائلين): «ياسيدنا الطيب، ليت «نا-نفر-كا-پتاح» يكون له الدوام (كما تدوم) حياة «رع». لقد كان كاتباً فائق الكمال ورجل علم فذاً». وأمر فرعون بأن يذهبوا به إلى «البيت الحسن»، لمدة ستة عشر يوماً، وأن يضمم بالأشرطة بعد اليوم الخامس والثلاثين وأن يدفن فى اليوم السابعين. ووضعوه فى تابوته فى مكان راحته.

تلك هى الأحداث المفجعة التى نزلت بنا من جرأ هذا الكتاب الذى تقول بشأنه: «اعطنا إياه! فلا حق لك عليه، هذا الذى بسببه بُترت الحيات (التي كانت من نصيبنا) على الأرض.»

عندئذ قال «ستنى»: «اسمحي لى يا «أحورع» أن أخذ هذا الكتاب الذى أراه بينك وبين «نا-نفر-كا-پتاح» وإلا سوف استولى عليه عنوةً». وهنا نهض «نا-نفر-كا-پتاح»، خارج تابوته وردّ قائلاً: «ألست أنت، «ستنى» الذى تحدثت معه هذه المرأة عن مغامراتها القاسية، ولكن لا يبدو أنك أخذت العبرة منها؟ ترى، أأستولى على هذا الكتاب بفضل قدرات (ك) ككاتب بارع، أم بفضل ما سوف تبديه من مهارة عندما تلعب معى لعبة الـ«داما»؟ فلترتب إذن اثنين وخمسين قطعة على رقعة الـ«داما». قال «ستنى»: «أنا مستعد».

ووضعا أمامهما رقعة اللعب وقطعها. وبدأ الإثنين يلعبان، فاز «نا-نفر-كا-پتاح» على «ستنى» فى الدور الأول. عندئذ تلا تعويذة على هذا الأخير وضربه بـرقعة الـ«داما» التى كانت أمامه وهكذا جعله ينغرس فى الأرض حتى ساقيه. وفعل نفس الشئ فى الدور الثانى الذى فاز فيه على «ستنى» وجعله ينغرس فى الأرض حتى

الردفين. وفعل الشئ أيضا فى الدور الثالث، وجعله ينغرس فى الأرض حتى الآن. فى هذه اللحظة سدّد «ستنى» ضربة شديدة على يدى «نا-نفر-كا-پتاح». ثم استدعى «إيناروس» شقيقه فى الرضاعة، قائلاً له: «أذهب بسرعة على سطح الأرض. وأخبر فرعون بكل ما ألم بى، ثم احضر لى تميمة أبى «پتاح» وكتبى فى السحر». وهمّ «إيناروس» بالصعود على سطح الأرض وقصّ على فرعون كل ما ألم به «ستنى»، وقال له فرعون: «خذ من أجله تميمة الإله «پتاح» وكتبه فى السحر!» ثم عاد «إيناروس» ليهبط فى المقبرة ووضع التميمة على جسد «ستنى» وخلال برهة قصيرة، انطلق هذا الأخير خارج الأرض. عندئذ مدّ «ستنى» يده إلى الكتاب وامسكه. ولما خرج من المقبرة، كان النور يسير أمامه، فى حين كان الظلام ينحرف وراءه. غير أن «أحورع» كانت تبكى خلفه قائلة: «تحية لك، (أيتها) الظلمات وداعاً للنور! لقد رحلت الآن كل القوة التى كانت فى مقبرتنا». وقال «نا-نفر-كا-پتاح» لـ«أحورع»: «لا تكدرى قلبك، لسوف أرغمه أن يعيد إلى هنا هذا الكتاب، وأنا ممسك فى يدى عصاً متشعبة وفوق رأسى جمر مشتعل، (٩٧)

صعد إذن «ستنى» ثانية خارج المقبرة وأوصدها وراءه، كما كانت من قبل، ثم توجه إلى فرعون وقصّ عليه، ما صادفه من أحداث، بخصوص هذا الكتاب وقال له فرعون: «أعد هذا الكتاب إلى مقبرة «نا-نفر-كا-پتاح» (فيكون تصرفك) تصرف إنسان حكيم، وإلاّ سيجبرك على إعادته، وهو يمسك فى يده عصاً متشعبة وفوق رأسه جمر مشتعل». ولكن لم ينصت إليه «ستنى». فكان من الآن لايشغله شاغل وهو على وجه الأرض سوى بسط الكتاب وقراءته على جميع.

وبعد ذلك، حدث ذات يوم، بينما كان «ستنى» يتنزّه، يروح ويغدو فى باحة معبد «پتاح» أن شاهد فجأة [امرأة] آية فى الجمال، لا يوجد مثل جمالها، كانت جميلة وتترنن بالعديد من الحلى الذهبية، وتسير خلفها فتيات، ويلتف من حولها أثنان وخمسون شخصاً من أهل بيتها، ويشكلون موكبها. (٩٨) وفى نفس اللحظة التى شاهدها فيها «ستنى»، لم يدر فى أى مكان على سطح الأرض كان يقف. فنادى على خادمه وقال له: «هيا اسرع إلى حيث توجد هذه المرأة. واستعلم عن منزلتها». واسرع الخادم إلي حيث توجد هذه المرأة. ونادى على وصيفتها الواقفة خلفها قائلاً:

«من هي هذه السيدة؟» فأجابته قائلة: «إنها «تابوبو»، ابنة كاهن^(٩٩) الإلهة «باستت»، سيدة «عنخ تاوى».»^(١٠٠) لقد جاءت إلى هنا للتعبد للإله العظيم «پتاح». وعاد الخادم إلى «ستنى» ونقل إليه كل كلمة قالتها الوصيفة. وأجاب «ستنى»: «أذهب وأخبر الوصيفة ما يلى: «إن «ستنى-خع-إم-راس» ابن الفرعون «أوسر-ماعت-رع» هو الذى أرسلنى لأقوال لك: سأعطيك عشر قطع ذهبية، لو أمضيت معى ساعة من الزمن، أو، لو كنت محل شكوى من إثم ارتكبتِه، فسوف أسوئى المشكلة من أجلك واصطحبك إلى مكان لن يكون فى وسع أى مخلوق على وجه الأرض ان يصل إليك.» عاد الخادم أدراجه إلى حيث توجد «تابوبو»، ونادى على الوصيفة وتحدث إليها. فأطلقت صرخة، كما لو أن هذه الكلمات كانت سباً. وقالت «تابوبو» للخادم: «توقف عن الكلام مع هذه الفتاة، تعال لتتحدث معى.» وتوجه الفتى مسرعاً إلى «تابوبو» وقال لها: «سأعطيك عشر قطع ذهبية، لو أمضيت مع «ستنى-خع-إم-راس»، ابن الفرعون «أوسر-ماعت-رع»، أو لو كنت محل شكوى من إثم (ارتكبتِه)، فسوف يسوئى المشكلة من أجلك، ويصطحبك إلى مكان لن يكون فى وسع أى مخلوق على وجه الأرض ان يصل إليك.» وأجابت «تابوبو»: «أذهب وأخبر «ستنى» أننى صاحبة منزلة مقدسة، ولست امرأة مبتذلة. إذا أردت ان تفعل معى ما ترغب فيه، فعليك الحضور إلى منزلى فى «بوياسستس»، وهو (منزل) مجهز بكل شئ وسيكون فى وسعك ان تفعل معى ما تشتهيه، دون ان يكتشف أمرى، كائن من كان، على وجه الأرض، ودون ان اتصرف كبغى.» وعاد الخادم إلى جوار «ستنى» ونقل إليه هذه الكلمات. وردّ هذا الأخير قائلاً: «هكذا فإن الأمر على ما يرام.» ولكن استنكر الأمر جميع أفراد بطانة «ستنى».

وأمر «ستنى» بإحضار سفينة، وصعد على متنها وأمر بالإقلاع علي جناح السرعة متجهاً إلى «بوياسستس». وعندما وصل إلى القسم الغربى من المدينة، صادف منزلاً مرتفعاً، محاطاً بسور، وفى الشمال حديقة، فى مقدمتها فناء فسحح للإستقبالات. واستفسر «ستنى» قائلاً: «من صاحب هذا المنزل؟» وردوا عليه قائلين: «هذا منزل «تابوبو».» عندئذ اجتاز «ستنى» سور الحديقة وبينما كان يتأمل الجوسق،^(١٠١) أعلن عن وجود «تابوبو». ونزلت وامسكت بيد «ستنى» وقالت له: «حقاً وكما أن هذا المنزل الذى وصلت إليه، وهو منزل كاهن «باستت» سيدة «عنخ تاوى» (منزل) مزدهر، فإن ذلك يروقنى. اصعد إذن الآن معى!» وصعد «ستنى» درج المنزل

فى صحبة «تابوبو»، ووجد الطابق العلوى وقد تم تنظيفه للتو ويزدان باللازورد الخالص والفيروز الخالص، وكان هناك عدد من الأسرّة، غطيت جميعها بكتان ملكى رقيق، والعديد من الكؤوس الذهبية موضوعة فوق المائدة، وملأوا واحدة من هذه الكؤوس نبيذاً ووضعوها فى يدي «ستنى»، وقالت المرأة لهذا الأخير: «أبروق لك ان نتناول وجبة؟» فأجاب ليس ذلك ممكناً، «عندئذ وضعوا بخوراً فى مبخرة واحضروا دهون الطيب لـ«ستنى»، وهو نفس النوع الذى يستخدمه فرعون، وقضى «ستنى» مع «تابوبو» يوماً سعيداً، فلم يحدث له من قبل ان التقى بامرأة مثلاً، وقال لها: «فلنعمل الآن ما جئنا من أجله»، وأجابت: «سوف تعود إلى منزلك، حيث تعيش، إننى ذات منزلة مقدسة، فانا لست بغيّاً، فإذا كنت تودّ أن تفعل معى، ما تشتهي، عليك ان تحرر لصالحي إقرار إعاشة وإقرار تعويض (على هيئة) فضة من كل ما تملكه من أشياء وممتلكات»^(١٠٢) وقال لها: «مرى ليحضر كاتب «المدرسة»، فدخل فى الحال وحرر لصالح المرأة إقرار إعاشة وإقرار تعويض (على هيئة) فضة من كل ما يملكه من أشياء وممتلكات.

وبعد قليل، جاء من يقول لـ«ستنى»: «أبناؤك فى (الطابق السفلى) فأجاب: «مروا بأن يصعدوا» عندئذ نهضت «تابوبو»، وارتدت نسيجاً ناعماً من أرق أنواع الكتان الملكى، وكان فى وسع «ستنى» أن يشاهد من خلاله جسدها بالكامل، فتحرق شوقاً إليها أكثر من ذى قبل، وقال لها: «يا «تابوبو» دعينى أفعل ما جئت من أجله»، وأجابت: «سوف تعود إلى منزلك، حيث تعيش، اننى ذات منزلة مقدسة وأنا لست بغيّاً، فإذا كنت تود ان تفعل معى ما تشتهي، عليك أن تجعل أبنائك يوقعون أيضاً على الوثيقة، حتى لا يتحرشوا بأبنائى بشأن ممتلكاتك: وأمر «ستنى» بأن يصعد ابناؤه وجعلهم يصدقون على الوثيقة، ثم قال لـ«تابوبو»: «دعيني أفعل أخيراً، ما جئت من أجله!» فقالت له: «سوف تعود إلى منزلك، حيث تعيش، اننى ذات منزلة مقدسة وأنا لست بغيّاً، إذا كنت ترغب ان تفعل معى ما تشتهي، فعليك ان تأمر بقتل ابنائك، حتى لا يتحرشوا بأبنائى بشأن ممتلكاتك»، وقال «ستنى»: «فلتنفذ هذه الفعلة البغيضة التى فكر فيها قلبك»، وأمرت بقتل ابنائها أمامه وألقت بهم من النافذة للكلاب والقطط فأكلت هذه الأخيرة لحمهم وسمع «ستنى» (ما صدر منهم من أصوات) بينما كان يشرب مع «تابوبو».

عندئذ قال «ستنى»: «يا «تابوبو» دعينى أخيراً أفعل ما جئت من أجله! لقد نفذت من أجلك، كل ما طلبته منى.» فقالت له أيضاً: «اذهب إلى هذا الجوسق.» ودخل «ستنى» إلى الجوسق، ورقد فوق سرير من العاج وخشب الأبنوس، حتى يتمكن من تحقيق شهوته. ورقدت «تابوبو» بجوار «ستنى». ومدّ يده ليلمسها. عندئذ فتحت فمها واسعاً وأطلقت صرخة مدوية.

وعندما استعاد «ستنى» وعيه، شعر بحرارة شديدة. كانت شهوته قد هدأت وكان عارياً تماماً. وبعد قليل، أبصر رجلاً مهيب الطعة (جالساً) على محفة (يحملها) الحاملون. والعديد من الناس يركضون عند أقدامه. كان يشبه فرعوناً. وعندئذ أراد «ستنى» أن ينهض، ولكنه لم يستطع، نظراً للخجل الذى اعتراه، لانه كان بلا ملابس تستره. وتحدث فرعون: «يا «ستنى»، كيف وصلت إذن إلى ما أنت عليه من حال؟» وأجاب «ستنى»: «إن «نا-نفر-كا-پتاح» هو الذى ارتكب فى حقى كل ذلك.» (قال) فرعون: «أذهب إلى «منف»، فأبناؤك فى انتظارك، وهم يقفون كعادتهم أمام فرعون.» (قال) «ستنى»: «ياسيدى القدير، ياملكى-لتكن له مدة حياة «رع»!-كيف لى أن أعود إلى «منف» وأنا مجرد من ملابس؟» ونادى فرعون خادماً كان يقف بجواره وطلب منه إحضار ثوب لـ«ستنى». واستطرد قائلاً: «اذهب إذن، يا «ستنى» إلى «منف» فأبناؤك مازالوا على قيد الحياة ويقفون حسب عاداتهم، أمام فرعون.»

وتوجه إذن «ستنى» إلى «منف». وأخذ بين يديه أبناءه الذين وجدهم أحياء. قال فرعون: «أوجدت فى حالة من السكر؟» عندئذ روى «ستنى» كل ما حدث له مع «تابوبو» و«نا-نفر-كا-پتاح». قال فرعون: «يا «ستنى»، لقد سبق لى وحقق من أجلك كل ما كان فى مقدورى، عندما أخبرتك قائلاً: لسوف تقتل لو أنك لم تعد هذا الكتاب إلى المكان الذى أخذته منه. ولكنك حتى الآن لم تصغ إلى. أعد هذا الكتاب إلى «نا-نفر-كا-پتاح» الذى يمسك فى يده عصاً متشعبة وفوق رأسه جمر مشتعل.»

عندما خرج «ستنى» من حضرة فرعون، كان يمسك فى يده عصاً متشعبة وفوق رأسه جمر مشتعل. وهبط إلى المقبرة التى يوجد فيها «نا-نفر-كا-پتاح». وقالت له «أحورع»: «يا «ستنى» إن الإله العظيم «پتاح» هو الذى يعيدك إلى هنا سالماً معافى.» وانفجر «نا-نفر-كا-پتاح» ضاحكاً وقال: «ألم أقل لك ذلك من قبل». عندئذ،

حيى «ستنى» «نا-نفر-كا-پتاح» وكان فى وسع الناس أن يظنوا ان الإله «رع» قد (عاد) الآن إلى داخل المقبرة^(١٠٣) وحيى «أحورع» و«نا-نفر-كا-پتاح» (بدورهما) «ستنى» تحية حارة.

وقال هذا الأخير: «أيوجد شئ، يا «نا-نفر-كا-پتاح»، كأننا ما كان، لا يتفق وما تبغيه؟» أجاب «نا-نفر-كا-پتاح»: «أنت تعرف يا «ستنى» ان «أحورع» وابنها «مير إيب» موجودان فى «كوپتوس»^(١٠٤) وهما موجودان هنا فى هذه المقبرة بفضل البراعة السحرية لكاتب جهبذ^(١٠٥) فهل نطمع بمطالبتك بأن تهتم من (صميم) قلبك وأن تأخذ على عاتقك مهمة الذهاب إلى «كوپتوس» لإحضارهما؟»

ولما خرج «ستنى» من المقبرة، ذهب إلى فرعون ونقل إليه كل ما أخبره به «نا-نفر-كا-پتاح». وقال له العاهل الملكى: «أذهب يا «ستنى» إلى «كوپتوس» واحضر معك «أحورع» وابنها «مير إيب». قال «ستنى»: «أعطينى سفينة فرعون وطاقتها، وركب السفينة وأقلع فى الحال ووصل إلى «كوپتوس»، بلا تأخير. وأبلغ كهنة «إيزيس» (الإلهة) فى «كوپتوس» وكبير الكهنة (بوجود) ه، فنزلوا لاستقباله وامسكوه من يده ليصعد إلى (أعلى) الشاطئ^(١٠٦) فصعد حينذاك معهم وتوجه إلى معبد «إيزيس» (الإلهة) فى «كوپتوس» و«حورس-الطفل»، وأمر بإحضار عجل وأوزة ونبىذ، وأقام محرقة وسكب ماءً طهوراً أمام «إيزيس» (الإلهة) فى «كوپتوس» و«حورس-الطفل». ثم ذهب إلى جبانة «كوپتوس» فى صحبة كهنة «إيزيس» وكبير الكهنة. وأمضوا ثلاثة أيام وثلاثة ليالٍ، يبحثون وسط المقابر، ويقلبون اللوحات الحجرية الخاصة بكتبة «بيت الحياة» ليقروا ما تحمله عن مدونات. ولكنهم لم يتوصلوا إلى المكان الذى كانت ترقد فيه «أحورع» وابنها «مير إيب».

ولما علم «نا-نفر-كا-پتاح» انهم لم يعثروا على المكان الذى كان «أحورع» وابنها «مير إيب» يرقدان فيه، اتخذ هيئة، كاهن شيخ طاعن فى السن وجاء ليلتقى بـ«ستنى». ولما رآه هذا الأخير، قال له: «إن مظهرك هو (مظهر) عجوز، ترى ألا تعرف المكان الذى ترقد فيه «أحورع» وابنها «مير إيب»؟» وأجاب الرجل: «إن جدى الأعلى قد قال: «إن مرقد «أحورع» وابنها «مير إيب» موجود فى الركن الجنوبى من منزل مدير الشرطة، الكاهن....» عندئذ قال «ستنى» للعجوز: «ترى هل ارتكب مدير الشرطة هذا، فعلة سيئة فى حقك، بحيث تسعى الآن إلى هدم منزله؟» ورد العجوز

على «ستنى»: «راقبنى، وأعمل على أن يهدم منزل مدير الشرطة. وإذا لم يعثر على «أحورع» و«مير إيب» تحت الركن الجنوبي للمنزل فلتعاقبوني إذن...» حينئذ جرت مراقبة العجوز ووجدوا بالفعل «أحورع» وابنها «مير إيب» فى الموقع الذى حدده.

عندئذ أمر «ستنى» بنقل الشخصيتين النبيلتين إلى متن السفينة الملكية وأمر بإعادة بناء منزل مدير الشرطة على النحو الذى كان عليه فى السابق.

(ثم أن) «نا-نفر-كا-پتاح» أحاط «ستنى» علماً أنه هو الذى كان قد أتى إلى «كوپتوس» ليساعده على العثور على المكان الذى كانت ترقد فيه «أحورع» وابنها «مير إيب». وصعد «ستنى» عندئذ ظهر السفينة الملكية، وأقنع فى اتجاه الشمال، بلا تأخير، ووصل إلى «منف» مع كل من كانوا يرافقونه. ولما تم ابلاغ ذلك إلى فرعون، هبط هذا الأخير، لاستقبال السفينة، وسمح بأن تدفن الشخصيتان النبيلتان فى المقبرة التى (سبق) أن دفن فيها «نا-نفر-كا-پتاح» وأغلق المقبرة التى أصبحوا يرقنون فيها معاً من الآن.

هكذا ينتهى نص قصة «ستنى-خع-إم-واس» و«نا-نفر-كا-پتاح» وزوجته «أحورع» وابنه «مير إيب». لقد كتبه... فى العام الخامس عشر، خلال الشهر الأول من فصل الإنبات، (١٠٧)

هذه المغامرة الأولى من مغامرات «ستنى-خع-إم-واس» و«نا-نفر-كا-پتاح»، تستعيد إلى الأذهان، المواضيع الرئيسية لمغامرات البشر التى عرفت أزمناً أخرى وحضارات أخرى، فهى مواضيع أزلية.

وبادئ ذى بدء نجد سعى الإنسان وراء المعرفة والأسرار الإلهية فى الكون، فتملكها بعد الحصول عليها، يجلب إما ضياع الفردوس الأسمى، أو كوارث شخصية لا مناص منها. فلا تقبل الآلهة أن تسلب منها ممتلكاتها الخاصة الخفية والتى تخص جوهرها العميق. ومع ذلك فإن الأسطورة المصرية رحيمة: صحيح أن «نا-نفر-كا-پتاح» وأسرته سيفارقون الحياة على الأرض ولكن «ستنى-خع-إم-واس» سيُغفر له إذا أعاد الكتاب المسروق وأودعه فى مكان خفى. فى حين مازلنا نعانى فى الغرب من النتائج المفجعة لمعصية حواء* ومن الجدير

بالملاحظة أيضاً فى مصر ان الرجل (وليس المرأة-التي تظهر هنا متزنة ومتعلقة على غرار «إيزيس») هو الذى يفجر هذه الشرور.

كما أن تجربة الأهواء وضلالها هى التى تستحوذ على الإنسان مثل الشيطان. فأرضاءً لشهوته وافق «ستنى» على قتل ابنائه، فى مشهد مروع، يصعب تحمله. إنه يدمر نفسه كما يدمر ذريته فى ذات الوقت. كما أن الآلهة لايسعها أيضاً ان تسلم بأن يختل نظام الكون وينقلب نتيجة قتل كائنات بريئة. وسيعود الصبية إلى الحياة بجوار فرعون-الإله، الذى سيظهر لـ«ستنى» - مجرداً من كل شئ، ولكن بعد أن طردت منه الروح الشريرة-يسمح له بالولوج إلى عالم التوازن العادل. ان فرعون الإلهى هو ضامن الـ«ماعت»، الحقيقة والعدالة.

كما يضم النص فى حقيقة الأمر مواضيع يبرز طابعها المصرى بشكل أكثر وضوحاً. وتتابع سلسلة من المغامرات التى تجرى فى عالم «شبه شفاف» حيث الملوك والبشر، والأحياء والأموات، يعيشون معاً حياة واحدة، ويتبادلون أطراف الحديث فى يسر وسهولة-إنه عالم يسهل فيه الانتقال من العالم الأرضى إلى العالم السفلى - والعودة منه - عالم يلتقى فيه الأقارب فى القبور، من أجل حياة أبدية «أسرية» - إنه عالم شاسع بلا حدود. فى هذا العالم الفتان، بما فيه من تناظرات سحرية، يتحرك أبطال القصة وقد بسطوا فى الغالب سلطانهم على قوى الأرض. ومن هنا، نجد العديد من المواضيع المصرية، وإن كان بعضها معروفاً من قبل:

-إمكانية الفصل بين عناصر الكائن، فى قصة الأخوين «أنوب» و«باتا» (١٠٨) كان «باتا» يواصل حياة الجسد، رغم انه قد وضع قلبه بصفة مؤقتة داخل زهرة، فى أعلى شجرة صنوبر. وفى هذه الحالة، نجد أن فى وسع الـ«كا»، وهو مخزون الطاقة الحيوية والحركة، الكامنة فى كل فرد، أن يحيا مستقلاً عن الجسد. ومع «فيثاغورث» على ما يظن، سيعود الفكر اليونانى إلى الأخذ بهذه الإمكانية فى الفصل بين العناصر المكونة للإنسان واحتمال إستقلال كلها منها عن الآخر (١٠٩)

- موضوع تحول مظهر الكائنات *métamorphoses* : فى وسع الإنسان الحانق والكاتب المثقف والكاهن العالم أن يتجسدا فى أى شكل من الأشكال، حياً كان أم

* الإشارة هنا إلى الخطيئة الأولى كما تؤمن بها الكنائس المسيحية ، راجع فى هذا الصدد الفصل الثالث من سفر التكوين من الكتاب المقدس.

(المترجم)

غير حى. وهو ذات الهدف من «كتاب الموتى»، هذا السفر العظيم الشأن الشعائر السحرية، الذى يوفر للمتوفى التعاويذ التى تسمح له بتقمص أى مظهر يختاره. ويشبه الأمر العقائد الشامانية الإفريقية، القائلة بأنه فى استطاعة الإنسان ان يتخذ لنفسه على التوالى أشكالاً مختلف.

—رمزية الثعبان الأبدى والحارس المخيف والتى سبق ان التقينا بها فى قصة «الغريق»^(١١٠) والتى نجدها أيضاً فى العالم الكلاسيكى القديم. وكما التف الثعبان حول «سفر المعرفة» فإنه سيلتف أيضاً حول الهياكل المنزلية فى جزيرة «ديلوس» ومدينة «بومبي» لحماية أرواح الموتى من أفراد الأسرة. ولكن فى النص السابق، كان فى وسع السحر أن يستحوذ على الثعبان فى زمن لا حدود.

وبالفعل فإننا نعيش من خلال هذه القصة فى عالم «غير معقول» على الإطلاق، عالم يسيطر عليه السحرة. وكان السحرة فى مصر القديمة هم الكتبة والكهنة العارفون بالكلمات وأشكالها ودلالاتها والأقوال السحرية، التى تخلق الواقع الذى تعبر عنه والتى كانت تعطى لكل «عارف» إمكانية إعادة تشكيل العالم، تماماً كما فعل الإله الخالق أو إمكانية السيطرة عليه.

ب- القصة الثانية: الهبوط إلى مثوي الأموات.

مطلع هذا المخطوط الثانى مفقود. وفى إمكاننا استعادة مضمونه من خلال باقى النص: فإذا لم يُرزق «ستنى-خع-إم-واس» وزوجته «محو سخت» أولاداً، فقد طلبا من الآلهة ان تعطيهما ابناً.^(١١١)

... وإذا حدث ذات يوم، أن رأت «محو سخت» حلماً (فى المنام)، رأت من يقول لها: «أألسنت «محو سخت»، زوجة «ستنى» الذى يرقد (هذه الليلة) فى هذا المعبد لينال الشفاء»^(١١٢) على يدى الإله؟ عندما يطلع الغد توجهى إلى المكان الذى يستحم فيه

زوجك «ستنى». وهناك ستجدين بطيخة تنمو فيه. عندئذ ستكسرين ساقاً بما (تحمله) من ثمار وتسحقينها، لتصنعى منها دواءً تضيفينه إلى الماء وتشربين. وخلال نفس هذه الليلة، ستحملين من زوجك طفلاً.»

وأفاقت «محو سخت» من المنام الذى رأت خلاله هذه الأمور. ونفذت كل ما قيل لها فى الحلم. ونامت بجوار زوجها «ستنى»، وحملت منه طفلاً. وبالفعل، لما حل وقت تطهرها،^(١١٣) لاحظت ان علامات المرأة الحامل قد ظهرت عليها. أما «ستنى» الذى كان قلبه سعيداً جداً جداً، فقد قام فى الحال ليبلغ فرعون النبأ. ثم وضع تميمة (فوق زوجته) وقرأ تعويذة سحرية.

وذات ليلة، بينما كان «ستنى» نائماً. رأى من يحدثه فى المنام قائلاً: «لقد حملت «محو سخت» منك طفلاً. والغلام الذى سيولد سيسمى «سا-أوزير»^(١١٤) والمعجزات التى سيصنعها فى مصر ستكون كثيرة.» أفاق «ستنى» من الحلم الذى رأى خلاله كل هذه الأمور وصار قلبه (من جديد) سعيداً جداً جداً. وبعد أن أتمت «محو سخت» شهور حملها، أن أوان ولادتها. فوضعت مولوداً ذكراً. وبمجرد أن أبلغ «ستنى» بذلك أسماء «سا-أوزير»، حسبما قيل له فى المنام... وهدده (القوم) وأرضعوه.

ولما بلغ الطفل «سا - أوزير» السنة الأولى من عمره، كان يقال عنه منذ ذلك الوقت: : «بل إنه بلغ السنتين!» وعندما بلغ السنتين، كان يقال: «بل الثلاث سنوات!» وكان «ستنى» لا يترك ساعة تمر دون أن يأتى ليراه، لأنه كان يكن له حباً عظيماً، يفوق كل شئ. ولما شب الطفل وترعرع واشتد عوده، ألحق بالمدرسة. وكان بعد فترة قصيرة، يعرف كل شئ أفضل من الكاتب الذى كلف بتعليمه. عندئذ بدأ الصبى «سا-أوزير» يلقى، عن ظهر قلب، النصوص المقدسة على كتبة «بيت الحياة»، فى معبد «پتاح».^(١١٥) وكل من كانوا يستمعون إليه كانوا يعتبرونه بمثابة معجزة البلاد. وكان «ستنى» يرغب رغبة شديدة فى أن توجه إليه الدعوة، عند إقامة وليمة بحضور فرعون وأن يواجه كافة حكماء مصر.

وذات يوم كان «ستنى» يتطهر استعداداً لوليمة حسب عادة منزله، وليمة كان سيحضرها فى صحبته الصبى «سا - أوزير». فى هذه اللحظة، سمع «ستنى» جلبة مناحات جنازية. فأطل من نافذة منزله فشاهد «تابوت» رجل ثرى ينقلونه إلى الجبانة، ترافقه صيحات حزن عالية جداً، مع بالغ التكريم... ومرة أخرى، بينما كان

يطلّ من النافذة، شاهد (جثمان) رجل فقير، ينقل إلى الصحراء، وهو مدثر في حصيرة متواضعة، وكان بمفرده، لا يرافقه أحد. عندئذ قال «ستنى»: «قسماً بـ«بتاح»، الإله العظيم، فما أسعد الإنسان الثرى، إنه يُدفن وسط مناحات مدوية، فهو أسعد من الفقير الذى ينقل إلى الصحراء بكل بساطة!» ولكن الصبى «سا - أوزير» قال لوالده: «عسى أن يحدث لك فى عالم الأموات نفس ما حدث لهذا الرجل الفقير! وعسى ألا يحدث لك ما سوف يحدث للرجل الثرى فى عالم الأموات!» وعندما سمع «ستنى» كلمات «سا - أوزير» تولّاه حزن شديد وقال: «هل الصوت الذى اسمعه هو صوت ابنى؟» وعليه فقد أجاب الصبى «سا - أوزير» قائلاً: «متى رغبت فى ذلك، فسوف أريك الرجل الفقير الذى لم ييكه أحد والرجل الثرى الذى اقيمت من أجله المناحات الجنائزية.» وقال «ستنى»: «وكيف لك أن تفعل ذلك؟»

عندئذ أمسك «سا - أوزير» بيد أبيه وصحبه إلى موقع فى صحراء الغرب لم يكن «ستنى» يعرفه. وعثرا على مبنى يضم سبع قاعات فسيحة، مزدحمة بالناس. وولجا إلى القاعة الأولى وعثرا... وعندما دخلاً القاعة الرابعة،^(١١٦) شاهد «ستنى» رجالاً إنهمكوا فى جدل الحبال، بينما كانت الحمير من خلفهم تمزقها لتأكلها، وكان هناك غيرهم من الناس علق فوقهم زادهم من ماء وخبز، كلما أرادوا أن يمسكوا به وانزله، كان آخرون يحفرون حفراً تحت أقدامهم للحيلولة دون وصولهم (إلى مرادهم).

ودخلا القاعة الخامسة وشاهد «ستنى» الأرواح^(١١٧) البهية واقفة حسب مكانة (كل) منها، ولكن من كانت متهمة بأفعال سيئة، كانت تقف عند الباب، متوسلة، وكان محور الباب مثبتاً فى العين اليمنى لرجل كان يتوسل ويتأوه بشدة.

ثم دخل «ستنى» وابنه القاعة السادسة وشاهد «ستنى» الآلهة التابعة لمحكمة سكان عالم الأموات والتي كانت تقف حسب مكانة كل منها، فى حين كان خدم العالم الآخر يقفون وهم يحملون (قائمة) الإتهامات.

ثم ولجا إلى القاعة السابعة، فكان فى وسع «ستنى» أن يتأمل الهيئة الخفية للإله العظيم «أوزيريس»، المتربع على عرش من الذهب الخالص والمتوج (بتاج) «الأتف».^(١١٨) وعن يساره كان (يقف) الإله العظيم، «أنوبيس»، وعن يمينه الإله العظيم، «تحت»، والآلهة التى تشكل محكمة سكان عالم الأموات، كانت تقف (على

الجانبين) على اليسار وعلى اليمين، وكان الميزان قائماً أمامهم وسط (القاعة)، وكانوا يزنون السيئات في مقابل الحسنات، والإله العظيم، «تحت» يمسك سجلاً بها، بينما يبلغ «أنوبيس» زميله، والإنسان الذى وجدت سيئاته أكثر من حسناته كان يُسَلَّم لل«ملتهمة»^(١١٩) التابعة لسيد الآخرة، فينتزع «با»^(١٢٠) من جسده، إلى الأبد، ولا يُسمح له على الإطلاق أن يتنفس، أما من وجدت حسناته أكثر من سيئاته، فكان يقبل في عداد الآلهة التى تشكل محكمة سيد الآخرة، فى حين يصعد «با»^(١٢١) إلى السماء فى صحبة الأرواح البهية، أما من وجد أنه قد أتى بنفس القدر من الحسنات والسيئات، فكان يوضع مع الأرواح المُطَوَّبة التى تخدم الإله «سوكر - أوزيريس»^(١٢٢) ثم شاهد «ستنى» رجلاً مهيب الطلعة، يرتدى ثوباً من أرق (أنواع) الكتان الملكى، وكان يقف بجوار «أوزيريس»، وهكذا كان يحتل مكانة رفيعة جداً، وكان «ستنى» فى قمة الدهشة من جراء كل ما كان يشاهده فى عالم الآخرة، وذهب «سا - أوزير» للقاء هذا الرجل وقال: «يا «ستنى»، يا أبتاه، أترى هذا الرجل، المهيب الطلعة، الذى يرتدى ثوباً من أرق (أنواع) الكتان الملكى، ويقف بجوار «أوزيريس»؟ إنه الرجل الفقير الذى كانوا ينقلونه خارج «منف» دون أن يرافقه أحد، وكان مدثراً فى حصيرة متواضعة، وعندما وصل إلى عالم الآخرة وزنوا سيئاته فى مقابل الحسنات التى فعلها على الأرض، فلا حظوا أن حسناته أكثر من سيئاته بالنظر إلى مدة حياته كما حددها له «تحت» كتابة، عند ميلاده، وبالمقارنة مع ثروته على الأرض، ومن ثم أمر «أوزيريس» أن يعطى لهذا الرجل الفقير المتاع الجنائزى الذى يخص الرجل الذى شاهده ينقلونه من «منف» وسط نحيب مدو، وأن يأخذ مكانه وسط الأرواح البهية، كرجل من رجال الإله وخادم لـ «سوكر - أوزيريس»، على أن يستقر قرب المكان الذى يقيم فيه «أوزيريس».

أما بالنسبة لهذا الرجل الثرى الذى شاهده، فلما وصل إلى العالم الآخر، فقد قاموا أيضاً بوزن سيئاته فى مقابل حسناته، ولاحظوا أن سيئاته أكثر من الحسنات التى فعلها على الأرض، فصدرت الأوامر بأن يسجن فى الآخرة، وهو (الآن) الرجل الذى ثبت محور باب عالم الآخرة فى عينه اليمنى، بحيث يفتح وينغلق على عينه، بينما يبقى فاغر الفم يئن أناتاً مدمية، قسماً بـ «أوزيريس» الإله العظيم، فعندما أخبرتك على الأرض: «عسى أن يحدث لك ما سيحدث لهذا الرجل الفقير وعسى ألا

يحدث لك ما سوف يحدث للرجل الثرى، فقد كنت أعلم ما سوف يحدث له.»

عندئذ قال «ستنى»: «يا - سا - أوزير»، يابنى، ان ما شاهدته من أمور عجيبة، فى عالم الآخرة كثير. والآن اسمح لى أن أفهم ما يحدث لهؤلاء الذين رأيتهم يجدلون الحبال، فى حين كانت الحمير تمضغها من خلفهم. وهؤلاء الذين كانوا يحاولون (دون جدوى) أن يصلوا إلى مؤن الماء والخبز المعلقة فوقهم، فى حين كان آخرون يحفرون الحفر تحت أقدامهم ليمنعوهم من تناولها.». وأجاب «سا - أوزير»: «فى الحقيقة، يا «ستنى»، يا أبتى، ان هؤلاء الأشخاص الذين رأيتهم يجدلون الحبال التى كانت الحمير تلتهمها من خلفهم، هم أشخاص حلت بهم لعنة إلهية لما كانوا على الأرض. هكذا كانوا يعملون ليل نهار، من أجل معيشتهم فى حين كانت نساوقهم يسرقنهم من وراء ظهرهم (ولهذا السبب) كانوا لا يجدون خبزاً لطعامهم. ولما وصلوا إلى عالم الآخرة، تأكد أن سيئاتهم أكثر من حسناتهم. ومن ثم صدرت الأوامر، ليظل يحدث لهم فى عالم الآخرة، ما كان يحدث لهم على الأرض. وحدث شئ مماثل لهؤلاء الذين شاهدتهم يحاولون (دون جدوى) أن يصلوا إلى زاد الماء والخبز، المعلق فوق رؤوسهم، فى حين كان آخرون يحفرون حفراً تحت أقدامهم لمنعهم من الإمساك بها. هؤلاء هم قوم، كانت سنوات حياتهم أمامهم، وهم على الأرض، ولكن كانت الآلهة تحفر حفرة تحت أقدامهم فتحول دون استفادتهم منها. وعندما وصلوا إلى عالم الآخرة، ظل يحدث لهم ما حدث لهم على الأرض. ولكن «با»اتهم كانت قد قبلت فى العالم السفلى.

اعرف هذا فى قلبك، يا أبتى «ستنى»: «من هو خير على الأرض، سيعامل أيضاً معاملة خيرة، فى العالم الآخر. ولكن من هو شرير على الأرض، سيعامل إلى الأبد معاملة شريرة. وهذا هو الوضع القائم الذى سيدوم للزمن اللانهائى. وما رأيته من أمور فى العالم الآخر للمنطقة المنفية، يحدث (أيضاً) فى الأقاليم الإثنيين والأربعين، التى بها قضاة «أوزيريس»، الإله العظيم...» (١٢١)

هكذا انتهى الخطاب الذى القاه «سا - أوزير» من أجل أبيه «ستنى». وهبطا من جديد من صحراء منف، وكان أبوه «ستنى» يحتضنه، ويسيران يداً فى يد. واستفسر «ستنى» قائلاً: «يا «سا - أوزير»، يا بنى، هل يختلف الطريق الذى نسلكه عند الهبوط عن الذى سلكناه عند الصعود؟» ولكن «سا - أوزير»، لم ينبس بكلمة واحدة.

وكان «ستنى» فى غاية الدهشة من أمره، من جراء هذه التجربة التى عايشها، وكان يدور فى خلد (ما يلى): «سيكون فى وسعى^(١٢٢) أن أكون أحد هذه الأرواح البهية وأن أكون خادم الإله، ويمكننى أن اصطحبه قائلًا: «هذا هو ابنى» وبعد ذلك تلا «ستنى» تعويذة من الكتاب لطرد الأرواح، وكان لا يزال هائماً فيما رآه من عجب فى العالم الآخر، وكانت هذه الأمور ترزخ بثقلها على قلبه، فما كان فى وسعه أن يحكيها لكائن من كان على وجه الأرض.

مصر موجودة فى قلب الفكر القديم، إنها بوتقته الرئيسية.

ولا ريب، أن موضوع الهبوط إلى مثنوى الأموات، ليس موضوعاً فريداً، ولكن التجارب التى مرّ بها «ستنى - خع - إم واس»، فى صحبة ابنه الساحر، كان لها تفريعات متنوعة، ومن الواضح أن هذه الخرافات وهذه الرموز ذات أصول مصرية: فبادئى ذى بدء، نلاحظ وجود محكمة «أوزيريس» فى القاعة السابعة من قاعات مثنوى الأموات - وهو معتقد يرجع إلى أكثر من ألفى سنة - إنها عملية إلهية لوزن القلب تتحكم فيها أكثر الموازين عدالة وإنصافاً. إن قصة الفقير الخير والثرى الشرير، وهى من أمثلة العهد الجديد (قصة «لعازر» - فى إنجيل لوقا - الإصحاح السادس عشر: ١٩ - ٢٦) هى فكرة شائعة فى مصر منذ أقدم العصور، وقد سبق أن وردت فى حكم «بتاح حوتب»^(١٢٤) (عام ٢٤٠٠ ق.م تقريباً)، وتسير جنباً إلى جنب مع ولع المصرى القديم بالحقيقة والعدالة وهو الولوج الذى يشكل جزءاً لا يتجزأ من عقليته. وهكذا نطالع فى حكم «أمموى» (وترجع إلى ألف سنة قبل الميلاد): «لا تقبل هدية من إنسان قوى لتحرم رجلاً ضعيفاً من الإحترام الذى يستحقه، إن الحق والعدل هبة من الله... أنقذ المحتاج ممن ينغص عليه حياته». - «ثناء الناس وجبهم أفضل بكثير من الثروة التى تملأ الأهراء، والخبز الذى يأكله المرء وقلبه مفعم بالسعادة أفضل من بحبوحة يعيشها المرء فى عزلة، إن الإله يفضل فضيلة الإنسان البار على ثور الإنسان الشرير».

لقد أثرت هذه الحكم المصرية القديمة تأثيراً عميقاً فى أسفار الحكم فى الكتاب

المقدس* ولا سيما سفر الأمثال بالإضافة إلى أناجيل العهد الجديد، كما يسمح لنا النص أحياناً أن نفهم أصل أسطورة من الأساطير الكلاسيكية: فنذكر على سبيل المثال أسطورة صاحب الحبال «أوكنوس» وهو شخصية رمزية كان يصور في مثنوى الأموات وهو يجدل حبلاً كانت أتان (أنثى الحمار) تلتهمه أولاً بأول - وانتشر تأويل يفسر هذا الرمز علي أن «أوكنوس» كان رجلاً محباً للعمل، ولكنه تزوج من امرأة مبدرة.(١٢٥) والخرافة المصرية مماثلة تقريباً، تفسر بوضوح تام هذا الرمز وشروحه التي تعود إلى العصر الكلاسيكي القديم.

أما «تنتالوس»** فإن موقفه قريب الشبه من الأشخاص الملعونين الذين لا يستطيعون أن يشربوا أو يأكلوا رغم أن الأطعمة التي يريديونها هي على مقربة منهم.

ان موضوع الكائنات التي لعنها الإله منذ ميلادها، ليشدّ اهتمامنا، وهو ما يؤكد وجود قدر مكتوب لكل كائن، يأتى معه عند ولادته في الدنيا، وحسب ما لديه من معارف سحرية سيكون في وسعه أن يقاومه أو لا يستطيع .

ج - القصة الثالثة: حرب السحرة.

ولما بلغ الصبى «سا - أوزير» الثانية عشرة من عمره،(١٢٦) كان يتصرف بحيث لم يكن في وسع كائن من كان من الكتبة أو الشخصيات النبيلة في منف أن يقارن به في (فن) القراءة أو كتابة التعويذات السحرية.

* تتكون أسفار الحكم في العهد القديم من الكتاب المقدس من خمسة أسفار هي : سفر أيوب - وسفر الأمثال - وسفر الجامعة - وسفر الحكمة - وسفر يشوع بن سيراخ. (المترجم)
 * ملك «ليديا»، عاقبتة الآلهة على ما ارتكبه من شرور، بأن يبقى إلى الأبد فريسة عطش وجوع لا يمكن اشباعهما، رغم ان الماء والطعام في متناول يده. (المترجم)

وحدث ذات يوم أن جاء الفرعون «أوسر، ماعت، رع» إلى قاعة القصر فى «منف»، وكان مجلس الأشراف منعقدًا وقواد الجيش وأعيان مصر يقفون فيه، كل حسب مكانته. وتقدم آنذاك أحدهم وقال لجلالته: «هناك رسالة مبلغة من زعيم نوبى وهى (مدونة) فى خطاب مربوط على جسده». عندئذ أدخل الزعيم النوبى (ليمثل) بين يدى فرعون. وعندما دخل إلى البلاط، قدم (تحية) إجلال وقال: «أيوّج من هو قادر على قراءة هذا الخطاب الذى جئت به إلى مصر أمام فرعون، دون أن يفرض خاتمه، أى من فى وسعه أن يقرأ النص الذى يحتويه دون فتحه؟ وإذا كان لا يوجد كاتب حاذق أو انسان عالم فى إمكانه أن يقرأ (هذا الخطاب) دون فتحه، فسوف أبلغ خزى مصر إلى وطنى، بلاد النوبة»

وعندما استمع فرعون وأعيان (البلاط)، إلى ذلك، باتوا لا يدرون فى أى مكان من الأرض كانوا يقفون. وقالوا: «بحق «بتاح» الإله العظيم، هل فى وسع أفضل الكتبة أو أى إنسان (على قدر كبير من العلم ان يقرأ خطاباً لا يرى منه سوى خارجه؟ هل فى الإمكان قراءة خطاب دون فتحه؟ وتحدث فرعون آنذاك قائلاً: «فلتأتوا بابنى، «ستنى - خع إم واس»، واسرعوا واحضروه فى الحال. انحنى «ستنى» حتى الأرض وحيّ فرعون. وبعد أن نهض وقف على قدميه لينطق به بعبارة التعبد لفرعون. وقال له هذا الأخير: «يابنى «ستنى»، أسمع الكلمات التى قالها أمامى هذا الزعيم النوبى: أيوجد فى مصر كاتب كفء أو رجل علامة فى مقدوره أن يقرأ هذا الخطاب الذى أمسك به فى يدى، دون أن يفرض الختم، وان يتعرف على ما يحتويه دون أن يفتحه؟» وعندما سمع «ستنى» هذه الكلمات، لم يدر فى أى مكان على سطح الأرض كان يقف وقال: «يا سيدى الشديد البأس من فى استطاعته ان يقرأ خطاباً دون أن يفتحه؟ ومع ذلك، امهلونى فترة عشرة أيام، ابحث خلالها عما عسانى أفعله للحيلولة دون إبلاغ خزى مصر إلى بلاد النوبة، وطن أكلة الصمغ.» قال فرعون: «اننا نوافقك على ذلك، يابنى يا ستنى.»

وخصصت للنوبى حجرات، طوال (فتره) إقامته، وأعدت له القاذورات على عادة أهل النوبة.^(١٢٧) ونهض فرعون تاركاً البلاط، وقلبه مفعم بالأسى، ونام دون أن يشرب أو يأكل. وعاد «ستنى» إلى منزله، دون أن يدرى أين هو ذاهب على الأرض، وتدثر فى ملابسه من (قمة) رأسه إلى (أخمص) قدميه وخذل إلى النوم دون أن يدرى أين

يقف على سطح الأرض. وعندما علمت زوجته «محو سخت» بذلك، جاءت إلى حيث يوجد «ستنى». ودست يدها داخل ملابسها فلم تشعر بأية حرارة، فكان راقداً، بلا حركة. فقالت له: «يا أخى «ستنى»، صدرك لا حرارة فيه، وبذلك لا حياة فيه، ولكن ليس ما فى قلبك، حزن وأسى، فحسب.» قال لها: «دعيني وشائى، يا أختى «محو سخت»، ان السبب الذى يؤلم قلبى ليس بالأمر الذى يمكن البوح به لامرأة.»

وهنا، دخل الصبى «سا - أوزير» ووقف أمام أبيه «ستنى» وقال له: «ستنى»، يا أبى، لماذا تترقد وقلبك حزين، أخبرنى، بما تخفيه فى قلبك من أمور، لأتمكن من طردها. قال ستنى: «دعنى وشائى، يا بنى «سا - أوزير» فما زلت شاباً، حدثاً، لـ(تنصت) لما فى قلبى، فليس لك من العمر ما يؤهلك لمجرد أن تحفل بذلك.» ولكن «سا - أوزير» أجاب قائلاً: «أخبرنى بهذه الأمور، لأهون على قلبك.» وقال «ستنى»: يا بنى «سا - أوزير»، لقد نزل زعيم نوبى^(١٢٨) إلى مصر ومعه خطاب مختوم، (مثبت) على جسده، وتكلم قائلاً: «أوجد من هو قادر على قراءة هذا الخطاب دون أن يفتحه؟ وإن كان لا يوجد كاتب كفاء أو إنسان عالم فى مكانه ان يقرأه هكذا، فسوف أبلغ إذن خزى مصر إلى بلاد النوبة، وطنى». ولذا، فانى أترقد، لأن قلبى يعتصره الأسى، بسبب ذلك، يا بنى «سا - أوزير». لما سمع هذا الأخير هذه الكلمات، ضحك لفترة طويلة «ستنى»: «ترى لم تضحك إذن؟» - «سا - أوزير»: «إنى أضحك، لأنك تترقد، حزين القلب لأمر بهذه البساطة، انهض، يا أبى «ستنى»! ففى وسعى فى الحال أن أقرأ الخطاب الوارد إلى مصر، دون فتحة وأعرف النص المكتوب الذى يحتويه، دون فض الختم!»

ولما سمع «ستنى» هذه الكلمات، نهض فى لحظة واحدة وقال: «ما برهانك على هذه الأقوال، يا بنى «سا - أوزير»؟ فأجاب هذا الأخير: «يا أبى «ستنى»، إذهب إلى حجرات الطابق السفلى من منزلك، وكل كتاب تخرجه من صندوقه^(١٢٩) سوف يكون فى وسعى ان أخبرك مضمونه، وفى استطاعتى ان أقرأه دون أن أراه، وأنا واقف فوق حجرات الطابق السفلى.» نهض «ستنى» على قدميه وفعل حسبما قال له «سا - أوزير». وتمكن «سا - أوزير» من قراءة كل الكتب التى كان يضعها «ستنى» أمامه ودون أن يفتحها. وعلى صعد «ستنى» من حجرات الطابق السفلى لمنزله وهو فى غاية الإبتهاج وهمّ مسرعاً فتوجه إلى مكان إقامة فرعون، ونقل إليه بالكامل حديث

«سا - أوزير» معه، وكان قلبه مفعماً بالسعادة من جراء ذلك، وفى الحال تطهّر فرعون للإعداد لوليمة مع «ستنى»، وقد دعا إليها أيضاً «سا - أوزير».

ومع طلوع صباح اليوم التالى، ظهر فرعون فى بلاطه وسط أعيانه. وطلب ان يستدعى الزعيم النبوى الذى دخل ومعه الخطاب المختوم (مثبتاً) على جسده. ووقف وسط البلاط. وعلى ذلك، سار الصبى «سا - أوزير» أيضاً إلى هذا المكان، وأخذ مكانه على مقربة من الزعيم النبوى ووجه إليه هذه الكلمات: «الويل لك)، أيها النبوى الحقيقير، الذى يتعين على الإله «آمون» ان ينزل به العقاب! انت يا من نزلت إلى مصر، حديقة «أوزيريس» الجميلة، مكان الراحة لـ «رع - حور أختى»، الأفق الجميل «للقدر السعيد»، وكان قصدك هو: سأبلغ خزى مصر إلى بلاد النوبة. لينزل غضب إلهك «آمون»^(١٣٠) بك العقاب! ان الكلمات التى سأقولها الآن هى بالفعل تلك المدونة فى الخطاب، ولا تتحدث بالكذب حول هذا الموضوع فى حضرة فرعون، سيدك!» وعندما شاهد الزعيم النبوى الصبى «سا - أوزير»، واقفاً فى البلاط، أحنى رأسه حتى الأرض وقال: «لن أتحدث البتة بالكذب بشأن ما ستنتطق به من أقوال».

هنا تبدأ القصة التى سردها «سا - أوزير» فى حضور فرعون وأعيانه، فى حين كان شعب مصر يستمع لصوته. وقال: «إليكم ما هو مكتوب فى خطاب الزعيم النبوى الذى يقف هنا وسط (البلاط):

يحكى أنه، فى يوم من أيام، زمن الفرعون «منخ - پا - رع»،^(١٣١) ابن آمون، الذى كان ملكاً مباركاً على البلاد بأسرها،^(١٣٢) فكانت مصر فى عهده تفيض بالخيرات، كان كريماً فى منح الهدايا، مقداماً إلى أبعد الحدود فيما يتعلق بالأعمال (الجارية) فى معابد البلاد، وحدث ذات يوم، لما كان حاكم بلاد النوبة يستريح فى جوسق (قائم) فى حدائق «آمون»، حدث آنذاك، ان سمع أصوات ثلاثة زعماء نوبيين صادرة من منزل يقع إلى الراء، كان أحدهم يتحدث بصوت مرتفع ومن جملة ما قاله ما يلى: «لو لم أخف ان يأخذ على «آمون» بعض المثالب وأن ينفذ سيد مصر ضدى شيئاً بشعاً لسلطت على مصر أعمالى السحرية، وأفعل ما أفعل بحيث يمضى شعب هذا البلد ثلاثة أيام وثلاث ليال دون أن يرى ضوءاً غير ضوء المسارج». ومن جملة ما قاله زعيم نوبى آخر، الكلمات التالية: «لو لم أخف أن ينزل بى «آمون» نكبة وان ينفذ

سيد مصر ضدى شيئاً بشعاً لسلطت على مصر أعمالى السحرية وفعلت ما أفعل بحيث يتم إحضار فرعون إلى بلاد النوبة. وعلى ذلك سأمّر بأن يضرب علناً بالسوط خمسمائة سوط، فى حضور الحاكم، ثم أمر بعودته - وكل ذلك فى ظرف ست ساعات.» ومن جملة ما قاله الزعيم النوبى الثالث، ما يلى: «لو لم أخف أن يأخذ علىّ «أمون» بعض المثالب وان ينفذ سيد مصر ضدى شيئاً بشعاً، لسلطت على مصر أعمالى السحرية، وأفعل ما أفعل بحيث تظل البلاد جدياً لمدة ثلاث سنوات.»

وعندما بلغ حاكم النوبة الخطابات التى ألقاها الزعماء النوبيون الثلاثة، أمرهم بالمثل بين يديه وقال لهم: «من (منكم) قال: «سأسلط على أهل مصر أعمالى السحرية ولن أسمح لهم لمدة ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ أن يروا الضوء؟ وأجابوا قائلين: «إنه «حورس» بن «ساو»» ثم استطرد قائلاً: من (منكم) قال: سأسلط على مصر أعمالى السحرية وأفعل ما أفعل بحيث يتم إحضار فرعون إلى بلاد النوبة. وعلى ذلك سأمّر بأن يضرب علناً بالسوط خمسمائة سوط، فى حضور الحاكم، ثم أمر بعودته إلى مصر، وكل ذلك فى ظرف ست ساعات؟» فاجابوا قائلين: «إنه «حورس» بن «نوبية» واستفسر الحاكم قائلاً: «من (منكم) قال: «سأسلط على مصر أعمالى السحرية وأفعل ما أفعل بحيث تظل البلاد جدياً لمدة ثلاث سنوات؟» وقالوا: «إنه «حورس»، ابن الأميرة»^(١٣٢) وعلى ذلك فقد وجه الحاكم الحديث إلى «حورس - بن - نوبية»: «قل إذن تعويدتك السحرية. وحياة «أمون»، ثور «مروى»^(١٣٤) يا إلهي، لو توجّ عمل يديك بالنجاح، لفعلت من أجلك الكثير من الأشياء الطيبة. عندئذ شكل «حورس - بن - نوبية» من الشمع محفة مزودة بأربعة حمالين. وقرأ عليهم تعويذة سحرية، ومنحهم النسمة وأحياهم. ثم اصدر إليهم الأوامر التالية: «سوف تتوجهون إلى مصر، لتأتوا بفرعون وترافقوه إلى حيث يوجد الحاكم. وعندئذ، وفى حضور هذا الأخير، سيضرب فرعون علناً بالسوط خمسمائة سوط، ثم تعودون إلى مصر - وكل ذلك فى ظرف ست ساعات. وأجابوا: بالتأكيد، ولن نغفل شيئاً.»

وطارت مخلوقات النوبى السحرية ليلاً إلى مصر واختطففت الفرعون «منخ - پا - رع»، ابن أمون، وأقتادته إلى بلاد النوبة إلى حيث كان يوجد الحاكم. وضربوه علناً بالسوط فى حضور هذا الأخير خمسمائة سوط. ثم اقتادته إلى مصر، وكل ذلك فى ظرف ست ساعات.»

تلك هي الأحداث التي رواها «سا - أوزير» أمام الجمهور، في حضور فرعون وأعيانه، في حين كان شعب مصر يستمع لصوته. وقال أيضاً: «عسى غضب «أمون»، إلهك، أن ينزل بك - العقاب! أليست الكلمات التي نطقت بها هي تلك المكتوبة في الخطاب الذي بين يدك؟» وأجاب الزعيم النوبي قائلاً: «واصل القراءة، إن ما قلته من كلمات مطابق (لتلك التي بالخطاب)، وعلى ذلك، استطرد «سا - أوزير» في حضور فرعون:

«وبعد أن قام سحرة النوبة بإعادة فرعون، ابن أمون، إلى مصر، كان ظهره يحمل آثار جروح غائرة، ورقد في حجرة معتمة (من حجرات) القصر، وقد جُدد ظهره. وعندما انبلج صبح اليوم التالي، قال فرعون لرجال البلاط: «ماذا حدث في مصر، بينما (استبقيت) أنا بعيداً عنها؟ وإذ دخلوا من الفكرة (التي اختمرت) في قلوبهم: لقد فقد فرعون رشده، فأجابوا قائلين: بالعافية! بالعافية! أيها الفرعون، ياسيدنا الشديد البأس، إن «إيزيس»، الإلهة العظيمة، ستطرد ألامك. ما هو إذن معنى الكلمات التي ذكرتها لنا، يا فرعون، ياسيدنا الشديد البأس؟ أنت ترقد في حجرة معتمة (من حجرات) القصر والآلهة تحميك. وعلى ذلك فقد نهض فرعون وجعل رجال البلاط يرون ما يحمله ظهره من آثار جروح غائرة وقال: وحق «بتاح» الإله العظيم، هناك من اصطحبني أثناء الليل إلى بلاد النوبة. وهناك في حضور الحاكم، ضربوني علناً بالسوط خمسمائة سوط ثم أعادوني إلى مصر - وكل ذلك في ظرف ست ساعات. وعندما رأوا آثار الجلد على ظهر فرعون، فتحوا فاههم وأطلقوا صرخات أنين مدوية.

عندئذ استدعى «منخ - پا - رع»، ابن «أمون»، ساحراً يدعى «حورس - بن - پا - نسحي»^(١٣٥) وهو رجل علامة. وحضر إلى جانب فرعون، وأطلق صرخة مدوية، وقال: «ياسيدى الشديد البأس، إنها الأعمال السحرية للنوبيين، وحياة... لسوف... واستطرد فرعون قائلاً: تصرف بسرعة من أجلي، ولا تسمح بأن يصطحبوني إلى بلاد النوبة، خلال ليلة أخرى. وعلى جناح السرعة، عاده الساحر «حورس - بن - پا - نسحي» إلى جوار فرعون ممسكاً كتبه وتماثمه. وقرأ تعويذة (سحرية) وثبت عليه

تميمة للحيلولة بشكل قاطع دون تسلط سحرة النوبة عليه. ثم ابتعد عن فرعون، وأخذ معه الموائد المقدسة للنار وأواني الماء الطهور وصعد على متن سفينة واتجه مسرعاً إلى «هرموبوليس». وهناك توجه إلى معبد المدينة، وقدم للإله «تحت» قرايينه وماء الطهور - (قدمها للإله) «تحت»، العظيم ثمانى مرات، (١٣٦) («تحت») سيد «هرموبوليس»، الإله العظيم. وتلا صلاة في حضرته، قائلاً بصوت مرتفع: حوّل وجهك إليّ، أيا سيدى «تحت»! لا تسمح أن يبلغ النوبيون خزى مصر إلى بلادهم! فإنت هو الذى خلقت التعويذات السحرية. أنت الذى رفعت السماء، وأسسست الأرض، وعالم الآخرة واقمت الآلهة ومحاريبها فى محل إقامتها. يا (أنت)، اسمح أن (أحصل على) المعرفة (الضرورية) لحماية فرعون من هؤلاء السحرة النوبيين!

واستراح «حورس - بن - پا نسحى» فى المعبد. فى هذه الليلة، رأى حلمًا، ومن خلاله تحدث إليه طيف الإله العظيم تحت قائلاً: أنت حقاً «حورس - بن - پا نسحى»، ساحر الفرعون «منخ - پا - رع»، ابن «آمون»؟ ومع بزوغ صباح اليوم التالى، سوف تتوجه إلى مكتبة معبد «هرموبوليس». فتجد فيها صندوقاً مغلقاً ومختوماً. افتحه! وستجد داخل هذا الصندوق، صندوقاً صغيراً يحتوى على لفافة بردى، كتبت عليه. أنا شخصاً بخط يدي. اخرجها، وانسخ من النص نسخة ثم أعد اللفافة إلى مكانها. إن اسمه هو «كتاب السحر». لقد حماني من الطوابع الإلهية (النحس)، كما سيحمى فرعون من هؤلاء السحرة النوبيين.

ولما أفاق «حورس - بن - پا - نسحى» من الحلم الذى رأى خلاله هذه الأمور، أدرك أن ما حدث له كان مرسلاً إليه من الإله. وعلى ذلك، تصرف وفقاً لكل كلمة من الكلمات التى أوحيت إليه فى الحلم. وهم مسرعاً إلى حضرة فرعون. وحماه بواسطة رقية مكتوبة. ومع طلوع اليوم الثانى، عادت ليلاً إلى مصر مخلوقات «حورس - بن - نوبية السحرية»، إلى حيث يوجد فرعون. ولكنها اضطرت أن تعود للتو إلى جوار الحاكم. فلم يعد فى مقدورها أن تؤكد تسلطها على فرعون، بسبب توائم الحماية التى ثبتها عليه الساحر «حورس - بن - پا - نسحى». وفى صباح اليوم التالى، روى فرعون لهذا الأخير كل ما كان قد رآه أثناء الليل، وكيف اضطرت المخلوقات السحرية للنوبيين أن ترحل، بعد أن استحال عليها أن تؤكد تسلطها عليه.

وعلى ذلك، أمر «حورس - بن - پا نسحى» بإحضار كمية كبيرة من الشمع النقى.

وشكل محفة وأربعة حمالين، وتلا عليها تعويذة، ومنحهم النسمة وأحياهم. ثم اصدر لهم الأوامر التالية: «اذهبوا هذه الليلة إلى بلاد النوبة. وتعودون منها ومعكم الحاكم وتذهبون به إلى حيث يوجد فرعون. وعندئذ سيضرب علنا بالسوط خمسمائة سوط في حضور هذا الأخير. ثم تعودون إلى النوبة - وكل ذلك في ظرف ست ساعات.»

تلك هي الأحداث التي رواها «سا - أوزير» علنا، في حضور فرعون وأعيانه، في حين كان شعب مصر يستمع لصوته، وقال أيضاً: «عسى غضب آمون، إلهك، ينزل بك العقاب، أيها النوبي الشقي، أليست الكلمات التي نطقت بها هي تلك المكتوبة في الخطاب الذي بين يديك؟» وأجاب النوبي، مطأطئاً رأسه حتي الأرض: «واصل القراءة، إن كل ما قلته من كلمات مدونة بالفعل في هذا الخطاب.» ومع ذلك فقد واصل «سا - أوزير» قائلاً:

في أعقاب هذه الأحداث وبمجرد عودة الحاكم إلى بلاد النوبة، في ظرف ست ساعات، وضع في مكانه وظل راقداً هناك، ولما طلع النهار نهض مصاباً بإصابات بالغة من جراء الضربات التي تلقاها في مصر. وقال للشخصيات البارزة (في قبيلته): «لقد ضربت علناً بالسوط خمسمائة سوط في حضور فرعون مصر، ثم أعدت إلى النوبة.» وكشف عن ظهره للشخصيات المذكورة التي فتحت قمها وأطلقت صرخة أنين مدوية. واستدعى الحاكم «حورس - بن - نوبية» وقال: «عسى، إلهك، «آمون»، ثور «مروى»، يلعنك! عليك الآن أن تذهب إلى هذا المصري. وابحث عن الكيفية التي تنقذني بها من يد «حورس - بن - پا - نسحى».

عندئذ صنع مخلوقات سحرية وربطها في (جسد) الحاكم حماية له من تلك التي كان قد صنعها «حورس - پا نسحى» وعند حلول ليل اليوم التالي، طارت مخلوقات «حورس - بن - پا - نسحى» إلى بلاد النوبة. واصطحبت الحاكم إلى مصر، وضربوه علناً بالسوط في حضور فرعون خمسمائة سوط، وأعادوه إلى النوبة - وذلك في ظرف ست ساعات.

وعلى امتداد ثلاثة أيام، حدث نفس الشئ للحاكم، فقد عجزت مخلوقات النوبيين

السحرية عن حماية هذا الأخير من يد «حورس - بن - پا - نسحى»، ويئس الحاكم يأساً. واستدعى «حورس - بن - نوبية» وقال له: «الويل لك! أيها النبوى الحقيق، بسببك أهدت على أيدي المصريين وليس فى وسعك أن تحمىنى منهم. وإلهى «أمون»، ثور «مروى»، لئن عجزت عن حمايتى من سفن السماء التابعة لهم^(١٣٧) لأقتلك قتلاً بشعاً. واجاب «حورس - بن - نوبية» قائلاً: ياسيدى، أيها الحاكم، دعنى أنزل إلى مصر لأشاهد من يمارس (هناك) هذه الأعمال السحرية، فأدعوه إلى القتال فيستشعر مدى الإحتقار الذى أكنه له فى قلبى. وعلى ذلك، فقد أوفد «حورس - بن - نوبية» (إلى مصر) من قبل الحاكم، وتوجه (أولاً) إلى حيث تقيم أمه، «نوبية». [وقص عليها كل ما ألم به وعلى ذلك فقد قالت له]: لو نزلت إلى مصر، لممارسة أعمالك السحرية، فاحترس من المصريين، فلن يكون فى استطاعتك منافستهم. التزم جانب الحذر حتى لا تقع فى أيديهم، لأنك لن تعود أبداً إلى بلاد النوبة!. وأجاب: لن يغيد ما تقولين شيئاً. فليس فى وسعى أن اتجنب الذهاب إلى مصر، لو أردت أن أنشر فيها مخلوقاتى السحرية. عندئذ قالت له أمه، المرأة النوبية: لو لم يكن هناك مفر من أن تذهب إلى مصر، فلنتفق على أمانة بينى وبينك، فإذا هزمت، أمكننى التوجه إليك، وأنظر فى امكانية أنقاذك، فأجاب: لو هزمت، فعندما تشربين أو تأكلين، سيتحول أمامك الماء إلى لون الدم والخبز إلى لون اللحم وتصبح السماء أمامك بلون الدم.

وبعد أن اتفق هكذا «حورس - بن - نوبية»، على هذه الأمارات بينه وبين والدته، همّ مسرعاً إلى مصر، مزوداً بأعماله السحرية. واجتاز البلد الذى كان «أمون» قد خلقه، حتى «منف»، فى المكان الذى يقيم فيه فرعون، بحثاً عن ذاك الذى يصنع فى مصر المخلوقات السحرية. وقدم إلى البلاط، قدام العاهل الملكى وقال: الويل لك يا من تمارس ضدى أعمالك السحرية، فى المكان الذى يوجد فيه فرعون، تحت نظر شعب مصر. وأنتما أيضاً يا كاتبى «بيت الحياة»، وأنت بصفة خاصة، يا كاتب «بيت الحياة» يا من مارست سحرك ضد الحاكم، الشئ الذى دفعه على الرغم منى (بالذهاب) إلى مصر. وبينما كان يقول هذه الكلمات، كان «حورس - بن - پا - نسحى» واقفاً فى البلاط، قدام فرعون. وقال: الويل لك، أيها النبوى الحقيق! الست أنت «حورس - بن - نوبية» الذى أنقذت حياته ذات يوم فى حدائق «رع» عندما أشرفت أنت ورفيقك النبوى على الغرق فى الماء، اثرسقوطكما من التل، إلى الشرق من هليوپوليس؟ ألا تندم لأنك اصطحبت سيدنا، فرعون^(١٣٨) وجلدته على ظهره فى

حضور الحاكم؟ وتحضر الآن إلى مصر قائلاً: أهو هنا ذاك الذى مارس أعماله السحرية ضدى؟ وحق «آتوم»، سيد «هليوبوليس»، ان آلهة مصر هى التى جاءت بك إلى هنا لنرد لك صاعاً بصاع، امسك قلبك، فإنى قادم!»

وبعد أن نطق «حورس - بن - پا - نسحى» بهذه الكلمات، رد عليه «حورس - بن - پا - نسحى» قائلاً: «ترى، أيقوم ذاك الذى علمته لغة الذئاب، بأعمال السحر ضدى؟» عندئذ استخدم الزعيم النوبى تعويذة سحرية فشبت نار فى البلاط، وأطلق فرعون وأعيان مصر صرخة مدوية قائلين: تعال إلينا بسرعة، يا إلهها الساحر «حورس - بن - پا - نسحى»، عندئذ نطق هذا الأخير تعويذة أقوى بحيث صبت السماء على النار مطراً مدراراً فانطفأت النار فى الحال.

وعلى ذلك، استخدم النوبى تعويذة سحرية أخرى، فهياً الأمر، بحيث تغطى سحابة كثيفة البلاط، حتى ان كل شخص لم يكن يميز أخاه أو جاره، ولكن «حورس - بن - پا - نسحى» قرأ تعويذة فى اتجاه السماء، حتى انقشعت السحابة وتلاشت الريح العاتية التى أتت بها.

واستخدم «حورس - بن - نوبية» تعويذة سحرية جديدة فهياً الأمر، بحيث ترتفع فوق فرعون وأعيانه قبة شامخة من الحجر، طولها مائتا ذراع وعرضها خمسون ذراعاً^(١٣٩) فاصبحت مصر منفصلة عن مليكها وحرمت البلاد من سيدها، ونظر فرعون ناحية السماء، فلم ير فوقه سوى قبة من حجر، عندئذ فتح فمه وانطلقت صرخة مدوية، ونفس الشئ فعله الناس الواقفون فى البلاط، ولكن «حورس - بن - پا - نسحى» نطق تعويذة أقوى، وهكذا خلق فى السماء سفينة من البردى، قامت بنقل القبة الحجرية، وهكذا ابحرت السفينة حتى البحيرة العظمى، المسطح المائى العظيم فى مصر،^(١٤٠)

عندئذ أدرك الزعيم النوبى أنه لا يستطيع أن يبارى المصرى، فقال تعويذة سحرية تجعله غير مرئى فى البلاط ليتمكن من الفرار إلى بلده النوبة، ولكن «حورس - بن - پا - نسحى» قرأ ضده تعويذة، تكشف أعمال النوبى السحرية، وتجله مرئياً من جديد لفرعون ولشعب مصر الواقف فى البلاط، كان قد اتخذ هيئة ذكر الأوز البرى، بل كان مستعداً للرحيل، وقال «حورس - بن - پا - نسحى» ضده تعويذة جعلته ينقلب على ظهره، فى حين يقف من فوقه صائد طيور، وفى يده سكين حاد، متأهب للإجهاز عليه.^(١٤١)

وفى غضون هذه الأحداث، كانت الأمارات التى اتفق عليها «حورس - بن - نوبية» مع أمه قد ظهرت أمام هذه الأخيرة. فهمت مسرعة ونزلت إلى مصر، على هيئة أوزة برية،^(١٤٢) وحوّمت فوق قصر فرعون، وأطلقت باتجاه ابنها صرخات حادة - إذ كان ابنها قد أخذ هيئة ذكر الأوز الذى كان صائد الطيور فوقه. ونظر «حورس - بن - پا نسحى» إلى السماء، فشاهد نوبية فى الهيئة التى كانت قد تنكرت فيها وتعرّف عليها. ونطق ضدها تعويذة، كانت فاعليتها كافية لتقلبها على ظهرها، فى حين يقف من فوقها صائد طيور، وفى يده سكين، متأهب لقتلها. واستطاعت ان تبدل الهيئة التى كانت عليها واستعادت هيئة المرأة النوبية وتوسلت قائلة: لا تقتلنا، يا «حورس - بن - پانسحى»، اغفر لنا جرائمنا، وإذا وهبت لنا سفينة سماء، فلن نعود أبداً إلى مصر. عندئذ أقسم «حورس - بن - پانسحى» باسم فرعون وبآلهة مصر قائلاً: لن أرفع سحرى إلى أن تقسم أيضاً بالآل تعودى أبداً إلى مصر لأى سبب كان. وعلى ذلك رفعت يدها (وهكذا اقسمت) بالآل تعود أبداً إلى مصر. وأقسم أيضاً «حورس - بن - نوبية» قائلاً: لن أعود إلى مصر قبل ألف وخمسة سنة. وعلى ذلك خلصهما «حورس - بن - پا نسحى» من سحره. وأعطى حورس - بن - نوبية «والنوبية» سفينة سماء واتجها إلى منزلهما فى بلاد النوبة.

تلك هى القصة التى رواها «سا - أوزير» أمام فرعون، بينما كان شعب مصر يسمع صوته، وكان فى وسع أبوه «ستنى» أن يشاهد كل هذه الأشياء وكان الزعيم النوبى ينبطح أرضاً. كما قال: «وحياتك، ياسيدى الشديد البأس، ان هذا الرجل (الواقف) أمامك هو «حورس - بن - نوبية» الذى رويت لك سقطته والذى لم يندم على (الجرائم) التى سبق وارتكبها. ها هو قد عاد إلى مصر بعد انقضاء ألف وخمسمائة سنة، ليطلق (من جديد) أعماله السحرية فى هذا البلد. وحق «أوزيريس»، الإله العظيم، سيد الآخرة، الذى بجواره مرقدي، إننى أنا، «حورس - بن - پانسحى»، أنا القائم الآن قدام فرعون، لما علمت وأنا فى العالم الآخر ان النوبى الحقيقى يزعم ان يطلق على مصر أعماله السحرية، بينما لا يوجد فى البلاد فى الوقت الراهن كاتب واحد (على قدر كاف) من الكفاءة ولا شخص عالم فى وسعه أن يباريه، فقد طلبت

من «أوزيريس» فى العالم الآخر، ان يتركني أعود إلى الأرض لمنع (هذا الحقيير) ان ينقل إلى النوبة خزى مصر. وأصدر «أوزيريس» أمره بأن يسمح لى بالعودة إلى الأرض.

وأفقت آنذاك، وكنت أصعد أثناء طيراني، بحثاً عن «ستنى»، ابن فرعون، فى تلال صحراء «هليوبوليس» أو فى هذه (التلال) بصحراء منف، وعلى ذلك فقد باشرت نموى بصفتى بطيخة، بغية أن أعود فى هيئة جسد إنسان فأولد على الأرض من جديد وأقوم بأعمال السحر ضد هذا النبوى الحقيير، الذى يقف الآن فى البلاط..» عندئذ نطق «حورس - بن - پانسحى»، وهو على هيئة «سا - أوزير»، تعويذة سحرية ضد الزعيم النبوى، فأحاطه بنار وهكذا فقد أحرقه وسط البلاط، بينما كان فرعون هو وأعيانه وشعب مصر يتأملون فى نفس الوقت هذا المشهد.

وبعد ذلك، اختفى «سا - أوزير»، من أمام فرعون ومن أمام أبيه «ستنى» وكأنه طيف ولم يروه أبداً. وكان فرعون وكبرائه قد بهرتهم كل هذه الأشياء التى استطاعوا ان يروها فى البلاط، وقالوا: «لا يوجد كاتب أكثر كفاءة من «حورس - بن - پانسحى»، ولا أكثر علماً منه! لن يتاح لنا أبداً من يضاهيه (لن يتاح) أبداً!»

وفتح «ستنى» فمه وصرخ صرخة مدوية، لان «سا - أوزير» كان قد اختفى، وكأنه طيف ولم يعد فى وسعه أن يراه. ونهض فرعون فى قاعة المقابلات الرسمية، وقلبه يعتصر من شدة الإنفعال لما شاهده. وأمر بتوفير الإستعدادات لصالح «ستنى»، حتى يتمكن من رؤية ابنه «سا - أوزير» من جديد، فيطيب قلبه.

ولما هبط الليل، توجه «ستنى» إلى حجرته وكان الحزن الشديد يعتصر قلبه، اعتصاراً، وكانت «محو سخت» ترقد بجواره، وحبلت منه (طفلاً) فى نفس الليلة، ولما أن الألوان، وضعت طفلاً سُمي «أوزير - حورس». (١٤٣)

ولم يتخلف «ستنى» أبداً عن إحراق الإضاحى وتقيم الماء الطهور لروح «حورس - بن - پانسحى» - فى كل المناسبات.

هذه هى نهاية الكتاب الذى كتبه....

صيّغت هذه القصة الثالثة وكأنها مسرحية حقيقية. إننا موجودون في عالم من التوافقات والمطابقات السحرية. أن السماء والأرض والعالم الآخر وكما كان شأنها في الأزمنة الأولى للكون لا تفصلها حواجز منيعة. أن الآلهة والبشر والموتى على اتصال بعضهم ببعض بفضل سحر نشط وفعال، بفضل ما يمارسه السحرة من أعمال سحرية لها تأثير عظيم.

يتألف «الفصل» الأول من عرض للشخصيات والحبكة الدرامية وينتهي بعقاب فرعون وانتصار الشر. فإذا كان «أمون» قد خلق عالماً عادلاً وسعيداً، فإن سحرة النوبة يسعون إلى تدميره على مراحل ثلاث: بحرمانه من النور وجذب التربة وإذلال الملك - الإله. إنها العودة إلى الخواء الأصلي، والعالم العديم الشكل غير الخصب الذي سبق الخلق الإلهي وسبق أيضاً، تنصيب الملوك، فهم حماة النظام والعدالة والحق، إلى الأبد. أن الضربات التي تجلد بدن فرعون غايتها نفى سلطانه وألوهيته. وهي أيضاً المدخل إلى الخواء. وفي وجه السعادة المتوازنة في مصر تقف الأعمال السحرية الشريرة القادمة من النوبة. إنه صراع الشر والخير.

أما «الفصل» الثاني فيقدم لنا وصفاً لانتقام فرعون الخير، والثأر من الشر الذي ارتكبه.

و«الفصل» الثالث - هو الذروة، فهو الحرب التي تقوم بين السحرة الأخيار والسحرة الأشرار. ويعرف «حورس - بن - پانسحى» كيف يحارب النار (التي تُدمّر) بالماء، وهو عنصر الخصوبة للتربة ويحارب الظلام (الذي يثقل) بالنور، وأهب الحياة. وعلى غرار الفصل الأول، فإننا نجد هنا، العناصر الأساسية المكونة للكون المخلوق والذي يجيد الساحر ردها إلى البشر شأنه شأن الإله الخالق في الأزمنة الأولى. إن قارباً خفيفاً مصنوعاً من البردى سيوقف وهو موجه توجيهاً سحرياً ناجحاً، في سحب القبة الحجرية الثقيلة. التي لجأ إليها السحرة الأشرار بفضل المخلوقات عن الخلق وعزل الملك والكائنات البشرية في عالم مغلق يسجنون فيه.

وينتصر الخير انتصاراً مبيناً خلال «الفصل» الرابع، الذي يمثل الإنفراج الذي تصل إليه الأحداث مع إقرار السحرة - الذين تم عزلهم قبل ألف وخمسمائة سنة ثم عادوا إلى الأرض - والتضحية بالشيطان حرقاً.

وتتشابك مع هذه الحبكة مواضيع متنوعة تقف في مقدمتها الأساطير المصرية:

علم الإله «تحتوت»، سيد السحر، والنشاط الخيّر لـ «أوزيريس» الساعى إلى حماية المخلوقات فيوفد إلى الأرض رجلاً، وقع عليه الإختيار بسبب علمه الغزير، لإنقاذ البشر من الشر (وهو موضوع كان بوجه عام أكثر شيوعاً فى الحضارات السامية).

ولكن هذا النص يؤكد بوضوح وجود جنود افريقية للحضارة المصرية: أهمية السحرة، ومعرفتهم بالعالم الذى يتسلطون عليه بفضل «الأعيبيهم» المتنوعة، وقدرتهم على بث الحياة فى تماثيل من شمع حسب هواهم، ومكانتهم فى إطلاق الأوامر التى تسمح بالإتصال عن بعد (وقد سبق أن شاهدنا ذلك فى قصة الأخوين^(١٤٤)) - وإيضاً إمكانية إتخاذ أشكال جديدة، فيمكن ان يتجسد الساحر بسهولة فى أى شكل وان يتخذ الهيئة التى يريدها، منتقلاً من هيمنة إلى أخرى، نون معوقات، وكان ذلك، هو المثل الأعلى الذى ينشده المصريون: كانت هذه الحاجة، هى السبب وراء وجود الكتب الجنازية فى مصر القديمة، التى كانت تضع تحت تصرف المتوفى التعويذات المناسبة والوسائل التى تؤهل المتوفى للحصول، خلال الحياة الأبدية، على الحرية التامة فى حركاته والظهور فيما يريده من مظهر، كل ذلك يقرينا من العقائد الشامانية البدائية.

ومثل غيرها من قصص الخوارق^(١٤٥) فإن خلفية هذه القصة هى خلفية تاريخية. ومن الراجح أن الفرعون الخير الذى تشير إليه القصة هو تحوتمس الثالث الذى حكم مصر من ١٥٠٤ إلى ١٤٥٠ ق.م - وان حكم مصر حكماً فعلياً اعتباراً من ١٤٨٠ فكان المؤسس الأول لإمبراطورية مصر - إذ كان واعياً بهذه المهمة وضرورتها السياسية. وإضافة إلى ذلك، كان هذا الملك هو الذى ثبت سيطرة الإدار المصرية على النوبة، وهى الإقليم «المستعمر» التابع للإمبراطورية. وقد رأى المصريون من الألف الثالثة قبل الميلاد أن النوبة هى امتداد طبيعى تابع لبلادهم، ثم حدث فى زمن الهزائم والإنحطاط، أن قام مواطنو النوبة بدورهم ببسط سيطرتهم على مصر، فأسسوا الأسرة الخامسة والعشرين لما يقرب من قرن من الزمن - من ٧٥٠ إلى ٦٥٦ ق.م. وقد طردهم الأمراء الثائرون ثم الأشوريون، فقاموا فى نهاية المطاف بتأسيس مملكة مستقلة فى «نباتا» و«مروى»، فى قلب أفريقيا. لقد عانى المصريون من موجات أخرى من الإحتلال الأجنبى، ولكن إحتلال النوبيين لهم وكانوا «رعاياهم» كان مؤلماً لهم بصفة خاصة. وتفسر هذه الوقائع، إلى جانب غيرها من الوقائع، مدى

احتقارهم لشعوب الجنوب الذين تحولوا فى حكاياتهم الخرافية إلى عملاء نشطين للشر.

إن الأزمنة المختلفة، فى القصة، تتداخل وتختلط، مثلما يحدث فى الغالب فى النصوص المصرية - تأكيداً للإستمرارية وللتتابع اللانهائى للحياة التى تتجدد على الدوام - وكما حدث للطفل «أوزير - حورس»، فخلف فى ذات ليلة الطفل «سا - أوزير» الذى عاد إلى مرقده بجوار «أوزيريس» بعد أن أنهى مهمته، فإننا نحيا فى آن واحد فى زمن تحوتمس الثالث وفى زمن هذا الفرعون الوهمى، وهو زمن متأخر جداً، ولا شك أن تأليف النص يرجع إلى العصر البطلمى، غير أن فترة الألف وخمسمائة سنة التى تفصل بين أنشطة الساحرين - تعادل تقريباً الفترة الزمنية التى انقضت بين حكم «تحوتمس» الثالث وحكم البطالمة، لقد حاولت مصر على الدوام فى عصور تبعيتها لشعوب أخرى أن ترتبط بماضيها المهيّب وبأثنين من أمجد فراعنتها: «تحوتمس» الثالث و«رعمسيس» الثانى.

شروح وهوامش الفصل الثانى من الباب الثانى

(١) سبق أن نشرنا فى المجلد الأول من «نصوص مقدسة ونصوص دنيوية» (صص ٣٠-٣٢) إحدى القصص التى تضعها هذه البردية، تلى فى الترتيب القصة الرابعة التى رواها «جدفحور»، وكانت ترتبط فى الواقع بالولادة المعجزة لملوك الأسرة الخامسة، الذين ولدوا من صلب الإله «رع» - وهى الولادة التى أعلنها الساحر «جدى» (راجع ضمن هذا الفصل: «قصة الساحر جدى»)

(٢) النص المصري، A.ERMAN, Die Märchen des Papyrus Westcar, Berlin, 1890, Pl. I-IV.

(٣) وهى الصفة المعتادة التى تطلق على المتوفين الذين عرضت حياتهم على محكمة «أوزيريس» التى رأت أن أقوالهم «صادقة» - ومن ثم أصبح فى وسع الملك المتوفى دخول الأبدية.

(٤) حرفياً: «حياة القطرين» وهو أحد أسماء العاصمة «منف».

(٥) اسم يعنى: «ذاك الذى يفلق الحجر».

(٦) كاهن رفيع الشأن، ملء بالشعائر والتعاويذ، وساحر عظيم.

(٧) كان المصريون يعيشون الطبيعة والحدايق، فأحيطت البيوت الكبيرة بالحدايق الشاسعة التى غرست فيها الأشجار والأزهار من مختلف الأنواع. وأقيمت فى وسطها، البرك التى، يسبح فيها البط والأسماك الملونة وتنمو أزهار اللوتس. وكان وجود جوسق للترويح يوفر الإستمتاع بالهدوء ومباهج الطبيعة.

(٨) أى ما يعادل ١٣ سم تقريباً.

(٩) أى ما يعادل ٣٦٠ سم تقريباً.

(١٠) النص المصري: A.ERMAN, Die Märchen des Papyrus Westcar, Berlin, 1890, Pl. I-IV.

K.SETHE: Aegyptische Lesestücke, Leipzig, 1959, (3^e.ed) P.26-28.

(١١) اسم معناه: «ليكن رأس (ه) حياً» كان فى الإمكان أن يطلق على المواليد الجدد أسماء تتكون من أسماء إلهية. وفى بعض الأحيان أيضاً يكون الاسم استمراراً لكلمة تعجب أطلقتها القابلة، لحظة الميلاد - وكانت هذه الكلمة فى حالة الشخص الذى يعيننا، على قدر من الصعوبة على ما يعتقد.

(١٢) حرفياً «مكان رطب»، أى مسلّ ويشرح الصدر أيضاً. ومن جديد يبرز موضوع الملل الملكى ويلجّ علينا.

(١٣) تقال صيغة هذه الأمنية التقليدية من أجل وجود سعيد ودائم وترتبط بالشخصية الملكية، بما فى ذلك الجماد.

(١٤) حرفياً: «البيت الكبير». وهى باللغة المصرية: «پرعا» - وهى الأصل المصرى لكلمة «فرعون»، حسب التصحيف اليونانى. ان القصر الذى يقيم فيه العاهل الملكى ذاته، قد أعطى اسمه للملك، فى نهاية الأمر - إذ اندمج الملك ومسكنه فى كيان مقدس له واحد.

(١٥) كان صفان من المجدفين (من المجدفات، فى هذا النص) يسيرون السفن فى المعتاد.

(١٦) لا تدل هذه العبارة على أخوة جسدية، إنما تعبر عن مدى توقير الملك للكهنة، العارف العظيم بالأسرار السحرية. كما أنه يريد بلا شك أن يؤكد على القرابة الروحية بين كائنين يربط بينهما رباط قوى، ولكن أساليب مختلفة، من خلال علم الآلهة.

(١٧) حرفياً «نطق كلمات (ه) بصفتها إفتنانا سحريا».

(١٨) فى وسطهما: أى فى أكثر النقاط عمقاً. «١٢ ذراعاً»: أى ما يعادل أكثر من ستة أمتار.

(١٩) النص المصرى: A.ERMAN, Die Märchen des Papyrus Westcar, Berlin, 1890, Pl. VI-IX

K.SETHE: Aegyptische Lesestücke, Leipzig, 1959, (3^e.ed) P.28-32

(٢٠) حرفياً: «رجل صغير» أو «ضعيف». ان كلمة «نچس» فى المصرية، تدل أولاً على ضالة الإنسان بدنياً أو على ضعفه، كما تدل أيضاً على ضالته أخلاقياً أو خسته. وهكذا فإن نفس هذه الكلمة قد تستخدم للدلالة على الخسيس (وهو عشيق زوجة «وياوتر») والرجل الذى أتى عليه الدهر وشرب مثل «جدى».

(٢١) حرفياً: «فليظل الملك «ستفرو» باقياً»! وهو الاسم الذى أطلق على المدينة التى كانت قائمة بجوار هرم الملك، فى ميدوم.

(٢٢) الهرم الملكى - الذى يصعد منه الملك إلى السماء، متغماً تشرق الشمس يوماً، خارج الأفق.

(٢٣) بدءاً من العاصمة منف.

(٢٤) خشب نفيس كان يستورد من فينقيا.

(٢٥) العنصر المجنح للكائن الحى.

(٢٦) الشيطان، حارس إحدى بوابات العالم السفلى التى كان على المتوفى ان يجتازها أثناء الرحلة التى ستقوده إلى التجديد. و«حبس باج» يعنى: «ذاك الذى يخفى المتوفى».

(٢٧) إن الولع بالمعرفة والثقافة متأصل فى عقل المصريين، إن الكتب هى محل احترام الجميع. وسوف

يقول الكاتب آنى: «سيفعل الناس كل ما تقوله إذا كنت ملماً بالكاتب، تجرّ فيها وضعها فى قلبك، عندئذ ستصبح كل كلماتك فاعلة» (نصوص مقدسة ونصوص دينوية، المجلد الأول من ٣٥٠) وأثناء سفره لا يستطيع «جدى» أن يبتعد عن ذريته التى من صلبه، التى ستمدّد حياة جسده، ولا عن كتبه التى ستؤمن له حياة عقله.

(٢٨) شاهد على الإحترام الكبير الذى ظل يكنه المصرى على الدوام تجاه المخلوقات الحية، التى خلقها الإله. وقد شاعت فى النصوص المصرية صورة «القطيع» البشرى الذى يقوده «الراعى الصالح» الملكى. (راجع C.LALOUETTE: Empire des Ramses' P374)

SETHE; OP cit. P31. I; 12-13 (٢٩)

وهو ما يتفق مع ما ورد قبل ذلك فى سياق النص.

(٣٠) يرى جوستاف ليفيغر G. LEFEBVRE، أن الحجرة المقصودة هى حجرة معبد هليوبوليس التى تحتفظ بالسجلات ولا سيما سجلات جرد أملاك المعبد. (Op. cit. P.84, note 60.)

(٣١) «الكاهن المطهر» أو «الكاهن ذو اليدين الطاهرتين» - المكلف على وجه التحديد بزينة التمثال الإلهى والعناية به فى ناووسه داخل المعبد.

(٣٢) مدينة قائمة على مقربة من هليوبوليس - حيث يحظى الإله الشمسى بعبادة هامة.

(٣٣) الملكية.

(٣٤) ومعناه، إما أنه من أولئك الذى يتأملون التمثال الإلهى القائم بعيداً عن الأنظار أو من أولئك الذين

يتأملون الإله الشمسى ذاته، وعلى كل حال فهو اسم كبير كهنة «رع» فى هليوبوليس.

(٣٥) خشية أن تخلف مباشرة على عرش مصر أسرة خلاف أسرته. ولكن «جدى» سيظمنه.

(٣٦) قرب نهاية شهر نوفمبر، عندما يهل موسم إنبات البنور التى كانت مدفونة فى الطمى المخصب

وتعمل فى بطنه فى باطن الأرض على تحقيق الميلاد المنتظر. وجه الشبه بين فترة خصوبة المرأة وخصوبة التربة أمر واضح ومقصود.

(٣٧) نص مدون على ظهر بردية هاريس رقم 500 Harris، المحفوظة حالياً فى متحف البريطانى

British Museum (رقم 10060)، ويرجع المخطوط إلى الأسرة التاسعة عشرة؛ نهاية حكم

سيى الأول أو بداية حكم رمسيس الثانى.

(٣٨) النص المصرى: Alan H. GARDINER, Late Egyptian Stories. Bruxelles, 1931, pp 1-9. (Bibliotheca Aegyptiaca, vol. I)

(٣٩) ألّهات القدر الذى يتحدد عند الميلاد.

(٣٩) بلد أسيرى يقع على الضفة اليمنى من نهر الفرات إلى الشمال من مدينة حلب. وفى عصر

التحامسة كان خاضعاً لهيمنة مصر، ثم خضع لها من جديد في عهد سيتي الأول ورعمسيس الثاني (وهو العصر الذي يعود إليه مخطوط هذه القصة). ولا شك أن حبكة هذا النص تنطوي على بعض الوقائع المتعلقة بالروابط التي جمعت مصر بأقاليمها الآسيوية.

(٤٠) حوالي ٣٧ متراً.

(٤١) بمعنى: الوصول إلى النافذة قفزاً.

(٤٢) كانت المركبات المصرية يجرها فرسان.

(٤٣) لا شك أن الأمير يريد إخفاء أصله الملكي عن الذين سينافسونه في المائدة المطوية ويخبرهم بقصة ملفقة.

(٤٤) حرفياً: «يطير»

(٤٥) الإله الشمسي للأفق.

(٤٦) كان للقسم فاعلية سحرية، فهو يقيم رابطة وجود بين من ينطق به وبين الحياة الظاهرة للنجم.

(٤٧) حرفياً: «نقذت إلى الأمير».

(٤٨) ستصبح الفتاة نموذجاً للزوجة الصالحة - وهي صورة لإيزيس الساهرة على زوجها، الحافظة لحياته.

(٤٩) ربما كان من الصواب أن نقراً «ختيو» أي «نحو موانئ» (فينقيا)، وليس «ختم».

(٥٠) إشارة محتملة إلى معارك «حورس» و«ست» (راجع الفصل الثالث من الباب الأول) - والاعتدال الشريرة ضد القدرة الإلهية.

(٥١) هذه الجملة، صيانة إجتهادية، غير مؤكدة.

(٥٢) راجع الفصل الثاني من الباب الأول: «الإله «رع»: رحمته وضعف همته»

(٥٣) Contes et Romans, pp. 116-117.

(٥٤) النص منحوت على لوحة ضخمة من الحجر الرملي ومحفوطة حالياً بمتحف اللوفر، (c284)، في باريس. وقد عثر عليها شامبوليون Champollion بجوار المعبد الذي شاده رعمسيس الثاني للإله «خنسو»، في الكرنك. ويصور الجزء العلوي المقوس من اللوحة رعمسيس الثاني وهو يقدم البخور للإله، ويتكون النص ذاته من ٢٨ سطراً.

وإن كان يبدو أن الأثر قد أقيم في عهد رعمسيس الثاني (بل يضم النص في صدره القاب العاقل الملكي)، فمن الواضح، أن تاريخه يرجع في واقع الأمر إلى فترة زمنية لا حقة: كالعصر الفارسي أو العصر البطلمي، في القرن الرابع أو الثالث قبل الميلاد - عندما كان يسعى المحتل

الأجنبي في مصر إلى الارتباط بالتقاليد الوطنية، التي ظل حكم رمسيس الثاني، خير نموذج
لأمجادها التليدة .

R.A.KITCHEN, Ramesside Inscriptions, vol. II. Fasci- : النص المصري :
cule 5, Oxford, 1971, PP. 284-287

(٥٥) يبدأ النص بالقباب رمسيس الثاني الكاملة، ذات الأسماء الخمسة، راجع: «نصوص مقدسة
ونصوص دنيوية، المجلد الأول من ص ٥٨-٥٩ معرفة أصل هذه الأسماء ودلالاتها .

(٥٦) الاسم الشخصي للملك ويعنى حرفياً: «قديرتان هما حقيقة «رع» وعدالته - ذاك الذي اصطفاه
«رع»».

(٥٧) اسم التتويج، واسم «رمسيس» ذاته يعنى: «رع» هو ذاك الذي ولده».

(٥٨) حرفياً: «ثور أمه». يستعيد هذا الاسم إلى الذاكرة الثور الشمسى الذي يخصب أمه «نوت»
(السماء) وهو في سميت السماء، فتلده من جديد مع مطلع كل فجر، في تناسل متجدد لا ينقطع.
وهذا «الثور»، هو زوج واين، في أن واحد، والصورة الأكثر كمالاً على الإستمرارية الإلهية.

لمزيد من المعلومات حول أسطورة العاهل الملكى ابن الآلهة، راجع

C.Lalouette, Empire des Ramses, P. 384-387.

(٥٩) تشير هذه العبارة تقليدياً إلى البلدان (وكانت تسعة في الأصل، بلا شك) الخاضعة للهيمنة
المصرية. وقد تبدلت قائمتها حسب العصور.

(٦٠) إله طيبى في وسعه أن يتقمص هيئة صقر، إله شمسى ومحارب.

(٦١) المقصود هنا هو الإله «ست»، إله العواصف والإضطرابات، وهو إله أجدب، محارب وعنيف، وحسب
اللاهوت الهليوبوليتانى، فهو يعتبر ابن نوت، وحيث أن أخاه هو «أوزيريس»: فإنه هكذا يقف وجهاً
لوجه الجذب والخصوبة، والإله الخير والإله الشرير، في الغالب، والإشارة هنا، هي لوجهه المحارب.

(٦٢) راجع الهامش رقم ٣٩.

(٦٣) إشارة إلى العادة التي جرى عليها الثمانية والتحامسة في التوجه كل سنة إلى أقطار الإمبراطورية،
تدعيماً لروابط البلدان البعيدة مع البلد الأم، واتباعاً لسياسة الحضور الدائم.

(٦٤) كانت ضفاف نهر الفرات على الدوام بالنسبة للمصريين هي حدود المثالية للإمبراطورية شمالاً. وفي
الجنوب، كانت الإمبراطورية المصرية تمتد لتصل آنذاك حتى الجندل الرابع على نهر النيل.

(٦٥) غالباً، بلاد بونت.

(٦٦) إذا كان تحرير الوثيقة يعود إلى العصر البطلمى، فقد يكون المقصود تصحيحاً لاسم «بكتريان»
الذى نسب المصريون غزوها إلى رمسيس الثانى بدافع من الكبرياء.

(٦٧) اسم يعنى حرفياً: «جمال - رع».

(٦٨) عند بداية شهر يونيو.

(٦٩) عيد «حريم الجنوب» للإله «أمون»، الذى يحتفل به فى الأقصر. لمزيد من المعلومات حول هذا

الموضوع راجع C.LALOUETTE. Empire des Ramses, PP238-243.

وكان هذا العيد يقام فى اليوم التاسع عشر من الشهر الثانى من فصل الفيضان، أى خلال النصف الأول من شهر أكتوبر، عندما تنحسر مياه النيل تاركة وراها التربة الخصبة. كان عيداً مزيجاً للخصوبة: الخصوبة الإلهية فى حريم الإله وعيد الأرض التى تنتهى لاستقبال البذور الجديدة. ترى هل ورد التاريخ المذكور فى النص عن طريق الخطأ؟ أو أنه إشارة إلى العيد القادم.

(٧٠) من اليوم الأول من العالم - الذى نشأ فى طيبة، علي ما يعتقد.

(٧١) صفة للدلالة على الملك، كزعيم للإمبراطورية، التى ترتبط أقطارها على الصعيد الروحي، من خلال العبادة المشتركة لإله «الشمس»، الذى يجسده فرعون. وابتداءً من تحوتس الثالث - يسير هذا اللقب جنباً إلى جنب مع لقب «ملك مصر» الذى يدل بصفة خاصة على حكمه لوادى النيل، والهدف من الجمع بين اللقبين هو التأكيد على سيطرة فرعون الشاملة - المادية والمعنوية - على إفريقيا والشرق الآسيوى.

(٧٢) إلى الكتب الدارسون فى «بيت الحياة» الذين يتعلمون من الكتابة إلى جانب «العلم بكل الأشياء».

(٧٣) يعنى هذا الاسم حرفياً: «تحوت هو فى عيد». فتحت «هو إله الكتابة والمعرفة».

(٧٤) تمثال إلهى.

(٧٥) يؤدى هذا التاريخ أحياناً إلى تعديل التاريخ الأول المشار إليه، إلى العام الخامس عشر، فيصححه أحياناً الشراح المعاصرون إلى «العام الثالث العشرين» - ومن ثم تتحدد فترة زمنية تعادل ثلاث سنوات بين الرحلتين - وهو أمر أكثر معقولة

(٧٦) أحد أشكال الإله «خنسو»، الإله القمر، والإله الإبن فى ثالوث طيبة. و«نفر حوتب» معناه: «صاحب السلام الميمون».

(٧٧) كانت «رحلات» التماثيل الإلهية هذه من الأمور الشائعة والمعروفة فى مصر القديمة وفى أقطار العالم القديم.

(٧٨) كان القلب مركز الإحساس بالمشاعر وكان المصريون يعتبرونه أيضاً المركز العضوى لكل حياة فكرية ولذكاء والعقل.

(٧٩) شكل الإله الشمسى المصرى.

(٨٠) مع بداية شهر فبراير.

(٨١) تلك التى تشاهد حورس وجمال رع.

حول هذا الزواج، راجع: C.LALOUETTE. Empire des Ramses, PP132-138

(٨٢) تتكون هذه القصة في واقع الأمر من ثلاث قصص. تروى أولاها البحث المضنى الذي يتكبد «ستنى - خع إم واس» للعثور على كتاب في السحر كتبه الإله «تحت» شخصياً. وتضع ثانيها على مسرح الأحداث نفس الشخصية مع ابنه «سا - أوزير»، فيقومان في البداية بهبوط مثير إلى مثنوى الأموات، وتعرض ثالثها للمنازعات التي احتدمت بين «سا - أوزير» وأحد السحرة النوبيين. ونقلت إلينا هذه الخرافات برديتان؛ والقصة الأولى تحتفظ بها بردية بمتحف القاهرة (No 30646). أما القصتان الثانية والثالثة فمدونتان على ظهر بردية هي الآن جزء من مجموعات المتحف البريطاني (British Museum no 604).

تتمحور هذه القصص التي يلعب فيها السحر دوراً بارزاً، حول شخصية الأمير «خع إم واس» وهو الابن الرابع لرعسيس الثاني وكبير كهنة «پتاح» في منف، وهكذا امتدت شهرته وسعة اطلاعه عبر قرون عديدة، وجعلت منه الروح الشعبية ساحراً عظيماً، وعلى غرار القصة السابقة، فقد شاد الخيال المصرى خرافات لطيفة استوحاها من حياة شخصيات كان لها وجود حقيقى.

يرجع تاريخ البرديتين إلى العصر البطلمى.

النص المصرى : (بالخط الديموطيقى)

ERICHSEN: Lesestucke, PP.1-40

القصة الأولى:

F.H. GRIFFITH: Stories of the high priests of: القصتان الثانية والثالثة: Memphis, vol I-II-

(٨٣) ربما «نا - نفر - كا - پتاح» شخصياً (٩).

(٨٤) «أحورع» هي التي تتحدث.

(٨٥) وقت التطهر بعد الدورة الشهرية.

(٨٦) مدرسة الكتبة - التي كانت تستقبل في المقام الأول أبناء الملوك والأمراء، وتحدد مستقبلهم ومصائرهم، ويرى ما سپرو (Maspero, Contes Populaires, P 130) ان جميع المعلومات التي كانوا يتقدمون بها كانت تدون في سجلات كانت تستخدم على ما يعتقد في تحديد تقويم أيام السعد وأيام النحس.

(٨٧) حول تواجد البشر والآلهة على سطح الأرض راجع الفصل الثانى من الباب الأول.

(٨٨) طولها مماثل الذراع الملكى.

(E.Luddeckens, Demotische Texte, vol 2, pp. 19-20 راجع)

(٨٩) الـ «دبن» وزن يعادل ٩٢ جراماً تقريباً.

- (٩٠) يعادل الـ «إيتر» الواحد حوالى عشرة كيلومترات ونصف!
- (٩١) فى منف.
- (٩٢) تقع مدينة «كوپتوس» على مقربة من طيبة، على بعد حوالى ٣٠ كم إلى الشمال الشرقى من هذه المدينة، على البر الشرقى من النيل.
- (٩٣) هل ربطها بالسفينة الأخرى؟
- (٩٤) هل تدور الأحداث فى النوبة؟ مسقط رأس الساحر الذى يرتبط به القسم الثالث من هذه القصة.
- (٩٥) مكان تحنيط جثمان المتوفى.
- (٩٦) طريقة سحرية شائعة، للشفاء من بعض الأمراض - كلسعة عقرب مثلاً - فكانت تدون التعويذات الفعالة، حسب الحالة المعينة وبعد ذلك، إما أن يشرب المريض البردية المكتوبة بعد إذابتها فى الماء أو يشرب الماء المنساب على التعويذه السحرية المنقوشة على الحجر. وهكذا يستوحذ المريض على الفاعلية السحرية للكلمة.
- (٩٧) هامش «ماسپيرو» (Maspero, Contes, P144): «فى مختلف الطقوس السحرية، يعتمد استحضر أو طرد الأرواح الشريرة على النار أو السيف، أو على سلاح معدنى مذهب كحربة أو عصا متشعبة بدلاً من السيف، وعلى الحربة المصنوعة من الرصاص التى نجدها فى المقابر الإفريقية، نجد أن «تيفون» والأرواح الشريرة المصرية التى يستدعيها الساحر، قد صورت وهى تمسك حربة بيدها وتضع لهما فوق رأسها».
- (٩٨) لاحظ «فيدمان» Wiedmann التقابل القائم بين الاثنين وخمسين خادماً والاثنين وخمسين قطعة لرقعة الشطرنج السحرية
- (Altgyptische Sagen and Marchen, P.136, note 1)
- (٩٩) «خادم الإله» - كاهن رفيع المرتبة.
- (١٠٠) حرفياً: «حياة الأرضين» - حى فى مدينة منف أو المدينة ذاتها.
- (١٠١) جوسق للترويح، قائم فى الحديقة - وهو مناسب للراحة ولتأمل الطبيعة. راجع قصة المرأة الزانية: الفصل الثانى من الباب الثانى والحلقة الثالثة من قصائد بردية هاريس ٥٠٠، الفصل الرابع من الباب الثانى.
- (١٠٢) كان هذان الإقراران طبقاً للقانون المعمول به فى العصر البطلمى، ضروريان لضمان أساس قانونى لإقتران الرجل والمرأة تجنباً لشبهة البغاء. (راجع Maspero, contes, P 148)
- (١٠٣) بسبب النور الذى كان يشع من كتاب السحر.
- (١٠٤) أى جسدهما - إذ أتى «كاهنهما» إلى منف فى مقبرة زوجها وأبيه.

- (١٠٥) «نا - نفر - كا - پتاح» ذاته.
- (١٠٦) من الراجع أنه الجسر الترابى على جانبي النهر، ويشرف عليه، وكان الطريق يمر فوقه.
- (١٠٧) فصل الشتاء - من ١٩ نوفمبر إلى ١٩ مارس.
- (١٠٨) راجع الفصل الأول من الباب الثانى،
- (١٠٩) راجع ص ٢٤٠
- (١١٠) راجع الفصل الأول من الباب الثانى.
- (١١١) إنها قصص متنوعة صيغت حول شخصية ابن رعمسيس الثانى اللامعة، وإذا كان لا يوجد بالضرورة رابط يجمع بينها، ويختلف الإطار باختلاف الخرافات التى كانت بلا شك فى الأصل من إبداع العقلية الشعبية ان عائلة «ستنى» تختلف هنا عن عائلته فى القصة السابقة، ولكنها ليست سوى دعامة ومحيط وهمى لأعمال السحر التى تشكل مبرراً لها.
- (١١٢) لعلاج العقم.
- (١١٣) فترات الدورة الشهرية.
- (١١٤) اسم يعنى «ابن أوزيريس».
- (١١٥) كانت «مدرسة الحياة» أو مدرسة الكتبة ضمن ملحقات المعبد، وقد أطلق عليها «مدرسة الحياة»، نظراً لأن كلمات الكتابة (الذى يحاط الكتبة علماً بها) كان لها القدرة ان تدب فيها الحياة وأن تمنح الحياة لما تصوره أو ما تعبّر عنه.
- (١١٦) النص مهشم فيستحيل التكهن بما كان يحدث فى القاعات الثلاثة الأولى.
- (١١٧) الـ «أخو»، هى شخصيات منجّلة، وكريمة، لها شهرتها الخاصة.
- (١١٨) تاج خاص بـ «أوزيريس» - ويتكون من ريشتى نعامة على جانبي حزمة نبات البردى، ويحدها من أعلى قرنا كبش يشكلان إطاراً لقرص الشمس.
- (١١٩) حيوان خرافى له جسد أسد ورأس تمساح أو على هيئة أنثى فرس النهر.
- (١٢٠) أنثى فرس النهر برأس تمساح.
- (١٢١) إله جبانة «منف».
- (١٢٢) ان فكرة تقسيم العالم الآخر المماثل لتقسيم اقاليم مصر الإدارية، هى فكرة فريدة.
- (١٢٣) ابنه، «سا - أوزير».
- (١٢٤) «نصوص مقدسة ونصوص دنيوية»، المجلد الأول: ص ٣٣٢ - ٣٤٥.
- P.GRIMAL, Dictionnaire de la Mythologie grecque et romaine, (١٢٥)
- P. 322.
- ٣٠٩

(١٢٦) إن دورة المحن السحرية هذه، لا تلتزم بالتتابع الزمني للأحداث، إنها قصص متنوعة نسخها الكتبة على البردي، بناء على اختيارهم. ان القصتين الثانية والثالثة، التي قمنا بترجمتها قد التزمنا بهذا الترتيب في بردية المتحف البريطاني التي احتفظت بنصهما.

(١٢٧) كان المصريون يحتقرون أهل الجنوب إحتقاراً بالغاً. فطعامهم يتكون من الصمغ الذي يلتقطونه من على الشجر ومختلف القاذورات بعد إعدادها بطريقة خاصة.

(١٢٨) يسلك مجرى النهر.

(١٢٩) كانت قراطيس البردي تطوى بعد نسخها ويلصق عليها بطاقة توضح اسم مالكا ثم توضع في جرة أو في صندوق صغير. وكان في الإمكان نقل هذه «المكتبات» إلى المقابر حتى لا يشعر ملاكها في دار الآخرة بأنهم محرومون منها. وقد وجدت مثل هذه المكتبات في العديد من المواقع نذكر منها على سبيل المثال طيبة والفيوم.

(١٣٠) ظلت النوبة وشمال السودان حتى الجندل الرابع جزءاً من الإمبراطورية المصرية لفترة تناهز الألفى سنة، ومثلما كان وضع إمبراطورية آسيا وعملاً بروح التسامح التي سادت العالم القديم، حدث تبادل للعبادات وتداخل لها. ومن الطبيعي إذن، أن يصبح الإله العظيم «أمون» إله النوبة والسودان، وظلت عبادته بالتحديد منتشرة لزمان طويل في «نپاتا»، ان كلمات «سا - أوزير» هي تحديداً تذكراً للزعيم النوبي على تبيعته المادية والروحية لفترة طويلة كامتداد لمصر - وإن كانت مملكة نپاتا وروى قائمة في وقت أحداث القصة.

(١٣١) ربما كان فرعوناً ومهياً.

(١٣٢) ترى أمي إشارة إلى «من - خپر - رع»، أي تحوتمس الثالث، المؤسس الحقيقي للإمبراطورية والذي بسط هيمنة مصر على النوبة وشمال السودان، (إنه مجرد افتراض).

(١٣٣) المصريون أصحاب نكتة. لتأكيد التبعية الفعلية للنوبيين الذين يفكرون في التمرد في أسلوب ساخر، فان اسماعهم الثلاثة هي اسم «حورس» - وهو اسم مصري، بكل بمعنى الكلمة.

(١٣٤) يستعيد ذلك إلى الذاكرة هزيمة مملكة الفراعنة المؤقتة، عندما انطلق ملوك «نپاتا» المصريون حوالي عام ٧٥٠ ق.م لغزو القسم السفلي من الوادي، وفرضوا عليه هيمنتهم. ولما هزمهم الآشوريون، وبسببهم من بعدهم، لم يتدخل «الآثيوبيون» أبداً، في شؤون مصر، وأسسوا مملكة وحضارة حول «مروي» (على مقربة من الجندل الخامس) كانت مدينة بالكثير لحضارة مصر.

(١٣٥) «پانسحي» اسم قريب من أسماء النوبيين.

(١٣٦) سيد الثامون الذي كان قد خلق العالم حسب اللاهوت الهرموبوليتاني. راجع الفصل الأول من الباب الأول

(١٣٧) إشارة إلى المخلوقات السحرية التي اصطحبته مسرعة محلقة في السماء.

(١٣٨) اشارات متلاحقة إلى هيمنة مصر على النوبة، التي دامت أكثر من ألفى سنة. وعلى مرّ الزمان، كان ينظر المصريون إلى النوبيين على أنهم من رعايهم، قبلادهم كانت امتداداً طبيعياً لمملكة مصر.

(١٣٩) أو ما يعادل ١٠٤ أمتار في ٢٦ متراً.

(١٤٠) هي بلا شك بحيرة «موريس» في الفيوم (بحيرة قارون حالياً). ويرى ماسيرو (MASPERO, Contes, P178) «أن السفينة التي تحمل القبة الحجرية يرجح أنها نفس القبة التي نشاهدها على بردية الفيوم»، وهي تقود إله الشمس على صفحة مياه بحيرة «موريس».

(١٤١) أنه وضع «حورس» المعتاد، وقد أمسك بحرية، ويقف فوق تمساح ينسب إلى «ست». ويصور هذا الوضع أنتصار الخير على الشر. والنوبي هو المقصود بالشر، والأسلوب أسلوب ساخر.

(١٤٢) يظهر النوبيون في مظهر يفتقر إلى السموم، بل إنه مثير للسخرية.

(١٤٣) حرفياً: «حورس شديد البأس».

(١٤٤) راجع الفصل الأول من الباب الثاني.

(١٤٥) راجع الفصل الثاني من الباب الثاني.

الفصل الثالث

كبرى المغامرات الخيالية.

قصة «سنوهى»^(١)

«سنوهى»^(٢)، النبيل، الأمير، حامل أختام ملك الوجهين القبلى والبحرى، «الصديق الأوحى»، عين الأعيان، المشرف على أراضى الملك فى البلدان الآسيوية، صديق الملك الحميم، محبوبه و«زميله»^(٣)، يتحدث («سنوهى») قائلاً : «أنا «زميل» سيدى، وخادم فى الحريم الملكى للسيدة النبيلة، صاحبة الثناء العظيم، زوجة الملك «سنوسرت»^(٤) فى مدينة «خنم سوت»^(٥)، وابنة الملك «أمنمحات»^(٦) فى مدينة «كا-نفرو»^(٧)، الميجلة.

فى العام الثلاثين، فى الشهر الثالث من فصل الفيضان، فى اليوم السابع^(٨)، صعد ملك الوجهين القبلى والبحرى «سحتب - إيب-رع»^(٩) إلى أفقه، ليتحد مع قرص الشمس^(١٠)، فى حين تنضم أعضاؤه الإلهية^(١١) إلى أعضاء خالقه^(١٢). كان الصمت يخيم على المقر الملكى، والقلوب يعتصرها الحزن، والباب المزدوج الكبير للقصر ظل مغلقاً، ورجال البلاط كانوا منهكين ورؤوسهم فوق ركبهم ... وتعلو صرخات ونحيب الشعب.

غير أن جلالته كان قد أرسل جيشاً إلى بلاد «التمحيو»^(١٣)، على رأسه، ابنه الأكبر، الإله الكامل «سنوسرت». وهكذا كان قد كلف بضرب البلدان الأجنبية وانزال العقاب بمن كانوا ضمن «الثنو»^(١٤) وكان يهيم الآن بالعودة، مصطحباً معه أسرى من شعوب «الثنو» وأنواع مختلفة من الماشية بأعداد كبيرة.

غير أن أصدقاء القصر الملكي أوفدوا في الحال (رسلاً) في اتجاه الغرب لإحاطة ابن الملك علماً بالأحداث التي وقعت في القصر^(١٥). وصادفوا الأمير في الطريق، وكان لقاؤهم به ليلاً. وعلى ذلك لم يتمهل هذا الأخير لحظة: وانطلق الصقر^(١٦) محلقاً ومعه الموكب المرافق له، دون أن يخبر جيشه بذلك، ولكن رسلاً كانوا قد بعثوا أيضاً إلى الأبناء الملكيين (الآخرين) الذين كانوا في الجيش ضمن الموكب المرافق للأمير^(١٧). ونادى بعضهم على أحدهم، بينما كنت أقف هناك، وسمعت صوته وهو يتحدث. واقتربت بعد أن ابتعد. عندئذ، اضطرب قلبي^(١٨). وخار ساعداي، وأخذ جسدي كله يرتعش، ووليت هارباً بقفزة (واحدة)، بحثاً عن مكان أتوارى فيه (عن الأنظار). وأخذت مكاني بين أجمتين، لأبعد نفسي عن كل من يسلك الطريق^(١٩). ثم رحلت صوب الجنوب، ولم أكن أرى (أنه في وسعي) أن أصل إلى المقر الملكي، لأنني افترضت بالطبع أن تحتدم المنازعات وكنت أخشى ألا أخرج منها حياً. وعلى ذلك، فقد عبرت بحيرة «ماعتي»^(٢٠)، على مقربة من «الجميزة»^(٢١) وأدركت جزيرة «سنفرو»^(٢٢)، وقضيت اليوم عند حافة حقل. وعندما انبلج النور هنا (من جديد)، هرعت مسرعاً. وصادفني رجل كان يقف عند طرف الطريق وحياني بشئ من التوقير، فقد كان يشعر بالخوف^(٢٣) وعندما جاء وقت طعام المساء، كنت قد وصلت إلى مدينة «نجاو»^(٢٤). وبعد ذلك عبرت (النهر) على متن صندل بلا دفة، بفضل ربح قادمة من الغرب وانتقلت إلى الشرق من المحجر القائم إلى الجنوب من (محراب) سيدة الجبل الأحمر^(٢٥). وواصلت طريقى فبلغت «أسوار الأمير» التي شيدت لصدة الأسسيويين والدوس بالأقدام على «السائرين - على - الرمال»^(٢٦). عندئذ جلست القرفصاء في أجمة، خوفاً من أن يرانى الحارس المناوب فوق الأسوار^(٢٧) ولم أواصل السير (إلا) عندما أقبل الليل، ولما تنفّس النهار كنت قد وصلت إلى «تين»^(٢٨). وتوقفت فوق إحدى جزر «الشديدة السوداء»^(٢٩). عندئذ أعياني العطش، إذ كان يخنقني، وأصابني الهزال التام، وكانت حنجرتي متربة. وكنت أظن أنه مذاق الموت. وفجأة انهضت قلبي ولمت أطرافى^(٣٠)، عندما سمعت صوت خوار قطع، لاحظت (وجود) أسسيويين. وتعرف على شيخ كان هنا وسبق له أن أقام في مصر. عندئذ قدم لى ماءً، وأمر بتدفئه شئ من اللبن ليقدم لى ورحلت معه إلى قبيلته. وما فعله هؤلاء القوم من أجلى، قد أرضاني كل الرضا.

ثم (ومن جديد)، سلّمني بلد لبلد آخر. (٣١). فرحلت إلى بيبيلوس (٣٢) وعدت أدراجي إلى «كدم» (٣٣) وامضيت هناك عاماً ونصف، إلى أن اصططحبني «عامو - ننشى». وكان «عامو - ننشى» أمير الـ«رتنو» العليا (٣٤). لقد سبق أن قال لى: «ستسعد لوجودك معى، وستسمع (الناس يتحدثون) لغة مصر». لقد قال لى ما قاله، لأنه كان يعرف طبعى وسمع (الناس) يتحدثون عن حكمتى، وبالفعل، فبعض أهل مصر من الذين كانوا معه شهدوا لصالحي. (٣٥) ثم قال لى: «ما سبب مجيئك إلى هذا المكان؟ أوقع حدث ما فى المقر الملكى؟» فأردفت قائلاً: «رحل ملك الوجهين والبحرى «سحتب - إيب - رع» إلى أفقه، ولم يُعرف (حتى الآن) ما حدث فيما بعد». ثم قلت (وأنا أعرف أنني أقول الكذب): «كنت عائداً من حملة عسكرية فى بلاد «التمحيو» عندما قدّم لى تقرير بحيث ارتبك له فكرى، ولم يعد قلبى فى جسدى. فرفعنى إلى مدارج الهروب. ومع ذلك، لم يكن أحد قد ذمنى، ولم ييصق أحد فى وجهى، ولا كان فى وسع أحد أن يسمع عنى كلمة السوء ولا سُمع اسمى فى فم المندى. ولا أدرى ما الذى قادنى إلى هذا البلد. وكأنه قدر إلهى.. كان وضعى كوضع رجل من إلفيتين وجد نفسه فجأة فى الدلتا أو رجل من المستنقعات وجد نفسه فى النوبة». عندئذ، قال «عامو-ننشى»: «كيف سيظل هذا البلد العظيم قائماً، بدون هذا الإله المجيد المبارك (٣٦) الذى كان الرعب منه يعم ربوع البلدان الأجنبية، وكأنه (الرعب من) «سخت» (٣٧) فى سنة الطاعون؟»

فأردفت قائلاً، رداً (على سؤاله): «طبعاً، فإن ابنه (٣٨) لمّا دخل القصر، استولى على ميراث أبيه، إذ أنه إله لا مثيل له، إن كائنات من كان ليس فى وسعه أن يظهر قبله هو، إنه يملك الحكمة، ونصائحه ثاقبة وأوامره خيرة، والناس «يصعدون» أو «يهبطون» حسبما يأمر به. بل كان يُخضع من قبل البلدان الأجنبية، وعندما كان أبوه قائماً داخل قصره، وبعد أن ينفذ أوامر هذا الأخير، كان يحضر ليقدم له التقرير، إنه رجل شديد البأس، يعمل بساعده المقدام، إنه بطل (٣٩) لا مثيل له، عند مشاهدته وهو ينفذ على «رجال - القوس» (٤٠) أو عند اقترابه من (أرض) المعركة. إنه رجل فى وسعه أن يلوى قرناً ويجعل الأيدي خائرة، بحيث لا يقوى أعداؤه على أن يتجمعوا من جديد. إنه رجل يدخل السكينة فى الأبدان ويهدئها (٤١) ولكن فى وسعه أيضاً أن يحطم الجباه. وبجواره لا يبقى أحد واقفاً (٤٢)، إنه عداء سريع،

يقضى على الهارب، فليس فى وسع محارب ان يولّى ظهره له^(٤٣). إنه قلب صنديد عندما يغمره الأعداء^(٤٤) رجل يعود على (الدوام) ولا يولّى ظهره ابداً. إنه قلب مكين عندما يشاهد جحافل (الأعداء) ولا يسمح بأن يحاصر الكل قلبه. إنه رجل جسور، عندما يشاهد أهل الشرق، ومتعته فى أن ينقض على «رجال - القوس»، وحالما يمسك درعه، فإنه يدوس (الأعداء) بقدميه. إنه لا يحتاج إلى تكرار ضربته، إنه يقتل، ولا أحد يستطيع أن يتجنب سهمه، ولا أحد فى مقدوره أن يشدّ قوسه^(٤٥). و«رجال - القوس» يتجنبون ساعديه (الرهيبين)، بله بهاء صلب^(٤٦). إنه يخوض المعركة، بعد أن يتدبر الهجوم، ولا يبقّى على شىء، فلا يبقى شىء. كما أنه يمتلك سحر الإفتتان، وذو الرقة العظيمة، وهو يتسلط (أيضاً) بالحب الذى يثيره (فى النفوس). ومدينته تحبه أكثر من نفسها وتسعد به، أكثر من آلهتها. ويتوافد الرجال والنساء مبتهجين بفضله بعد أن أصبح الآن ملكاً. ومنذ أن كان فى البيضة، وهو فاتح مغوار، يولّى وجهه شطر (الملكية) إلى أن أتى إلى الدنيا. إنه إنسان جعل من ولدوا معه، تتضخم أعدادهم، إنه كائن أوحده، إنه هبة من الإله لسعادة هذه البلاد منذ أن تولّى حكمها. لقد وسّع حدودها. لقد غزا أراضى الجنوب، ولكنه لم يفكر بعد فى بلدان الشمال، لقد خلق لى يضرب بدو آسيا وليدوس بأقدامه «السائرين - على الرمال»^(٤٧). هيا! إذن، توجه إليه، اجعله يتعرف على اسمك، لا تتأمر، وإن كنت بعيداً عن جلالته، لأنه لن يتوقف عن عمل الطيبات من أجل البلد الذى يظل باقياً فوق مياهه^(٤٨).

عندئذ قال لى «عامو-ننشى»: طبعاً إن مصر بلد سعيد، لأنها تعرف بسالة مليكها. ولكنك، ها أنت هنا، وستبقى معى. وسوف أفعل من أجلك أشياء طيبة. وعلى ذلك فقد جعلنى متقدماً على أبنائه أنفسهم وزوجنى^(٤٩) ابنته الكبرى وأذن لى أن أختار لنفسى، فى بلده، أفضل ما يمتلك من أرض والقائمة عند أطراف بلد آخر، كانت أرضاً طيبة^(٥٠)، كان اسمها «ياء»، كان فيها شجر التين، إلى جانب شجر الكروم، وكان النبيذ أكثر من الماء. كما تفيض عسلأ، والزيتون وفير والفواكه بأنواعها على أشجارها، وفيها أيضاً الشعير والقمح، وكان حصر أعداد مواشيها المتنوعة من الصعوبة بمكان^(٥١). ولأريب، أن ما حدث لى كان عظيماً، فى حين، كنت أحاط بمزيد من الحب. عندئذ، يمننى «عامو-ننشى» زعيماً لقبيلة، قبيلة هى من نخبة

قبائل بلده. وخُصصت لى يومياً حصص من الأطعمة تضم شراباً اختمر، ونبيذاً بالإضافة إلى لحم مطهو، وطيور مشوية شيئاً جيداً، وذلك فضلاً عن أغنام الصحراء، فكانوا يقتنصون (الصيد) بالأشراك ثم يضعونه أمامى، وإلى جانب ذلك، كان لابد من إضافة المغامم التى تعود إلى من كلاب الصيد، وكانت (الفطائر) العديدة تعد من أجلى وكل ذلك مطبوخاً باللبن.

وهكذا قضيت سنوات عديدة. وأصبح اطفالى رجالاً أشداء، وصار كل منهم (بدوره) زعيم قبيلة، وكان المبعوث القادم من المقر الملكى^(٥٢)، أكان صاعداً ناحية الشمال أو هابطاً ناحية الجنوب، يتوقف (دائماً) عندى^(٥٣). وعلى كل حال، كنت أطلب من جميع أهل مصر (الذين يمرون هناك) التوقف، كنت أقدم الماء للظمان، وأعيد التائه إلى الطريق (السليم)، وأهبّ لمساعدة من سُرِق^(٥٤) وإذا رأى بدو رحل من آسيا أنهم مضطرون إلى دحر زعماء البلدان الأجنبية^(٥٥)، كنت أنا الذى أشير عليهم، بتحركاتهم، وبالفعل، كان شيخ بلاد الـ «رتنو» قد سمح بأن أكون قائد جيشه، وذلك على امتداد سنوات طويلة. وكل بلد زحفت عليه، كنت أنشر فيه الهزيمة، فأحول بينه وبين مراعيه وأباره، وأنهب ماشيته، وأسوق أهله، وأضع يدي على طعامهم، وأذبح من فيه من مصريين^(٥٦) - بفضل ساعدي الجسور، وقوسى وتحركاتى، ومخططاتى النابذة، كان ذلك مفيداً ومباركاً لقلب «عامو-ننشى». وعلى ذلك فقد أحبنى، لانه اعترف بقدرتى، وأقامنى أمام أولاده، وكان قد لاحظ صلابة ساعدى.

وذات يوم (جاء) من الـ «رتنو» رجل قوى. وإذا به يدعونى إلى القتال، بينما كنت فى خيمتى. كان بطلاً لا مثيل له (بفضل ماله من شهرة) لانه كان قد أخضع بلاد الـ «رتنو» بأسرها. وكان يتحدث عن رغبته فى أن يدعونى للنزال، وكان يظن أن فى وسعه أن يضربنى وتصور بناء على مشورة أبناء قبيلته أن فى استطاعته أن يسلب قطعانى. وعلى ذلك، تحدث الشيخ إلى، وقلت : «إنى لا أعرفه، وبالطبع فأنا لست من أقربائه، ولا أستطيع السير فى معسكره رابط الجأش. ترى أحدث ابداً أن فتحت بابه أو هدمت سياجاته؟ لا، بل إنه يحسدنى لانه يرانى أنفذ أوامرك. حقاً، أنا مثل ثور ضال استقر وسط قطع آخر. وعلى ذلك يسعى فحل هذا القطيع أن يلحق به الهزيمة فى حين يحاول العجل أن يمسك به، ترى أ يوجد رجل خامل الذكر، يمكن أن يحاط (بمشاعر) الحب، إذا أصبح زعيماً ذات يوم؟ ليس هناك «رجل-قوس»^(٥٧)، فى

وسعه أن يتحد مع رجل من الدلتا . حقاً، فمن يستطيع ان يثبت أجمة بردى فوق جبل؟، أيوجد ثور يتشوق إلى القتال^(٥٨)، فيتمنى ثور بطولى^(٥٩) (عند مواجهته) ان يولّى له ظهره، خوفاً من أن يتعادل معه الأول؟ وإذا ظلّ قلبه ميالاً للقتال، فليفصح إذن عما يرغبه قلبه، أيوجد إله يجهل ما أمر به أو لا يعرف بالأحرى حقيقة الأمر؟

وقضيت الليل أشدّ قوسى، وأسدد السهام. كما سللت سيفى، وصقلت أسلحتى، ولما ابيضت الأرض، كان رجل الـ«رتنو» قد وصل، وحشد قبائله، وجمع نصف بلاده، وكان يفكر فى هذه المعركة. عندئذ زحف البطل على، وكنت واقفاً هناك. لقد اتخذت مكانى غير بعيد عنه وكانت القلوب كلها تحترق من أجلى، كان الرجال والنساء يتنفسون الصعداء، كانت النفوس كلها قلقة وكان يُقال: «أيوجد رجل آخر، قوى بما فيه الكفاية لينازله؟» ثم أشهر درعه وبلطته وملأ ذراعه بالأسلحة. وبعد أن سدّد إلى هذه الأخيرة (دون طائل)، إذ تصرفت بحيث مرّت سهامه فوق رأسى، السهم تلو الآخر، حتى لم يبق منها شئ، ثم انقضّ على، على أمل أن يضربنى. ولكن بينما كان يقترب، رميته بسهم، فاستقر هذا الأخير فى عنقه بقوة، وعلى ذلك، أطلق صرخة وسقط على أنفه، واجهزت عليه ببلطته الخاصة وأطلقت فوق ظهره صيحة الحرب الخاصة بى. وأخذ جميع الأسويين يصيحون، فى حين كنت أجزل التسبيح للإله «مونتو»،^(٦٠) وكان أهل (المهزوم) فى حداد. وضمّنى الشيخ «عامو - ننشى» بين ذراعيه. ثم أخذت ممتلكات (الرجل الذى كان قد تحدانى) واستوليت على ماشيته، وفعلت به، كل ما كان ينوى ان يفعله ووضعت يدى على ما كان فى خيمته وسلبت مخيمه، وقدر لى من الآن أن أكون شخصاً مهيباً، وفير المؤن، ولا حصر لماشيته. كان الإله هو الذى انعم برحمته على من كان قد انزل عليه نعمته (فى البداية)، بعد ان كان قد هرب إلى بلد آخر. لقد هدأت اليوم نفسه.

فى الماضى، كنت هارباً أهيّم على وجهى، والآن، يشهد القوم فى المقر الملكى لصالحى، كنت رجلاً يجر جر نفسه فى بطاء لانه كان (يتضور) جوعاً، والآن فإنى أقدم الخبز للشخص الذى بجوارى . كنت رجلاً هجر بلده من جراء الفقر (الذى كان يعاني منه) والآن أتألق مرتدياً أرقّ (أنواع) الكتان، كنت رجلاً يعدو، لافتقاده إلى مبعوث. والآن امتلك العديد من الخدم. دارى جميلة، وشاسعة هى ممتلكاتى، وتبقى ذكراى فى القصر (قصر فرعن) .

«إيها الإله»، أياً كنت، يا من أمرت بهذا الهروب، كن (أيضاً) رحوماً، أعدنى إلى المقر الملكي. لربما أذنت لى أن أشاهد من جديد المكان الذى مازال عقلى وقلبى يمضيان فيه أيامهما، أوجد (بالنسبة لى) شئ أهم من ان يسجى جسدى فى أرض البلد الذى ولدت فيه؟ تعال ، لمساعدتى،^(٦١) وليجر حدث حسن وسعيد، وليمنحنى الإله رحمته! وليعمل بالأسلوب المناسب ليجعل نهاية طيبة لمن كان قد أثقلته بالأسى. ليعتصر الألم قلبه على من كان قد طرده (من وطنه) و(أجبره) ان يعيش فى بلد أجنبى. ان كان يجنح اليوم إلى الغفران، فليستمع إلى توسلات الرجل المبعد، فليمد يده^(٦٢)، التى بسببها قضيت حياة شاردة، إلى (أن وصلت) المكان (الذى أنا فيه)، لكى أنسحب منه. ليكن ملك مصر رحوماً على، لأعيش فى سلام. فلأحى سيدة البلاد^(٦٣) التى فى قصر العاهل الملكي. ولأستمع لرسائل ابنائه. وليبق جسدى فتياً وقوياً إلى الأبد، فى حين أننى بلغت الآن من العمر عتياً، ويلحقنى الوهن. عينائى متثاقلتان، وساعداى بلا قوة، وساقاى ترفضان السير وعقلى متعب^(٦٤)، إنى أقترب من لحظة الرحيل^(٦٥)، لحظة يصطحبنى فيه القوم إلى المساكن الأبدية. ليتنى مع ذلك أرافق أيضاً الملكة، ليتها تحدثنى أيضاً عن كمال ابنائها. ليتها تظل فوقى إلى الأبد!^(٦٦)

وحدث لما تكلم البعض إلى جلالة ملك الوجهين القبلى والبحرى، «خير-كا-رع» عن الظروف التى أعيش فيها، أن أرسل إلى (مبعوثين) محملين بهدايا ملكية لإدخال السرور إلى قلب خادمه المتواضع، كما (اعتاد أن يفعل) مع أمير من (أمراء) البلدان الأجنبية، وتصرف الأبناء المكيون الذين فى القصر بحيث استطيع (أيضاً) أن أستمع إلى رسالتهم.

صورة من المرسوم (الملكى) الذى تم إبلاغه إلى الخادم المتواضع بشأن عودته إلى مصر^(٦٧).

«حورس» : «ذاك الذى تؤمن ولاداته الجديدة الحياة»-

«السيداتان» : «ذاك الذى تؤمن ولاداته الجديدة الحياة»-

«ملك الوجهين القبلى والبحرى»: «خبر-كا-رع».(٦٨).

«ابن رع»: «أمن-إم-حات»(٦٩) (هكذا) - فليحي للزمن اللانهائى وللزمن الأبدى .

مرسوم ملكى بخصوص الزميل «سنوهى» - انظر لقد تم إبلاغك مرسوم الملك هذا، لكى تحاط علماً بما يلى. لقد تنقلت هنا وهناك فى البلدان الأجنبية، صاعداً حتى «كدم» وال«رتنو». وسلّمك بلد لبلد آخر، بدافع من قلبك وذهنك، فحسب. ترى ماذا فعلت إذن لـ (تخشى) أى إجراء ضدك؟ لم تكن قد جدّفت، لتستوجب كلماتك عقاباً، ولا ارتفع صوتك فى مجلس الأشراف، بحيث يتعين التصدى لأحاديثك وحركت هذه النية قلبك، ولكنها لم تكن ضدك، فى قلبى. هذه «السماء» وهى سماؤك(٧٠)، هى التى فى القصر، وهى الآن مستقرة، وفى غاية الإزدهار. فرأسها تغطيه الآن الحلى، وشارات الملكية فى البلاد، وابتاؤها موجودون فى المقر الملكى. سوف تجعل الخيرات التى يقدمونها لك، تغالب الأيام، وسوف تحيا من هداياهم.

عدّ إلى مصر، فتشهد من جديد المقر الملكى الذى نشأت فيه، وتخرّ ساجداً (من جديد) أمام الباب المزدوج الكبير (للقصر)، وتنضم إلى «الأصدقاء». فالיום، بدأ بالنسبة لك، زمن الشيخوخة، ونشاطك الرجولى يتخلى عنك. فكّر فى يوم الدفن، يوم الانتقال إلى وضع المجل. عندئذ يكون الظلام من نصيبك، والزيتون اللازمة للتحنيط والشرائط بين يدي (الإلهة) «تاييت».(٧١) سيُنظّم من أجلك موكب جنازى يوم تنضم إلى الأرض، (ويُعد لك) تابوت من ذهب،(٧٢) رأسه من اللوزرد، وتوضع سماء من فوقك فى التابوت(٧٣). وتسحبك العجول(٧٤)، ويتقدمك الموسيقيون. ومن أجلك أيضاً، سوف تؤدى رقصة ال«مؤو»، عند مدخل المقبرة(٧٥). ومن أجلك، تُقرأ بصوت مرتفع قائمة القرابين(٧٦). وتُنحر الأضاحى أمام مذابحك. وسوف شيدت أساطين مقبرتك من حجر أبيض وضئ وسط (مقابر) الأبناء الملكين.

عليك ألا تقضى نحبك فى بلد أجنبى. لن يدفنك الآسيويون، لن توضع فى جلد خروف، ولن تقام لك أكمة(متواضعة). لقد فات زمن مواصلة الترحال. فكّر فى المرض وعداً.»

وصلنى هذا المرسوم بينما كنت واقفاً وسط قبيلتى. وبعد قراءته، انبطحت أرضاً على بطنى ولامست تراب الأرض، ونثرته على شعرى. وأخذت أجوب معسكرى،

وأصبح قائلاً: «ترى، كيف يكون التصرف مع خادم، ساقه قلبه على هذا النحو إلى البلدان الأجنبية و«الهمجية»^(٧٧)؟ حقاً، إن رحمتك التي تنقذني من المنية (رحمة) واسعة. إن «كا» لك يتيح لى أن أقضى آخر حياتى فى المقر الملكى.»

صورة (خطاب) الإقرار باستلام هذا المرسوم : «السلام لكم! إنه لغاية فى التوفيق، أن يلقى هذا الهروب الذى ارتكبه خادمك المتواضع فى غفلة من أمره- يلقى تفهماً من قبل «كا»ك ، أيها الإله الكامل، يارب القطرين، الذى يحبه الإله، «رع» ويثنى عليه الإله، «مونتو»، سيد طيبة. ليت «أمون»، سيد عرشى القطرين، و«سوبك-رع» و«حورس» و«حتحور» و«آتوم» وتاسوعه الإلهى، و«سوبد» و«نفرباو» و«سمسرو» و«حورس» الشرق وسيدة «بوتو» التى تضم رأسك والمحكمة التى تصدر الـ «نوو» و«مين-حورس» المقيم فى الصحارى والروابى، الإلهة العظيمة سيدة «بونت» و«نوت» و«حرويرس» و«رع» وجميع آلهة البلد المحبوب والجزر و«الشديدة الإخضرار»^(٧٨) - تهب أنفك الحياة والقوة، ولتتحد بك ومعها مواهبها، لتمنحك الأمن الأبدى بلا نهاية والزمن الانهائى بلا حدود ليتكرر الخوف الذى تثيره فى الأقطار والصحارى، بعد أن تكون قد أوثقت كل ما يحيط به قرص الشمس. إن دعاء هذا الخادم المتواضع إلى سيده، هو الذى أنقذه من الغرب.^(٧٩)

إن سيد المعرفة^(٨٠)، الذى يدرك شئون الشعب، كان يعرف، فى جلالة قصره، أن هذا الخادم المتواضع كان يخشى التحدث فى هذه الأمور. إن الإبلاغ عنها كان يشكل حقاً مسألة خطيرة. إن الإله العظيم، صورته «رع» بذاتها،^(٨١) يسبغ البراعة على من يعمل من أجله، بشخصه. والخادم المتواضع فى يد من يبسط عليه حمايته. إنه يحقق مقاصد هذا الأخير. إن جلالته هو الـ «حورس» الذى يغزو، وقد انتصر ساعدك على كافة الأقطار.

فليأمر جلالته إذن، بأن يؤتى إليه بـ«ميكى»، المتحدّر من «قيدام»^(٨٢) و«خنتيو يعوش»، من «خنتكشو» و«منوس» من بلاد الفينقيين^(٨٣) إنهم أمراء نوو سمعة طيبة، تربوا على حبهم لك. ولك أذكرك ببلاد الـ«رتنو»، إنها ملك لك، كما أن كلابك (هى ملك لك).

أما عن هذا الهروب لخادم(ك)، فلم أكن قد خططت له، ولم يكن قد خطر على بالي ، ولم أكن قد قصدته. لا أدري ما الذى أبعدنى عن المكان (حيث كنت). كان أشبه بحلم. تماماً كما لو أن شخصاً من الدلتا وجد نفسه فى إلفنتين، أو شخصاً من المستنقعات (وجد نفسه) فى النوبة. لم يكن الخوف قد تولأنى، ولا أحد يطاردنى، ولم أكن قد استمعت إلى حديث شرير، ولا كان أحد قد سمع اسمى فى فم المنادى، رغم كل ذلك، كان جسدى يرتعد، وساقاى تدفعانى بسرعة، بينما يحملنى قلبى. وإله الذى كان قد أمر بهذا الهروب يشدنى. كما أننى لست بالشخص المزهو. إن الإنسان الذى على دراية ببلده هو (إنسان) خائف^(٨٣)، فقد أقام «رع» الخوف الذى تثيرة فى ربوع مصر و(أقام) فى كل بلد أجنبى الرعب منك. وسواء أكنت فى المقر الملكى أم فى هذا المكان، فأنت فى الحقيقة ستار هذا الأفق.^(٨٤) لأن قرص الشمس يتألق برغبتك والماء فى النهر يمكن شربه، حينما تود أنت ذلك . ونسمة السماء يمكنى استنشاقها عندما تأمر أنت بذلك وأخيراً، سوف ينقل هذا الخادم المتواضع أعماله فى هذا المكان إلى ذريته (بعد) أن حضر (الآن) من يصطحبه، وليتصرف جلالته كما يحلو له. لأن الناس تحيا من النسمة التى تمنحها. ليحب «رع» و«حورس» و«حتحور» أنفك المقدس وعسى أن لا يكف «مونتو» سيد طيبة عن رغبته فى أن يحيا (أنفك) للزمن اللانهائى.

وسُمح لى بأن أقضى يوماً فى بلاد«ياء»، لأنقل ممتلكاتى لأولادى. وكان على ابنى الأكبر ان يحتفظ بقبيلتى، فتظل بيده هذه الأخيرة إلى جانب كل ممتلكاتى (وكذلك) خدمى وماشيتى وفاكهتى وأشجار الفاكهة. ثم رحلت فى اتجاه الجنوب، وتوفقت عند دروب «حورس»^(٨٥). (أما) القائد الذى كان مسئولاً عن الحامية فى هذا المكان فقد أوفد رسولاً إلى المقر الملكى للإبلاغ (بوصولى إلى هذا المكان). وعلى ذلك، فقد أرسل جلالته أحد مديرى الفلاحين البارزين التابع للبيت الملكى. وكانت ترافقه سفن محملة بهدايا الملك من أجل «بدو» آسيا الذين كانوا ضمن حاشيتى والذين اصطحبونى حتى «دروب» حورس. وسميت كل واحد باسمه، وبسرعة انهمك السقاة فى عملهم^(٨٦). وبينما كنت انطلق فى طريقى وأقلع مبحراً، كان القوم يعجبون من أجلى^(٨٧) ويصفون (الجنة) فى حضورى إلى أن وصلت مدينة «إثت»-«تارى»^(٨٨).

وعندما أُضيئت الأرض، فى الصباح، جاء من يستدعيني. وهم عشرة رجال بالحضور، ليصطحبونى حتى القصر. ولست الأرض بجبيني وسط (تماثيل) أبى الهول واستقبلنى الأولاد الملكيون الواقفون عند باب المدخل فى حين كان الأصدقاء الذين أدخلوا إلى قاعة الأساطين يرشدونى إلى طريق قاعة المقابلات الرسمية. وأُفيت جلالته (متربحاً) على العرش الكبير تحت بوابة من الذهب الخالص. وانبطحت أرضاً على بطنى، وغبت فى حضرتة عن وعيى، عندئذ تحدث إلى هذا الإله كما يتحدث إلى صديق. ولكنى كنت أشبه بإنسان أُطبقت عليه الظلمات...، كان «با» شئ يفارقنى، بينما أعضائى ترتعد ولم يعد قلبى فى جسدى. ولم يكن فى وسعى أن أميز الحياة من الموت. (٨٩) قال جلالته لأحد الأصدقاء الموجودين هنا: «عاونه على النهوض، حتى يتحدث إلى» - ثم قال لى : «انظر، لقد عدت، بعد أن تجولت فى البلدان الأجنبية وصرت طريداً. والآن، بدأت تظهر أضرار كبر السن، لقد ادركتك الشيخوخة. فلن يكون بالأمر الهين أن يوارى جسدك التراب، فلن يشيعك «رجال - القوس». ولكن لا تتصرف إذن على هذا النحو، لا تتصرف على هذا النحو، إنك تظل صامتاً ، بينما يُنطق باسمك».

كنت أخشى العقاب، وعلى ذلك أجيب إجابة خوف : «ترى، عما حدثتنى، ياسيدي؟ أن أجيب عليك، فهذا ليس فى مقدورى. إن الإله (هو الذى يريد ذلك). فالخوف يلزم جسدى، كما كان أيام هروبي. أنظر، أنا بين يديك، - الحياة ملك لك، ولتصرف جلالته حسب رغبته، فى هذه اللحظة، أدخل الأبناء الملكيون، بينما كان جلالته يقول للزوجة الملكية : «انظرى، لقد عاد «سنوهى»، أشبه بأسيوى، قام البدو بتشكيله». صاحت الملكة صيحة مدوية وتعجب الأبناء الملكيون فى آن واحد وقالوا لجلالته : «أيها العاهل الملكى، ياسيدنا، لا يمكنه فى الحقيقة أن يكون هو». وقال الملك : «بل إنه هو فى الحقيقة». وعلى ذلك، ولأنهم كانوا قد أحضروا معهم قلائد هم «مينات» (٩٠) وجلالهم وصلصلهم، فقد اهدوها لجلالته» (٩١).

«عسى أن توجهك يداك (على الدوام) نحو الكمال، أيها الملك المخلد، يازينة «سيدة السماء»! عسى أن تمنح «المذهبة» (٩٢) الحياة لأنفك! عسى أن تلحق بك «سيدة النجوم» (٩٣)! عسى أن يبحر تاج الجنوب صوب الشمال وتاج الشمال صوب الجنوب، وعساها، يجتمعان متحدين بأمر من جلالته» (٩٤)! عسى أيضاً أن يوضع الصل على

جبينك! كما انك عملت على ابعاد الشرور عن رعاياك، سيكون «رع» بالمثل رحوماً، يارب الاراضى. تحية لك، أنت، ولـ«سيدة الكون» أيضاً^(٩٥). اخفض قرنك،^(٩٦) جلّ سهمك، امنح النسمة لمن يختنق. امنحنا فى هذا اليوم الجميل^(٩٧) هذه الهدية الجميلة (فى شخص) هذا الشيخ، ابن «محيث»^(٩٨)، «رجل - القوس» هذا، المولود فى البلد المحبوب. لقد هرب بسبب الخوف الذى تثيره (فى النفوس)، لقد ترك البلد خوفاً منك. ولكن وجه من عاد ليرى وجهك عليه ألا يضطرب ابداً (من القلق) والعين التى تتأملك (من جديد) لا ينبغى ان ترتاع.»

عندئذ قال جلّالته: «لن يخاف ابداً. لن يفزع ابداً. فهو من الآن، «صديق»، وسط رجال البلاط. له مكانته فى البلاط. هيا، اذهبوا إذن الى «بيت الصباح»^(٩٩) لينتهى من بعض شؤونه.»

وخرجت إذن من قاعة الإستقبالات الرسمية. وأيدى الأبناء الملكيين فى يدي، وهكذا عبرنا الباب المزدوج الكبير. وخصص لى مسكن ابن ملكى، مزود بوسائل الترف: حمام ومرايا^(١٠٠). كما كانت اشياء ثمينة تعود إلى «البيت الأبيض»^(١٠١) فكان فى كل حجرة من الحجرات ملابس من الكتان الملكى، وبخور وأفضل الأدهان الملكية المحصنة لرجال البلاط أصحاب الحظوة. وكان جميع الخدم يؤدون أعمالهم. وعندئذ، أزالو من جسدى (آثار) السنين ونتف (شعرى)^(١٠٢) وصفف شعرى، وأعيدت قاذوراتى إلى الصحراء، (ما كنت ارتدية من ملابس) إلى «الساثرين-على-الرمال». وألبست أرقى «أنواع» الكتان الملكى، ومسحت بأفضل (أنواع) الأدهان وتمكنت من الآن ان أنام على سرير. وتركت الرمال لمن يقيمون فيها، وزيت الشجر^(١٠٣) للذين يدهنون به.

كما منحت بعد ذلك مسكناً كان يملكه «صديق» واصبحت أيضاً أملك حديقة، وبدأ العديد من الحرفيين يعملون. ومن جديد نبتت فيها أشجار من شتى الأنواع. كما كانت تقدم لى وجبات القصر، ثلاث أو أربع مرات يومياً، دون النظر إلى ما يقدمه الأبناء الملكيون، فى أى وقت، وبلا انقطاع. كما شيدوا لى أيضاً هرمأ من حجر^(١٠٤)، وسط الأهرامات. (لذا) فقد قام مدير قاطعى حجر الأهرامات بالتفتيش أولاً على الموقع. ورسم مدير الرسامين الرسم التخطيطى، وقطع مدير النحاتين (الحجر). فى حين كان مدير اعمال الجبانة يشرف على العمل. ووضعت فى حجرة

دفنى جميع التجهيزات التى توضع فى المعتاد فى حجرة الدفن (فى أى مقبرة) وخصص لى كهنة الـ«كا» (١٠٥) وخصصت من أجلى أملاك جنائزية، تضم حقولاً وحديقة، كما جرى العرف مع «صديق» رفيع المنصب، وصُفَّح تمثالى برقائى الذهب، وكانت النقبة من الذهب الخالص، كان جلالته هو الذى سمح بأعداد كل ذلك. وهكذا نلت رعاية الملك إلى أن جاء يوم الرُسو (١٠٦)

هكذا وصلنا هذا النص، من بدايته وحتى نهايته، وهو مطابق لما وُجد مكتوباً.

ان قصة «سنوهى» هى قصة مغامرات طويلة وعلى قدر كبير من الغرابة. ولاندرى بوضوح الاسباب التى دفعته إلى هذه المغامرات، وفى وسعنا أن نطرح عدداً من الأسئلة، فمن هو «سنوهى»؟ يعلن بداية النص، انه خادم فى الحريم الملكى الأمر الذى قد يفسر مدى «ألفته» مع الملكة والأبناء الملكيين، كما أنه شخص «نشأ وترعرع» فى القصر الملكى. وفى الواقع، كان أبناء أعيان البلاد يحصلون على تنشئتهم فى البلاط جنباً إلى جنب مع الأمراء الملكيين، والحال هذا، نفهم بسهولة، مدى السعادة التى اظهرها هؤلاء عند عودته، ومن المحتمل أيضاً انه كان من أقرباء الملكة، التى يرتبط بها بروابط وجدانية. وفى المقابل تخبرنا نهاية النص أنه «لا يوجد شخص رقيق الحال» قد توفر له كل هذا التكريم: ربما اعتبرنا هذه الجملة مجرد عبارة مجاملة – من التواضع المتصنع – على الطريقة الشرقية. وعلى كل حال، يبدو ان «سنوهى» كان مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بحياة البلاط، منذ سن الشباب الغض، أهو شخصية روائية خيالية أم كان له وجود حقيقى؟

ومن حقنا أيضاً، أن نتساءل حول أسباب هذه الرحلة المضطربة وهذه الإقامة الطويلة فى البلدان الأجنبية. أهو خوف مفاجئ؟ الخوف من سماع معلومات عن مؤامرة، فقد يعرضه إفشاء هذا السر إلى معاقبته؟ ولكن مع تسلم الأمير سنوسرت السلطة، اختفت أسباب هذا الخوف. ولكن هذا الخوف يتكرر عبر النص كله، وكأنه موضوع ثابت، ويبدو الأمر على قدر من الغرابة، حتى أننا نميل إلى الاعتقاد إنه كان

مجرد مبرر، إلا أننا نعيش عصرًا ازدهرت فيه العلاقات الدولية، وهي لحظة، كانت مصر قد تلقت خلالها تحذيراً من جراء الأحداث المقلقة والغزوات التي وقعت بدءاً من الأسرة السادسة وحتى نهاية الأسرة العاشرة وإذ توحدت مصر آنذاك فقد سعى ملوكها إلى إقامة سلسلة من الدول الحاجزة حول حدودها حتى يضمنوا من الآن الحماية لمصر، كما تعززت العلاقات مع آسيا، ترى أكان «سنوهى» مبعوثاً سرياً لفرعون (؟)، مكلف بتدعيم الروابط مع شيوخ الصحراء وأفراد المدن الفينيقية والتعرف على موقفهم السياسى. ان وضعه كهارب أو كلاجئ كما يبدو فى الظاهر، كان يسمح له أن يفهم بمزيد من السهولة حقيقة موقفهم السياسى، وبالفعل، فإنه يوضح للملك فى خطابه أن منهم الأمراء المخلصون، الذين يمكن الاعتماد عليهم، لا سيما أمراء «الرتنو»، ربما كانت القصة مجرد أحداث حيكّت حول إطار سياسى، ظل سرياً، ومن الراجح أن المصريين قد أحبوا هذه القصة على نحو خاص، - إذ نسخوها مراراً وتكراراً - لأنهم كانوا يفهمون على ما يظن مغزاها الحقيقى، وإنها كانت تعود بذاكرتهم إلى وقائع - كانت حقيقية - وان كنا نحن نجهلها، إنها رواية مقنعة، إذ صحت التعبير .

ويقدم لنا هذا النص أيضاً معلومات مفيدة حول موقف المصريين إزاء الملك، بعد أن تأسس النظام الملكى الجديد، إنها إرهابات لايدىولوجية التحامسة والرعامسة - التى تم الإعداد لها منذ وقت بعيد، ان التصور الذى كان قد تكون عن العاهل الملكى قد أخذ يتنوع وبصطبغ بصبغة انسانية، ولا ريب ان فرعون مازال يجسد السيادة والقوة، ولكنه أيضاً المالك الخير للحكمة والمعرفة الذى يعلم كيف يظهر الرقة والرحمة، عند الضرورة، وهنا تظهر الشواهد الأولى على البطولات الملكية، وأسطورة الملك الذى لا يقهر (التي سيطورها تحوتمس الثالث، وامنحوتب الثانى والرعامسة، إلى أقصى حد).

كما تشير قصة «سنوهى» أيضاً إلى وقائع تاريخية، لا نملك عنها من جانب آخر، سوى القليل من المعلومات : وجود مؤمرات فى البلاط مع تولى الأسرة الثانية عشرة السلطة، الحملة التى شنت على ليبيا، فى العام ٢٩ أو ٣٠ من حكم امنمحات الأول بقيادة سنوسرت الشريك فى الحكم، والشريك النشط فى السياسة الخارجية لمصر، وأيضاً ظهور التمييز الأساسى، الذى سيظل أمراً جوهرياً وحقيقياً على الدوام

ولاسيما على الصعيد الإدارى ، بين الممتلكات الإفريقية والممتلكات الأسبوية .
وأخيراً فهذا النص المكتوب فى لغة كلاسيكية هى آية فى الجمال هو ، أيضاً
انعكاس لمختلف التقاليد الأدبية ، سواء القديمة منها أو الجديدة ، إن التضاد الإيقاعى
الذى يقابل بين الفاقة التى كان يعيش فيها «سنوى» فى السابق وثرائه
الحالى^(١٠٧) لىذكرنا بمرثيات «إيبور»^(١٠٨) ، إن الإسهاب فى الكلام ، وواقعية
الوصف وشكاوى «سنوى» وتوسلاته التى تجيش بالحزن والحنين لتذكرنا أحياناً
بعرائض الفلاح الذى تعرض للسطو (الفلاح الفصيح)^(١٠٩) . كما تظهر هنا الأناشيد
إلى الملك ، فى قوالب شعرية ، وهو النوع الذى نشأ آنذاك وأخذ يتطور فى وقت لاحق
تطوراً ملحوظاً .

كما نتعرف فى هذه القصة أيضاً ، على مواضيع أكثر عمومية ، نذكر على سبيل
المثال ، تفوق الإنسان الفطن والماهر على بطل لا يغتر بقوة؟ وهو موضوع ظل يراود
وعى الإنسان منذ أقدم الأزمنة ، فى نموذج داوود و«جوليات»* أو «أستيريكس»
Asterix فى الأزمنة الحديثة ، كنموذج أكثر ابتذالاً . ويحلو للبشر ان ينتصر
الذكاء على القوة القح .

ولعدة أسباب تعتبر قصة سنوى فصلاً هاماً من تاريخ الأدب المصرى .

.(المترجم)

* راجع الكتاب المقدس ، سفر صموئيل الأول : الإصحاح : ١٧ .

رحلة «ون آمون» (١١٠)

اليوم السادس عشر (١١١)، من الشهر الثانى، من فصل الجفاف، (١١٢)، من العام الخامس. فى هذا اليوم رحل «ون آمون»، كبير مسئولى البوابة (١١٣)، التابع لمعبد «آمون»، رب عرشى القطرين، لإحضار الخشب (اللازم) للقارب الكبير المقدس الخاص بـ «آمون رع»، ملك الآلهة - القارب الذى يبحر على (صفحة) النيل والذى يسمى «أوسرحات» (١١٤).

ويوم أن وصلت «تانيس»، حيث مقر «سمندس» (نس بانب جد-م.) و«تنت آمون» (١١٥)، سلمتهما مراسيم، «آمون - رع»، ملك الآلهة. وعملا على أن تقرأ فى حضرتهم، وقالوا: «لسوف اتصرف (هكذا!-م) (بكل تأكيد) سوف اتصرف طبقاً لكلمات «آمون رع»، سيدنا، ملك الآلهة»، وعلى ذلك، فقد مكثت فى مدينة «تانيس» (١١٦) حتى الشهر الرابع من فصل الجفاف. عندئذ أصدر إلى «سمندس» و«تنت آمون» أوامر الرحيل فى صحبة قائد السفينة «منجابت» (١١٧) ونزلت على بحر سوريا العظيم، فى الشهر الأول من فصل الفيضان (١١٨).

وأدركت فى البداية مدينة «در» (١١٩)، وهى إحدى المدن التى يقيم فيها الـ «ثاكر». (١٢٠) وسمح أميرها «بادر» بأن يقدم لى خمسون رغيفاً، وإبريق نبيند وفخذ عجل. ولكن هرب أحد رجال سفينتى بعد أن سرق (إناءً) من ذهب، يزن خمسة «دبنات» (١٢١) وأربعة أوعية من فضة تزن عشرين «دبن». وأربعة أباريق من فضة تزن عشرين «دبن» وكيساً (به) أحد عشر دبن من فضة (قيمة ما سلبه اللص): خمسة «دبنات» ذهب وواحد وثلاثون «دبن» فضة (١٢٢). (وفى نفس) هذا الصباح، رحلت، متجهاً إلى حيث يقيم الأمير وقلت له: «لقد سُرقت فى ميناء تابع لك، غير أنك أمير هذا البلد، فانت الذى يدير شئونته. فبادر بالبحث عن فضتى وذهبى» (١٢٣)، فإن هذه القضية وهذا الذهب هما ملك «آمون - رع»، ملك الآلهة، وسيد الأراضى. وهو أيضاً ملك «سمندس»، ملك سيدي، «حريحور» وجميع عظماء مصر الآخرين (١٢٤) كما انه ملكك أنت، و ملك «ورت» و«مكامير» و«وثاكر بعل» وأمير بيبيلوس. (١٢٥) عندئذ قال لى: «حتى لو انك رزين وحصيف، فكما ترى، فانا لا أعرف شيئاً على الإطلاق، عن هذا الموضوع الذى تحدثنى عنه، فلو أن هذا اللص كان تابعاً لبلدى، (اللس) الذى

نزل فى سفينتك وسرق فضتك وذهبك، لكنك سدّتها لك من خزيتى، إلى أن يتم العثور على مرتكب السرقة، أياً كان اسمه. ولكن هذا اللص الذى سرق منك (هذه الممتلكات)، تابع لك، تابع لسفينتك. ومع ذلك، عليك أن تقضى هنا بضعة أيام، بجوارى ولسوف ابحث لك عنه.» وهكذا امضيت تسعة أيام، راسياً فى مينائه. ثم توجهت إليه قائلاً: «انظر، إنك لم تعثر على فضتى وذهبي دعنى إذن أرحل مع قادة السفن التى تجوب البحر...»

السطور التى تلى ذلك، مهمشة تهشيماً بالغاً. ويبدو ان «ون آمون» قد رحل رغم نصيحة أمير در. واجر حتى وصل صور وصيدا، وعقد العزم على أن يصل إلى بيبيلوس. وقبل النزول من السفينة، يبدو انه فتش فى خزينة السفينة التى كانت فى حوزته، وهكذا أخذ ثلاثين دين من فضة. ثم أعلن لركاب السفينة انه سيعيد لهم هذه الفضة، عند العثور على ما سرق منه، من قبل.

وهكذا رحلوا. وضربت خيمتى على شاطئ البحر، فى ميناء «بيبيلوس». واقمت هناك تمثالاً الـ «آمون الطريق»، (١٢٦) ووضعت ما كان يخصه داخل (الخيمة). وأوفد أمير بيبيلوس (رسولاً) ليخبرنى: «أذهب بعيداً عن مينائى ا» وارسلت له (بدورى رسالة) قلت فيها: «وأين أذهب؟. فإن كان عندك سفينة على وشك السفر، فاسمح لى بالعودة إلى مصر (١٢٧).» وهكذا قضيت تسعة وعشرين يوماً. وخلال كل هذه الفترة، ظل يوفد إلى يومياً (رسولاً) ليخبرنى قائلاً: «هيا، إذهب بعيداً عن مينائى ا» غير أنه حدث ذات يوم، بينما كان يقدم القرابين لآلهته، أن أمسك الإله («آمون») بزميل من زملاء (الملك) وأوصله إلى حال من الجذب، قائلاً له؟: «احضر (تمثال) الإله فوق المرتفع (١٢٨). احضر أيضاً الرسول المسئول عنها، فـ«آمون» هو الذى ارسله، وهو الذى الذى سمح بحضوره.» وخلال الفترة التى ظل فيها هذا الشخص فى غشيته، كنت قد وجدت سفينة كان قديمها متجهاً ناحية مصر، وكنت قد شحنت عليها كل ما يخصنى، وكنت أشاهد الليل (وهو يرخى سدوله)، بينما يدور فى خلدى: «عندما يهبط (الليل) سوف اضع أيضاً (تمثال) الإله على متن السفينة، لأنى كائنات من كان ان يراها (من الآن).» (وفى هذه اللحظة) جاء إلى مدير الميناء ليقول:

«امكث (فى هذا المكان) حتى الفجر، فهكذا تكلم الأمير.» فاردفت قائلاً : «ألست أنت هو ذاك الذى كان يقضى وقته كل يوم فى الحضور إلى قائلاً : «هيا ابتعد عن مينائى!» فكيف تخبرنى الآن : «امكث هذه الليلة!» - وذلك للسماح للسفينة التى اهتديت إليها بأن ترفع مرساها، ثم ستأتى من جديد لتقول : «ارحلا!» وعلى ذلك، ذهب مدير الميناء ليبلغ ذلك إلى الأمير، وأرسل هذا (رسولاً) إلى قائد السفينة، ليأمره (بمايلى) : «امكث (فى هذا المكان) حتى الفجر. فهكذا تكلم الأمير.»

عندما انبلج الفجر، طلب منى الحضور، واصطحبنى إلى المرتفع، فى حين كان الإله راقداً فى خيمته، على شاطئ البحر. وجدت الأمير جالساً فى قاعة كبيرة، وقد ولى ظهره جهة شباك، بينما تتلاطم أمواج بحر سورياً الكبير خلف رأسه (١٢٩). فقلت له : «فليباركك آمون!» قال الأمير : «ما هو عدد الايام التى انقضت منذ أن غادرت مقر «آمون»؟ فاردفت قائلاً : «خمسة أشهر بالتمام الى يومنا هذا.» قال الأمير : «فلنر، ان كنت صادقاً فأين إذن وثائق مراسيم «آمون - رع» التى كانت بين يديك؟ اين خطاب كبير كهنة آمون الذى كان أيضاً فى حوزتك؟» فأجبت قائلاً : «لقد سلمتها إلى «سمندس» و«تنت آمون». (١٣٠) فثار ثورة عارمة وقال: «المراسيم والخطاب، لم تعد إذن فى حوزتك فأين هى أيضاً السفينة المصنوعة من خشب الأرز التى أعطاه إياك «سمندس»؟ أين طاقم بحارتها السوريون» ألم يسلمك (هذا الطاقم) لقبطان السفينة الأجنبى هذا ليدبر أمر قتلك ويلقيك فى البحر؟ لدى من إذن، سوف يجرى البحث عن (تمثال) الإله؟ وانت نفسك، لدى من يجرى البحث عنك؟ هكذا تحدث إلى، فاردفت قائلاً : «ولكن أليست السفينة (التى تتحدث عنها) ملكاً لمصر؟ وطاقم الملاحين أليس تابعاً لمصر ويبحر بأمر من «سمندس» فهو لا يملك طاقماً «سورياً» (١٣١) (قال) الأمير : «ألا توجد هنا فى مينائى عشرون سفينة تتعامل مع سمندس؟ أما عن صيدا وهى مدينة أخرى مررت بها، أليس بها خمسون سفينة تتعامل مع «واركاتر» وهى فى طريقها إلى مقره؟» (١٣٢) والتزمت الصمت لفترة طويلة. ثم سألنى أيضاً قائلاً : «فى أى مهمة جئت إذن؟» قلت له : «جئت بحثاً عن الخشب اللازم للقارب الكبير المقدس الخاص بـ«آمون»، ملك الآلهة، فما فعله أبوك، وما فعله أيضاً أبو أبيك، عليك أنت أيضاً ان تفعله.» هكذا قلت له، فأجابنى قائلاً : «حقاً، لقد فعلوه. وإذا اعطيتنى ما ينبغى من أجل ذلك، (١٣٣) لفعلته أيضاً. لقد اتم أبائى هذه الصفقة، لأن فرعون - ليكن حياً ومزدهراً وفى صحة طيبة! كان قد ارسل

لهم ست سفن محملة بسلع مصر، تم تفريغها في مخازنهم. أما أنت، فماذا أحضرت لى إذن؟»

عندئذ أمر بإحضار السجل اليومي لأبائه وأمر بأن يقرأ فى حضوره بصوت مرتفع. فوجد (أنه قد دُون) فى سجله ألف «دين» من مختلف الأشياء من فضة وذهب وقال لى: «لو أن أملاكى كانت فى يد ملك مصر: ولو أننى كنت خادمه التابع له، لما أرسل إلى فضة وذهباً قائلاً لى: «انجز (هذه) المهمة من أجل آمون!» (١٣٤) فما كان يرسله لأبى لم يكن على سبيل الهدايا. وعلى ذلك فأنا أيضاً لست خادمك، ولا خادم من أرسلك إلى. فعندما يعلو صوتى فى لبنان تنفتح السماء والأشجار تهوى هنا على شاطئ البحر (١٣٥). اعطنى إذن الأشرعة التى كان عليك أن تحضرها معك لتعود بسفنك (إلى مصر) محملة بأشجارك، اعطنى أيضاً الحبال التى كان عليك أن تحضرها لربط أشجار الأرز التى على أن اقطعها .. ترى كيف ستعود بالأشجار التى سأوفرها لك؟ لسوف تنهوى أشرعة سفنك، وتكون ركائز سواريك ثقيلة (جداً) فتتحطم، الزم جانب الحذر حتى لا تلقى حتفك وسط البحر. انظر، ان «أمون» ينفخ صوته فى السماء، فى حين يتجلى «سوتخ» (١٣٦)، فى وقته، ان «أمون» هو الذى أسس الأراضى قاطبة، لقد أسسها بكل تأكيد. ولكنه أسس أرض مصر أولاً، (مصر) التى قدمت منها. فمن مصر أتى التفوق ليصل إلى الأرض التى أنا فيها (١٣٧). فمن مصر أتت الحكمة لتصل إلى الأرض التى أنا فيها، ترى، ما هذه الإجراءات الحمقاء التى يطالبونك بها؟»

وأجبت قائلاً: «ويحك! ليست حمقاء هى تلك الترتيبات التى اتبعتها، انظر، لا توجد سفينة على صفحة النهر إلا وتخص «أمون». فالبحر له، ولبنان أيضاً التى قلت عنها: «إنها لى». لبنان حيث «ينمو» قارب آمون، «الأوسرحات»، سيدة جميع السفن المقدسة (الأخرى)، فى الحقيقة، فإن «أمون-رع»، ملك الآلهة، قد قال هذه الكلمات لسيدى «حريحور»: «دعنى أرحل» (١٣٨) وقد أوفدنى «حريحور»، (وعهد إلى) بمهمة هذا الإله الكبير. ولكن، كما ترى فقد تصرفت بحيث قضى هذا الإله الكبير تسعة وعشرين يوماً منذ أن نزل إلى مينائك، مع أنه لم يكن خافياً عليك أنه كان موجوداً هنا. أليس هذا الذى كان يحيا هنا من قبل؟ ومع ذلك فأنت تقف هنا، بلا حركة، تسعى إلى القيام بصفقات لصالح لبنان مع «أمون» وهو مالكها، أما عن قولك «ان ملوك الأزمنة الغابرة كانوا يرسلون الفضة والذهب» (فسيكون ردى) انه لو كان فى

وسعهم ان يمنحوا الحياة والصحة، لما أمروا إذن بارسال سلع. لقد أمروا إذن بارسالها لأبائك، بدلاً من الحياة والصحة^(١٣٩). ولكن «أمون - رع»، ملك الآلهة، يملك الآلهة، يملك الحياة والصحة كان سيد أبائك، الذين قضوا أيام حياتهم يقدمون القرابين إلى «أمون» فانت أيضاً خادم «أمون». وإذا قلت لـ «أمون»: «سوف أفعل، فلا ريب أنك ستفعل». وإذا عالجت مهمته، ستكون حياً، ستكون مزدهراً، ستكون في صحة طيبة، وتكون كاملاً من أجل بلدك كله ومن أجل شعبك. لا تطمع إذن لنفسك فيما يملكه «أمون - رع» سيد الآلهة، من ثروات أخرى^(١٤٠)، لأن الأسد يحب بالطبع ثرواته. اسمح إذن بأن يحضر إلى كاتيك، حتى أوفده إلى سمندس» و«تنت أمون» الحاكمين^(١٤١)، اللذين وهبهما «أمون» لشمال بلده، لتلبية كل ما طالبت به. سوف أوفده إليهما (لابلغ) هذه الكلمات: «مراً بإحضار كل ذلك، وعند عودتي إلى الجنوب، سأصرف آنذاك لأسد لك مجمل هذه المصاريف، بالتمام والكمال، وسلمته هذه الرسالة، وسلم رسالته إلى يد رسوله. كما شحن (على متن السفينة) اللوح الصالب للسفينة، ورأسى (الكبش؟) من الخشب (واحدة) لقيدوم (القارب المقدس لأمون) (والأخرى) لكوئها، إلى جانب أربع عوارض خشبية، فكان مجموعها سبع قطع - وأمر بأن ينقل (كل ذلك) إلى مصر.

أما الرسول الذي سافر إلى مصر، فقد عاد إلى، في سوريا، في الشهر الأول من فصل الإنبات^(١٤٢) وكان «سمندس» و«تنت أمون» قد أرسلتا: أربع جرار وإناء واحد من ذهب، وأربع جرار من فضة، وعشرة ثياب من أرق أنواع الكتان الملكي، وعشر حزم من كتان الوجه القبلي، وخمسمائة لفافة من أفضل البردي، وخمسمائة جلد عجل، وخمسمائة حبل من حبال السفن، وعشرين كيس عدس، وثلاثين سلة سمك، إلى جانب ذلك، فقد أرسلت تنت أمون: خمسة ثياب من كتان الوجه القبلي، وخمس حزم من كتان الوجه القبلي، وكيس عدس وخمس سلال سمك.

وفرّح الأمير (بذلك). وبدأ ثلاثمائة رجل وثلاثمائة عجل العمل في الحال وأقام على رأسهم المشرفين، لقطع الأشجار، وبعد أن قطعت ظلت ملقاة على الأرض طوال فصل (الإنبات)^(١٤٣). ومع حلول الشهر الثالث من فصل الجفاف^(١٤٤) تم سحبها حتى ساحل البحر. وخرج الأمير وبقي على مقربة منها وبعث في استدعائى قائلاً: «تعال!» وعندما اقتربت منه، سقط على ظل مظلتته. عندئذ تدخل «بن أمون» وهو ساق^(١٤٥) من سقاته قائلاً: «إنه ظل فرعون - ليكن حياً ومزدهراً وفي صحة

طيبة-، (فرعون)، سيدك، فقد سقط (ظله) عليك،» ولكن الأمير استشاط غضباً عليه وقال له: «أبعد عنه أنت!» وبينما كنت واقفاً أمام الأمير، وجه إلى الحديث التالى : «انظر، ان المهمة التى تصدى لها أبائى فى الماضى، تصديت لها أنا أيضاً، رغم أنك لم تنجز من أجلى ما فعله أبائك من أجل (أبائى). لقد وصلت بقية أشجارك، ووضعت هنا. والآن، تصرف حسبما أود، واشحنها، الم تعط لك؟ ولكن لا تماطل وأنت تتفكر فى الرعب الذى قد يثيره البحر، فلو فعلت لاستطعت أن ترى مدى (رعبى)»^(١٤٦). وفى الواقع، فأننى لم أفعل معك، ما فعله (أجدادى) مع رسل «خع إم واست»^(١٤٧) بعد أن امضوا سبع عشرة سنة فى هذا البلد. فقد وافتهم المنية وهم فى أماكنهم. وقال أيضاً لساقيه : «اصطحبه ليشاهد مقبرتهم التى يرقدون فيها. عندئذ قلت له : «ليس من الضرورى أن ترينى إياها. أما «خع إم واست» فالرسل الذين كان قد أوفدهم إليك كانوا رجالاً وهو أيضاً كان رجلاً. والذى (يقف أمامك) اليوم ليس واحد من هؤلاء الرسل، وإن قلت: «هيا اذهب لترى رفاقك» أليس فى وسعك أن تبتهج وتأمّر بأن تقام لك لوحة حجرية تقول على سطحها : «أمون - رع»، ملك الآلهة، قد أوفد إلى رسوله -ليكن حياً ومزدهراً وفى صحة طيبة وهو (تمثال) «أمون الطريق» - (وارسل) معه، فى نفس الوقت «ون أمون» رسوله البشرى، بحثاً عن الخشب للقارب المقدس لأمون، ملك الآلهة، فأمرت إذن بقطع (الأشجار)، وتحميلها ووفرت لك من جانبى السفن والملاحين، لقد فعلت (إذن) كل ما يمكن عمله لتصل الحمولة إلى مصر، وطلبت فى المقابل من «أمون» أن يمنحنى خمسين سنة اضافة إلى عمري الذى حدده لى القدر؟ وفى الحقيقة، سيحدث مستقبلاً فى المرة القادمة، ان يصل رسول من بلاد مصر يجيد القراءة، وعندئذ سوف يقرأ بصوت مرتفع اسمك على سطح هذا اللوح الحجرى^(١٤٨) وتنال قريناً من الماء الطهور فى الغرب، أسوة بالآلهة المقيمة فيه.»

وأجابنى قائلاً : « إن هذه الكلمات التى اخبرتني بها للتو، هى شهادة على قدر كبير من الأهمية.» وواصلت كلامى قائلاً له : «فيما يتعلق بالأمور العديدة التى حدثتني عنها، فعند وصولى إلى مقر كبير كهنة «أمون»، وبعد أن يقف (على الأسلوب) الذى عالجت به هذه المهمة، طبعاً فستعود عليك هذه المهمة بالنفع وتنال بعض الخيرات.»

وعلى ذلك، توجهت إلى شاطئ البحر، إلى المكان الذى وضعت فيه الأشجار، وشاهدت إحدى عشرة سفينة قادمة عن طريق البحر. كانت سفناً تابعة لأهل «ثاكر» الذين سؤل لهم فكرهم: «اسجنوه ، ولا تدعوا سفنه ترحل.» عندئذ جلست وبكيت. وجاءنى أمين سر^(١٤٩) الأمير عند خروجه وقال لى : «ترى ماذا أصابك (أيضاً)؟» فأجبت عليه : «ألا ترى إذن هذه الطيور المهاجرة التى تنزل إلى مصر، للمرة الثانية^(١٥٠)؟ انظر إليها، إنها راحلة إلى مستنقعات النيل، أما أنا، فإلى متى أظل هنا، مهملاً؟ ألا ترى هؤلاء القوم الذين يقتربون للقبض على؟» وذهب ليخبر الأمير بذلك، وهنا بكى الأمير بسبب هذه الكلمات التى نقلت إليه فأحزنته. وسمح لأمين سره ان يحضر عند خروجه ليقدم لى إنائى نبيذ وخروفاً. كما أمر بأن تاتى إلى «تانتنيوت»، وهى مغنية مصرية كانت فى صحبتته وقال لها : «غنى من أجله، لا تسمحن للهواجس (السوداء) بأن تملك قلبه.» كما ابلغنى رسالة، قال فيها : «كل، واشرب، ولا تسمحن للهواجس (السوداء) بأن تملك قلبك، وفى وسعك ان تسمع عند الفجر كل ما عندى من كلام.» ومع بزوغ الفجر، دعا جمعيته إلى الاجتماع^(١٥١)، ووقف وسط (الأعيان) وقال عندئذ لل«ثاكر»: «لم جئتم؟» فاجابوا: «جئنا لمطاردة هذه السفن التى بلا حماية^(١٥٢)» والتى ترسلها إلى مصر وإيضاً (لمطاردة) القوم الذين نريد ان نصفى حسابنا معهم^(١٥٣).» فقال لهم :«ليس فى وسعى أن أحبس رسول «أمون» إلى بلدى، دعونى أرحله، وسوف تطاردونه فيما بعد للقبض عليه.»

عندئذ تركنى اركب السفينة، لأرحل بعيداً عن الميناء البحرى. ودفعتنى الرياح إلى «الأسيا»^(١٥٤) وهناك، خرج أهل المدينة، وفى نيتهم أن يقتلونى وشققت وسطهم لنفسى طريقاً إلى حيث تقيم «حتيبا» أميرة المدينة، فالتقيت بها بينما كانت تهم بالخروج من أحد مساكنها وعلى وشك الدخول إلى آخر. وقدمت لها التحية وقلت للرجال الواقفين بجوارها :«أوجد من بينكم من يفهم لغة مصر؟» وأجاب أحدهم:«إنى افهمها.» وعلى ذلك فقد قلت له :«قل لسيدتى أنه نما إلى علمى، أنه بقدر بعد المدينة (مدينة طيبة) وبقدر بعد مقر إقامة «أمون»، يقترب الناس الظلم فى كل مدينة، ولكن الناس فى بلاد «الأسيا» ، يمارسون الحقيقة والعدالة. ولكنهم يقتربون أيضاً فى هذا المكان، الأعمال الخسيسة.» فردت على قائلة: « ترى ماذا يعنى إذن ما تخبرنى به؟» قلت: «كان البحر هائجاً، عندما دفعتنى الرياح الى البلد الذى تقيمين فيه، ترى اتسمحن لهؤلاء الناس أن يلحقوا القبض على ويقتلوننى، فى

حين اننى رسول «أمون»؟ التزمى جانب الحذر، ففيما يخصنى، سوف يتواصل البحث عنى على مرّ الأيام. أما عن طاقم الملاحين هذا، فإنه تابع لأمير بيبيلوس، ويحاول (رجالك) أيضاً أن يقتلوهم. (ألا تظنين) انه لو التقى سيده (سيد هذا الطاقم) بعشرة أطقم تابعين لك، ألن يقتلهم أنذاك، هو أيضاً؟ فاستدعت الناس (المعنيين) ووبختهم، ثم قالت لى: «أما أنت، فاذهب لقضاء ليلتك»

(هنا يتوقف المخطوط الذى ضاعت نهايته)

مساومات وجدل على خلفية من الشرق. إن الكشف ذات يوم عن بردية أخرى ربما يتيح لنا ان نتعرف على مال المحن التى كابدها مبعوث أمون. ويسمح لنا النص بالتعرف إلى أى مدى كانت هيبة مصر قد ضاعت، خلال الألف الأول قبل الميلاد. فبعد انقضاء العصور المجيدة التى عاشتها مصر فى ظل الإمبراطورية وحكم الرعامسة، جاء اغتصاب الحكم على أيدي كهنة طيبة فى الوجه القبلى وانفصال الوجه البحرى سياسياً ليضعف مملكة الودادى إلى حد كبير. وبيبلوس، التى كانت على امتداد أكثر من ألفى سنة، الحليف الأمين لمصر، لم تعد تابعة إلى هذا الحد.

ولكن هناك حقيقة جديدة بالإهتمام : فقد ظلت مصر على الصعيد الروحى لها الهيمنة على العالم القديم، وإن تضاعفت هيمنتها على الصعيد المادى. فالرفعة والحكمة قد ولدتا على ضفاف نهر النيل، ان حضارة الفراعنة التليدة قد تركت فى العقول بصمات واضحة، ويظل اسم «أمون»، الشديد البأس فى طيبة، وملك الآلهة، الذى عرفه الإغريق تحت اسم أمونراسونثير* Amonrasonther - يظل بالنسبة للجميع، بمثابة تميمة سحرية تفتح جميع الأبواب، وسوف تخضع اليونان وروما لهذه الهيمنة الروحية التى مارسها البلد الأقدم فى العالم، وتعترفان بها.

* وهو التصحيف اليونانى للإسم المصرى «أمون-رع-نسو-نترو» أى «أمون-رع ملك الآلهة» (المترجم).

شروح وهوامش الفصل الثالث من الباب الثانى

(١) فى حوزتنا الآن نسخ عديدة من هذا النص، الذى كان المصريون بلاشك مولعين به ولعاً خاصاً. والمخطوطان الرئيسيان المدونان على البردى محفوظان فى الوقت الراهن بمتحف برلين تحت رقم 3022 (ويعود إلى مجموعة اتنازى Athanasi) ورقم 10499 (وهو من الرامسيوم - معبد رمسيس الثانى الجنائزى، فى البر الغربى، لمدينة طيبة)

كما وصلت إلينا العديد من الأوستراكا، التى دونت عليها نسخ من قصة «سنوهى». وأكملها موجود حالياً من مجموعات اوكسفورد (متحف الأشمويان Ashmolean Museum) وترجع هذه النسخ إلى الفترة الممتدة من الأسرة الثانية عشرة إلى الأسرة العشرين. وصياغة النص هى بلغة الأسرة الثانية عشرة الكلاسيكية الجميلة.

A.M. Blackman, Middle Egyptian stories.

Bruxelles, 1932, PP 1-41. (Bibliotheca Aegyptica, vol II, Part I

J. W.B.Barns, The Ashmolean Ostrakon of Sinouhe, London, 1952

(٢) هذا الاسم معناه حرفياً «ابن (شجرة) الجميزة» - إذ ترتبط الشجرة بعبادة «حتحور».

(٣) «الصديق الأوحد» و«الزميل» هما لقبان من القاب البلاط الملكى يرجعان إلى أقدم العصور ويشيران إلى مدى الحظوة التى نالها الشخص الذى يحملها منزلته الرفيعة فى بلاط فرعون.

(٤) فى اللغة المصرية «سى - إن - وسرت» أى «رجل الإلهة أو سرت» وهى من آلهة المنطقة الطيبية اسمها «الشديدة البأس». ونحن فى صدر الأسرة الثانية عشرة وكانت طيبة فى ظل حكم الملوك السابقين (الأسرة الحادية عشرة) قد أصبحت للمرة الأولى عاصمة المملكة. وعندما تربع سنوسرت الأول على عرش البلاد نقل من جديد العاصمة على مقربة من رأس الدلتا (عند التقاء الوجهين القبلى والبحرى) عند مدخل الفيوم، فى اللشت.

(٥) مختصر اسم هرم «سنوسرت» الأول ومدينة هرمه فى اللشت: «خپر كا رع» (اسم العرش للملك «سنوسرت» الأول) «خنم - سوت» («يتحد بمقار الملك»).

(٦) «أمنمحات» الأول، أول ملوك الأسرة الثانية عشرة الذى اغتصب العرش حوالى عام ٢٠٠٠ ق.م ومعنى اسمه: «أمون هو فى المقدمة». أو «أمون هو الأول»

(٧) اختصار: «كا - نفرو - إمن - إم حات» أى: «رفيع هو كمال امنمحات» وهو اسم هرم «أمنمحات» الأول، فى اللشت. وكان «سنوسرت» الأول قد تزوج إذن من أخته على عادة ملوك مصر، وكان هو شخصياً ابن «أمنمحات» الأول.

- (٨) قرب نهاية شهر أكتوبر.
- (٩) اسم العرش لـ «أمنمحات» الأول ويعنى: «ذاك الذى يرضى قلب رع». إن اسمى «رع» و«أمون» يلتقيان إذن فى مجموعة ألقاب «أمنمحات» الأول وهما الإلهان المهيمنان على آلهة مصر العظمى. إن أمنمحات الأول الذى دمج الصورتين الإلهيتين لـ «أمون - رع» قد فرض هيمنة هذا الأخير - وهى الهيمنة التى غالبت الأيام.
- (١٠) أتون.
- (١١) أعضاء الملك - الإله.
- (١٢) عبارة تقليدية للدلالة على وفاة فرعون الذى يرتفع حتى السماء وينضم إلى أبيه «الشمس» (مذكر فى اللغة المصرية القديمة). ويتحد معه فى اندماج تام وأبدى.
- (١٣) قبائل كانت تعيش فى سهوب ليبيا الحالية. وقد عاشت مصر فى معارك متواصلة مع أبناء هذه المناطق شبه الرعوية (الـ «ثحنو» والـ «تمحيو» الذين جذبتهم خيرات وادى النيل وعقدت العزم على التغلغل داخل غرب الدلتا. وكان الـ «ثحنو» وهم الأقدم، يرتبطون مع المصريين من الناحية الإثنية. فى حين أن الـ «تمحيو» الذين استقروا حديثاً فى هذه المناطق ينحدرون من أصول شمالية.
- (١٤) إشارة محتملة إلى وجود مصريين متمردين على الأسرة الملكية الجديدة التى أسسها «أمنمحات» الأول والذين لجؤوا بصفة مؤقتة على ما يظن إلى السكان المشاغبيين القاطنين إلى الغرب من مصر.
- (١٥) أى وفاة «أمنمحات» الأول، والد ولى العهد، الذى كان العاهل المتوفى قد أشركه فى العرش كشريك فى الحكم، وهكذا اختاره بصفة رسمية خليفة له.
- (١٦) الأمير ذاته، الذى سيصبح حورس الجديد، الصقر الملكى.
- (١٧) إشارة محتملة إلى المؤامرة التى حاكها بعض رجال البلاط لمساعدة أمير آخر غير الذى اختاره أمنمحات الأول ولم يكن الإبن البكر - لمساعدته على التربع على عرش البلاد. وربما راودت سنوسرت شخصياً بعض الشكوك حول وجود مؤامرة محتملة، الأمر الذى يفسر إسراعه فى التوجه فى الحال إلى العاصمة دون إبلاغ أحد.
- (١٨) لاريب إنه عند سماع «سنوى» الأحاديث المتبادلة، قد تعرف على وجود مؤامرة(؟). وسوف يهرب خوفاً من أن يكون أحدهم قد اكتشف انه كان يتنصت على ما يقال.
- (١٩) كانت الطرق فى مصر تمتد فوق الجسور الترابية، الواقعة على جانبي النهر، وتحفها أدغال كثيفة من نبات البردى.
- (٢٠) اسم يعنى: «الحقيقتان» - الذى صحفه الإغريق إلى مريوط. وتقع هذه البحيرة فى الوجه البحرى، غرب الدلتا، على مقربة من مدينة الإسكندرية الحالية.

(٢١) مكان معلوم يحيط بشجرة جميز مقدسة - ويعتبر مقر إقامة الإلهة «حتحور» أو الإلهة السماوية «نوت».

(٢٢) وتقع أيضاً إلى الشمال الغربى من الدلتا.

(٢٣) كانت مشاهدة «سنوى» بعد أن ظل هارياً لعدة أيام، وظهوره فجأة عند حافة أحد الحقول، من الأمور التي تثير الريبة فى النفوس.

(٢٤) لاريب أنها كانت قريبة من رأس الدلتا. لقد قطع بالفعل مسافة طويلة.

(٢٥) احتفظ «الجبل الأحمر» باسمه حتى الوقت الراهن: والجبل الأحمر تل لا يبعد كثيراً عن القاهرة ويقع إلى الشرق من «مصر الجديدة». وكانت الإلهة «حتحور»، فى العصور القديمة، هى سيدهته وحاميته. وسواء نظرنا إلى اسم «سنوى» ذاته أو اسم الأماكن المألوفة التى يلتقى بها، فإن كثرة تردد اسم الإلهة، دليل على أهمية عباداتها فى ظل الأسرة الثانية عشرة.

إن «سنوى» الذى كان عائداً من ليبيا يواصل «هرويه» (٩) - أو رحلته - إذ يمر بفرب الدلتا ويعبر النهر عند تفرعاته قرب رأس الدلتا، ويتجه الآن شمالاً حتى يصل إلى الصحراء الواقعة شرقى هليوبوليس، ثم أخذ يبتعد بشكل واضح من المقر الملكى فى اللشت.

(٢٦) تتكون «أسوار الأمير» من سلسلة من القلاع الموزعة على طول حدود مصر الشمالية الشرقية وتمتد من سواحل البحر الأبيض لتصل إلى منطقة تقع على مستوى مدينة هليوبوليس تقريباً وقد شيدت بناء على أوامر «امنمحات» الأول للحيلولة دون تسلل القبائل الرعوية من بلدان آسيا المتاخمة لمصر، والتي كشفت عن خطورتها الشديدة خلال القرنين اللذين عمّت خلالهما الفوضى مصر، اعتباراً من ٢٣٥٠ وحتى ٢١٣٠ ق.م. تقريباً. وبشأن مشاعر الكراهية والإحتقار التى كان يكنها المصريون تجاه هذه الشعوب التى كانت ما تزال تعيش فى الخيام راجع: «نصوص مقدسة ونصوص دينوية»، المجلد الأول ص ٧٢.

(٢٧) كانت تشغل هذه القلاع حاميات صغيرة تسهر على منع أى عبور غير مشروع، لذا اختفى «سنوى» حتى يحاول عبور «الحدود».

(٢٨) مكان مجهول.

(٢٩) البحيرات المرة عند طرف خليج السويس الحالى. وقد أطلق عليها هذا الاسم فى العصور القديمة نظراً لارتفاع نسبة النطرون فيها.

(٣٠) وهى أفعال تمارس على جسد «أوزيريس» لضمان بعثه إلى الحياة، إننا فى سياق روحانى للموت والإحياء.

(٣١) أى: «ذهبت من بلد إلى بلد».

(٣٢) أحد الموانئ الفينيقية الكبيرة، أقامت معه مصر منذ أقدم العصور علاقات ودية. لقد وصل «سنوى»

إذن إلى شمال ساحل البحر المتوسط.

(٣٣) بلدة قائمة بلا شك إلى الشرق أو إلى الجنوب الشرقي من بيلوس.

(٣٤) من الراجح أن الـ «رتنو» هو جوف بلاد سوريا - فلسطين (الشام) حالياً.

(٣٥) في هذه الآونة، ازدهرت إلى حد كبير علاقات مصر مع جيرانها وأخذ التجار المصريون والآسيويون ينتقلون من بلد إلى آخر.

(٣٦) أمنمحات الأول.

(٣٧) كانت الإلهة اللبوة، إلهة محاربة وعدوانية، كما كانت تتسبب في انتشار الأوبئة ولها القدرة أيضاً على الشفاء من الأمراض، على حد سواء. وكانت «المصارعة» العظمى.

(٣٨) سنوسرت الأول.

(٣٩) حرفياً: «الذى يرفع ساعده»، تعبيراً عن النصر. وهذا النص هو أحد الأناشيد الأولى الموجهة إلى فرعون، ونرى هنا النشأة الأولى لهذا النوع الأدبي (راجع: نصوص مقدسة ونصوص دنيوية، المجلد الأول ص ٩٣-٩٧) وسيندمر هذا النوع فيما بعد، لاسيما في عصر التحامسة والرعامسة. (نفس المرجع).

(٤٠) الأعداء بصفة عامة. وربما كان المقصود على نحو خاص النوبيين وكانوا حملة أقواس ماهرين ومرهوبى الجانب. وبالفعل فقد قاد سنوسرت ثلاث حملات إلى النوبة، في العام التاسع والعشرين من سنوات حكم أبيه. (وهي واقعة معروفة، جاءت أقوال «سنوهى» لتؤكد لها) ثم في العامين التاسع والثاني عشر من سنوات حكمه هو شخصياً. كما تجد أقوال «سنوهى» تأكيداً لها في مطلع هذا النص: في السنة الأخيرة من سنوات حكم امنمحات الأول (السنة الثلاثين)، كان سنوسرت مشغولاً في حروبه في ليبيا، بناء على أوامر أبيه.

(٤١) حرفياً: «الذى يغسل الوجه» - وأحياناً أيضاً: «القلب». انها تعبيرات تدل على راحة الجسد والروح.

(٤٢) صورة المحارب المنتصر. وهي أيضاً صورة الرجل الذى يحترمه المرء وينحني أمامه.

(٤٣) أى الذى فى وسعه أن يتجنبه بأن يهرب.

(٤٤) «فى اللحظة التى ينقلب فيها»

(٤٥) سوف يتكرر بكثرة موضوع البطل ذى المآثر الخارقة للعادة فى العصور اللاحقة راجع

C. LALOUETTE, Thèbes, PP379-385

(٤٦) حرفياً: «الإلهة الكبرى». وهي تعبير شاع فى نصوص الرعامسة على وجه التحديد. راجع

C. LALOUETTE, Empire des Ramses's, PP389-390

(٤٧) إننا نعيش فى عصر، هو فاتحة لتأسيس امبراطورية الفراعنة. فيتم غزو الاراضى الإفريقية («تاو»)

الواقعة إلى الجنوب بالعنف، وتعتبر كما يدل اسمها مع ذلك امتداداً لمصر («تا» - أى الأرض المثلى -) ومن هنا كان لابد من إبقائها تابعة لمصر - البلد الأم. (راجع الهامش ٤٠). أما البلدان الآسيوية فى الشمال، وعلى رأسها المدن الفينيقية - والتي تدعى «خاسوت» - أى «البلدان الأجنبية» فقد اعتبرت وستعتبر على الدوام بلداناً مستقلة، نظراً بلا ريب لحضارتها العريقة، وسوف تكتفى مصر بفرض هيمنتها عليها، ولأهداف تجارية فى المقام الأول، ومن ثم لم يعرھا سنوسرت أى اهتمام. ولكن كان عليه تأديب البدو الرحل فى الأراضى المتاخمة الواقعة إلى الشمال الشرقى من مصر إلى جانب بدو سيناء المقيمين فى أراضى العبور والذين كانوا يعيشون على سلب ونهب القوافل فيصيبون بالضرر التبادلات التجارية المنتظمة. ومنذ أقدم العصور كانت مصر هى المسئولة عن حفظ الأمن فى دروب الصحراء الشرقية والشمالية.

(٤٨) إستعارة منقولة عن لغة نوتية نهر النيل، «أن يبقى المزم فوق مياه فلان» يعنى انه يتبعه مادياً ومعنوياً، أى ان يكون وفياً مخلصاً له.

(٤٩) ورد فى النص «ربط حبل السفينة» - تماماً كما يربط حبل السفينة عند الرسو على الشاطئ.

(٥٠) واحة فى صحراء الد «رتلو».

(٥١) إننا موجودون هنا فى جوف فينيقا، فى الواحات الزاخرة بالنبات.

(٥٢) بلاط سنوسرت الأول.

(٥٣) ظل «سنوهى» دائماً على علاقة بفرعون.

(٥٤) عملاً بعبادى المحبة وإعانة المعوزين، وهى مبادئ أساسية فى المجتمع المصرى. راجع على سبيل المثال لا الحصر: نصوص مقدسة ونصوص دنيوية، المجلد الأول: ص ٢٢٧

(٥٥) «حقاوخاسوت» هو الاسم الذى صحفه الإغريق إلى «هكسوس» ربما كان المقصود بذلك، البوادر الأولى لموجة الغزاة الكبرى التى ستنتقض فيما بعد على مصر فى القرن الثامن عشر ق.م. والأمر غير مستبعد حيث ان الشعوب الهندو أوروبية، ولاشك أن أصولها كانت أصولاً قوقازية، قد أخذت «تهبط» إلى الجنوب، ابتداء من عام ٢٠٠٠ ق.م تقريباً، أى خلال السنوات الأولى من حكم أمنمحات الأول، وأخذت تطرد أمامها الشعوب السامية القاطنة فى شمال آسيا - وهم «زعماء البلدان الأجنبية».

(٥٦) ترى أهى إشارة إلى ظروف محتملة أدت إلى وجود تمرد على الأسرة المالكة الجديدة، فلجأ المتمردون إلى ليبيا أو إلى آسيا؟ أم أن كلمة «رمث» التى تشير فى المعتاد إلى شعب مصر، تستعمل هنا بمعناها الأعم للدلالة على «البشر» دون تفرقة بين أصولهم؟

(٥٧) من الواضح هنا أن المقصود هو رجل «نوبى».

(٥٨) رجل «الرتلو» القوى.

- (٥٩) «سنوهى» ذاته.
- (٦٠) الإله الصقر المحارب.
- (٦١) حرفياً: «فى ظهري» - لهمايتى.
- (٦٢) رمز السلطة وما يصدر من أوامر. من الواضح فى هذا السياق ان كلمة «إله» - وان كانت تعريفاً لقدرة الربوبية بشكل عام - فهى أيضاً اسم ملك مصر.
- (٦٣) الملكة. ان «سنوهى» هو فى الواقع «خادم فى الحريم الملكى للسيدة النبيلة». راجع الفقرة الأولى من هذه القصة. إن وظيفته تجعله إذن على اتصال بالملكة وأبنائها.
- (٦٤) ان وصف الشيخوخة ومضارها كما وردت فى «حكم الوزير بتاح حوتپ»، قريبة الشبه جداً بالأوصاف الواردة هنا. راجع «نصوص مقدسة ونصوص دينوية» ، المجلد الأول ص ٣٣٢
- (٦٥) أئى: الوفاة.
- (٦٦) مثلما يندمج فرعون فى الشمس «أمون - رع»، تندمج الملكة فى «نوت»، إلهة السماء. إنهما لايشكلان زوجين أرضيين وأدميين فحسب، بل انهما «زوج» كونى وإلهى لاينفصم، وعلى الوجه الداخلى من غطاء التابوت، كانت ترسم أو تنقش فى الغالب صورة للإلهة «نوت»، ممددة فوق المتوفى، فتحميه إلى الأبد، ويشير هنا النص إلى هذا الأسلوب الرمزى.
- (٦٧) يلى ذلك الألقاب الملكية، التى تنصدر فى المعتاد كل مرسوم أو كل قانون صادر عن القصر.
- (٦٨) يعنى هذا الإسم: «فليات إلى الوجود «كا» «رع» - «
- (٦٩) كان الكاتب ساهياً، فمن ناحية، لم يذكر الإسم الثالث، وهم اسم حورس الذهبى، من ناحية أخرى فقد وضع اسم «امنمحات» خطأ بدلاً من اسم «سنوسرت».
- (٧٠) الملكة. راجع الهامش ٦٦ فيما تقدم.
- (٧١) إلهة النسيج، متخصصة فى الشرائط التى كانت تدر فى المومياء.
- (٧٢) التابوت الداخلى الذى يلى المومياء مباشرة.
- (٧٣) التابوت الخارجى. كانت صورة الإلهة السماوية «نوت» شاخصة على الوجه الداخلى من غطاء التابوت.
- (٧٤) كان التابوت يوضع فوق زحافة من خشب، تجرها العجول، ابتداء من المنزل (حيث ثم تحنيط الجسد حسب القواعد المعمول بها) إلى المقبرة.
- (٧٥) رقصة جنائزية تقليدية: كان الراقصون يرتدون فوق رؤوسهم تاجاً عالياً مصنوعاً من الخوص ويؤدون حركات إيقاعية منقولة عن فولكلور موغل فى القدم. وكانت هذه الرقصة ذات أصول إفريقية، على ما يظن، وهدفها طرد الأرواح الشريرة.

(٧٦) سوف يجسد الصوت والكلمة هذه القرايين مادياً.

(٧٧) غير متحضرين يتصرفون تصرفاً أرعن، لإبراز هذا المعنى، يلجأ مخصص الكلمة إلى صورة رجل بلا يدين، وبلا ساعدين، وقد ارتد إلى وضع بهيمى.

(٧٨) الهدف من هذا السرد الطويل للآلهة دون أى ترتيب منطقي هو وضع فرعون تحت حماية آلهة الكون العظمى فى مصر وفى البلدان الأجنبية وفى الجزر وفى البحار، على حد سواء، وهذه الآلهة هى:

١- الآلهة الأولية: «أتوم» وذريته المكونة من تسعة آلهة هم الذين خلقوا العالم ونظموه - وهم القوة الإلهية التى كانت كامنة فى الـ «نوو» - وهو المحيط الأزلئ - وقد اجتمعت هذه الآلهة على هيئة محكمة.

٢- آلهة السماء: «رع» والآلهة المرتبطة به، مثل «سويك» التمساح الذى ينبعث فجأة من مياه النيل، على غرار ما فعله «رع»، فى اليوم الأول من الخلق، عندما انبثق خارج الخواء السائل - وأيضاً «نوت» و «حتحور» السماويتان - و «حورس» صقر السماء.

٣- الآلهة الملكية: «أمون»، القادم الحديث، الذى تسيد بفضل ما اكتسبه أمراء طيبة فى الوجه القبلى من سلطان سياسى، - و «سيدة بوتو»، الحية «واجت» وهى الحامية القديمة والرعاية لأوائل ملوك الوجه البحرى.

٤- آلهة البلدان الأجنبية أو المرتبطة بها: «مين» فى «كويثوس» عند بداية الدروب الكبرى التى تخترق الصحراء وتنتهى عند البحر الأحمر - «سويد» الذى كان يعبد فى أقصى الأقاليم الشرقية من الدلتا، عند تخوم الأراضى الأجنبية، ويرتبط به «نعرىاو» و «سمسرو» وهما من آلهة آسيا.

يؤكد هذا النص بكل وضوح الأهمية التى كان يوليها المصريون فى هذا العصر (بداية الأسرة الثانية عشرة) للعبادات المحلية، وشاغلمهم «الإمبريالى» فى إشراك آلهة مصر وآلهة البلدان الأجنبية معاً، إلى جانب أنه يعبر عن ضرورة روحية، شغلت المصريين منذ أقدم العصور: فاتحاد القوى الإلهية يؤمن لمن يتضرع إليها عوناً رفيع المستوى، لذلك، فعندما أراد «سنوى» أن يشكر فرعون على عظيم رحمته أخذ يناجى رموز كافة الآلهة من أجل فرعون ولصالحه.

(٧٩) المنطقة التى تغرب فيها الشمس وتختفى عن أعين الأحياء - وهى مملكة الموت.

(٨٠) فرعون نفسه.

(٨١) راجع الهامش ٣٣.

(٨٢) الاسماء المذكورة هى أسماء أمراء أجنبية مكتوبة على الطريقة المصرية بالرسم المقطعى.

(٨٣) المصرى يحترم فرعون ويخشاه.

- (٨٤) الذى فى وسعه إذن ان يحجب النور وينشر الظلمات، إذا ما أراد ذلك.
- (٨٥) طريق ساحلى قديم جداً، يبدأ من القنطرة ويتجه شمالاً فى محاذاة شواطئ البحر المتوسط.
- (٨٦) ان الجعة وهى المشروب المصرى الأمثل، تصنع أثناء الرحلة.
- (٨٧) دقيق الشعير.
- (٨٨) حرفياً: «تلك التى تقبض على الأرضين» - وهو اسم مقر إقامة ملوك الأسرة الثانية عشرة الأوائل.
- (٨٩) وصف عضوى دقيق لما حدث عندما غُشى على «سنوهى» - عندما التقى بفرعون وشاهده، ونتيجة الإنفعال الشديد الذى انتابه.
- (٩٠) قلاند كبيرة من الخبز. وعند هزها هزاً شديداً كان يصدر عنها صوت حاد، يرافقه هنا صوت ملقطقة ناتجة عن اصطدام الشرائح المعدنية للمصلصلات. وكان الهدف من كل رنين «موسيقى» وإيقاعى هو ادخال السعادة على قلب فرعون وجميع الحاضرين معه. والقلاند «مينات» والمصلصلات هى من رموز الإلهة حتحور.
- إن عودة «سنوهى» المظفرة بعد أن ظل طريداً وقد لفته الشمس وطالت لحيته جعلته أشبه ببؤس الصحراء، حتى أصبح التعرف عليه من الصعوبة بمكان.
- (٩١) حفل موسيقى - بمصاحبة الغناء والإلقاء المنغم الذى يلى.
- (٩٢) «سيدة السماء» و«المذهبة» هما صفتان تطلقان على الإلهة «حتحور» - وهى «المذهبة» لأنها بقرة السماء، وبصفتها هذه فهى زوجة الشمس (مذكر فى اللغة المصرية القديمة - م.) وأمه، هى أن واحد. (راجع الفصل الثانى من الباب الأول).
- (٩٣) «حتحور» وتقوم هنا أيضاً بدورها كبقرة سماوية، ترفع بطنها النجوم أثناء الليل.
- (٩٤) وتكون بالتالى تاج - «البشنت» رمز الملكية الموحدة للوجهين القبلى والبحرى.
- (٩٥) الملكة.
- (٩٦) الثور المنتصر وفقاً لصورة الملك العتيقة.
- (٩٧) حسب نص «أوستراكون» متحف الأشموليان فى أوكسفورد.
- (٩٨) تتحمل هذه الكلمة تأويلات ثلاثة: فقد تدل على ربح الشمال، أو الإلهة برأس لبؤة التى كانت تعبد فى مدينة «ثنى» القديمة أو اسم والدة «سنوهى»، وهو المعنى الأكثر احتمالاً، وهذا المعنى الأخير قد يتفق بشكل أفضل مع الجملة التالية - وهكذا تتفق الجملتان فتفسير على نفس الإيقاع: فالملامح هى ملامح أسبوية من حيث المظهر. ولكن الأصول هى أصول مصرية.
- يكشف هذا المقطع بأكمله عن الطريقة التى اختارها الأبناء الملكيون لطلب الصفع عن «سنوهى».

(٩٩) فى «بيت الصباح» كان يتطهر الملك بالماء ويرتدى ملابسه. ومن ثم أدخل سنوهِى؟ إلى جناح الملك الخاص.

(١٠٠) ندين لـ SANDER - HANSEN (Acta Orientalia, 1955 - 1959, 22, P149)

بهذا التوثيل لعبارة «صور الأفق»

(١٠١) الخزينة الملكية.

(١٠٢) كل مصرى من على القوم كان عليه ان يكون بلا لحية فى حين يصور الاسيويون على الدوام بلحية مدبية.

(١٠٣) زيت الزيتون - فى مقابل زيت الخروع الذى كان المصريون يستعملونه بشكل أساسى،

(١٠٤) إنه أمر جدير بالملاحظة، ففى ذلك العصر كان الإقتصاد المصرى لازال يعانى من الثورة

الإجتماعية التى استمرت قرنين من الزمن قبل أن يتمكن ملوك الأسرة الحادية عشرة من جمع

شمل المملكة وتنظيمها حتى أن بعض الأهرامات الملكية فى اللشت قد شيدت بالطوب اللبن.

(١٠٥) كهنة جنازيون كانت مهمتهم فى المقبرة ان يقوموا بمختلف الطقوس الضرورية لاستمرار حياة المتوفى.

(١٠٦) فى العالم الآخر.

(١٠٧) راجع ص ٣٢٤

(١٠٨) راجع: نصوص مقدسة ونصوص دينية. المجلد الأول: ص ٢٩٨ - ٣٠٠.

(١٠٩) نفس المرجع ص ٢٧٧ وما يليها.

(١١٠) إننا نعرف هذا النص من خلال بردية يحتفظ بها فى الوقت الراهن متحف موسكو (رقم 120).

ومن المحتمل ان المخطوط يرجع إلى الأسرة الثانية والعشرين (عام ٩٠٠ ق.م تقريباً). ويصور

النص أحداثاً يفترض أنها وقعت قبل قرن ونصف، فى السنوات الأخيرة من حكم رمسيس

الحادى عشر، فى الفترة التى أخذ فيها «حريحور» كبير كهنة آمون فى طيبة يدعم سلطانه قبل

أن يحل محل الرعامسة (الأسرة العشرين) ويعمل على تأسيس أسرة حاكمة جديدة هى الأسرة

الحادية والعشرون (عام ١٠٨٥ ق.م تقريباً) ليقيم نظاماً ثيوقراطياً استطاع أن يحكم وادى النيل،

وفى الحقيقة فقد بسط «حريحور» سلطته مع الوجه القبلى أساساً، فى حين كان «سمندس»

يتربع على عرش الوجه البحرى، فى مدينة «تانيس»، إن ضعف الرعامسة الأواخر وطموح كهنة

طيبة قد قضيا على وحدة مصر التى تضاملت هيبتها فى الخارج إلى حد كبير، ومر «ون - آمون»

بهذه التجربة، أثناء رحلته إلى لبنان، والنص الحالى هو تقرير عن هذه الرحلة.

النص المصرى: Alan H. GARDINER, Late Egyptian Stories, Bruxelles,

1932, PP. 61-76. (Bibliotheca, Bruxelles, 1933, PP. 61-76.
(Bibliotheca, Aegyptiaca, vol I Part II)

- (١١١) قرب نهاية شهر مايو.
- (١١٢) ورد في المخطوط: «الشهر الرابع». ولكن بقية النص تستلزم التصويب إلى «الشهر الثاني».
- والخطأ هو خطأ ناسخ المخطوط على الأرجح.
- (١١٣) لقب كان يلقب به عليا القوم التابعون للجهاز الإداري في أحد المعابد أو في القصر.
- (١١٤) حرفياً: «قوياً قيده». كان لكل إله قارب مقدس تحت تصرفه، وكان يصنع في الغالب من خشب الأرز (الذي يتم احضاره من لبنان)، وكان يسمح بأن يبحرتمثاله على صفحات نهر النيل، خلال الأعياد والمواكب الشعائرية.
- (١١٥) زوجة سمندس، ان المكانة المرموقة التي تحتلها في القصة إلى جانب «الملك» سمندس، تحملنا على الظن بأنها كانت إحدى أميرات الرعامسة، فأضفت على زوجها قدراً من الشرعية - في مقابل اغتصاب العرش من جانب «حريحور» في الوجه القبلي.
- (١١٦) كان يمكن للرياح الشمالية التي تهب في شهرى مايو ويونيو أن تعوق السفر بحراً إلى فينقيا، لذلك فإن «ون أمون» ينتظر شهر يوليو ليواصل سفره بحراً عبر البحر المتوسط.
- (١١٧) اسم أجنبي، وربما كان اسماً فينقياً. ولكن يبدو أن السفينة كانت تعمل لحساب مصر.
- (١١٨) من الواضح ان الناسخ قد ارتكب خطأ جديداً عندما كتب الشهر الأول من فصل الجفاف.
- (١١٩) بلاشك أنها مدينة «تانتورا» الحديثة، التي أطلق عليها الكتاب الإغريقي واللاتين اسم «دورا». وتقع هذه المدينة إلى الجنوب من جبل الكرمل.
- (١٢٠) ينحدر «الشاكر» أصلاً من آسيا الصغرى، وكانوا جزءاً من شعوب البحر التي حاولت مرة تلو الأخرى، أن تغزو مصر ولكن رعمسيس الثالث صدهم بشكل قاطع عام ١١٨٥ ق.م تقريباً. عندئذ حطوا الرحال على ساحل فينقيا واستمروا لمدة قرون يزاولون أعمال القرصنة، وعاشوا على السلب والنهب. وسيمر «ون أمون» أيضاً بهذه التجربة.
- (١٢١) الـ «دبن» يعادل حوالى ٩٢ جراماً.
- (١٢٢) كانت خزانة طيبة هي مصدر هذه الأشياء الثمينة، وتسمح لـ «ون أمون» عند وصوله إلى المكان الذي يقصده بأن «يشترى» خشب الأرز اللازم لإصلاح قارب «أمون».
- (١٢٣) حول قانون الأعراف الدولية هذا الذى ساد الشرق الأدنى (اعتباراً من عهد تحوتمس الرابع، عام ١٤٢٥ ق.م تقريباً) والذي يعتبر بموجبه زعيم البلد مسئولاً عما يحدث على أراضيهِ من سلب ونهب، راجع

C.LALOUETTE, Thèbes, p. 433-434

(١٢٤) يطلب «ون آمون» مساعدة كافة القوى الحالية في مصر- التي لا تتمتع بما كان لها من هيبة في السابق والتي اصبحت تأثيرها محدوداً إلى حد ما، ولو كان الأمر يتعلق بزعيم قراصنة.

(١٢٥) أمراء فينقيون كان على «ون آمون» أن يتوقف عندهم ليساومهم على شراء خشب الأرز. وكان «ثاكر بعل» أميراً على مدينة «بيبلوس الكبرى».

(١٢٦) «أمون» حامى المسافرين.

(١٢٧) يبدو أن «ون آمون» على وشك اتخاذ قرار بالتخلي عن مهمته.

(١٢٨) التل الذى يشرف على الساحل حيث يوجد مقر إقامة الأمير.

(١٢٩) ملاحظة انطباعية. فعند دخول «ون آمون» القاعة - كانت النافذة أمامه وفي وسعه أن يرى البحر خلف الأمير.

(١٣٠) حتى يسمح له هؤلاء بالرحيل على متن إحدى سفن أسطولهم. ويبرز هذا المقطع المتعاقب التي كانت تعاني منها مصر من جراء انقسامها إذ تحكمها أسرتان ملكيتان متوازيتان.

(١٣١) تهدف هذه المناقشة الطويلة على الطريقة الشرقية، إلى التذليل على مشروعية مهمة «ون آمون»، الذى أوفده كل من الملكين «حريحور» و«سمندس» - بعد أن فقد «ون آمون» خطابات اعتماده ويعد تمسك أمير بيبيلوس بأن يعتبره مفامراً.

(١٣٢) وفقاً لما يراه جوستاف ليفيغر (G.LEFEBVRE. Contes et romans p 213)

فالمقصود هنا هو رجل من أهل فينقيا كان قد استقر في «ثانيس»، في شرق الدلتا، والتي كانت عاصمة «سمندس».

ويريد أمير بيبيلوس أن يقول، بأنه رغم كل العلاقات المتصلة على مصر، فإن هذه السفن تظل ملكية أجنبية.

(١٣٣) مقابل من فضة.

(١٣٤) أى دون دفع مقابل.

(١٣٥) رمز لقدرات أمير لايغير هيمنة مصر أدنى اهتمام - مصر التي فقدت هيبتها، غير أن بيبيلوس، كانت من قبل وعلى مدى ألقى سنة من الحلفاء المخلصين لفرعون، إلا أن زمن الإنحطاط قد حلّ الآن ويات التابعون القدامى يطالبون بالاستقلال.

(١٣٦) «سوتخ»، إله أسيوى. وهو إله الحرب والعواصف، وقد اتحد بالإله المصرى «ست» (الذى له صفات مماثلة).

(١٣٧) رغم التقلبات السياسية فإن نفوذ مصر الروحي مازال باقياً.

(١٣٨) ومعناه: «مرُّ برحيل تمثالى». - أى تمثال «أمون - الطريق»

(١٣٩) «أمون» وحده فى وسعه أن يمنح الحياة والصحة. وعوضاً عن الفضة والذهب - وهى أشياء مادية

ففى وسع «ون أمون»، ويفضل وجود التمثال الإلهى، أن يهب أشياء أهم وأبقى، فى مقابل

الأخشاب التى جاء يبحث عنها. علماً بأن هذا الخشب هو بكل بساطة من حق «أمون»، مالك

لبنان.

(١٤٠) أوز لبنان.

(١٤١) بالنسبة لـ «ون أمون» وهو من أهل طيبة، فإن «حريحور» وحده هو ملك مصر.

(١٤٢) قرب نهاية شهر نوفمبر.

(١٤٣) حتى منتصف شهر مارس.

(١٤٤) قرب منتصف شهر يونيو - عندما تهب الرياح الشمالية من الشمال، فتساعد على الملاحة فى

اتجاه مصر انطلاقاً من ساحل فينقيا.

(١٤٥) إنه اسم مصرى ويعنى: «ذاك الذى ينتسب إلى أمون». لقد كان مواطناً مصرياً فى خدمة أمير

ببيلوس.

(١٤٦) أى: ارحل بأسرع ما يمكن، حتى ولو كان البحر هائجاً.

(١٤٧) الاسم الحورى لرعمسيس التاسع. وهوى نفس الوقت اسم أحد وزراء هذا الملك.

(١٤٨) «الطلق بالاسم بصوت مرتفع» يعنى منح الحياة لصاحبه - نظراً للفاعلية السحرية للكلمة.

(١٤٩) حرفياً: «كاتب الخطابات».

(١٥٠) وهو ما يعنى فى أسلوب شاعرى، أن «ون أمون»، قد سبق له أن شاهد عبور الطيور المهاجرة

مرتين - وبالتالي فإن إقامته فى ببيلوس قد امتدت لأكثر من سنة. وهو ماتؤكد التواريخ الواردة

فى النص.

(١٥١) جمعية الأعيان، بلاشك.

WILSON, in J.N.E.S., 1945 VOL. 4, P245

راجع

(١٥٢) حرفياً: «سبق» «تحطيمها».

(١٥٣) راجع ٣٢٨

(١٥٤) جزيرة قبرص.

الفصل الرابع

الشعر الديوى.

أغاني الحب.

ظهر شعر الحب بدءاً من ١٥٠٠ ق.م، وهى الفترة التى صارت فيها العادات أكثر تحريراً، والسلوكيات أكثر تصنعاً والمشاعر متكلفة. إن عصر الرعامسة، بالتحديد، هو أكثر من غيره، العصر الذى أنطلق فيه الشعر - الشخصى والحرّ - متحرراً من كل قيد. ومن الراجح أن القصائد كانت تلقى أثناء الولائم، بمصاحبة الموسيقى على آلات الفلوت والجنك.

(١) بردية شيستر بيتى رقم واحد^(١)

Chester Beatty I

١. «مطلع أقوال السعادة الكبرى»^(٢)

- الأخ - المقطع الأول.

أيها الكائن الواحد،^(٣) أختى (التى) لا ثانى لها،
يا أجمل الجميع،
إنها تشبه نجمة الصباح فى فجرها،
مع مطلع عام سعيد،

وضاء ومنير. طلعتها مشرقة،
 ساحرة هي نظرات عينيها،
 رقيقة هي كلمات شفيتها،
 اللتين لا تقولان أبداً حديثاً عقيماً.
 جيدها طويل، ونهداها نضيران،
 شعرها من اللزورد الخالص،
 وساعداها أجمل من الذهب،
 وأناملها أشبه ببراعم اللوتس،
 فحداها ممثلتان وقامتها ممشوقة،
 وساقاها تعلنان عن جمالها.
 نبيلة في مظهرها عندما تسير على الأرض،
 إنها تأسر قلبي بقبلاتها،
 وعنق كل أمرئ، بسببها،
 يلتفت ليتأملها (ملياً).
 يالسعادة من تعانقه،
 فيصبح أول الرجال.
 وعندما تغادر مسكنها، فإنها تشبه
 هذا الكائن الآخر «الواحد».(٤)

- الأخت - المقطع الثاني.

أخي(٥) بصوته، يثير قلبي،
 والالَم يتسلط على.
 إنه يسكن بجوار منزل أمي،
 ولا أستطيع أن أذهب إليه.

وأُمى على حق، عندما تقول لى أن الزم جانب الحذر منه:
 «توقفى عن التفكير فى الأمر». (هكذا تتحدث إلى).
 ولكن قلبى يتألم كلما فكرت فيه،
 لأن حبى له يستحوذ على.
 أجل انه أرعن،
 ولكنى أشابهه.
 ومع ذلك، فهو لا يعرف مدى اشتياق أن احتضنه بين ساعدى،
 وعلى ذلك فقد يرأسل أُمى.
 يا أخى ليتنى اكون موعودة لك،
 من قبل الإلهة الذهبية للنساء،^(٦)
 تعال إذن إلى جانبى لأشاهد جمالك،
 فأبى وأُمى سوف يسعدان!
 وأهلى^(٧) سيحتفون بك، فرداً فرداً،
 سيحتفون بك، يا أخى!

-الأخ - المقطع الثالث.

لقد ظن قلبى،^(٨) أن فى وسعه أن يتأمل جمالك،
 فيما أنا جالس فى دارها.
 فى الطريق صادفنى «محبى»^(٩) (راكباً) مركبته،
 ووفتيانه كانوا يرافقونه.
 لا أدرى كيف أتجنبه،
 فهل أسير بخطوات حثيثة لا تجاوزه؟
 والنهر أيضاً طريق،
 فما عدت أعرف أين أطلأ بقدمى.

يا قلبى، كم أنت أحمق،
ولكن لماذا أُمّرُ بجوار «محي»؟
فلو مررت أمامه،
لكشفت له عن مشاعرى.
وأقول له: «أنظر، فأنا لك»،
وعلى ذلك، سيعلم اسمى،
ويخصنى بالمكان الأول
من بين من يتبعونه.(١٠)

- الأخت - المقطع الرابع.

قلبى يرتجف قلقاً(١١)
بينما أفكر فى حبى لك.
إنه لا يتيح لى (أن اتصرف) تصرفاً رشيداً،
إنه يختلج فى مكانه.
لم يعد يتركنى ألبس ثوباً
ولا أحرك مروحتى من حولى.
لم أعد أضع الكحل فى عينى،
لم أعد أتعطر.
«لا تتوقفى، هيا!» (هكذا) يحدثنى قلبى،
كلما فكرت فى حبى.
يا قلبى، لا تتصرف، كالأحمق،
فلم تتصرف بهذا القدر من الرعونة؟
أخذل إلى الراحة فى هدوء، فأخوك قادم إليك.
عيون الجميع (تنظر إليك).

تصرف بحيث لا يقال عنى:
«هذه المرأة وقعت فى الحب».
كن ثابتاً عندما تفكر فيه،
ياقلبى، لا ترتجف.

- الأخ - المقطع الخامس.

إنى اتعبد^(١٢) للإلهة الذهبية، إنى أثنى على جلالتها،
إنى أعظم سيدة السماء،
إنى أبجل «حتحور»،
إنى أقدم الحمد لسيدتى الإلهية،
وبينما أتضرع إليها، فإنها تستجيب لمناداتى،
وتبعث إلى السيدة (التي أحب).
عندئذ، تأتى هذه الأخيرة من تلقاء ذاتها لتشاهدنى -
فيالها من (سعادة) تغمرنى.
أنا سعيد، أنا مغتبط، أنا مبتهج
بينما أتى من يخبرنى (قائلاً): «أنظر، فهى هنا»
وبينما تهم هى بالحضور، ينحنى الفتيان،
لما تثيره من حب عظيم.
إنى ابتهل للإلهة
لتقدم إلى أختى هبةً.
فطوال ثلاثة أيام، وحتى الأمس، كنت ابتهل باسمها،
والآن فقد مضت خمسة أيام دون أن أراها.^(١٣)

– الأخت – المقطع السادس.

بينما كنت مارةً بمسكنه،
 ألفت الباب مفتوحاً.
 كان أخى بجوار أمه،
 ومعه جميع أخواته.
 والتحجب إليه يستحوذ على قلب
 جميع من يعبرون الطريق.
 إنه انسان فتىً وجميل، فلا مثيل له،
 إنه أخ، فريدة صفاته،
 لقد رنا إلى، بينما كنت مارة،
 وشعرت بالسعادة،
 فكم يتفجر قلبي فرحاً
 عند رؤيتك، يا أخى!
 ليت أمه كانت على علم برغبتى!
 لو أنها كانت تفهم (ها) الآن!
 أيتها الإلهة الذهبية، اوردعى ذلك فى قلبه.
 وعلى ذلك، سأستطيع ان أحضر مسرعةً إلى أخى،
 فأعانقه فى حضور من يحيطون به،
 ولن أشعر أبداً بالخجل أمام أحد،
 وسأفرح لأنهم يعلمون
 إنك تعرفنى!
 وعلى ذلك سأقيم حفلاً لإلهتى -
 واه! ان قلبى يقفز حتى إخال إنه يخرج (من صدرى) -
 لتسمحى لى بأن أرى أخى منذ هذه الليلة.

أيتها السعادة التي تزول!

- الأخ - المقطع السابع.

لم أر أختي منذ سبعة أيام.
التعاسة تعتصرني،
وجميع أطرافي مثقلة،
وجسدي تخلىّ عني.
وإذا حضر الأطباء (لزيارتي)
سيرفض قلبي دواهم.
والسحرة عاجزون،
فمرضى يصعب الكشف عنه.
ولكن إذا قيل لي: «هياّ فهي هنا»،
فلسوف يعيد ذلك إلى الحياة،
اسمها وحده سيدفعني إلى النهوض،
روحات رسلها وغدواتهم،
ستعيد الحياة إلى قلبي!
فأختي هي أفضل من كل دواء،
وقدومها إلىّ (أشبه بـ) تميمة سحرية،
ورؤيتها تعيد إلىّ الصحة والعافية.
وعندما تفتح عينيها،
يعود الشباب إلى أطرافي،
وكلماتها، تعيد إلىّ القوة.
وإذا ضممتها بين يدي، يزول دائي.
لم أرها (١٣) منذ سبعة أيام.

ب - قصيدة من ثلاثة مقاطع شعرية (١٤)

آه، لبيتك تأتي مسرعاً نحو أختك!
مثل مبعوث الملك،
الذى ينتظر سيده الرسالة بفارغ الصبر،
(الرسالة) التى يتوق قلبه إلى سماعها،
من أجله أسرجت جميع الإسطبلات
والجياذ موجودة فى (جميع) محطات الإبدال،
والركبة شدت إليها الجياذ، فى مكانها،
فلا ينبغى أن يتوقف فى الطريق،
- وعندما يصل إلى منزل أخته
ستغمر البهجة قلبه.

آه، لبيتك تأتي [مسرعاً نحو أختك]!
مثل فرس الملك،
المختار من وسط ألف فرس من مختلف الفصائل،
الأفضل فى جميع الإسطبلات،
إنه يحصل على غذاء خاص،
وسيده يعرف خطاه،
وعندما يسمع فرقعة الكرباج،
لا يستطيع أحد أن يستقيه،
فلا يوجد رئيس مركبات
فى وسعه أن يلحق به،
- ويعرف قلب الأخت على وجه التأكيد،

أن (أخاها) لا يبعد عنها كثيراً.

آه، ليتك تأتي مسرعاً نحو أختك!
مثل الغزال الذى يقفز فى الصحراء،
(وفجأة) تترنح أقدامه، وتصبح أطرافه متثاقلة،
ويتولى الرعب جسده،
فى حين يطارده صياد وكلابه،
إن الغبار الذى يثيره - يحجبه،
ويبصر ملجأ...،
الترعة هى الآن طريقه،
- إنك تصل إلى مسكنها،
وتقبل يدها، أربع مرات،
وبينما لا تزال تسعى إلى حب أختك،
كانت الإلهة الذهبية قد جعلتها من نصيبك، أيا صديقى!

• • • مطلع الكلمات الرقيقة

التي ألفها كاتب الجبانة «نخت سوبك».

الأغنيات

كما أنها تجيد رمى الوهق،
دون أن تدفع مع ذلك ضريبة الماشية،
فإنها ترمى على الوهق بشعرها،

وتنصب لى فخاً بعينيتها ،
وقلادتها لجام بالنسبة لى ،
وبخاتمها تسمنى بالحديد المحمى .

- لم تحاور قلبك ؟
توجه إليها وعانقها .
- حقاً وكما أن «أمون» يحيا ، فانا قادم إليك ،
وردائى على ساعدى .

- لقد ألفت أخى بجوار حوض الماء ،
وقدماه فوق الماء .
لقد شاد هيكلأ لمباهج النهار .
بل إنه وضع فيه الجعة .
إن صورته على صدرى ...

- ماذا فعلت أختى معى ، إذن ؟
لم أسكت على ذلك ؟
لقد تركتنى واقفاً على باب منزلها ،
فى حين كانت تدخل إليه بنفسها .
ولم تحدثنى قائلة : « ادخل أيها الفتى ! »
(لاريب) أنها كانت صماء فى هذا المساء .

أثناء الليل ، كنت ماراً بجوار مسكنها ،
طرقت (الباب) ولكن لم يفتح لى أحد .

إنها ليلة سعيدة لبوابنا .
 أيها المزلاج سوف افتحك .
 أيها الباب أنت قدرى ،
 أنت الجنى الخير الذى يخصنى .
 سوف يُضحى بجاموس داخل المسكن ،
 أيها الباب لا تظهر قوتك .
 (كما) سنقدم أيضاً جاموساً قرباناً للمزلاج ،
 وثوراً للمغلاق ،
 وأوزة برية للعتبة ،
 ومن شحومها (نقدم قرباناً) للمفتاح .
 إن كافة الأجزاء المختارة من جاموسنا ،
 قد خصصت لابن النجار .
 ولذا ، سيصنع لنا مزلاجاً من بوس ،
 وباباً من قش .

- وهكذا ، فكلما حضر أخو الحسناء ،
 سيجد (باب) منزلها مفتوحاً ،
 والمخدع مزيناً بأرق الستائر ،
 والفتاة الحسناء داخله .
 وستقول الفتاة : « إنه مسكنى ،
 إنه ملك ابن سيد المدينة . »

(٢) بردية هاريس رقم ٥٠٠ (١٥)
HARRIS 500

قصائد الحلقة الأولى (١٦)

١- أترحل لأنك تريد أن تأكل؟

أأنت، إذن، رجل لاهم له سوى بطنه؟

أترحل بحثاً عن ثياب؟

ولكن عندي أغطية فوق السرير.

أترحل لأنك جوعان؟

أريد الرحيل لأنك ظمآن؟

نتاول إذن ثوبى،

فما به يفيض من أجلك.

٢- حبى لك ينفذ إلى كل جسدى،

كما ينوب الملح فى الماء،

كما تنتشر الطماطم (١٧) بالادهان العطرة،

كما يمتزج الماء بالنبيد.

هيا اسرع إذن،

لتشاهد أختك،

مثل الفرس فى ساحة القتال،

مثل ثور... ناحية علفه.

السماء تعطى حبها،
كالهيب الذى يشتعل...

٣- ثغر أختى برعم زهرة لوتس،
وثدياها ثمرتا طماطم،
وساعداها؟ ملزمتان (بكسر الميم)
وجبينها طوق من خشب السنط^(١٨)
وأنا أوزة برية.
أطلع بنظراتى إلى شعرها، إنه طعم،
فوقعت فى الشرك.

٤- لا ينبغي أن اخضع لحبها.
- يا أخى، استمع لسرك
- أنا الذى يقضى سحابة يومى فى المستنقعات^(١٩)
كلا، لن اتخلى عنها، وإن طردونى،
بالحراوات والعصى إلى أرض سوريا،
وبالمقامع إلى أرض النوبة،
وبالضرب حتى اطراف الصحارى،
أربالسياط حتى سواحل البحار...
كلا، لن استمع إلى من يقولون لى
أن اكبح جماح اشتياقى إليك.

٥- أنزل النهر فى قارب (يبجر) مع إيقاع المجاديف،
وحزمة البوص فوق كتفى.

إنى راحل إلى منف، «حياة القطرين».(٢٠)
لأقول لـ «بتاح»، رب الحقيقة:
«اعطنى أختى، هذا المساء»
النهر مثل النبيذ،
والإله «بتاح» أجمة بوصه،
والإلهة «سخت» دغل أزهاره،
والإلهة «يعديت» براعم لوتسه،
والإله «نفر توم» غى الزهرة المفتحة.
وستصبح أختى فرحانة!
الفجر يشرق عبر جمالها،
و«منف» كأس طماطم،
موضوع أمام الإله ذى الوجه الجميل.(٢١)

٦- سوف أبقي راقداً فى دارى،
مدعياً المرض،
وسيدخل الجيران ليطلوا على،
وأختى سوف تأتى معهم.
وتجعل (وجود) الأطباء لا طائل منه،
لأنها تعرف دائى.

٧- فى قصر أختى،
الباب فى وسط الواجهة،
المصراعان مفتوحتان،
والمزلاج مخلوع.

أختى غاضبة!
 واه! لو أننى كنت بوابها
 لا ستشاطت غضبا على،
 واستمعت لصوتها الهادر
 وصرت كطفل ترعوه.

٨- لقد ابحرت عبر «قناة الأمير»،
 ثم سلكت «قناة رع»،
 وكنت أودّ الذهاب إلى (منطقة) نصب الخيام،
 فوق المرتفع، عند مدخل المستنقعات،
 وإن هممت بالتوجه إليها على جناح السرعة،
 فجأة تذكر قلبى إله الشمس (٢٢)
 ودارت بخلى فكرة أنه فى وسعى أن اشاهد أخى،
 الذى كان يتمنى الذهاب إلى «منزل الرب»،
 نعم لقد وقفت بجوارك، عند مدخل المستنقعات،
 لتخطف قلبى حتى «هليوبوليس»،
 ولأعبر فى صحبتك تحت الأشجار،
 التى تحيط «بمنزل الرب»،
 من هذه الأشجار قطعت
 غصناً لاستخدمه كمروحة،
 بينما كنت أراقب تصرفه،
 وقد ولّيت وجهى شطر بستان الفاكهة،
 وامتلا ساعداى بأغصان شجر البرساء،
 وشعري تشبع عطراً،

وخيل إلى أنى سيدة القطرين...

قصائد الحلقة الثانية (٢٣)

« مطلع أغانى اللهو الجميلة
التي (تغنيها) أختك المحبوبة
عندما تعود من الحقول.»

١- صديقى الذى أحبه،
إن حبى لك هو شغلى الشاغل.
كل الأشياء فى انتظارك
وأقول لك: «أنظر، إن ذلك جاهز.»
لقد حضرت لأنصب الأشرار (للطيور).
إنى أمسك المصيدة بيدى،
والشباك وعصا الرماية، بالأخرى.
جميع طيور «بونت»، تحط على مصر،
ويفوح منها شذا المرّ.
أول من وصل منها التقط طُغْمى.
كان عبيره من «بونت»،
ومخلباه مملوءتان بلسماً.
ومن أجل حبى لك، فلنطلقه معاً حراً،
وسأبقى معك بمفردى.
وأسمعك الصرخة الكبرى
لطائرى الجميل الذى يفوح منه شذا المرّ.
يا لها من سعادة إذن، ان تكون هناك معى

بينما أنصب شركى.
يطيب للمرء ان يذهب إلى الحقول،
للملاقة من يعشقه.

٢- تطلق الأوزة البرية صرختها الحادة
فـ (الطير) قد وقع فى الشرك،
إن الحب الذى اكنه لك، ينفذ إلى،
وليس فى وسعى أن اتخلص منه،
والآن سوف استعيد شباكى،
ولكن، ترى ماذا أقول لأمى،
التي أعود إليها كل يوم
محملة بما اصطدته من طيور؟
اليوم لم أنصب الشراك،
لأننى أسيرة حبى لك.

٣- وانطلقت الأوزة البرية، ثم هبطت،
وحطت على الشبكة،
وتحلق طيور أخرى، بأعداد كبيرة فى الأماكن المجاورة،
ولكننى مشغول (فى مكان آخر).
إن حبك يملكنى، أنا،
وقلبى هو بجوار قلبك، ولو كنت وحدى،
لانه ليس فى وسعى أن ابتعد عن جمالك.

٤- ... إذا رأيت كعكة حلوة،

فمذاقها بالنسبة لى هو مذاق الملح،
والنبيذ، نو النكهة الحلوة، فى الفم
يبدو لى علقماً.
إن أنفاس أنفك وحدها
فى امكانها أن تعيد الحياة إلى قلبى.
إن ما وجدته، واه! ليت «آمون» يعطينى إياه
للزمن الأبدى والزمن اللانهائى.

٥- أى أنت، يا صديقى الجميل، إنى أشعر برغبة
فى (اقتسام) أملاكك كسيدة لبيتك.
وسوف يركن ساعدك إلى ساعدى،
ويكون حبى فى خدمتك،
إنى أقول، فى سريرتى،
بكل لهفة العاشق،
«واه! (ليته يكون) زوجى، لهذه الليلة!
وحرمانى منه يجعلنى أشبه بقبر.»
ألسنت أنت الصحة والحياة (بالنسبة لى)؟
ولذا، يسعد قلبى الساعى إليك، (لأنك تحيا)،
إنه سعيد بصحتك.

٦- صوت اليمامة ينادى،
إنه يقول: «هاهو الفجر، أين تذهيبين إذن؟»
- واه! توقف عن توبيخى، أيها الطائرا
لقد وجدت أخى فى مخدعه،

والفرح يغمر قلبي.
وكل منا قال (للآخر): «لن أهجرك،
وتظل يدي في يدك،
فأنا وأنت، سوف نتنزه
في كافة الأماكن الممتعة.»
وهكذا، جعلني أول النساء،^(٢٤)
وقلبي لم يعد حزيناً.

٧- وأرنو بنظري إلى باب الحديقة،
فسوف يحضر أخى من أجلى.
العينان على الطريق، والأذنان مصفيتان،
إنى انتظره يا «مىحى».
إن حب أخى هو شاغلى الوحيد،
ففيما يخصه، لا يمكن أن يهدأ قلبي أبداً.
ويرسل قلبي مبعوثاً سريع القدمين،
فيروح ويغدو متحدثاً إلى قائل:
«لقد خذك، وبعبارة أخرى
فقد تعرف على امرأة أخرى،
إنها مبهرة في نظره.»
ولكن لم إصابة قلب (امرأة) أخرى بجرح قاتل؟

٨- كان قلبي يفكر في حبي لك،
في حين كان نصف شعري (فقط) مجذولاً.
لقد عدت بسرعة للأفك،

وأهملت زينة شعري
والآن، لو أهملتني لأجدل شعري
سأكون جاهزة بعد لحظة.

قصائد الحلقة الثالثة.

مطلع أغاني المذات (٢٥)،

١- يا زهرة الحب الزرقاء - قلبي ملك لك،
ومن أجلك أفعل ما يهواه،
إنتظاري لك هو كحل عيني،
فعندما أراك، يتألق نظري،
إنني التصق بك، لتزداد معرفتي بحبك،
يا أحب الناس، (يا) مالكا قلبي!
هكذا، فيا لجمال لحظتي،
ليتها تدوم إلى الأبد!
منذ أن استرحت بجوارك،
فإنك أذكيت قلبي.
واه! وليكن مكتئباً أو مسروراً
فلا تتركني.

٢- ههنا، تناديننا أزهار اللبلاب (٩).
أنا أختك، أنا أفضلهن جميعاً.
أنا ملكك مثل هذه الأرض

التي زرعته زهوراً
وأعشاباً عطرية.
حوضها مبهج،
(الحوض) الذي حفرت بيدك،
الذي ترطبه ريح الشمال،
إنه مكان رائع لتتنزه فيه،
يدى فى يدك،
لقد استعاد بدنى نشاطه، وقلبي مقتبط.
بينما نسير معاً.
إن سماع صوتك هو (أشبه) بشرب خمر الرمان،
فإنى أحيا بسماعه.
وكل (نظرة) تلقيها على
(تجعل)نى (أحيا) أفضل مما لو تناولت طعاماً وشراباً.

٣- زهرة الخشخاش فى الحديقة،
وأنا أمسك بأكاليل زهورك،
وعندما تعود ثملاً،
وترقد على سريرك،
فإنى أمسح تراب قدميك...

بقية النص مهمشة تهشيماً بالغاً.

(٣) على سطح إناء فى متحف القاهرة^(٢٦)

يا إلهى، يا أختى...
كم يحلو لى أن أرحل...
أن انزل النهر، وإن استحم أمامك.
إنى أتركك تشاهد جمالى،
وأنا فى سروالى (المصنوع) من الكتان الملكى، ومن أرقه،
وأنا معطرة بالطيوب الزكية.
إنى أغوص فى الماء بجوارك،
ومن أجل حبك، أخرج ممسكة بسمكة حمراء،
إنها رائحة بين أصابعى...
يا صديقى، يا محبوبى،
تعال وشاهدنى.

عشق أختى على الشاطئ الآخر،
والنهر يفصل بيننا،
والمياه تندفع بشدة فى زمن الفيضان.
والتمساح واقف بالمرصاد فوق شط رملى.
ولكنى أنزل إلى الماء وأغوص وسط الأمواج.
إن قلبى قوى فوق النهر،
والتمساح يبدو لى كالفأر،
والماء تحت قدمى أشبه باليابسة.
إن حبنى لها هو الذى يمنحنى القوة،
وكأن (وجودها) قد سحر الماء.

وأنا لا أدرى سوى رغبة قلبي،
في حين أنها تقف أمامي!

لقد حضرت أختي، إن قلبي (يطير) فرحاً،
وساعداً ممدوان لعانقاها،
إن قلبي يقفز في مكانه،
كالسمكة الحمراء في بركتها،
أيها الليل، فلتكن ملكي إلى الأبد،
الآن بعد أن هلت ملكتي.

عندما أعانقها ويمتد ساعداها،
فالامر بالنسبة لي، كما لو كنت في بلاد «بونت»،
كما لو كان جسدي قد تشبع بالعطر.

إذا قبلتها وانفتحت شفتاها
في حين أنني سكران
دون أن أشرب الجعة.

آه! لو أنني زنجية (في خدمتها)،
(الزنجية) التي ترطب قدميها،
لكان في وسعي عندئذ أن أتأمل
بشرة بدنّها بالكامل،
آه! لو أنني غسّال (في خدمتها)
ولو لشهر واحد،

لغسلت الزيت المعطر
الذى ينتشر فى وشائجها .
أه! لو أننى الخاتم الذى تضعه فى أصبعها ...
لزينت حياتها ...

(٤) بردية تورين (٢٧)

تقول شجرة الرمان (٩):
حبّاتى مثل أسنانها
وثمارى مثل نهديها .
أنا أجمل شجرة فى الحديقة،
فأنا باقية على مرّ الزمان .
المحبوبة وأخوها
يتنزهان تحت أغصانى،
وقد اسكرتهما الأنبذة والخمور،
المشبعة بالزيون وروائح العطور .
وما عادى، فإنها تفنى كلها،
(كل) نباتات الحداثق .
أنا، أتمم شهور السنة الإثنى عشر،
فأنا باقية .
عندما تسقط وردة من ورودى،
تتفتح وردة أخرى .

أنا إذن الأولى فى الحديقة،
ولكنهم يعتبروننى (٢٨) فى المنزل الثانية.
لو أن على ذلك أن يبدأ من جديد،
لما سكتَ بشأئهما أبدأ،
لما تسترت عليها أبدأ،
ولعرف الناس غلظتها،
عندئذ سينكشف أمر المحبوبة،
ولن... شقيقها
من زهور اللوتس الياينة
والبراعم...
والجعة بشتى أنواعها،
(فبفضلها) توفر له قضاء يوم سعيد،
وكان جوسق البوص فى مكان عليه حراسة مشددة،
- انظرى، إن شجرة الرمان على حق،
علينا ان - نستأجره،
ليعمل طوال اليوم كما يحلو له،
لانه هو الذى يحمينا.

شجرة التين تفتح فمها،
وتقول أوراقها:
يحسن الإذعان لأوامر سيدتى،
أتوجد امرأة مثلاً؟
لو كانت تحتاج (ذات يوم) إلى خادمة،
لكنت أنا خادمها.....

لقد أحضرت من أرض سوريا،
كأسير، من أجل المحبوبة.
لقد غرستنى،
فى بستانها...
إنها لاتملأ بدننى
بماء قرية،
ويلقانى (الناس) للإسترخاء...
حقاً وكما أننى أحياء، أيتها المحبوبة،
عساهم يحضرونك إلى جوارى!

شجرة الجميز الصغيرة، التى غرستها بيدها
تفتح الآن فمها لتتكلم،
إن حفيف أغصانها
يذكرنا بخمر العسل،
إنها جميلة وأغصانها النحيفة
اخضوضرت.
إنها مثقلة بالثمار الناضرة،
الأكثر حمرة من اليشب،
وما أشبه ثمارها بالفيروز،
وقشرتها بالخزف...
إنها تدعو من لم يستظل بعد بظلالها،
إنها تمنح النسيم الرقيق،
إنها تدسّ خطاباً فى يد فتاة،
ابنة البستانى،

وتدفعها إلى الإسراع نحو محبوبها:
تعال إذن لقضاء لحظة بجوار رفاق من الشباب،
إن الحديقة قد غمرتها البهجة،
وتحتي، يوجد هنا جوسق من أجلك،
إن سادتي سعداء،
مثل الأطفال، عندما يرونك،
فليات خدمك في بداية الأمر،
محملين بكل ما هو ضروري،
إن السعى نحوك يسكر المرء،
دون أن يكون قد شرب،
لقد حضر الخدم ومعهم المؤن،
وأصناف الجعة من كل نوع، والفطائر المتنوعة،
وكثير من زهور الأمس واليوم
والفواكه من كل نوع، فتروى عطشنا،
تعال إذن، ولنقض معاً يوماً سعيداً،
ثم يوم غد أيضاً، وبعد غد، ثلاثة أيام، بالتمام والكمال،
تستريحين فيها في ظلالى.
صديقها جالس عن يمينها
إنها تسحره،
إنها تفعل حسبما يقول لها،
إن مكان شرب الجعة يقض مضاجع السكر،
ولكنها تظل على انفراد مع محبوبها،
في ظلالى،
تتنزه الجميلة.

وأنا صامته،
ولن ابني بكلمة واحدة، فاكشف النقاب عما أشاهده.

ازدهر هذا الشعر برونقه وفخامته، بسلاسته ورقته، فى عصر وصلت فيه الإمبراطورية المصرية إلى قمة الرخاء. إنه يكشف النقاب عن بعض المشاعر الضارية فى أعماق المصريين: فالحياء، رغم كل مظاهر التحرر، هو من أهم هذه المشاعر. وإذا كان هذا الشعر يتغنى به، فى دقة متناهية، بما يثيره الحب من اضطراب وقلق، فإن المرأة لاتنسى أبداً رغبتها فى «مشاركة أخيها ممتلكاته» بأن تصبح زوجة له. ان الحرية لم تكن تعنى الإباحية، التى كان يستحيل أن تسمح بها المجتمعات القديمة.

هناك شراكة بين المرأة والطبيعة، انهما تمتزجان امتزاجاً تاماً، لأنهما تشكلمان عنصرى الخصوبة فى الكون. إن المرأة والزهور والثمار لاختلف من حيث الجوهر: انها جميعها النموذج والشاهد على الحياة المتجددة، البشرية والنباتية، على حدّ سواء.

إن اطار الأناشيد هو أيضاً عيد الطبيعة: الحديقة، والنهر والبحيرة - فعناصرها ضالعة فى قصة الحب او تعمل على إخفائه. ان هذه المشاركة الكبرى التى تجمع بين الكائنات الحية وعالم النبات هى واحد من المواضيع الرئيسية للعقل المصرى. وأشجار الحديقة كتومة، تدعى انها لا تكشف النقاب عن أعياد العشاق - بما لها من براءة، وتظللها بظللالها. والقنص وصيد الماء تقدم تجهيزاتها لصائدة العصافير، للمرأة العاشقة التى تسعى إلى نصب أشراك لايمكن تجنبها.

إن الخيال الحميم فى وسعه أن يقود الإنسان إلى تغيير وجه العالم الذى يحيط به: فى شمس الفجر، عند ضواحي منف، وفجأة وبفضل وجود الآلهة، تدب الحياة فى النيل وشطآنه، وهى تتألق بنفس القدر بنور جمال المرأة المحبوبة ونور الشمس المشرقة. فإذا كان «الحب» جزءاً من الطبيعة فهو أيضاً عنصر إلهى.

كما أن الشعر المصرى هو أيضاً فى الغالب شعر انطباعى. كان سكان الوادى الذين يعيشون وسط هذه المشاهد «المسطحة» التى تسطع نوراً، والتى تفتقر إلى

«نقاط ارتكاز» للعين، يسعون على الدوام بحثاً عن صور محسوسة. وكان «قلوبهم» (وهو مركز الوجدان والفكر، معاً) يركز كل اهتمامه على الإنطباعات التي تجيش بالاحاسيس، فيقيم بالتالي روابط تكاد تكون حسية بين عناصر الكون، أى كانت المملكة التي ينتمى إليها.

وهذا الشعر هو أيضاً الإنعكاس الشفهي للمشاهد المنحوتة أو المرسومة التي ظلت في جميع الأزمنة تشيد على نحو مشابه بسحر الحياة التي تجمع بين اثنين، سحر المجتمع القائم على الأسرة - والحنان الدائم. يلتقى «توت عنخ آمون» و«عنخ إس ان پآمون» في حديقة: وهى تحمل باقة ورد كبيرة مركبة تقدمها لزوجها. وتقوم نساء شابات، نوات عيون مسحوبة وشعر كثيف واضعات أقراطاً ضخمة من ذهب، والجسد مستور بالكاد فى عباءة شفافة - يقمن بقطف الزهور أو يمكن مجموعة من البط البرى من أجنحتها وهن بجوار أبيها الصياد، داخل قارب خفيف على صفحة النيل.

شروح وهوامش الفصل الرابع من الباب الثاني

(١) هذه البردية التي يحتفظ بها المتحف البريطاني British Museum في لندن، تعود على الأرجح إلى عصر رمسيس الثاني، وتضم ثلاث حلقات من قصائد الحب.

(٢) يبدو أن هذه القصيدة الطويلة قد نظمت للترفيه عن العاهل الملكي. وتضم سبعة مقاطع، وهي أغان على شكل حوار بين العاشق وعشييقته («الأخ» و«الأخت» في اللغة المصرية القديمة). ويبدأ أول كل بيت بنقطة بالمداد الأحمر، لتظهر الشكل الشعري لهذه المدونة.

Alan H. GARDINER, The Chester Beatty Papyri no. 1, pl 16-12 ll Oxford 1931, p

(٣) هذه الكلمة تدل أيضاً على الرقم «واحد»، الذي يشير إلى رقم هذا المقطع كما نجده أيضاً في نهايته.

(٤) لا شك، إنه «الشمس».

(٥) كلمة «أخ»، وهي «سن» في اللغة المصرية، تنطوي على تجانس صوتي مع الرقم «اثنين» كما سنجدها أيضاً في نهاية هذا المقطع الثاني. سيستخدم نفس الأسلوب لترقيم باقي مقاطع القصيدة اعتماداً على «التلاعب بالألفاظ».

(٦) الإلهة «حتحور» هي إلهة الحب. وتنعت عادة «بالذهبية» نظراً لعلاقاتها الوثيقة بالشمس.

(٧) جميع أفراد البيت والأقارب.

(٨) تنطوي كلمة «خمت» وتعني «يظن» على جناس صوتي مع الرقم ثلاثة.

(٩) يُظن أنه أمير لا يريد الشاب أن يكشف له عن مشاعره، - فيوحى له، لهذا السبب، بأنه يتبعه ليصبح واحداً من أفراد بطانته.

(١٠) إنه جناس ناقص، بين كلمتي «خمت» و«مخت» الذي يعني «في معيته».

(١١) جناس صوتي بين الفعل «فدى»: بمعنى «يرتجف قلقاً» و«فدو» بمعنى: الرقم أربعة.

(١٢) جناس صوتي بين «لوا»: بمعنى «يتعبد» و«د(ي)و» ويعني خمسة.

(١٣) حرفياً: «أنا هجرتني»

Alan H. GARDINER, op. cit, PII .29-30. (١٤)

(١٥) هذه البردية تعود أيضاً إلى عصر رمسيس الثاني وهي محفوظة أيضاً في لندن في المتحف البريطاني British Museum (no 100 60). وتضم ثلاث حلقات من الشعر: الحلقة الأولى والثانية تتكون من ثمانية قصائد لكل منهما. أما الحلقة الثالثة فتضم ثلاث قصائد (تبدأ كل منها باسم زهرة). وعنوان الحلقة الثانية موجود في النص المصري.

(١٦) النص المصري: MÜLLER, Liebes Poesie, PII. 4-5

(١٧) الرمان.

(١٨) شرك الطيور.

(١٩) المكان المفضل بالنسبة للصيادين.

(٢٠) من أسماء «منثف» القديمة، عندما كانت عاصمة المملكة في صدر تاريخ مصر. وكان «پتاح» هو إلهها وراعياها.

(٢١) في نظر العاشق، تبدلت صورة الطبيعة، لتحيا بما فيها من عناصر إلهية بينما يقوم هو بالأبحار في اتجاه «منثف». وفي مطلع الفجر، يبدو النيل والمدينة أحمرين كالرمان، في النور الساطع الشمس النهار، كما ان الفجر يشع أيضاً بتأثير جمال المرأة المحبوبة.

(٢٢) لاشك انه اسم يشير إلى المحبوب.

(٢٣) النص المصري: MÜLLER, Liebes Poesie, PII. 8-13

(٢٤) بمعنى «الأكثر سعادة».

(٢٥) كل قصيدة من هذه القصائد الثلاث تبدأ باسم زهرة، يليها فعل، يجمع بينهما تجانس صوتي. انه تلاعب جديد بالسجع الذي كان المصريون مولعين به، وتعجز الترجمة عن التعبير عنه.

النص المصري: MÜLLER, op. cit PII., 14-15.

(٢٦) عثر على واحد وثلاثين شقفة من هذا الإناء - الذي كانت قد دونت عليه، أصلاً مجموعة من قصائد الحب. وقد نعثر على شقف أخرى في المستقبل لأن الإناء، ما زال ناقصاً. وهو موجود في الوقت الراهن في متحف القاهرة.

النص المصري: G. POSENER, Ostraca hie'ratiques, II, 3, PP.43-44, PII. 74-79

(٢٧) شكل القصيدة محدد، فكل بيت من أبياتها، تسبقه نقطة بالمداد الأحمر، كما في المخطوط الأول الذي عرضناه.

(٢٨) محبوبة أخيها.

الملاحق

إعداد : ساهر جويجاتي

* راجع في هذا الصدد ما ورد في كلمة المترجم في المجلد الأول، ص ٢٥.

الملحق الأول

أسماء أهم الآلهة التي شاع استخدامها حسب التصحيف اليوناني، مرتبة ترتيباً أبجدياً، مع توضيح الاسم المصرى القديم.

الاسم اليوناني	الاسم المصري القديم
أپوفيس	Apophis «عابيب»
أپيس (العجل)	Apis «حپ»
أنوبيس	Anubis «أنپو»
أوزيريس	Osiris «أوزير»
أونوريس	Onouris «إن حرت»
إيزيس	Isis «إيزة»
تحوت	Thot «چحوتى»
حتحور	Hathor «حوت حر»
حرويرس	Haroéris «حر-ور»
حورس	Horus «حر»
حورس بن ايزيس	Harsiesis «حر سا إيزة»
مثير	Methyer «محيت ورت»
نفتيس	Nephtys «نبت حوت»

الملحق الثانى

جدول بأهم الأماكن والمدن المصرية كما وردت فى هذا المجلد حسب التصحيف اليونانى، مرتبة ترتيباً أبجدياً، مع توضيح الاسم الحديث، والاسم المصرى القديم.

الاسم اليونانى	الاسم الحديث	الاسم المصرى القديم
أبولينوبوليس ماجنا Apollinopolis Magna	إدفو	چبا ، بحدت
أبيدوس Abydos	العرابة المدفونة	أبجو
أثريبس Athribis	أتریب	حوت تاحرى إيب،
أثيوبيا Ethiopie	النوبة العليا	كاش (كوش)
أفروديتوبوليس Aphroditopolis	النوبة السفلى	واوات
أفروديتوبوليس پاتيريس Aphroditopolis Pathyris	أطفيح	تپ إیحو / پر إیدت
أكسويس Xois	الجبلىن	پر حتحور
إلفنتين Elephantine	سقا	خاسو،
أمبوس Ombos	إلفنتين (جزيرة الأفيال)	أبو،
أواريس Avaris	كوم أمبو	نبت،
أوكتيرنكوس Oxyrhynchus	البهنسا	حوت وعرت،
إيليسيا سبوليس Eileithyaspolis	الكاب	پر مچد ، سبت مرو،
بوباستس Bubastis	تل بسطا	نخب،
بوتو Bouto	تل الفراعین	پر باستت،
بوزيريس Busiris	أبو صیر بنا	په،
تانيس Tanis	صا الحجر	دپ،
		چدو،
		چعن،

الاسم اليوناني	الاسم الحديث	الاسم المصري القديم
ثيس	This	ثنى.
سايس	Sais	ساو.
سينين	Syene	سوان.
طيبايد	Thebaïde	تپ شمعو (رأس الجنوب)
طيبة، ديوسبوليس ماجنا*	Thèbes, Diospolis Magna	واست . نيوت
فيله	Philae	پا - آا - رك
كروكو ديولوپوليس	Crocodilopolis	شدت
كوپتوس	Coptos	چبتيو.
لاتوپوليس	Latopolis	تاسنت . يونيت
ليتوپوليس	Letopolis	خم
ليكوپوليس	Lycopolis	ساوت
ممفيس (منف)	Memphis	من نفر.
مندس	Mendes	چدت.
هرقليوپوليس ماجنا	Herakleopolis Magna	ننى نسوت.
هرموپوليس	Hermopolis	خمنو.
هرموپوليس پارفا	Hermopolis Parva	دمى إن - حور.
هرمونثيس	Hermonthis	يوى
هليوپوليس	Heliopolis	يوى
هيراكنپوليس	Hierakonpolis	نخن
		جرجا
		صا الحجر
		أسوان
		جنوب الصعيد
		(من أسيوط حتى
		طيبة أو إلفنتين)
		الأقصر
		أنس الوجود، فيله
		مدينة الفيوم
		قفط
		إسنا
		أوسيم
		أسيوط
		ميت رهينة
		تل الربع، تمى الأמיד
		إهناسيا المدينة
		الأشمونين
		دمنهور
		أرمنت
		المطرية، عين شمس
		الكوم الأحمر

* حول مختلف أسماء طيبة والقابها راجع :

د. سيد توفيق : أهم آثار الأقصر الفرعونية دار النهضة العربية ١٩٨٢، (ص ١٥ - ١٨) .

فهرست الكتاب

٧ تقديم : پيير جريمال

الباب الأول

١٩ القوى الإلهية في العالم

٢٣ الفصل الأول : التكوين أو كيف خلقت الآلهة العالم

٢٣ ١- پتاح، الاله الخالق في «منف»

٢٩ ٢- بزوغ الشمس في فجر البداية الأولى في «هليوبوليس»

٣٥ ٣- الآلهة الثمانية فوق التل، في «هرموبوليس»

٣٧ ٤- في إسنا :

٣٨ أ- «خنوم»، «الفخاري»، يخلق الكون علي عجلته.

٤١ ب- الإلهة «نيت»، القواسمة، أم الكون.

٤٧ شروح وهوامش الفصل الأول.

٥٧ الفصل الثاني : تمرد البشر والكون الجديد

١- الإله «رع» رحمته وضعف همته.

٥٧ (أو سفر بقرة السماء)

٦٤ ٢- أبناء الضعف.

٦٦ ٣- معركة الإله ضد الأشرار

٦٦ أ- في معبد كوم أمبو

٦٧ ب- في معبد إسنا

٧١ شروح وهوامش الفصل الثانى

٧٧ الفصل الثالث : الأساطير الإلهية

٧٧ ١- مغامرات الشمس

٧٧ ٢- الرحلة الأبدية

٨١ ب- مآثر «أبوفيس» أو الهزيمة اليومية للشر.

٩٢ ج- «رع» و«إيزيس»

٩٥ ٢- أسرار ألام «أوزيريس»

٩٧ أ- مراثى «إيزيس» و«نفتيس»

١٢١ ب- ميلاد «حورس»

١٢٣ ج- المعارك ضد «ست»

١٢٣ * المبارزة مع «حورس» ومحاكمة الآلهة.

١٣٦ * المعارك الإلهية أو عملية المسخ الحربية قبل المحاكمة

١٤٢ ٣- البعث وحب الحياة

١٤٢ أ- الأب والأبن .

١٤٥ ب- القدرات الجديدة

١٤٩ ٤- اتحاد «رع» و«أوزيريس» من أجل درس «فريد» فى الخلود.

١٥٣ شروح وهوامش الفصل الثالث .

١٦٥ الفصل الرابع : الشعر المقدس والترايم إلى الآلهة.

١٦٦ ١- الترايم الكبرى إلى الشمس.

١٦٦ أ- من عصر «أمنحوتب» الثاني

١٧٦ ب- ترنيمة من عصر «أمنحوتب» الرابع.

١٧٩ ح- ترنيمة من عصر «رعمسيس» الثاني.

١٩٣ ٢- ترنيمة إلى «تحت»

١٩٥ ٣- الترنيمة إلى النيل.

١٩٦ ٤- ترنيمة إلى «حور - ور» و«سوبك»

١٩٧ ٥- ترانيم إلى «خنوم»

٢٠٣ ٦- ترنيمة إلى «نيت»

٢٠٨ ٧- أغنية رياح السماء الأربع.

٢١١ شروح وهوامش الفصل الرابع

الباب الثاني

البشر والمغامرات

٢١٧ قصص وروايات وقصائد

الفصل الأول :

٢٢١ القصص الأسطورية أو البشر في مدرسة الآلهة

٢٢١ الغريق في الجزيرة

٢٢٦ مبارزة الصدق، والكذب

٢٢٩ حكاية الأخوين «أنوب» و«باتا»

٢٤١ شروح وهوامش الفصل الأول

الفصل الثاني :

٢٤٥

قصص الخوارق وعالم السحر.

٢٤٥

١- الترفيه عن الملك «خوف»

٢٤٦

١- المرأة الزانية.

٢٤٨

ب- قرط المرأة التي تقوم بالتجديف

٢٥٠

ج- الساحر «جدي»

٢٥٤

٢- الأمير وأقداره الثلاثة المكتوبة.

٢٥٩

٣- الأميرة القصية المصابة بمس من الشيطان.

٤- النوازل السحرية التي حلت بـ«ستنى - خع-إم-واس» وابنه

٢٦٤

«سا-أوزير»

٢٦٤

أ- القصة الأولى : البحث عن نبات السحر الأعظم

٢٧٩

ب- القصة الثانية : الهبوط إلى «متون الأموت»

٢٨٦

ج- القصة الثالثة : حرب السحرة

٣٠١

شروح وهوامش الفصل الثانى.

الفصل الثالث :

٣١٣

كبري المغامرات الخيالية.

٣١٣

★ قصة «سنوهى».

٣٢٨

★ رحلة «ون - أمون».

٣٣٧

شروح وهوامش الفصل الثالث.

الفصل الرابع :

٣٤٩

الشعر الدنيوى . اغاني الحب

٣٤٩

١- بردية «شستر بيتى» رقم واحد.

٣٤٩

أ- مطلع اقوال السعادة الكبرى.

٣٥٦

ب- قصيدة من ثلاثة مقاطع شعرية

ج- مطلع الكلمات الرقيقة التى الفها كاتب الجبانه «نخت

٣٥٧

سويك»

٣٦٠

٢- بردية هاريس رقم ٥٠٠.

٣٧٠

٣- على سطح إناء فى متحف القاهرة.

٣٦٢

٤- بردية تورين

٣٧٩

شروح وهوامش الفصل الرابع

٣٨١

الملاحق : اعداد : ساهر جويجاتى

الملحق الأول :

٣٨٣

اسماء أهم الآلهة .

الملحق الثانى :

٣٨٤

اسماء أهم الأماكن والمدن المصرية .

٣٨٧

فهرست الكتاب

تم جمع الجزئين فى
الغالبية للدعاية والإعلان جرافتيك
ت : ٤١٧١١٠

رقم الإيداع ٩٥/١٠٣٦٥

الترقيم الدولى I.S.B.N.
977 - 5091 - 23 - 3

بعد الجزء الأول، وبعد النصوص التى تخص الملوك وأعيان البلاد وعامة الشعب، وبعد أسفار الحياة والموت، نقدم الجزء الثانى الذى يضم بين دفتيه نصوصاً محملة بالأسرار تحدثنا عن ميلاد الآلهة ونسبة الكون وأصل الخير والشر، وحلول العدالة، واتراح وأفراح الآلهة، وأهوائها وانفعالاتها.

* * *

كسا سنطالع فى هذا الجزء أناشيد البشر طمعا فى رضا القوى الكونية المؤلهة، وليدخلوا إلى نفوسهم الطمأنينة بأن وجودهم ممتد ويستطيع أن يغالب الأيام. ثم ننتقل إلى عالم الأحلام وعالم السحر - الذى تفوقت فيه مصر الفرعونية وعالم الرحلات على صفحات نهر النيل أو عبر أمواه «الشديدة الإخضرار»، وفى الختام نصل إلى قصائد العشاق والغرام، فتزيح النقاب عما كان يجيش فى أعماق أعماق نفس الإنسان المصرى القديم من مشاعر عذبة ورقيقة.

* * *

جميع هذه النصوص، مترجمة إلى العربية عن أحدث ترجمة فرنسية بنها عالمة المصریات الشهيرة «كلير لالويت» عن الأصول المصرية القديمة مباشرة وذيلتها بهوامش وشروح على قدر كبير من الأهمية، لتعيد إلى الحياة عالماً ظننا أنه مات واندثر.

المترجم

